إبطال التأويلات لأخبار الصفات

تصنيف القاضي الإمام الأوحد

أبي يعلى محمد بن الحسين ابن محمد بن الفراء

نور الله وجهه آمين

المتوفى سنة ٤٥٨هـ

تحقيق ودراسة

أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود النجدي

الجزء الأول

فهرست المساهم

حقوق الطبع محفوظة
لدار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اعادة طبعه أو تصويره أو اختزان مادته، بطريقة الاسترجاع أو نقله باية صورة دون موافقة كتابية مسبقة من الدار.

قامت بطباعته واخراجه
دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع
الكويت ـ الجهراء مجمع كاظمة التجاري
ص. ب: ١٥١٣ الرمز البريدي: ٠١٠١٧ الجهراء
هاتف: ٤٥٥٧٥٥٩ / فاكس: ٤٥٥٧٥٥٨

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

رب تمم بخير

الحمدلله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم، يدَعون من ضلَّ إلى الهدى، وينهونه عن الردى، يُحيون بكتاب الله تعالى الموتى، وبسنَّة رسول الله ﷺ أهل الجهالة والردى، فكم من قتيلٍ لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍ تائه قد هدوه، فما أحسن آثارهم على الناس، ينفون عن دين الله عز وجل تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الضالين، الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عنان الفتنة، يقولون على الله، وفي الله ـ تعالى الله عما يقول الظالمون عُلواً كبيراً ـ وفي كتابه بغير علم، فنعوذ بالله من كل فتنة[1].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه، ومن سار على هديه وتمسك بسنته إلى يوم الدين.

وبعد: فإن كتاب «ابطال التأويلات لأخبار الصفات» للقاضي أبي يعلى الفرَّاء كان يعد إلى زمن قريب من الكتب المفقودة[2].

---

(١) من رسالة الإمام أحمد بن حنبل إلى مسدد بن سرهد ـ انظرها في «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/٣٤٢ ـ ٣٤٥).

(٢) ذكره الشيخ محمد أبو فارس في كتابه «القاضي أبي يعلي الفراء وكتابه الأحكام السلطانية» (ص ٢٤٨) ضمن مصنفاته المفقودة.

وهو كتاب فريد في بابه، إذ تضمن الرد على تأويلات الأشاعرة والمعتزلة والجهمية لأخبار الصفات الإلهية، الواردة على لسان رسوله ﷺ وأعلم الخلق به، وبيان مذهب السلف فيها وهو إثباتها والإيمان بها، ونفي التكييف عنها والتمثيل لها، فهذا هو التوحيد الذي بيّنه الله تعالى في كتابه وكان عليه رسوله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام والتابعين لهم باحسان.

وليس التوحيد هو ما يدعيه أولئك المبتدعة من وجوب تأويل الصفات وتفسيرها بما يليق بالله تعالى !!

وأن إثبات حقائقها ومعانيها يقتضي تشبيه الله بخلقه ! زعموا !!

وسموا أهل السنة والجماعة الذين وصفوا الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم سموهم مجسمة حشوية!

ولا يضر أهل السنة تسمية أهل البدع لهم بما ينفر الناس عنهم فلهم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد سماه المشركون بالساحر والكاهن والمجنون والشاعر.

ورحم الله تعالى من قال:

فإن كان تجسيماً ثبوت استوائه
على عرشه إني إذاً لمجسمُ
وإنْ كان تشبيهاً ثبوت صفاته
فمن ذلك التشبيه لا أتكتمُ
وإن كان تنزيهاً جحود استوائه
وأوصافه أو كونه لا يتكلمُ
فعن ذلك التنزيه نزَّهت ربنا
بتوفيقه والله أعلى وأعظمُ

فنحن ننزه ربنا عن ذلك الشرك الذي وقعوا فيه، وهو شرك التعطيل لصفات ربنا تبارك وتعالى، بل والتشبيه أيضا !! فمن عطل صفات الخالق فقد

شبهه بالجمادات والمعدومات والممتنعات ! فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار ! فإن التشبيه بالمعدوم والممتنع أفظع من التشبيه بالموجود.

وما من معطل، عطل صفة لله تعالى إلا ووقع في شرٍ مما يزعم أنه فرَّ منه، كحال الذين تأولوا نصوص العلو والفوقية والاستواء فراراً من التحيز والحصر - بزعمهم - ثم قالوا: هو في كل مكان بذاته، فنزهوه عن استواءه الذي أثبته لنفسه ومباينته لخلقه، وجعلوه في أجواف البيوت والناس والآبار والأواني والأماكن التي يُرغب عن ذكرها لقذارتها !!

ثم إنَّ التأويل يتضمن القدح في علم الله تعالى وبيانه لعباده الحق والهدى، لأنهم يزعمون أن الحق هو التأويل الذي يذهبون إليه وهو يخالف ظواهر النصوص، فإما أن يكون الله تعالى عالماً أن الحق في تأويلات النفاة المعطلين أو لا يعلم ذلك !! فإن لم يعلم ذلك كان ذلك قدحاً في علمه!

وإن كان عالماً أن الحق فيها، فلا يخلو أن يكون قادراً على التعبير بعباراتهم التي هي تنزيه الله - بزعمهم - عن التشبيه والتمثيل والتجسيم، فتركها إلى غيرها من العبارات التي توهم التشبيه ! أو لا يكون قادراً على تلك العبارات التي زعموا أن فيها التنزيه !! وكلا الأمرين يعلم بطلانه بالضرورة ! ويتعالى عنهما ربنا علواً كبيراً.

ثم إذا تأوَّل أحدٌ ظاهر آية أو خبر، ثم جاء غيره وتأول الآية أو الخبر على غير تأويله وزعم أنه الصواب، ثم جاء ثالث وهكذا، فكيف يمكن للمسلم أن يعرف الحق، وهل يُحسم هذا الشر إلا بسدِّ بابه؟

ثم لو تكلم الواحد مِنّا بكلامٍ، هل يرضى أن يقال له إنك لا تريد ظاهر ما تقول، وإنما تريد كذا وكذا لأمرٍ لم يذكره في ظاهر كلامه؟ !

فكيف بعد ذلك يكون مذهب المؤوله النفاة المعطلة للصفات أصحاب التحريف هو الصواب، ومذهب أهل الإثبات والأتباع لنصوص الكتاب والسنة والإمرار لها على ظاهرها هو الباطل !!

سبحانك هذا بهتان عظيم !

وبعد: فإن هذا الكتاب يعالج هذه القضية العقدية، حاول فيه مؤلفه أن يرد على كل تأويلات المؤولة لأحاديث الصفات، وقد وفق إلى حد كبير في ردوده.

والكتاب لا يخلو من هفوات، كما هو شأن جميع الكتب، فقد أبى الله أن يتم الا كتابه، كما قال الشافعي رحمه الله. وسيأتي المزيد من البيان لمنهج المصنف في كتابه هذا في الكلام على عقيدته.

والآن إلى ذكر ترجمة المصنف.

ترجمة المؤلف

هو الإمام العلاّمة شيخ الحنابلة، القاضي أبويعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد البغدادي الحنبلي، ابنُ الفرَّاء، صاحب التَّعليقة الكبرى، والتصانيف المفيدة في المذهب.

مولده: ولد لتسعٍ وعشرين أو ثمان وعشرين ليلة خلت من المحرم، سنة ثمانين وثلاث مئة.

عائلته: نشأ في بيت علم، فقد كان والده أبوعبدالله قد درس على أبي بكر الرازي مذهب أبي حنيفة، قال عنه الذهبي: وكان أبوه من أعيان الحنفية ومن شهود الحضرة، وتوفي في سنة تسعين وثلاث مئة، وكان سن أبي يعلى في ذلك الوقت عشر سنين إلا أيام.

طلبه للعلم: بعد وفاة أبيه، كان وصيه رجل يعرف بـ «الحربي» يسكن بدار القز، فنقله من باب الطاق إلى شارع دار القز، وفيه مسجد يصلي فيه شيخ صالح يعرف بابن مفرحة المقرىء، يُقرىء القرآن، ويُلقِّن من يقرأ عليه العبادات من مختصر الخرقي، فلقنه ما جرت عادته بتلقينه من العبادات، فاستزاده فقال له ذلك الشيخ: هذا القدر الذي أحسنته، فإن أردت زيادة فعليك بالشيخ أبي عبدالله بن حامد (وهو الحسن بن حامد البغدادي الوراق الحنبلي) فإنه شيخ هذه الطائفة، فمضى إليه وصحبه إلى أن توفي ابن حامد في سنة ثلاث وأربع مئة، وتفقه عليه وبرع في ذلك، وتصدر بأمره للافادة سنة اثنتين وأربع مئة.

ورزقه الله حفظ القرآن، والقراءة بالعشر، والعلم بالحلال والحرام، والأحكام والفرائض، وعلم الأصول والفروع، إلى جانب ما كان يتمتع به من شرف الأخلاق، والفضل والفهم، والزهد والقناعة.

شيوخه :

أول سماعه للحديث: سنة خمس وثمانين وثلاثمائة. وسمع من أبي الحسين السكري عن أحمد بن عبدالجبار الصوفي عن يحيى بن معين وغيره.

وسمع أيضاً من جماعة عن البغوي. وقد حدث عن البغوي عن أحمد بن حنبل.

وسمع من أبي القاسم موسى بن عيسى السراج عن البغوي وغيره.

ومن أبي الحسن علي بن معروف عن البغوي، وابن صاعد، وابن أبي داود، وغيرهم.

ومن أبي القاسم بن حبابة عن البغوي عن علي بن الجعد عن شعبة وغيره.

ومن أبي الطيب بن المنار عن البغوي، وابن صاعد وغيرهما.

ومن أبي طاهر المخلص عن البغوي وابن صاعد وغيرهم.

ومن أبي القاسم عيسى بن علي الوزير عن البغوي وغيره.

ومن أبي القاسم بن سويد عن ابن مجاهد وابن الأنباري وغيرهما.

ومن أبي القاسم الصيدلاني عن ابن صاعد وغيره.

ومن أم الفتح بنت القاضي أبي بكر أحمد بن كامل.

ومن جده لأمه أبي القاسم بن حنيفا.

ومن أبي عبدالله عن أبي بكر محمد بن إسحاق بن عبدالرحيم السوسي وغيره.

ومن أبي محمد عبدالله بن أحمد بن مالك البيع بانتقاء ابن أبي الفوارس.

ومن القاضي أبي محمد الأكفاني.

ومن أبي نصر بن الشاه.

ومن أبي عبدالله النيسابوري.

ومن أبي الحسن الحمامي، ومن أبي الفتح بن أبي الفوارس.

وسمع بمكة ودمشق وحلب في آخرين.

وابتدأ بالتصنيف والتدريس بعد وفاة شيخه ابن حامد.

وحج سنة أربع عشرة وأربعمائة. وعاد إلى تدريسه وتصنيفه في الفروع والأصول والآداب، وانقطاعه عن الدنيا وما يؤول إلى الذهاب.

تلاميذه:

فأما عدد أصحابه، الذين سمعوا منه الحديث: فالعدد الكثير، والجم الغفير منهم: أحمد بن علي بن ثابت (الخطيب البغدادي)، وعبدالعزيز العاصمي النخشبي، وعمر بن أبي الحسن الدهستاني الخياط، وهبة الله بن عبدالوارث الشيرازي، وإسحاق بن عبدالوهاب بن منده الحافظ المقرىء، ومكي بن بجير الهمداني، وعمر الإرموي، وأحمد بن الحسن بن خيرون، وأبناء خاله: أبوطاهر، وأبوغالب، وأبوالحسين بن الطيوري، وأبوعلي البرداني، وأبوالغنائم بن النرسي الكوفي، وأبوبكر القطان المقدسي، وأبومنصور الخياط، وأبومنصور القرميسيني، وأبومنصور بن الأنباري، ومحمد بن عمارة العكبري، ومحمد بن أحمد بن أحمد بن مردين، وأبوالعباس المخلطي، وأحمد بن العلثي، وأبوبكر، وأبوالحسين ابنا ابن يوسف، وابنا عمهما أبومحمد، وأبوالحسن بن رضوان، وابنا عمه: أبونصر، وأبوالحسين، وأبوجعفر الأصفهاني، وأبوالكرم المبارك بن فاخر النحوي، وأخوه أبوعبدالله بن الدباس، وأبوطاهر، وأبوالقاسم ابنا البلدي، وأبونصر ياسر، وأبوالعز العكبريان في آخرين.

فأما الذين تفقهوا عليه وسمعوا الحديث: فأبوالحسين البغدادي، والشريف أبوجعفر، وأبوالغنائم بن الغُبارى، وأبوالغنائم بن زبيبا، وأبوعلي بن البناء، وأبوالوفا بن القواس، والقاضي أبوعلي البرديني، والقاضي أبوالفتح بن جلبة، وعلي بن عمرو الضرير الحراني، وأبوياسر بن الحصري، وأبوعبدالله الأنماطي، والحسين بن البرداني، وأبوالحسن النهري أبوالفتح، وأبوالبركات بن شبلي، وأبومحمد شافع، وأبوالوفاء بن عقيل، وطلحة العاقولي، ومحفوظ الكلوذاني وأبوالحسن بن ظفر العكبري، وأبوالفرج المقدسي، وأبوالحسن بن زفر العكبري، وأبوعبدالله البرداني، وأبوالحسن بن ركاب، وأبوعبدالله الباجسرائي، وأبويعلى بن الكَيَّال، وجعفر الدريحاني، والأخ أبوالقاسم، وغيرهم ممن يشق إحصاء أسمائهم.

جلوسه للإملاء:

كانت له حلقة كبيرة بجامع «المنصور» ببغداد وصفها ابنه في طبقاته فقال:

ولقد حضر الناس مجلسه، وهو يملي حديث رسول الله ﷺ بعد صلاة الجمعة بجامع المنصور على كرسي عبدالله بن إمامنا أحمد رضي الله عنه، وكان المبلغون عنه في حلقته، والمستملون ثلاثة. أحدهم: خالي أبومحمد جابر والثاني: أبومنصور بن الأنباري، والثالث: أبوعلي البرداني.

وأخبرني جماعة من الفقهاء ممن حضر الإملاء: أنهم سجدوا في حلقة الإملاء على ظهور الناس، لكثرة الزحام في صلاة الجمعة، في حلقة الإملاء.

وما رأى الناس في زمانهم مجلساً للحديث اجتمع فيه ذلك الجم الغفير، والعدد الكثير.

وسمعت من يذكر: أنه حزر العدد بالألوف. وذلك مع نباهة من حضر من الأعيان، وأماثل هذا الزمان، من النقباء، وقاضي القضاة والشهود والفقهاء. وكان يوماً مشهوداً، والناس إذ ذاك يسمعون، والكتبة يكتبون. وحضرت أنا أكثر أماليه بجامع «المنصور».

أخلاقه وزهده وورعه:

وصفه ابنه في طبقاته فقال: ومعلوم ما خصه الله به ـ مع موهبة العلم والديانة ـ من التعفف والصيانة، والمروءة الظاهرة، والمحاسن الكثيرة الوافرة، مع هجرانه لأبواب السلاطين، وامتناعه على ممر السنين: أن يقبل لأحد منهم صلة وعطية، ولم تزل ديانته ومروءته لما هذا سبيله أبِيَّة.

وكان يقسم ليله كله أقساماً: فقسم للمنام، وقسم للقيام، وقسم لتصنيف الحلال والحرام.

ولقد نزل به ما نزل بغيره من النكبات التي استكان لها كثير من ذوي المروءات، وخرج بها عن مألوفات العادات، فلم يحفظ عليه أنه خرج عن جميل

عاداته ولا طرح المألوف من مروءاته.

ومن شاهد ما كان عليه من السكينة والوقار، وما كسا الله وجهه من الأنوار، مع السكون والسمت والصالح، والعقل الغزير الراجح، شهد له بالدين والفضل ضرورة، واستدل بذلك على محاسنه الخفية المستورة[1].

قال: وكان ينهانا دائما عن مخالطة أبناء الدنيا والاجتماع بهم، ويأمرنا بالاشتغال بالعلم، ومخالطة الصالحين[2].

وقال النهري: لما قدم الوزير ابن دراست عبرت أبصره، ففاتني درس ذلك اليوم، فلما حضرت قلت: يا سيدنا تتفضل وتعيد لي الدرس؟ فقال (أي أبويعلى): أين كنت في أمسنا؟ فقلت: مضيت أبصرت ابن دراست. فأنكر عليَّ ذلك إنكاراً شديداً، وقال: ويحك، تمضي وتنظر إلى الظلمة؟! وعنفني على ذلك[3].

ومضى مرة لتهنئة الإمام القائم بالله بعد معافاته من مرض كان به، فأمر له بجائزة سنية، يقول الراوي: فوالله ما مسَّها ولا قبلها، فروجع في ذلك فأبى[4].

ووقع نهب في الجانب الغربي من بغداد، فظلَّ يقتات على الخبز اليابس يبله بالماء، ويقول: هذه الأطعمة نُهوب وغصوب، ولا أطعم من ذلك شيئا. فبقي يتقوت من ذلك الخبز اليابس إلى أن لحقه مرض من ذلك الخبز المبلول[5].

ووصفه الذهبي في السير (١٨/ ٩٠) بقوله: وكان ذا عبادة وتهجُّد، وملازمة للتصنيف، مع الجلالة والمهابة..

---

(١) طبقات الحنابلة (٢/ ٢٠٣).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٢٢).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٢٢).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٢٢٢).
(٥) المصدر السابق (٢/ ٢٢٢).

توليه القضاء:

لما توفي القاضي ابن ماكولا، احتاج القائم بأمر الله إلى قاض عالم زاهد، فراسل رئيس الرؤساء بالشيخ أبي منصور بن يوسف وبغيره إلى الإمام أبي يعلى، وخوطب ليلي القضاء بدار الخلافة والحريم أجمع، فامتنع من ذلك، فكرر عليه السؤال، فلما لم يجد بدّاً من ذلك اشترط عليهم شرائط:

١ ــ أن لا يحضر أيام المواكب الشريفة.
٢ ــ أن لا يخرج في الاستقبالات.
٣ ــ أن لا يقصد دار السلطان.
٤ ــ أن يقصد في كل شهر نهر المعلى يوما وباب الأزج يوما، ويستخلف من ينوب عنه في الحريم.

فأجيب إلى ذلك، ثم أضيف إلى ولايته بالحريم: قضاء حرَّانِ وحُلوان، وظل على ذلك إلى أن توفي.

وما تقدم ذكره يدل على كراهية القاضي أبي يعلى لمخالطة السلطان والتردد على أبوابه، وهذا ديدن السلف رحمهم الله تعالى جميعا، فإنهم كانوا يتجنبون مجالس الولاة إلا عند الحاجة كالنصح وغيره، بل ربما جرحوا بعض الرواة بتردده على السلطان أو قبوله القضاء، كما يتبين لمن يقرأ كتب الجرح والتعديل.

مؤلفاته:

أكثر القاضي أبي يعلى من التصنيف، فقد صنف في الأصول والفروع، في السهل والمستصعب، مع قرب عبارته وسهولتها، والإجادة والإفادة، كما قال الذهبي: صاحب التعليقة الكبرى، والتصانيف المفيدة في المذهب.. اهـ.

ولكن لم يكتب لهذه المؤلفات الكثيرة البقاء، فلم يصل إلينا منها إلا أقل القليل، وسنذكرها حسب موضوعاتها:

أولا: مؤلفاته في العقيدة:

١ ـ مسائل الإيمان[١].

٢ ـ الرد على الأشعرية.

٣ ـ الرد على الكرَّامية.

٤ ـ الرد على الباطنية.

٥ ـ الرد على السالمية والمجسمة[٢].

٦ ـ الرد على الجهمية.

٧ ـ إبطال التأويلات لأخبار الصفات، وهو كتابنا هذا، وسيأتي الكلام عليه.

٨ ـ مختصر ابطال التأويلات.

٩ ـ عيون المسائل[٣].

١٠ ـ الكلام في الإستواء.

١١ ـ أخبار الصفات[٤].

١٢ ـ القطع على خلود الكفار في النار.

١٣ ـ أربع مقدمات في أصول الديانات.

١٤ ـ اثبات إمامة الخلفاء الأربعة.

١٥ ـ المعتمد[٥].

---

(١) موجود في المكتبة الظاهرية الجزء الأول منه، وهي نسخة ناقصة من آخرها (عندي صورة عنها) مجموع ٤٢ (ق ٦٣ - ٩٥). (انظر المنتخب من مخطوطات الحديث، وضع العلامة الألباني ص ٢١٩).

(٢) ذكره ابنه محمد في طبقاته (٢/٢١٢) وقال: وهذا الكتاب عدة أوراق.

(٣) ذكره ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» (٩/٣٦) فقال: ثم إن القاضي أبايعلى في كتابه المعروف «بعيون المسائل» الذي صنفه في الخلاف مع المعتزلة والأشعرية.. وذكره محمد أبوفارس ضمن مؤلفاته الفقهية (ص ١٥٨).

(٤) ذكره ابنه في طبقاته (٢/٢١٠)، وفي هدية العارفين (٢/٧٢): له كتاب الصفات. والظاهر أنه هو.

(٥) وهو في أصول الدين كما يتبين من بعض النقول عنه في «درء تعارض العقل» (٢/٣١٠) (٨/١٥، ٣٤٩ - ٣٥١) (٩/٣٦، ٦٤، ١٧٢).

١٦ ـ مختصر المعتمد في أصول الدين[١].
١٧ ـ تبرئة معاوية.
١٨ ـ إيضاح البيان في مسألة القرآن[٢].

ثانياً: مؤلفاته في القرآن وعلومه:

١ ـ أحكام القرآن.
٢ ـ نقل القرآن.

وتجد كثيرا من تفسير أبي يعلى للآيات في كتاب زاد المسير لابن الجوزي[٣].

ثالثا: مؤلفاته في أصول الفقه:

١ ـ العدة في أصول الفقه[٤].
٢ ـ مختصر العدة.
٣ ـ الكفاية في أصول الفقه[٥].
٤ ـ مختصر الكفاية.
٥ ـ مقدمة المجرد في الأصول.

رابعا: مؤلفاته في الفقه:

١ ـ مختصر في الصيام.
٢ ـ إيجاب الصيام ليلة الإغمام.

---

(١) يوجد مخطوطا بالظاهرية برقم (٤٥) توحيد، ويقع في (١١٥) ورقة من القطع الصغير.
(٢) أنظر «درء تعارض العقل والنقل» (٢/٧٤).
(٣) أنظر نبذ من تفسيره في كتابه «القاضي أبويعلى وكتابه الأحكام السلطانية» لمحمد عبدالقادر أبوفارس (ص ١١٠ - ١٢٩).
(٤) طبع في ثلاثة أجزاء بتحقيق أحمد علي المباركي.
(٥) يوجد المجلد الرابع من هذا الكتاب في دار الكتب المصرية برقم ٣٦٥ أصول فقه، وعنها صورة بمعهد المخطوطات برقم (٩٠) أصول الفقه.

٣ ـ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١).
٤ ـ شروط أهل الذمة.
٥ ـ الأحكام السلطانية(٢).
٦ ـ تكذيب الخيابرة فيما يدعونه من اسقاط الجزية.
٧ ـ إبطال الحيل.
٨ ـ المجرد في المذهب.
٩ ـ شرح مختصر الخرقي(٣).
١٠ ـ كتاب الروايتين والوجهين(٤).
١١ ـ قطعة من الجامع الكبير، فيها الطهارة وبعض الصلاة والنكاح والصداق والخلع والوليمة والطلاق.
١٢ ـ الجامع الصغير.
١٣ ـ شرح المذهب.
١٤ ـ الخلاف الكبير، ويسمى «التعليق الكبير» (٥).

---

(١) توجد منه نسخة ناقصة من أولها في المكتبة الظاهرية مجموع ٤٢، (ق ٩٧ ـ ١٢٥). انظر المنتخب من مخطوطات الحديث للألباني (ص ٢١٨).

(٢) طبع سنة ١٣٥٦ هـ بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله ثم في سنة ١٣٨٦ هـ بمطبعة البابي الحلبي بمصر (أنظر كتاب محمد أبوفارس ص ٣٣٧).

(٣) موجود في الظاهرية (فقه حنبلي ٥٤، ج ٣ (٢٠٨ ق)) وفي الأزهر (فقه حنبلي ٦٣، ج ٤ (١٢٩ ق))، أنظر تاريخ التراث لسزكين (١/٣/٢٣٦) وكتاب الشيخ محمد أبوفارس (ص ٢١٣ ـ ٢٢٠).

(٤) وهو كتاب جمع فيه الروايات المختلفة عن الإمام أحمد في مسائل الفقه وأصول الفقه والعقيدة، وقد حقق جزء الفقه وهو الجزء الأكبر من الكتاب عبدالكريم اللاحم في ثلاثة مجلدات ط مكتبة المعارف ـ الرياض، ثم حقق «أصول الفقه» منه وطبع في المكتبة نفسها.

(٥) وهو كتاب ضخم يقع في أحد عشر مجلداً، يبحث في المسائل الخلافية بين الأئمة، ويدل على أهمية هذا الكتاب حرص شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه، فقد جاء في رسالة أرسلها إلى أهله في الشام وهو في مصر: (وترسلون أيضا من تعليق القاضي أبي يعلى الذي بخط القاضي أبي الحسين إن أمكن الجميع وهو أحد عشر مجلداً، وإلا فمن أوله =

ومما يدل على أهمية هذه المصنفات اعتناء العلماء بها، وتدارسها، وكثرة النقول عنها، تجد ذلك جلياً في كتب مذهب الإمام أحمد كـ «الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف» للشيخ علاءالدين المرداوي، و«مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى» للشيخ مصطفى السيوطي، و «المغني» لابن قدامة، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وغيرها.

خامسا: مؤلفاته في الحديث:

١ ـ الأمالي(١).
٢ ـ الفوائد الصحاح العوالي والأفراد والحكايات(٢).

سادساً: أجوبته ورسائله:

١ ـ الرسالة إلى إمام الوقت.
٢ ـ جوابات مسائل وردت من الحرم.
٣ ـ جوابات مسائل وردت من تنيس.
٤ ـ جوابات مسائل وردت مَيَّافارقين.
٥ ـ جوابات مسائل وردت من أصفهان.

= مجلداً أو مجلدين أو ثلاثة، العقود الدرية (ص ٢٨٥).
ويوجد من هذا الكتاب المجلد الرابع في دار الكتب المصرية رقم (١٤٠) فقه حنبلي وصورة عنها بمعهد المخطوطات رقم (١٨) اختلاف الفقهاء (القاضي أبي يعلى لمحمد أبي فارس ص ١٩٩ ـ ٢٠٦).

(١) توجد ستة مجالس منها في المكتبة الظاهرية، انظر المنتخب من مخطوطات الحديث (ص ٢١٨)، المجلس الثاني منه صوره بجامعة الكويت (٧١٠ م.ك مجموع ٤).
(٢) يوجد في المكتبة الظاهرية الجزء الخامس منها، مجموع ١١٦ (ق ٣٥ ـ ٥١)، أنظر المنتخب من مخطوطات الحديث(ص ٢١٨)، ومنها صوره بمكتبة جامعة الكويت (٣٤٠١ م.ك مجموع ٣).

سابعاً: مؤلفاته في الآداب والأخلاق والفضائل وغيرها[1]:

١ ــ المقتبس.
٢ ــ مختصر المقتبس.
٣ ــ الإنتصار لشيخنا أبي بكر.
٤ ــ الكلام في حروف المعجم.
٥ ــ فضائل أحمد.
٦ ــ مقدمة في الأدب.
٧ ــ كتاب الطب.
٨ ــ كتاب اللباس.
٩ ــ التوكل.
١٠ ــ ذم الغناء.
١١ ــ الاختلاف في الذبيح.
١٢ ــ تفضيل الفقر على الغنى.
١٣ ــ فضل ليلة الجمعة على ليلة القدر.
١٤ ــ الفرق بين الآل والأهل.
١٥ ــ الخصال والأقسام[2].
١٦ ــ الرد على ابن اللبان[3].

---

(١) وذكرت تحته مالا يعلم موضوعه، إذ وصل إلينا اسمه فقط.

(٢) ذكره محمد أبوفارس ضمن مصنفاته الفقهية (ص ١٥٨).
وفيه يقول بعضهم:

قد نظرنا مصنفات الأنام ... وسبرنا شريعة الإسلام
ما رأينا مصنفاً جمع العلم ... مع الاختصار والإفهام
مثل ما صنف الإمام أبو ... يعلى كتاب الخصال والأقسام

(طبقات الحنابلة ٢/٢٠٦).

(٣) هو أبومحمد عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن البكري التيمي الأصبهاني المعروف بابن اللبان، فقيه شافعي، صحب ابن الباقلاني ودرس عليه أصول الدين، توفي سنة ٤٤٦ هـ (العبر (٣/٢١١))، تبيين كذب المفتري (ص ٢٦١ ـ ٢٦٢).

عقيدته :

ألف القاضي رحمه الله كتبا كثيرة في المعتقد، كما سبق أن أشرنا إليه في مصنفاته في العقيدة، ولكن غالبية هذه الكتب في حيز المفقود، لم يصل إلينا منها سوى شيء يسير، وهي كتابنا هذا «إبطال التأويلات»، وكتابه «الإيمان» و «مختصر المعتمد في أصول الدين» والجزء العقدي الذي في كتابه «الروايتين والوجهين»[1]. وهي كافية في معرفة اعتقاد القاضي أبي يعلى رحمه الله، خصوصا إذا ما أضفنا إليها كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه النفيس «درء تعارض العقل والنقل» عن القاضي وعقيدته، في مواضع كثيرة من كتابه.

وقد بيَّن ابنه في طبقاته (٢/٢٠٧ ـ ٢١٢) معتقد أبيه، ننقله مختصراً حتى لا نطيل على القارىء، فقد قال: فلنذكر الآن البيان عن اعتقاد الوالد السعيد، ومن قبله من السلف الحميد في أخبار الصفات.

فاعلم ـ زادنا الله وإياك علماً ينفعنا الله به، وجعلنا ممن آثر الآيات الصريحة، والأحاديث الصحيحة على آراء المتكلمين، وأهواء المتكلفين:
أن الذي درج عليه صالحو السلف، وانتهجه بعدهم خيار الخلف هو: التمسك بكتاب الله عز وجل، واتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ثم ما روى عن الصحابة رضوان الله عليهم، ثم عن التابعين والخالفين لهم من علماء المسلمين.

والإيمان والتصديق بما وصف الله تعالى به نفسه، أو وصفه به رسوله، مع ترك البحث والتنقير، والتسليم لذلك، من غير تعطيل، ولا تشبيه ولا تفسير ولا تأويل. وهي الفرقة الناجية، والجماعة العادلة، والطائفة المنصورة إلى يوم القيامة فهم أصحاب الحديث والأثر ـ والوالد السعيد تابعهم ـ هم خلفاء الرسول، وورثة علمه وسَفرته بينه وبين أمته. بهم يلحق التالي، وإليهم يرجع العالي. وهم الذين نبزهم أهل البدع والضلال، وقائلو الزور والمحال: أنهم مشبهة جهال، ونسبوهم إلى الحشو والطغام، وأساءوا فيهم الكلام.

---

(١) ولم يتيسر لي الحصول على الكتابين الأخيرين منهما.

فاعتقد الوالد السعيد وسلفه ـ قدس الله أرواحهم، وجعل ذكرنا لهم بركة تعود علينا ـ في جميع ما وصف الله تعالى به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ: أن جميع ذلك صفات الله عز وجل تُمَرُّ كما جاءت، من غير زيادة ولا نقصان، وأقروا بالعجز عن إدراك معرفة حقيقة هذا الشأن.

اعتقد الوالد السعيد ومن قبله ممن سبقه من الأئمة: أن إثبات صفات الباري سبحانه: إنما هو إثبات وجود، لا إثبات تحديد، لها حقيقة في علمه، لم يُطلع الباري سبحانه على كُنْه معرفتها أحداً من إنس ولا جان.

واعتقدوا: أن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات، ويحتذي حذوه ومثاله، وكما جاء.

وقد أجمع أهل القبلة: أن إثبات الباري سبحانه: إنما هو إثبات وجود، لا إثبات تحديد وكيفية، هكذا اعتقد الوالد السعيد ومن قبله ممن سلفه من الأئمة: أن إثبات الصفات للباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وكيفية، وأنها صفات لا تشبه صفات البرية، ولا تدرك حقيقة علمها بالفكر والروية.

والأصل الذي اعتمدوه في هذا الباب: اتباع قوله تعالى ﴿**وما يعلم تَأويله إلا الله. والراسِخُون في العلمَ يقولون آمنا به كلٌ من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الأَلباب**﴾ آل عمران: ٨، وقال تعالى ﴿**ولا يُحيطُون به عِلماً. وعنت الوُجوه للحيِّ القيوم. وقد خاب من حمل ظُلماً**﴾ (طه: ١١٠ ـ ١١١).

فاعتقدوا: أن الباري سبحانه وتعالى: فرد الذات، متعدد الصفات. لا شبيه له في ذاته، ولا في صفاته، ولا نظير ولا ثاني. وسمعوا قوله عز وجل ﴿**آلم. ذلك الكتاب لا ريب فيه. هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب**﴾ فآمنوا بما وصف الله به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، تسليماً للقدرة، وتصديقاً للرسل، وإيماناً بالغيب.

واعتقدوا: أن صفات الباري سبحانه معلومة من حيث أعلم هو، غيب من حيث انفرد واستأثر، كما أن الباريء سبحانه معلوم من حيث هو، مجهول ما هو.

واعتقدوا: أن البارى سبحانه استأثر بعلم حقائق صفاته ومعانيها عن العالمين وفارق بها سائر الموصوفين، فهم بها مؤمنون، وبحقائقها موقنون، وبمعرفة كيفيتها جاهلون، لا يجوز عندهم ردها، كرد الجهمية، ولا حملها على التشبيه، كما حملته المشبهة، الذين أثبتوا الكيفية. ولا تأولوها على اللغات والمجازات، كما تأولتها الأشعرية.

فالحنبلية لا يقولون في أخبار الصفات بتعطيل المعطلين، ولا بتشبيه المشبهين، ولا تأويل المتأولين. مذهبهم: حق بين باطلين، وهدى بين ضلالتين: إثبات الأسماء والصفات، مع نفي التشبيه والأدوات. إذ لا مثل للخالق سبحانه مشبه، ولا نظير له فيجنس منه. فنقول كما سمعنا، ونشهد بما علمنا، من غير تشبيه ولا تجنيس، على أنه ﴿**ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير**﴾ (الشورى: ١١).

وفي رد أخبار الصفات، وتكذيب النقلة: إبطال شرائع الدين، من قبل أن الناقلين إلينا علم الصلاة والزكاة والحج وسائر أحكام الشريعة: هم ناقلو هذه الأخبار، والعدل مقبول القول فيما قاله. ولو تطرق إليهم ـ والعياذ بالله ـ التخرص بشيء منها، لأدى ذلك إلى إبطال جميع ما نقلوه، وقد حفظ الله سبحانه الشرع عن مثل هذا ا هـ.

وقد بيَّن القاضي أبويعلى معتقده في الصفات، فقال في كتابه «أخبار الصفات» ـ كما نقله عنه ابنه في الطبقات (٢/٢١٠) ـ :

وقد قال الوالد السعيد رضي الله عنه في أخبار الصفات:

المذهب في ذلك: قبول هذه الأحاديث على ما جاءت به، من غير عدول عنه إلى تأويل يخالف ظاهرها، مع الاعتقاد بأن الله سبحانه بخلاف كل شيء سواه، وكل ما يقع في الخواطر من حد أو تشبيه، أو تكييف: فالله سبحانه وتعالى عن ذلك. والله **ليس كمثله شيء**، ولا يوصف بصفات المخلوقين، الدالة على حَدَثهم. ولا يجوز عليه ما يجوز عليهم من التغير من حال إلى حال، ليس بجسم، ولا جوهر، ولا عرض، وأنه لم يزل، ولا يزال وأنه الذي لا يتصور في الأهام. وصفاته لا تشبه صفاتت المخلوقين (**ليس كمثله شيء. وهو السميع**

البصير).

وأما كتابه ـ قدس الله روحه ـ في إبطال التأويلات لأخبار الصفات: فمبني على هذه المقدمات، وأن إطلاق ما ورد به السمع من الصفات: لا يقتضي تشبيه الباري سبحانه بالمخلوقات ا هـ.

قلت: وأما قوله «إن الباري سبحانه استأثر بعلم حقائق صفاته ومعانيها...» فهو تفويض وليس هو مذهب أهل السنة وسيأتي الرد عليه.

وأما قوله: ولا يجوز عليه ما يجوز عليهم من التغير من حال إلى حال، ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، فكلام لم يأت ذكره في الكتاب والسنة المنقولة عن النبي ﷺ، إنما هو من إحداث أهل الكلام، الذين أكثروا من نفي صفات لم تذكر لا في الكتاب ولا في السنة، مثل قولهم أنه ليس فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، وليس داخل العالم ولا خارجه، وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض، ولا بذي لون ولا رائحة ولا طعم ولا مجسَّه، ولا بذي حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة، ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا اجتماع ولا افتراق، ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض، وليس بذي أبعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء، إلى آخر ما نقله أبوالحسن الأشعري عن المعتزلة.

أما إذا أثبتوا أثبتوا إجمالا.

قال شارح الطحاوية بعد ذكره نحو ما سبق: وفي هذه الجملة حق وباطل، ويظهر ذلك لمن يعرف الكتاب والسنة، وهذا النفي المجرَّد مع كونه لا مدح فيه، فيه إساءة أدب، فإنك لو قلت للسلطان: أنت لست بزبال ولا كساح ولا حجام ولا حائك! لأدَّبك على هذا الوصف وإن كنت صادقاً، وإنما تكون مادحاً إذا أجملت النفي فقلت: أنت لست مثل أحد من رعيتك، أنت أعلى منهم وأشرف وأجل، فإذا أجملت في النفي أجملت في الأدب.

والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية، هو سبيل أهل السنة والجماعة، والمعطلة يعرضون عما قاله الشارع من الأسماء والصفات، ولا يتدبرون معانيها، ويجعلون ما ابتدعوه من المعاني والألفاظ هو المحكم الذي يجب اعتقاده،

وأما أهل الحق والسنة والإيمان، فيجعلون ما قاله الله ورسوله هو الحق الذي يجب اعتقاده واعتماده.

والذي قاله هؤلاء إما أن يعرضوا عنه إعراضاً جمليًا، أو يبينوا حاله تفصيلا، ويُحكم عليه بالكتاب والسنة، لا يحكم به على الكتاب والسنة ا هـ[1].

فالحاصل أن هؤلاء النفاة سكوا طريقاً غير شرعي، فوقعوا فيما وقعوا فيه، وأكثر نفيهم المذكور ليس متلقي عن الكتاب والسنة بل هو من وضع أهل الكلام.

وقد ظن بعض أهل السنة، صحة بعض الأصول العقلية للنفاة الجهمية، فشاركوهم فيها، وذكروها في كتبهم، مع تعظيمهم لمذهب السلف.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام نفيس في هذا فهو يقول:

فإن قيل: قلتَ إن أكثر أئمة النفاة من الجهمية والمعتزلة كانوا قليلي المعرفة بما جاء عن الرسول، وأقوال السلف في تفسير القرآن وأصول الدين، وما بلَّغوه عن الرسول، ففي النفاة كثيرٌ ممن له معرفة بذلك.

قيل: هؤلاء أنواع: نوع ليس لهم خبرة بالعقليات، بل هم يأخذون ما قاله النفاة عن الحكم والدليل، ويعتقدونها براهين قطعية، وليس لهم قوة على الاستقلال بها، بل هم في الحقيقة مقلِّدون فيها، وقد اعتقد أقوال أولئك، فجميع ما يسمعونه من القرآن والحديث وأقوال السلف لا يحملونه على ما يخالف ذلك، بل إما أن يظنّوه موافقاً لهم، وإما أن يعرضوا عنه مفوِّضين لمعناه.

وهذه حال مثل أبي حاتم البُستى، وأبي سَعْد السمَّان المعتزلى، ومثل أبي ذر الهروي، وأبي بكر البيهقي، والقاضي عياض، وأبي الفرج بن الجوزي، وأبي الحسن علي بن المفضَّل المقدسي، وأمثالهم.

---

(١) الطحاوية (ص ١٠٩ ـ ١١٠)، وانظر «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ص ١٠٥) وما قبلها.

والثاني: من يسلك في العقليات مسلك الاجتهاد ويغلط فيها، كما غلط غيره، فيشارك الجهمية في بعض أصولهم الفاسدة، مع أنه لا يكون له من الخبرة بكلام السلف والأئمة في هذا الباب ما كان لأئمة السنة، وإن كان يعرف متون الصحيحين وغيرهما.

وهذه حال أبي محمد بن حزم، وأبي الوليد الباجي، والقاضي أبي بكر بن العربي، وأمثالهم.

ومن هذا النوع بشر المريسي ومحمد بن شجاع الثلجي، وأمثالهما.

ونوع ثالث سمعوا الأحاديث والآثار، وعظّموا مذهب السلف، شاركوا المتكلمين الجهمية في بعض أصولهم الباقية، ولم يكن لهم من الخبرة بالقرآن والحديث والآثار، ما لأئمة السنة والحديث، لا من جهة المعرفة والتمييز بين صحيحها وضعيفها، ولا من جهة الفهم لمعانيها. وقد ظنوا صحة بعض الأصول العقلية للنفاة الجهمية، ورأوا ما بينهما من التعارض.

وهذا حال أبي بكر بن فُورَك، والقاضي أبي يعلى، وابن عقيل، وأمثالهم.

ولهذا كان هؤلاء تارة يختارون طريقة أهل التأويل، كما فعله ابن فورك وأمثاله في الكلام على مشكل الآثار.

وتارة يفوّضون معانيها، ويقولون: تجرى على ظواهرها، كما فعله القاضي أبو يعلي وأمثاله في ذلك.

وتارة يختلف اجتهادهم، فيرجّحون هذا تارة وهذا تارة، كحال ابن عقيل وأمثاله.

وهؤلاء قد يُدخلون في الأحاديث المشكلة ما هو كذب موضوع، ولا يعرفون أنه موضوع، وما له لفظ يدفع الإشكال، مثل أن يكون رؤيا منام، فيظنونه كان في اليقظة ليلة المعراج.

ومن الناس من له خبرة بالعقليات المأخوذة عن الجهمية وغيرهم، وقد شاركهم في بعض أصولها، ورأى ما في قولهم من مخالفة الأمور المشهورة عند أهل السنة، كمسألة القرآن والرؤية، فإنه قد اشتهر عند العامة والخاصة أن مذهب

السلف وأهل السنة والحديث: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله يُرى في الآخرة، فأراد هؤلاء أن يجمعوا بين نصر ما اشتهر عند أهل السنة والحديث، وبين موافقة الجهمية في تلك الأصول العقلية، التي ظنها صحيحة، ولم يكن لهم من الخبرة المفصَّلة بالقرآن ومعانيه، والحديث وأقول الصحابة، ما لأئمة السنة الحديث، فذهب مذهباً مركَّباً من هذا وهذا وكلا الطائفتين ينسبه إلى التناقض.

وهذه طريقة الأشعري وأئمة اتباعه، كالقاضي أبي بكر[1]، وأبي إسحاق الإسفراييني، وأمثالها. ولهذا تجد أفضل هؤلاء، كالأشعري، يذكر مذهب أهل السنة والحديث على وجه الإجمال، ويحكيه بحسب ما يظنه لازماً، ويقول: إنه يقول بكل ما قالوه، وإذا ذكر مقالات أهل الكلام، من المعتزلة وغيرهم، حكاها حكاية خبير بها، عالم بتفصيلها.

وهؤلاء كلامهم نافع في معرفة تناقض المعتزلة وغيرهم، ومعرفة فساد أقوالهم. وأما في معرفة ما جاء به الرسول، وما كان عليه الصحابة والتابعون، فمعرفتهم بذلك قاصرة، وإلا فمن كان عالماً بالآثار، وما جاء عن الرسول،.وعن الصحابة والتابعين، من غير حسن ظنٍّ بما يناقض ذلك، لم يدخل مع هؤلاء: إما لأنه علم من حيث الجملة أن أهل البدع المخالفين لذلك مخالفون للرسول قطعاً، وقد(علم أنه من خالف الرسول فهو ضال) كأكثر أهل الحديث، أو علم مع ذلك فساد أقوال أوليك وتناقضها، كما علم أئمة السنة من ذلك مالا يعلمه غيرهم، كمالك، وعبدالعزيز الماجشون، وحمَّاد بن زيد، وحمَّاد بن سلمة، وسفيان بن عيينة، وابن المبارك، ووكيع بن الجرَّاح، وعبدالله بن إدريس، وعبدالرحمن بن مهدي، ومعاذ بن معاذ، ويزيد بن هارون الواسطي، ويحيى بن سعيد القطان، وسعيد بن عامر، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم، وأبي عبدالرحمن القاسم بن سلاَّم، ومحمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجَّاج النيسابوري، والدارمِيَّيْن: أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن، وعثمان بن سعيد، وأبي حاتم وأبي زرعة الرازيين، وأبي داود السجستاني، وأبي بكر الأثرم، وحرب

---

(١) هو الباقلاني.

الكرماني، ومن لا يحصى عدده إلا الله من أئمة الإسلام، وورثة الأنبياء، وخلفاء الرسل.

فهؤلاء كلهم متفقون على نقيض قول النفاة، كما تواترت الآثار عنهم، وعن غيرهم من أئمة السلف بذلك، من غير خلاف بينهم في ذلك ا هـ[1].

فالحاصل من كلام شيخ الإسلام:

أنه مما يؤخذ على القاضي أنه يظن في بعض الأحيان صحة بعض الأصول العقلية لنفاة الصفات، ويقول في بعض نصوص الصفات: إنها تُجرى على ظاهرها، وتُحمل على ظاهرها، ومع هذا فلا يعلم تأويلها إلا الله أي يفوض علم معناها إلى الله، فيتناقض حيث يثبت لها تأويلا يخالف ظاهرها ويقول ـ مع هذا ـ أنها تحمل على ظاهرها. وتفويض علم المعنى ليس هو طريقة السلف، وإنما طريقتهم تفويض الكيفية فقط. وهذا ما أنكره ابن عقيل على القاضي في كتابه هذا[2].

خلاصة القول:

أن الرجل شيخ من شيوخ الحنابلة، المتبعين لإمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، وهو (أي القاضي) من أهل الإثبات للصفات، والتسليم للنصوص من غير تعطيل ولا تشبيه، ولا تحريف ولا تأويل، بل كتابه هذا مؤلف للرد على نفاة الصفات والمأولين لها، المحرفين لمعانيها، من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن تابعهم.

أما القليل الذي وافق فيه المتكلمين ـ من نفي أو إثبات أو تفويض ـ مما يخالف كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، أو نهج أصحابه ومن تابعهم بإحسان، فنحن لا نقرُّه عليه، بل نردُّه ولا نقبله، والاعتبار من كلامه وكلام غيره بما يوافق الدليل.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧/٣٢ ـ ٣٧).

(٢) أنظر المصدر السابق (١/١٦ وما قبلها).

وفاته :

توفي ليلة الإثنين بين العشائين، تاسعة عشر رمضان من سنة ثمان وخمسين وأربع مئة، وصلى عليه ابنه أبوالقاسم يوم الاثنين بجامع المنصور.

قال ابنه في الطبقات (٢/ ٢١٦): وقيل أنه لم يُر في جنازة ـ بعد جنازة أبي الحسن القزويني الزاهد ـ الجمع الذي حضر جنازته، فلما أصحر المشيعون لجنازته إلى حفرته بمقبرة إمامنا أحمد لحقهم الحر الشديد، فأفطر جماعة لم يسمحوا بالرجوع، وكان قد حضره عالم كثير جدا يفوت الإحصاء.

ما رؤي له من المرائي :

يقول ابنه أبوالحسين في طبقاته (٢/ ٢٢٠): وسمعت محمد بن مواهب يقول: سمعت أباالحسن بن جدا يقول: كنت نائماً في داري ليلة مات القاضي أبويعلى، فهتف لي هاتف وقال:

ما العيش بعدك مستطاب هيهات أن يغشى لمثلك باب

فانتبهت، فلما أسفر الفجر، سمعت مناديا ينادي: من أراد الصلاة على القاضي الإمام أبي يعلى، فعلمت أن الهاتف وبيت الشعر لأجله.

فرحم الله القاضي أبي يعلى رحمة واسعة، وغفر له ذنبه، آمين.

مصادر ترجمته :

١ ــ تاريخ بغداد (٢/٢٥٦) .
٢ ــ طبقات الحنابلة (٢/١٩٣ ـ ٢٣٠) .
٣ ــ الأنساب (٩/٢٤٦) .
٤ ــ مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (٥٢٠ ـ ٥٢١) .
٥ ــ المنتظم له أيضاً (٨/٢٤٣ ـ ٢٤٤) .
٦ ــ الكامل لابن الأثير (١٠/٥٢) .
٧ ــ اللباب له أيضا (٢/٤١٣ ـ ٤١٤) .
٨ ــ العبر للذهبي (٣/٢٤٣ ـ ٢٤٤) .
٩ ــ سير أعلام النبلاء له أيضا (١٨/٨٩ ـ ٩١) .
١٠ ــ الوافي بالوفيات (٣/٧ ـ ٨) .
١١ ــ البداية والنهاية (١٢/٩٤ ـ ٩٥) .
١٢ ــ شذرات الذهب (٣/٣٠٦ ـ ٣٠٧) .
١٣ ــ كشف الظنون (١/٣) (٢/١٧٣٢) .
١٤ ــ هدية العارفين (٢/٧٢) .
١٥ ــ القاضي أبويعلى الفراء وكتابه الأحكام السلطانية ـ تأليف الشيخ محمد عبدالقادر أبوفارس ـ ط الثانية ١٤٠٣هـ ـ مؤسسة الرسالة .

التعريف بكتاب «إبطال التأويلات»

اسم الكتاب: اسمه كما هو مثبت على الورقة الأولى: «إبطال التأويلات لأخبار الصفات»، وكذا سماه إبنه في طبقاته. وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في «درء التعارض» (٥/ ٢٣٧) (٦/ ٢٠٧) باسم: «إبطال التأويل» وذكره في (١/ ١٦) باسم «ذم التأويل»، وذكره الذهبي في السير (١٨/ ٩٠) باسم: «إبطال تأويل الصفات» ولعل ذلك وقع منهما على جهة الاختصار.

نسبة الكتاب للمؤلف:

أولا: الكتاب منسوب للمؤلف في الورقة الأولى من الكتاب، فقد كتب ناسخه:

الحمدلله وحده، وجد على ظهر أول ورقة من نسخة كتاب إبطال التأويلات التي نسخنا منها هذه النسخة، بخط القاضي أبي الحسين بن القاضي أبي يعلى مؤلف الكتاب ما لفظه: قرأ عليَّ صاحبه الفقيه اسماعيل بن الحسن. .

وكتب ناسخه أيضا: ووجد أيضا هذا الكتاب مؤلفه القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف، القاضي أبويعلى الفراء البغدادي شيخ الحنابلة وصاحب التصانيف ولد سنة ٣٨٠، أخذ عنه أبوالوفاء علي بن عقيل توفي في رمضان سنة ٤٥٨ هـ.

وكتب أيضا: دخل في ملك الفقير إلى الله تعالى محمد بن أمين الحسني الشنقيطي سنة ١٣٣٧ هـ.

ثانياً: ذكر العلماء له في ضمن مصنفات أبي يعلى كما تقدم.

نسخة الكتاب: نسخة جيدة بقلم نسخي، وهي من مخطوطات مكتبة

عباس العزاوي ـ العراق، وجاء وصفها في مجلة «المورد» المجلد السابع عشر ـ العدد الثاني ١٤٠٨ هـ (ص ١٨٢): «نسخة جيدة كتبها بقلم النسخ سنة ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٨م صالح بن دخيل الله بن جارالله على نسخة كتبت سنة ٦٥٧ هـ ـ ١٢٥٨م وعليها قراءة منقولة لأبي الثناء محمد بن سليمان العرباني ومحمد بن علي التميمي على المؤلف، في أولها فهرس لمواضيع الكتاب ومقابلة على الأصل المنقولة عنه وتملك مؤرخ سنة ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٨م باسم محمد بن أمين الحسيني الشنقيطي ـ القياس: ٣٩٤ ص ـ ٢٢×١٦سم ـ ١٧ س».

وقد أهداها لي أحد الأخوة في الله تعالى وكانت ناقصة الآخر، ثم لما سافرت إلى المدينة النبوية في عام ١٤٠٩ هـ والتقيت بشيخنا ووالدنا الشيخ حماد الأنصاري أخبرته بأمر الكتاب وإني أعمل في تحقيقه فقال إن الكتاب عنده كامل وأذن لي بتصويره فجزاه الله عنا خيراً.

مادة الكتاب: الكتاب ألفه القاضي رحمه الله لبيان وشرح أحاديث الصفات، التي يظن بعض المبتدعة أن إثبات هذه الأحاديث ينافي التنزيه، ويوقع في التشبيه. وللرد على ابن فورك في كتابه «مشكل الحديث وبيانه».

وقد ذكر المصنف الدافع له على تأليف هذا الكتاب وخطته فيه فقال:

أما بعد، فإنني وقفت على حاجتكم إلى شرح كتاب نذكر فيه ما اشتهر من الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ في الصفات، وصح سنده من غير مطعن فيه، ما يوهم ظواهرها التشبيه، وأذكر الإسناد في بعضها، واعتمد على المتن فيما اشتهر منها طلباً للإختصار.

وسئلتم أن أتأمل مصنف محمد بن الحسن بن فورك الذي سماه «تأويل الأخبار»، جمع فيه هذه الأخبار وتأولها، فتأملنا ذلك وبينّا ما ذهب فيه عن الصواب في تأويله، وأوهم خلاف الحق في تخريجه، ولولا ما أخذ الله على العلماء من الميثاق على ترك كتمان العلم، لقد كان التشاغل بغير ذلك أولى اهـ.

إلا أنه يعاب على المصنف إيراده للأحاديث الواهية بل الموضوعة في كتابه

هذا، والإطناب في شرحها وبيان غريبها.

وقد أشار إلى هذا ـ أي وجود بعض الأحاديث الموضوعة ـ شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «درء تعارض العقل والنقل» (٥/٢٣٧ ـ ٢٣٩) فقال: وقد صنف القاضي أبويعلى كتابه في «إبطال التأويل» ردًّا لكتاب ابن فُورك، وهو وإن كان أسند الأحاديث التي ذكرها وذكر من رواها، ففيها عدة أحاديث موضوعة كحديث الرؤية عيانا ليلة المعراج ونحوه، وفيها أشياء عن بعض السلف رواها بعض الناس مرفوعة، كحديث قعود الرسول ﷺ على العرش، رواه بعض الناس من طرق كثيرة مرفوعة، وهي كلها موضوعة، وإنما الثابت أنه عن مجاهد وغيره من السلف، وكان السلف والأئمة يروونه ولا ينكرونه، ويتلقونه بالقبول.

ولهذا وغيره تكلم رزق الله التميمي[(١)] وغيره من أصحاب أحمد في تصنيف القاضي أبي يعلى لهذا الكتاب بكلام غليظ، وشنَّع عليه أعداؤه بأشياء هو منها بريء، كما ذكر هو ذلك في آخر الكتاب.

وما نقله عنه أبوبكر بن العربي في العواصم كذب عليه عن مجهول لم يذكره أبوبكر، وهو من الكذب عليه[(٢)]، مع أن هؤلاء وإن كانوا نقلوا عنه ما هو كذب عليه، ففي كلامه ما هو مردود نقلا وتوجيها[(٣)]، وفي كلامه من التناقض من جنس ما يوجد في كلام الأشعري، والقاضي أبي بكر الباقلاني، وأبي المعالي، وأمثالهم ممن يوافق النفاة على نفيهم، ويشارك أهل الإثبات على وجه، يقول الجمهور: إنه جمع بين النقيضين.

---

(١) هو أبومحمد رزق الله بن عبدالوهاب بن عبدالعزيز التميمي، المتوفى سنة ٤٤٨ هـ، أشهر التميميين من أصحاب أحمد (طبقات الحنابلة (٢/٢٥٠ ـ ٢٥١) الذيل لابن رجب (١/٧٧ ـ ٨٥).

(٢) يقول أبوبكر بن العربي في كتابه العواصم (٢/٢٨٣): وأخبرني من أثق به من مشيختي أن أبايعلى محمد بن الحسين الفراء، رئيس الحنابلة ببغداد كان يقول، إذا ذكر الله تعالى وما ورد من هذه الظواهر في صفاته، يقول: ألزموني ما شئتم فإني ألتزمه إلا اللحية والعورة!! وانظر (٢/٣٠٦).

(٣) قلت: ومَن من الأئمة من لا يوجد في كلامه ما هو مردود نقلا وتوجيها؟ !

ويقال إن أباجعفر السمناني[1]، شيخ أبي الوليد الباجي قاضي الموصل، كان يقول عليه مالم يقله، ويقال عن السمناني إنه كان مُسَمَّحا في حكمه وقوله اهـ.

وقال الحافظ الذهبي في السير (١٨/ ٩١): ولم تكن له يدٌ طُولى في معرفة الحديث، فربما احتجَّ بالواهي.

وكان قد تعرض لفتنة بعد تأليفه لهذا الكتاب، يقول الذهبي في السير (١٨/ ٩٠): وجمع كتاب «إبطال تأويل الصفات» فقاموا عليه لما فيه من الواهي والموضوع، فخرج إلى العلماء من القادر بالله المعتقد الذي جمعه، وحُمل إلى القادر كتاب «إبطال التأويل» فأعجبه، وجرت أمورٌ وفتن ـ نسأل الله العافية ـ ثم أصلح بين الفريقين الوزير: علي بن المسلمة، وقال في الملأ: القرآن كلام الله، وأخبار الصفات تُمَرُّ كما جاءت اهـ.

---

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد السمناني، أبوجعفر قاضي حنفي ولد سنة ٣٦١ هـ، ولي القضاء بالموصل إلى أن توفي بها سنة ٤٤٤هـ، وكان مقدم الأشعرية في وقته، وشنع عليه ابن حزم، له تصانيف في الفقه (انظر تبيين كذب المفتري (ص ٢٥٩)).

عملي في الكتاب

١ ــ تحقيق نص الكتاب، وإضافة القواعد الإملائية الحديثة، من وضع الفواصل والنقط وعلامات الاستفهام، وابتداء أوائل الفقرات والجمل من أول السطر وترقيمها، كما وضعت بعض العناوين زيادة في توضيح الكتاب وجعلتها بين معقوفين [ ].

وقد أبقيتُ أكثر أسماء الرواة على كِتْبتها الإملائية القديمة ليتم ربط القارىء المسلم بماضيه، فلا يصاب بانفصام عنه، كسفيان وسليمان وإسحاق والحارث، فإنها كانت تكتب سفين وسليمن واسحق والحرث.

٢ ــ عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من القرآن الكريم.

٣ ــ خرجت الأحاديث النبوية والآثار من مظانها، مع الحكم عليها صحة وضعفاً حسب قواعد أهل الحديث، وذكر المتابعات والشواهد للحديث إذا كان ضعيفاً، والتزمت الصلاة والسلام على نبينا ﷺ كلما ذكر، فإن المصنف يكتب الصلاة دون السلام اختصاراً، وأحيانا يذكره ولا يكتب شيئاً.

٤ ــ ترجمت للمؤلف فذكرت حياته وشيوخه ومؤلفاته وعقيدته ووفاته رحمه الله.

٥ ــ ترجمت أغلب الأعلام الذين مَرُّوا في الكتاب باختصار.

٦ ــ تعقبت المصنف في أكثر المسائل التي رأيت أنه خالف فيها الصواب ـ ولا أقول كلها منعاً للتطويل ـ وذكرت القول الصواب مدعماً بأقوال أئمة السلف في المسألة.

٧ ــ شرحت بعض الكلمات الغريبة التي مرت في النص.

٨ ــ سوف أضع في نهاية الجزء الثاني ـ إن شاء الله ـ ثلاثة فهارس لتيسير الاستفادة من الكتاب:

١ ــ فهرست للأحاديث النبوية.

٢ ــ فهرست للآثار.

٣ ــ فهرست للأعلام.

وختاما أقول: إنني لا أدعي العصمة من الخطأ في عملي هذا، ولا أقول إنني قد وفيت الكتاب حقه كله، وإنما هو جهد حسب الطاقة، مع ضيق الوقت، وكثرة الشواغل والصوارف، والله الموفق وحده للصواب وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الكرام أجمعين والحمدلله رب العالمين.

وكتبه
أبو عبدالله محمد بن حمد الحمود النجّدي
في ضحى الجمعة لثلاث بقين من
ذي الحجة سنة سبع وأربع مئة
وألف للهجرة النبوية
الشريفة

فهرسة كتاب ابطال التاويلات لاخبار الصفات

صورة الورقة الأولى من المخطوط وفيها بداية الفهرست

كتاب إبطال التأويلات

لأخبار الصفات

تصنيف القاضي الامام الاوحد ابي يعلى محمد بن الحسين

ابن محمد بن الفراء نور الله وجهه

آمين

دخل في ملك

الى الله تعالى محمد

الحسن [illegible]

١٣٢٧

صورة عنوان الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود على السراء والضراء المتفرد بالعز والعظمة
والكبرياء العالم قبل وجود المعلومات والباقي بعد فناء
الموجودات المبتدي بالنعم قبل استحقاقها المتكفل للبرية بارزاقها
احمده حمدا يرضيه واستعينه على حبس خواطر النفس عن هواها
ومنع بوادرها من السطوة على مرادها واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فصلى الله عليه وعلى اهل بيته
وعلى اصحابه وعلى ازواجه وسلم

اما بعد فانني وقفت على حاجتكم الى شرح كتاب نذكر فيه ما اشتهر
من الاحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصفات
وصح سنده من غير طعن فيه مما يوهم ظواهرها التشبيه واذكر
الاسناد في بعضها واعتمد على المتن فيما اشتهر منها طلبا للاختصار
وسئلتم ان اتامل مصنف محمد بن الحسن بن فورك الذي سماه كتاب
تاويل الاخبار جمع فيه هذه الاخبار وتاولها فتاملنا ذلك وبينا
ما ذهب فيه عن الصواب في تاويله واوهم خلاف الحق في تخريجه
ولولا ما اخذ الله على العلماء من الميثاق على ترك كتمان العلم

صورة الورقة الأولى من الكتاب.

لديه ما كتبه لي فسئل الله الكريم ان يجعلنا ممن يقفو اثر
نبيه ويتبع اثاره ولا يخالف اقواله تم الكتاب والحمد لله
رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم تسليما
وهذا ما وجد على الاصل الذي نسخ منه هذه النسخة المباركة
سمع علي ابطال التاويل الشيخ شمس الدين ابو الثنا محمود
ابن سليمان بن [illegible] المسود [illegible] بالعرباني والولد الاجل
شرف الدين ابو عبد الله محمد بن ابي الحسن علي بن محمد بن
سعيد بن حمزة التميمي وذلك بحق اجازة سمعا الي المعالي
باجازته من البطايحي عن القاضي ابي الحسين كذا عن والده
مؤلف الكتاب كذلك وذلك في مجالس اخرها في شهر ذي الحجة
سنة سبع وخمسين وكتابة [illegible] محمد بن منصور بن ابي [illegible]
الحراني حامدا لله ومصليا على سيدنا محمد وآله وصحبه ١٣٤٢

تم الكتاب بقلم الحقير الاقل الراجي عفو السميع
صالح بن دخيل الله بن جار الله [illegible]
سابق [illegible] من آل [illegible]
[illegible] عفا الله عنه [illegible]

[illegible] من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات آمين
[illegible] في آخر يوم الاحد [illegible] الثاني سنة سبع [illegible]

صورة الورقة الاخيرة من الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله المحمود على السَّراء والضَّراء المتفرد بالعزِّ والعظمة والكبرياء، العالم قبل وجود المعلومات، والباقي بعد فنآء الموجودات، المبتدىء بالنِّعم قبل استحقاقها، المتكفل للبرية بأرزاقها، أحمده حمداً يرضيه وأستعينه على حبس خواطر النفس عن هواها، ومنع بوادرها من السطوة على مرادها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، فصلى الله عليه وعلى أهل بيته وعلى أصحابه وعلى أزواجه وسلم.

أما بعد: فإنني وقفت على حاجتكم إلى شرح كتاب نذكر فيه ما اشتهر من الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ في الصفات، وصح سنده من غير طعن فيه ما يوهم ظواهرها التشبيه، وأذكر الإسناد في بعضها واعتمد على المتن فيما اشتهر منها طلباً للإختصار. وسئلتم أن أتأمل مصنف محمد بن الحسن بن فورك[1]

---

(١) كتب في هامش الأصل: «كلمة (وسلم) ساقطة من الأصل وسيستمر . . إسقاطها إلى آخر الكتاب، وربما ترك الصلاة على النبي ﷺ لأنه كان لا يرى بذلك بأساً».
قلت: وقد التزمت أن أصلي على النبي ﷺ كلما ذكر اسمه ﷺ صلاة كاملة.

(١) هو محمد بن الحسن بن فُورَك أبو بكر الأصبهاني، شيخ المتكلمين قال الذهبي: كان أشعرياً، رأساً في فن الكلام، أخذ عن أبي الحسن الباهلي صاحب الأشعري.
وقال: حمل مقيدا إلى شيراز للعقائد.
قال ابن خلكان: أبو بكر الأصولي الأديب النحوي الواعظ، درس بالعراق مدة ثم توجه إلى الري، فسعت به المبتدعة ـ يعني الكرامية ـ فراسله أهل نيسابور فورد عليهم وبنوا له مدرسة وداراً، وظهرت بركته على المتفقهه، وبلغت مصنفاته قريبا من مئة مصنف، ودُعي إلى مدينة «غَزْنَة» وجرت له بها مناظرات، وكان شديد الرد على ابن كرام ثم عاد إلى نيسابور فَسمَّ في الطريق =

الذي سماه كتاب «تأويل الأخبار» جمع فيه هذه الأخبار وتأولها، فتأملنا ذلك وبينًا ما ذهب فيه عن الصواب في تأويله، وأوهم خلاف الحق في تخريجه، ولولا ما أخذ الله على العلماء من الميثاق على ترك كتمان العلم، لقد كان التشاغل بغير ذلك أولى.

١ ــ للحديث الذي رواه أبوبكر عبدالعزيز ابن جعفر من أصحابنا(٢) باسناده فيما وقع إلي في جوابات مسائل عن أبي هريرة أن قوماً سألوا النبي ﷺ عن شيءٍ من أمر الرب تبارك وتعالى فلعنهم(٣).

٢ ــ وبإسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ لا تقوم الساعة حتى يكفر بالله جهرة(٤) وذلك عند كلامهم في ربهم. وفي ترك التشاغل بذلك كتمان للعلم

= فمات بقرب بُست، ونقل إلى نيسابور.
ونقل أبو الوليد الباجي أن السلطان محموداً (وهو ابن سبكتكين) سأله عن رسول الله ﷺ فقال: كان رسول الله، وأما اليوم فلا، فأمر بقتله بالسُّمّ.
وقال ابن حزم: كان يقول: إن روح رسول الله قد بطلت وتلاشت، وما هي في الجنة!
ونقل السبكي في طبقاته (٣/٥٥) عن الذهبي قوله: إنه مع دينه صاحب فلته وبدعة.
انظر (تبيين كذب المفتري (ص٢٣٢ ـ ٢٣٣)، وفيات الأعيان (٤/٢٧٢ ـ ٢٧٣) السير (١٧/٢١٤ ـ ٢١٦)، طبقات الشافعية للسبكي (٣/٥٢ ـ ٥٦)). وكتابه المذكور مطبوع باسم «مشكل الحديث وبيانه».

(٢) هو عبدالعزيز بن جعفر بن أحمد أبو بكر المعروف بغلام الخلال، قال أبو الحسين بن أبي يعلى (ابن المصنف) في طبقاته: وكان أحد أهل الفهم موثوقاً به في العلم، متسع الرواية، مشهوراً بالديانة، موصوفاً بالأمانة، مذكوراً بالعبادة.
له المصنفات في العلوم المختلفات: الشافي، المقنع، تفسير القرآن، الخلاف مع الشافعي، كتاب القولين، زاد المسافر، التنبيه وغير ذلك.
وقال: وذكر الوالد السعيد في الانتصار لعبدالعزيز فقال: كان ذا دين، وأخا ورع، علامة بارعاً في علم مذهب أحمد بن حنبل.
قال: وتوفي في شوال لعشر بقين منه، سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وتوفي في يوم الجمعة.
(تاريخ بغداد (١٠/٤٥٩ ـ ٤٦٠)، طبقات الحنابلة (٢/١١٩ ـ ١٢٧)، السير (١٦/١٤٣ - ١٤٥)).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٨١) وقال: رواه الطبراني في الأوسط وقال: لم يروه عن الأوزاعي إلا إسماعيل بن يحيى التيمي. =

لا ينافي. . . .[1] بين نافي لجميع الصفات وهم القدرية وبين مُثبتٍ لبعضها ونافٍ لبعضها، ونهى النبي ﷺ عن الكلام في ذلك محمولٌ على من تكلم بما يُنافي ما ورد به القرآن، وجاءت به الأخبار كالنصارى الذين وصفوه سبحانه بالجوهر، والمجسمة الذين وصفوه بالجسم، والمُشَبِّهة الذين شبهوا صفاته بصفات خلقه.

٣ ــ وقد أنكر أحمد التشبيه، فقال في رواية حنبل: المشبهة تقول: بصرٌ كبصري ويدٌ كيدي وقَدَمٌ كقدمي، ومن قال ذلك فقد شبَّه الله بخلقه.

٤ ــ وقال في رواية يوسف بن موسى ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ (الشورى: ١٢).

ولا يجوز أن يحمل حديث أبي هريرة على ذم مُثبتي الصفات لأنَّ الله سبحانه قد وصف نفسه في كتابه في غير موضع ووصفه رسوله بالأحاديث الصحاح، وأثبت ذلك سلف هذه الأمة على ما نبيِّنه فلم يبق إلا أن يُحمل على ما ذكرنا ممن تكلم فيه بما لم يرد به الشرع.

واعلم أنه لا يجوز ردُّ هذه الأخبار على ما ذهب إليه جماعة من المعتزلة، ولا التشاغل بتأويلها على ما ذهب إليه الأشعرية. والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفاتٌ لله تعالى لا تُشبه سائر الموصوفين بها من الخلق، ولا نعتقد التشبيه فيها، لكن على ما روي عن شيخنا وإمامنا أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل وغيره من

(١) **بياض في الأصل بمقدار كلمتين، لكن السياق يدل على وقوع أكثر من ذلك.**

= قلت: ولم أر من ذكر إسماعيل ولا الذي روى عنه وهو اسحاق بن زريق اهـ.

قلت: وهو ذهول من الهيثمي رحمه الله، فإن إسماعيل قد ذكره ابن عدي في الكامل (١/٢٩٧) وقال: تحدث عن الثقات بالبواطيل.

ثم ساق له سبعة وعشرين حديثا وقال: وعامة ما يرويه من الحديث بواطيل عن الثقات وعن الضعفاء اهـ.

وقال الذهبي في الميزان (١/٢٥٣): مجمع على تركه اهـ.

وأما الراوي عنه فقد جاء في هامش المجمع: وأما الراوي عنه إسحاق فهو ابن زبريق وهو إسحاق بن إبراهيم بن العلاء روى عنه البخاري في كتاب الأدب المفرد واختلف في الاحتجاج به اهـ.

وقال الحافظ في التقريب: صدوق يهم كثيرا، وأطلق محمد بن عوف أنه يكذب. وعزاه الهندي في «كنز العمال» (١/٢٣٧) إلى الحاكم في تاريخه.

أئمة أصحاب الحديث أنهم قالوا في هذه الأخبار: أمرُّوها كما جاءت، فحملوها على ظاهرها في أنها صفاتٌ لله تعالى لا تشبه سائر الموصوفين.

٥ ــ فقال أحمد في رسالة عبدوس بن مالك العطار(٥): يجب الإيمان بالقدر، وبالأحاديث فيه، ومثل أحاديث الرؤية كلها وإن نَبَتْ عن الأسماع واستوحش منها المستمع.

٦ ــ وقال في رواية حنبل(٦): ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعات شنعت.

٧ ــ وقال في رواية المروذي(٧): أحاديث الصفات تمر كما جاءت.

---

(٥) هو عبدوس بن مالك أبو محمد العطار، ذكره ابن المصنف أبو الحسين في «طبقات الحنابلة» (١/٢٤١) فقال: ذكره أبو بكر الخلال فقال: كانت له عند أبي عبدالله منزلة في هدايا وغير ذلك، وله به أنس شديد، وكان يقدمه، وله أخبار يطول شرحها، وقد روى عن أبي عبدالله مسائل لم يروها غيره، ولم تقع إلينا كلها، مات ولم تتخرج عنه ووقع إلينا منها شيء، أخرجه أبو عبدالله في جماع أبواب السنة، مالو رحل رجلٌ إلى الصين في طلبها لكان قليلاً، أخرجه أبو عبدالله ودفعه إليه.

وقد ساق أبو الحسين بعد ذلك ما ذكره عبدوس عن الإمام أحمد مطولا بسنده فقال: قرأت على المبارك قلت له أخبرك عبدالعزيز الازجي أخبرنا علي بن بشران أخبرنا عثمان المعروف بابن السماك حدثنا الحسن بن عبدالوهاب حدثنا سليمان بن محمد المنقري حدثني عبدوس بن مالك العطار قال: سمعت أبا عبدالله أحمد يقول: أصول السنة عندنا. . ، وفي سنده من لم أجد له ترجمة.

(٦) هو الإمام حنبل بن إسحاق بن حنبل أبو علي الشيباني ابن عم الإمام أحمد وتلميذه، ولد قبل المئتين، قال الخطيب: كان ثقة ثبتاً، حدث عنه الخلال وابن صاعد وعثمان بن السماك، توفي سنة ثلاث وسبعين ومئتين.

قال الذهبي: له مسائل كثيرة عن أحمد، ويتفرد ويُغرب.

(الجرح والتعديل (٣/٣٢٠)، تاريخ بغداد (٨/٢٨٦ ـ ٢٨٧) طبقات الحنابلة (١/١٤٣ ـ ١٤٥)، السير (١٣/٥١ ـ ٥٣)).

(٧) هو الإمام القدوة الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المرُّوذي، نزيل بغداد وصاحب الإمام أحمد، قال أبو بكر بن صدقة: ما علمت أحداً أذبَّ عن دين الله من المروذي.

قال الخطيب: هو المقدَّم من أصحاب أحمد لورعه وفضله وكان أحمد يأنس به قال الخلال: سمعت المروذي يقول: كان أبو عبدالله يبعث بي في الحاجة فيقول: قل: ما قلت، فهو على لساني، فأنا قلته.

توفي في جمادي الأولى سنة خمس وسبعين ومئتين.

(تاريخ بغداد (٤/٤٢٣ ـ ٤٢٥)، طبقات الحنابلة (١/٥٦ ـ ٦٣)، السير (١٣/١٧٣ ـ ١٧٧)).

٨ ــ وقال في رواية أبي طالب «قلب العبد بين أصبعين»، «وخلق آدم بيده»، وكلما جاء الحديث مثل هذا قلنا به.

٩ ــ وقال في رواية حنبل في الأحاديث التي تروي «إن الله تبارك وتعالى ينزل إلى سماء الدنيا» والله يُرى «وأنه يضع قدمه» وما أشبه بذلك نُؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى! ولا نرد شيئاً منها، ونعلم أنَّ ما قاله الرسول ﷺ حق إذا كانت بأسانيد صحاح.

١٠ ــ وقال في رواية حنبل: يضحك الله، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول. وقال المشبهة تقول بصرٌ كبصري ويدٌ كيدي وقدم كقدمي، ومن قال ذلك فقد شبَّه الله بخلقه. فقد نصَّ أحمد على القول بظاهر الأخبار من غير تشبيهٍ ولا تأويل.

١١ ــ وذكر عبدالرحمن بن منده في كتاب الإسلام(٩) فقال أنا يوسف بن محمد السلمي بأصبهان أنا علي بن محمد بن إبراهيم الدمشقي نا عبدالله بن محمد بن جعفر النهاوندي نا أبوبكر محمد بن ابراهيم بن عبدالله نا أحمد بن جعفر بن

(٨) هو أحمد بن حميد أبو طالب المشكاني، صاحب الإمام أحمد، قال ابن أبي يعلى: روى عن أحمد مسائل كثيرة، وكان أحمد يكرمه ويعظمه، روى عنه أبو محمد فوزان وزكريا بن يحيى وغيرهما، وذكره الخلال فقال: صحب أحمد قديماً إلى أن مات، وكان أحمد يكرمه ويقدمه، وكان رجلاً صالحاً فقيراً صبوراً على الفقر، فعلمه أبوعبدالله مذهب القنوع والاحتراف، وما قديماً بالقرب من موت أبي عبدالله، ولم تقع مسائله [إلا] إلى الأحداث. وقال الخطيب: روى عن أحمد مسائل تفرد بها.
(طبقات الحنابلة ١/ ٣٩ ـ ٤٠، تاريخ بغداد ٤/ ١٢٢).

(٩) هو الشيخ الإمام عبدالرحمن بن الحافظ محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده الأصبهاني، كان مسعد بن محمد الزنجاني يقول: حفظ الله الإسلام برجلين أحدهما بأصبهان والآخرة بهراة: عبدالرحمن بن ضده وعبدالله الأنصاري. وقال ابن السمعاني: كان كبير الشأن جليل القدر كثير السماع واسع الرواية. قال ابن رجب: له تصانيف كثيرة منها: كتاب «حرمة الدين»، وكتاب «الرد على الجهمية» بين فيه بطلان ماروى عن الإمام أحمد في تفسير حديث «خلق الله آدم على صورته» بكلام حسن، وله كتاب «صيام يوم الشك». ولم يذكر عنه كتاب الإسلام.
(طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٢، الذيل لابن رجب ١/ ٢٧ ـ ٣١، السير ١٨/ ٣٤٩ ـ ٣٥٤).
أما شيخه يوسف بن محمد السلمي فلم أعرفه.

يعقوب الفارسي قال: قال أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل: وقد رأيت لأهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنعة قبيحة يسمون بها أهل السنة يريدون بذلك عيبهم والطعن عليهم، والوقيعة فيهم، والإزراء بهم عند السفهاء والجهال، أما الجهمية فإنهم يُسَمُّون أهل السنة المشبهة، وكَذَبَ الجهمية أعداء الله بل هم أولى بالتشبيه، فالحمدلله الذي هدانا لهذا وما كُنَّا لنهتدي لولا أَنْ هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق.

١٢ ــ قال وأنا سفيان بن محمد بن الحسين نا عمر بن أحمد بن عثمان نا أحمد بن محمد بن إسماعيل الآدمي نا الفضل بن زياد سمعت أباعبدالله أحمد بن حنبل يقول امتحن اسحق بن ابراهيم القوم مرة مرة وامتحنني مرتين مرتين فقال لي: ما تقول في القرآن؟ قلت: كلام الله غير مخلوق، فأقامني فأجلسني في ناحية ثم سألني ثم ردَّني ثانية فسألني فقلت: القرآن كلام الله غير مخلوق، فأخذني في التشبيه فقلت: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فقال لي: وما السميع البصير؟ فقلت هكذا قال: السميع البصير(١٠).

١٣ ــ وذكر الدارقطني في أخبار الصفات باسناده عن يحيى بن معين قال شهدت زكريا بن عدي سأل وكيعاً فقال يا أباسفيان هذه الأحاديث يعني مثل الكرسي موضع القدمين ونحو هذا، فقال وكيع: أدركنا اسمعيل بن أبي خالد وسفيان ومسعراً يُحدثون هذه الأحاديث ولا يفسرون شيئا(١١).

---

(١٠) شيخ ابن منده: سفيان بن محمد، لم أجد له ترجمة، وعمر بن أحمد هو ابن شاهين الحافظ، والأدمي ذكره الخطيب في تاريخه (٤/٣٨٩) وقال: وحدثني الخلال أن يوسف القواس ذكره في جملة شيوخه، ونقل عن الدارقطني قوله حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل الأدمي الشيخ الصالح.

(١١) كتاب الصفات للدارقطني (٥٨) حدثنا محمد بن مخلد حدثنا العباس بن محمد الدوري قال سمعت يحيى بن معين يقول: شهدت زكريا بن عدي.. لكن قال: سليمان بدل مسعر.
وسنده صحيح، ابن مخلد هو ابن حفص الحافظ الثقة، مترجم في تاريخ بغداد (٣/٣١٠ - ٣١١)، السير (١٥/٢٥٦).
والتفسير المنفي هنا هو تفسير الكيفية لا المعنى، كما سيأتي في الفقرة (١٧).

١٤ ــ وباسناده عن أحمد بن نصر قال سألت سفيان بن عيينة عن حديث عبدالله عن النبي ﷺ «إنَّ الله يضع السموات على اصبع»، وحديث «إن قلوب بين آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن»، وحديث «إن الله يعجب ويضحك» فقال سفيان: هي كما جاءت نقرُّبها ونحدث بلا كيف(١٢).

١٥ ــ وذكر أبوبكر الخلال في كتاب السنة باسناده عن الأوزاعي قال سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث فقالا: أمرها على ما جاءت(١٣).

١٦ ــ وقال الوليد بن مسلم سألت الأوزاعي ومالكاً وسفيان وليثاً عن هذه الأحاديث التي فيها الصفة فقالوا(١): أمروها بلا كيف(١٤).

---

(١) في الأصل: فقال، وهو خطأ.

(١٢) كتاب الصفات للدارقطني (٦٣) حدثنا محمد بن مخلف حدثنا أبو العباس إسحاق بن يعقوب قال سمعت أحمد بن الدورقي يقول حدثني أحمد بن نصر ـ رحمه الله ـ قال: سمعت سفيان بن عيينه وأنا في منزله بعد العتمة، فجعلت ألحُّ عليه في المسألة، فقال: دعني أتنفس، فقلت له: يا أبا محمد، إني أريد أن أسألك عن شي؟ فقال: لا تسأل، فقلت: لابد من أن أسألك، وإذا لم أسألك، فمن أسأل؟ فقال: هات سل، فقلت: كيف حديث عبيدة عن عبدالله عن النبي ﷺ «إن الله عز وجل يحمل السماوات على أصبع . . . وذكر الأثر».
واسناده صحيح، أحمد بن نصر هو ابن الهيثم الخزاعي ثقة، وإسحاق بن يعقوب هو العطار الأحول وثقة الدارقطني وله ترجمة في تاريخ بغداد (٦/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧).
والأثر ذكره الذهبي في العلو (ص١١٥) فقال: قال أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثني أحمد بن نصر . . . فذكره.

(١٣) اسناده ضعيف، أخرجه البيهقي في الأسماء (ص٥٦٩) أخبرنا أبو بكر بن الحارث الفقيه أنا أبو محمد بن حيان ثنا الحسن بن محمد الداركي ثنا أبو زرعة ثنا أبو مصفى ثنا بقية ثنا الأوزاعي به، بلفظ: امضوا الأحاديث على ما جاءت. وفي سنده أبو المصفى مجهول، كما في التقريب.

(١٤) رواه الدارقطني: (٦٧) حدثنا محمد بن مخلد ثنا أحمد بن سعد أبو إبراهيم الزهري (وقع في المطبوعة الزبيري وهو خطأ) حدثنا الهيثم بن خارجه حدثنا الوليد من مسلم به.
واسناده حسن، أحمد بن سعد الزهري ترجمة الخطيب (٤/ ١٨١) قال: وكان مذكوراً بالعلم والفضل موصوفاً بالصلاح والزهد، ونقل عن يحيى بن صاعد توثيقه، وقد تابعه عمر بن مدرك عند الآجري في الشريعة (ص٣١٤) ومحمد بن بشر بن مطر عند البيهقي في الأسماء (ص٥٦٩).

١٧ ــ وذكر أبومحمد الحسن بن محمد الخلال[١٥]. فيما خرَّجه من أخبار الصفات قال ذكر علي بن عمر الحافظ يعني الدارقطني ورأيته في كتاب الصفات قال نا محمد بن مخلد قال نا العباس بن محمد الدوري قال سمعت أباعبيد القاسم بن سلام وذكر [الباب][٢] الذي يروى في الرؤية والكرسي وموضع القدمين وضحك ربنا وأين كان ربنا ويضع الرب قدمه فيها وأشباه هذا فقال: هذه أحاديث صحاح، حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حقٌ لا شك فيه، ولكن إذا قيل كيف وضع قدمه وكيف ضحك؟ قلنا: لا نفسر هذا ولا سمعنا أحداً يفسرها[١٦].

١٨ ــ وقال زكريا بن عدي لوكيع يا أبا سفيان هذه الأحاديث يعني مثل الكرسي موضع القدمين ونحو هذا، فقال وكيع: أدركنا إسمعيل بن أبي خالد وسفيان ومسعراً يحدثون بهذه الأحاديث ولا يفسرون[١٧].

١٩ ــ وذكر أبوجعفر محمد بن جرير بن الطبري[١٨] في كتاب «التبصير في معالم

---

(٢) زيادة من الدارقطني.

(١٥) هو الإمام الحافظ محدث العراق، أبو محمد الحسن بن أبي طالب محمد بن الحسن بن علي، البغدادي الخلّال، أخو الحسين.
قال الخطيب كتبنا عنه، وكان ثقةً له معرفة وتنبه، وخرّج «المسند» على الصحيحين وجمع أبواباً وتراجم كثيرة، ومات في جمادي الأولى سنة تسع وثلاثين وأربع مئة.
(تاريخ بغداد ٧/٤٢٥، السير ١٧/٥٩٣ ـ ٥٩٥).
(١٦) «الصفات» للدارقطني (٥٧) وفيه زيادات يسيرة على ما ذكره المصنف، وإسناده صحيح.
(١٧) تقدم برقم (١١).
(١٨) الإمام العلم المجتهد، عالم العصر أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة من أهل آمُل طبرستان.
قال الذهبي: كان ثقة صادقاً، حافظاً، رأساً في التفسير، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف، علّامة في التاريخ وأيام الناس عارفاً بالقراءات وباللغة وغير ذلك. ومن كتبه التي أتمها: «التفسير» و «التاريخ» «وتاريخ الرجال»، و«لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام»، و«القراءات والتنزيل والعدد»، و«واختلاف علماء الأمصار»، و«الخفيف في أحكام شرائع الإسلام»، و«التبصير» وهو رسالة إلى أهل طبرستان، وغيرها كثير، مات سنة عشر وثلاث مئة ودفن ببغداد رحمه الله تعالى. =

الدين» بعد أوراق من أوله القول فيها أدرك عمله من صفحات الصانع خبراً لا إستدلالاً وذكر كلاماً إلى أن قال: وذلك نحو إخبار الله تعالى ذكره أنه سميع بصير وأن له يدين بقوله ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ (المائدة: ٦٤).

وأن له يميناً بقوله ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ (الزمر: ٦٧) وأن له وجهاً بقوله ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ (القصص: ٨٨) ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ (الرحمن: ٢٧) وأن له قدماً بقول النبي ﷺ «حتى يضع الرب فيها قدمه يعني جهنم» وأنه يضحك إلى عبده المؤمن بقول النبي ﷺ للذي قتل في سبيل الله «إنه لقي الله وهو يضحك إليه» وأنه يهبط كل ليلة وينزل إلى السماء الدنيا بخبر رسول الله بذلك. وأنه ليس بأعور بقول النبي ﷺ: إذ ذكر الدجال فقال: إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيمة بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر بقول النبي ﷺ ذلك. وأن له اصبعاً بقول النبي ﷺ «ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن» بأن هذه المعاني التي وصفت ونظائرها مما وصف الله تعالى نفسه أو وصفه بها رسوله مما لا يُدرك حقيقة علمه بالفكر والرويَّة لا نكفر بالجهل بها أحداً إلا بعد انتهائها إليه.

ثم ذكر بعد ذلك بأوراق(١٩): فالصواب من القول في ذلك عندنا أنه كلام الله غير مخلوق كيف كُتب وكيف تُلي وفي أي موضع قُرئ، في السماء وُجد أم في الأرض حُفِظ، في اللوح المحفوظ كان مكتوباً أو في ألواح صبيان الكتاتيب مرسوماً، في حجر نُقش أو في ورق خُط أو باللسان لفظ، فمن قال غير ذلك أو ادعى أن قرآناً في الأرض أو في السماء سوى القرآن الذي نتلوه بألسنتنا أو نكتبه في مصاحفنا، أو اعتقد ذلك بقلبه أو أضمره في نفسه وقاله بلسانه فهو بالله كافر، حلال الدم وبريء من الله، والله منه بريء.

= (تاريخ بغداد ٢/١٦٢ ـ ١٦٩، السير ١٤/٢٦٧).

أما عن رسالة «التبصير» فهناك نسخة بمكتبة الاسكوريال ٦/١٥١٤ (من ق ٨١ ـ ١٠٤) باسم «تبصير أولي النهي ومعالم الهدى» لعلها هي، انظر تاريخ التراث لفؤاد سزكين (١/٢ ص١٦٨).

(١٩) من هناك إلى آخر كلامه موجود في كتابه «صريح السنة» (ص١٨ ـ ١٩) ورواه عنه اللالكائي (٢/١٨٣ ـ ١٨٤، ٣٥٩ ـ ٣٦٠).

ثم قال بعد ذلك: فمن ردَّ علينا أو حكى عنَّا أو تقوّل علينا وادَّعى أنَّا قلنا غير ذلك فعليه لعنة الله وغضبه ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين، ولا قبل الله له صرفاً ولا عدلاً وهتك ستره وفضحه على رؤوس الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار.

فهذا كلام ابن جرير وهو ممن يُشار إليه ويُعول عليه

٢٠ ــ وذكر ابراهيم بن عبدالله بن الجنيد الختلي(٢٠) في كتاب العظمة بإسناده عن أبي عمر والبصري واسمه سهل بن هرون قال: كان أول من خَرَّج هذه الأحاديث أحاديث الرؤية وجمعها من البصريين حمادة بن سلمة، فقال له بعض إخوانه: يا أباسلمة لقد سبقت إخوانك بجمع هذه الأحاديث في الوصف، قال سمعت حماد بن سلمة يقول: إنه والله ما دعتني نفسي إلى إخراج ذلك إلا أني رأيت العلم يخرج رأيت العلم يخرج رأيت العلم يخرج يقولها ثلاثاً وهو ينفض كفه فأحببت إحياءه وبثّه في العامة لئلا يَطمع في خرجه(١) أهل الأهواء.

٢١ ــ وبإسناده عن وكيع بن الجراح قال وذكر الأحاديث التي فيها الإثبات في الصفة والرؤية، ثم قال لنا: بخراسان جهمية، إذا أنكروا هذه الأحاديث عليكم فقولوا: هكذا سمعنا مشيختنا يقولون.

٢٢ ــ وأخرج إليَّ أبوالقسم عبدالكريم(٢١) مقالة السلف في «أخبار الصفات»

---

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب: خروجه.

(٢٠) هو إبراهيم بن عبدالله بن الجنيد أبو إسحاق المعروف بالختلي، صاحب كتب الزهد والرقائق، بغدادي سكن سرمن رأى وحدث بها.
قال الخطيب: وكان ثقة.
(تاريخ الخطيب ٦/ ١٢٠).

(٢١) هو الإمام الزاهد القدوة أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة القشيري، الخراساني النيسابوري الشافعي الصوفي المفسر. قال القاضي ابن خلكان: كان أبو القاسم علاّمةً في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة، صنّف «التفسير الكبير» وهو من أجود التفاسير، وصنّف «الرسالة» في رجال الطريقة، وحجّ مع الإمام أبي محمد الجويني والحافظ =

فروى بإسناده قال ذكر أحمد بن علي الأبار أن عبدالله بن طاهر قال لإسحق بن راهويه: ما هذه الأحاديث التي تُحدِّث بها، أنَّ الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا والله يصعد ويتحرك؟ قال فقال له اسحق: تقول إن الله يقدر على أن ينزل ويصعد ولا يتحرك؟ قال: نعم، قال: فلم تنكر(٢٢).

٢٣ ــ وباسناده عن جعفر بن أبي عثمان الطيالسي قال قال يحيى بن معين: إذا قال لك الجهمي كيف ينزل؟ فقل له: كيف صعد؟ (٢٣).

= أبي بكر البيهقي، وسمعوا ببغداد والحجاز. قال الخطيب: كتبنا عنه وكان ثقة كان حسن الوعظ مليح الإشارة، يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي. توفي سنة خمس وستين وأربع مئة.
(تاريخ بغداد ١١/٨٣، وفيات الأعيان ٣/٢٠٥ ـ ٢٠٨، السير ١٨/٢٢٧ ـ ٢٣٣).

(٢٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/٤٥٢) أخبرنا أحمد بن محمد قال أخبرنا عمر بن أحمد ثنا أحمد بن خلف قال: ذكر أحمد بن على الآبار أن عبدالله بن طاهر.. فذكره..
وأخرج القصة أبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف» (٤٤) قال: وسمعت الحاكم أبا عبدالله رحمه الله يقول: سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول: سمعت إبراهيم بن أبي طالب يقول: سمعت أحمد بن سعيد بن إبراهيم بن عبدالله الرباطي يقول: حضرت مجلس الأمير عبدالله بن طاهر ذات يوم وحضر إسحاق بن إبراهيم ـ يعني ابن راهوية ـ فسئل عن حديث النزول: أصحيح هو؟ قال: نعم، فقال له بعض قواد عبدالله: يا أبا يعقوب! أتزعم أن الله ينزل كل ليلةٍ؟ قال نعم، قال: كيف ينزل؟ فقال له إسحاق: اثبته فوق حتى أصف لك النزول، فقال له الرجل: أثبته فوق، فقال له إسحاق: قال الله عز وجل **﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾** الفجر: ٢٢، فقال الأمير عبدالله بن طاهر: يا أبا يعقوب! هذا يوم القيامة، فقال إسحاق: أعز الله الأمير، ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟.
واسنادها صحيح، الرباطي من رجال الصحيحين، وإبراهيم بن أبي طالب هو أبو إسحاق النيسابوري من أئمة المحدثين (السير ١٣/٥٤٧ ـ ٥٥٢)، والعنبري ثقة، السير (١٥/٥٣٣).
وأخرج القصة مختصرة السرّاج عن إسحاق بن راهويه كما في «اجتماع الجيوش» لابن القيم (ص٨٨ ـ ٨٩).
وأخرجها البيهقي في الأسماء (٤٥١ ـ ٤٥٣).

(٢٣) عزاه ابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص٨٩) إلى «الإبانه» لابن بطة.

٢٤ ــ وباسناده عن أبي محمد البلخي قال قال الفضيل بن عياض: إذا قال لك الجهمي أنا كافر بربٍ ينزل فقل له: أنا مؤمن برب يفعل ما يشاء(٢٤).

٢٥ ــ وباسناده عن عباد بن العوام قال: قدَّم علينا شريك بواسط فقلنا له: إن عندنا قومٌ يُنكرون هذه الأحاديث: الصفات، وأن الله ينزل إلى سماء الدنيا فقال شريك: إنما جاءنا بهذه الأحاديث من جاءنا بالسُنَن عن رسول الله ﷺ الصلاة والصيام والزكاة والحج، وإنما عرفنا الله بهذه الأحاديث(٢٥).

٢٦ ــ وبإسناده عن مطرف بن عبدالله يقول سمعت مالك بن أنس يقول إذا ذكر عنده من يدفع أحاديث الصفات يقول: قال عمر بن عبدالعزيز: سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً(١) الأخذ بها إتباعاً لكتاب الله، واستكمالاً لطاعة الله، وقوة على دين الله سبحانه، ليس لأحد من الخلق تفسيرها، ولا النَّظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مُهتدي ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاّه الله ما تَولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا(٢٦).

---

(١) في الأصل: بعد نبينا وفي الهامش: ولعل صوابه بعده سنناً. قلت: وكذا هو عند الآجري.

(٢٤) أخرجه اللالكائي (٤٥٢/٣) قال: وأخبرنا أحمد قال أخبرنا عمر قال ثنا أحمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن علي الابار قال ثنا أبو محمد البلخي فذكره.
وذكر البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص٢٤).

(٢٥) أخرجه عبدالله في «السنة» (٥٠٨/١) والآجري في الشريعة(ص ٣٠٦) عن أبي معمر القطيعي نا عباد به، وسنده صحيح. وأخرجه عبدالله في السنة (٥٠٩/١) والدارقطني في «الصفات» (٦٥) والبيهقي في الأسماء (ص٤٥١) عن محمد بن إسحاق الصاغاني حدثنا أسلم بن قادم حدثنا موسى بن داود قال قال عباد بن العوام: قدم علينا شريك بن عبدالله فقلنا له إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث «إن عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا» و «إن أهل الجنة يرون ربهم» فحدثني شريك بنحو من عشرة أحاديث في هذا، وقال: أما نحن فأخذنا ديننا عن أبناء التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم عمّن أخذوه؟!
وفيه: أسلم بن قادم (ووقع عند الدارقطني: مسلم) لم أجد له ترجمة.

(٢٦) صحيح، أخرجه الآجري في الشريعة (ص٣٠٧) حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي حدثنا الحسن بن علي الحلواني سمعت مطرف بن عبدالله سمعت مالك بن أنس ـ إذا ذكر عنده =

٢٧ ـ وباسناده عن عبدالرحمن بن عمر قال سمعت عبدالرحمن بن مهدي وذكر عنده الجهمية يَنْفُون أحاديث الصفات اليد والرجل ويقولون الله أعظم من أن يوصف بشيء. قال عبدالرحمن بن مهدي: قد هلك قومٌ من هذا الوجه يعني من وجه التعظيم قالوا الله أعظم من أنْ يُنزِّل كتاباً أو يُرسل رسولاً ثم قرأ ﴿**وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشرٍ من شيء**﴾ (الأنعام: ٩١) ثم قال: فهل هلكت المجوس إلا من جهة التعظيم، قالوا الله أعظم من أن نعبده ولكن نعبد من هو أقرب إلينًا فعبدوا الشمس وسجدوا لها فأنزل الله ﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليُقَرِّبونا إلى الله زلفى**﴾ (الزمر: ٣) هذا الكلام أو نحوه(٢٧).

٢٨ ـ وباسناده عن اسحق بن أحمد الفارسي سمعت أبازرعة يقول: هذه الأحاديث متواترة عن رسول الله أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف.

٢٩ ـ وباسناده عن حماد بن سلمة قال من رأيتموه ينكر هذه الأحاديث فاتهموه على الدين.

٣٠ ـ وباسناده عن عبدالله بن المبارك أنه سأله رجل عن هذه الأحاديث الصفات فقال: تمر كما جاءت بلا كيف.

٣١ ـ وباسناده عن أسود بن سالم قال في أحاديث الصفات: أحلف عليها بالطلاق والمشي أنها حق(٢٨).

= الزائغون في الدين ـ يقول: قال عمر بن العزيز فذكره. وإسناده صحيح، مطرف هو ابن أخت مالك، ثقة. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/٦٨٦) إلى ابن أبي حاتم.

(٢٧) لم أجد من خرَّجه.

(٢٨) صحيح، أخرجه الآجري في الشريعة (ص٢٥٤) حدثنا أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبدالحميد الواسطي قال حدثنا عبدالوهاب الوراق قال قلت للأسود بن سالم: هذه الآثار التي تروي معاني النظر إلى الله عز وجل ونحوها من الأخبار؟ فقال نحلف عليها بالطلاق والمشي. قال عبدالوهاب: معناه: نصدق بها.
رجاله ثقات، الواسطي ثقة مترجم في تاريخ بغداد (١٠/١٠٥)، والوراق هو ابن عبدالحكم ثقة (التهذيب)، والأسود ثقة (تاريخ بغداد ٧/٣٥).

٣٢ ــ وباسناده عن زكريا بن عدي أنه سأل وكيعاً يا أباسفين هذه الأحاديث التي جاءت في الصفات والرؤية ونحو ذلك فقال وكيع: أدركنا أسمعيل بن أبي خالد وسفين ومسعر يحدثون بهذه الأحاديث ولا يفسرون شيئاً منها(٢٩).

٣٣ ــ وقال وكيع: سلِّم هذه الأحاديث التي في الصفات كما جاءت ولا تقول كيف كذا ولا مثل كذا! مثل حديث ابن مسعود «إن الله يجعل السموات على إصبع والجبال على إصبع» و«قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن» ونحو هذه الأحاديث نمرها كما جاءت بلا كيف(٣٠).

٣٤ ــ وباسناده قيل لابن عيينة هذه الأحاديث التي تُروى في الصفات فقال: حق على ما سمعناها ممن نثق به ونرضاه نمرها كما جاءت بلا كيف(٣١).

٣٥ ــ وقال أحمد بن نصر سألت سفين بن عيينة وأنا في منزله بعد العتمة فجعلت أُلحُّ عليه في المسئلة وهو يأبى، فقلت لابد أن أسألك، إذا لم أسئلك فمن أسئل؟ فقال: هات، فقلت: كيف حديث عبدالله عن النبي «إن الله يحمل السموات على إصبع والأرضين على إصبع» وحديث «إن قلب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن» وحديث «إن الله يعجب ويغضب ويضحك» وأشباه ذلك فقال سفين: هي كما جاءت نؤمن بها ونُحدِّث بها كما جاءت بلا كيف ولا توقف(٣٢).

٣٦ ــ وباسناده عن أبي معمر الهذلي(٣٣): من زعم أن الله تعالى لا يتكلم ولا يبصر ولا يسمع ولا يعجب ولا يضحك ولا يغضب، وذكر أحاديث الصفات

---

(٢٩) تقدم برقم (١١).

(٣٠) أخرجه الإمام عبدالله في السنة (١/٤٩٥) حدثني أحمد بن إبراهيم سمعت وكيعا يقول..، وسنده صحيح.

(٣١) أخرجه الإمام عبدالله في السنة (١/٤٢٤) والآجري في «الشريعة« (ص٢٥٤) والدارقطني في الصفات (٥٩) كلهم عن محمد بن سليمان قال: قيل لابن عيينه.. وذكره الذهبي في العلو.

(٣٢) تقدم برقم (١٢).

(٣٣) رواه عبدالله في السنة (١/٥٣٥) قال سمعت أبا معمر فذكره.
وأبو معمر هو إسماعيل بن إبراهيم بن معمر الهذلي القطيعي الهروي، من الثقات الاثبات ومن رجال الصحيحين.

فهو كافر بالله، ومن رأيتموه على بئر واقف فألقوه فيها.

٣٧ ــ وباسناده عن يزيد بن هرون: من كذَّب بأحاديث الصفات فهو بريء من الله والله منه بريء.

٣٨ ــ وباسناده قال قال حماد بن زيد: مثل الجهمية مثل رجل قيل له: في دارك نخلة؟ قال نعم قيل: فلها خوص؟ قال لا قيل: فلها سعف؟ قال لا قيل: فلها كرب؟ قال لا قيل: فلها جذع؟ قال لا قيل: فلها أصل؟ قال لا قيل: فلا نخلة في دارك.

هؤلاء الجهمية قيل لهم: لكم رب يتكلم؟ قالوا لا قيل: فله يد؟ قالوا لا قيل: فله قدم؟ قالوا لا قيل: له إصبع؟ قالوا لا قيل: فيرضى ويغضب؟ قالوا لا قيل فلا رب لكم[٣٤].

واذا تتبع كلام أصحاب الحديث في هذا وجد فيه ما يطول شرحه. فإن قيل:فقد رُوي عن أحمد وغيره ما يدل على التفسير.

فقال أحمد في رواية عبدوس بن مالك العطار[٣٥]: ومن السُنَّة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ولم يؤمن بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفي ذلك واحكم له فعليه الإيمان والتسليم.

٣٩ ــ قالوا فقول أحمد: ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفي ذلك وأُحْكِم له معناه قد كفاه ذلك أهل العلم، واحكموا له علمه، فدلَّ على التفسير.

٤٠ ــ وروي عن ابن عباس والحسن وغيرهما في قوله ﴿يوم يكشف عن ساق﴾

---

(٣٤) لم أقف عليه.

(٣٥) تقدمت ترجمته برقم (٥).

وكلام أحمد موجود فيما رواه ابن المصنف عنه في طبقاته (١ / ٢٤١) في الصفحة المذكورة.

(ن: ٤٢) المراد به الشِّدة، وهذا تأويل منهم[٣٦].

---

(٣٦) روى هذا الأثر عن ابن عباس من عدة طرق، هاك تفصيلها:

١ ــ أخرجه ابن جرير (٢٩/ ٢٤) والحاكم (٢/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠) والبيهقي في الأسماء (ص٣٤٥) كلهم عن عبدالله بن المبارك أنا أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تبارك وتعالى ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ قال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه من الشعر، فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر:

اصبر عناق إنه شر باق ... قد سنَّ قومك ضرب الأعناق

وقامت الحرب بنا على ساق

قال ابن عباس: هذا يوم كرب وشدة.

وغزاه السيوطي في الدر (٨/ ٢٥٤) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قال الحاكم: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي، وحسنه الحافظ في الفتح (١٣/ ٤٢٨)، وهو كما قال.

٢ ــ وأخرجه ابن جرير (٢٩/ ٢٤) والبيهقي في الأسماء (ص٣٤٦) عن المغيرة عن إبراهيم عن ابن عباس «يوم يكشف عن ساق» قال: عن أمر عظيم كقول الشاعر: وقامت الحرب بنا على ساق.

وفيه مغيرة بن مقسم الضبي، ثقة متقن إلا أنه يدلس ولا سيما عن إبراهيم ولذا ضعف حديثه عنه أحمد كما في التهذيب (١٠/ ٢٧٠).

وعزاه السيوطي في الدر (٨/ ٢٥٤) إلى الفريابي وسعيد من منصور وابن منده.

٣ ــ وأخرجه ابن جرير (٢٩/ ٢٤) والبيهقي في الأسماء (ص٣٤٦) قال حدثني محمد بن سعد ثنى أبي ثنى عمي ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله «يوم يكشف عن ساق» يقول: حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال وكشفه دخول الآخرة وكشف الأمر عنه. وسنده تالف.

٤ ــ وأخرجه ابن جرير (٢٩/ ٢٤) والبيهقي في الأسماء (ص٣٤٦) عن علي عن ابن عباس قوله «يوم يكشف عن ساق» هو الأمر الشديد المفظع من الهول يوم القيامة.

وعلي هو ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.

وعزاه السيوطي في الدر (٨/ ٢٥٤) إلى ابن أبي حاتم.

٥ ــ وأخرجه ابن جرير (٢٩/ ٢٤) عن ابن جريج عن مجاهد قول «يوم يكشف عن ساق» قال: شدّة الأمر وجده، قال: ابن عباس هي أشدّ ساعة في يوم القيامة.

وعزاه السيوطي في الدر (٨/ ٢٥٤) إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن منده.

٦ ــ وأخرجه ابن جرير (٢٩/ ٢٤) عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله «يوم يكشف عن ساق» قال: شدة الأمر، قال ابن عباس: هي أول ساعة تكون في يوم القيامة، وفي لفظ: هي أشد ساعة. . واسناده صحيح.

٧ ــ وأخرجه ابن جرير (٢٩/ ٢٤) حدثت عن الحسين سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد سمعت الضحاك يقول في قوله (يوم يكشف عن ساق). =

٤١ ـ وروي عن الأوزاعي أنه سُئل عن قوله «ينزل الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا» فقال: يفعل الله ما يشاء.

فقد تأول ذلك على أنه فعل من أفعال الله، يظهر منه بقدرته.

قيل أما قول أحمد قد كفى ذلك معناه: قد كفي طلب التأويل والبحث عنه، وقوله وأحكم له معناه: أُحكمت له الكفاية في ترك البحث وطلب التأويل، ويبين صحة هذا ما قاله بعد ذلك فعليه الإيمان والتسليم، والإيمان والتسليم لا يكون مع التأويل. وأما ما روي عن ابن عباس في تأويل الساق فقد خالفه ابن مسعود(٣٧) وحمل الساق على أنه صفة، ويمكن أن يحمل قول ابن

= وكان ابن عباس يقول: كان أهل الجاهلية يقولون: شمَّرت الحرب عن ساق، يعني الله: إقبال الآخرة وذهاب الدنيا. وفيه جهالة شيخ الطبري.

٨ ـ وأخرجه البيهقي في الأسماء (ص٣٤٦) عن سفيان بن عيينه عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قرأ (يوم يكشف عن ساق) يريد القيامة والساعة لشدتها. وسنده حسن.

(٣٧) حديث ابن مسعود أخرجه ابن جرير (٢٩/ ٢٤ ـ ٢٥) قال حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزهراء عن عبدالله قال: يتمثل الله للخلق يوم القيامة حتى يمرَّ المسلمون، قال فيقول: من تعبدون فيقولون: نعبد الله لا نشرك به شيئاً فينتهرهم مرتين أو ثلاثاً، فيقول: هل تعرفون ربكم؟ فيقولون: سبحانه، إذا اعترف إلينا عرفناه، قال: فعند ذلك يكشف عن ساق فلا يبقى مؤمن إلا خرَّ لله ساجداً ويبقى المنافقون ظهورهم طبق واحد كأنما فيها السفافيد أفيقولون ربنا، فيقول: قد كنتم تدعون إلى السجود وأنتم سالمون.

فيه أبو الزهراء، أورده ابن أبي حاتم في كتابه (٩/ ٣٧٥) فقال: أبو الزهراء خادم أنس بن مالك، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا.

وأخرجه ابن جرير (٢٩/ ٢٥) من وجه آخر وفيه: «فيكشف عما شاء الله أن يكشف قال فيخرون سجداً..» وفيه شريك النخعي، وقد ساء حفظه، وشيخ ابن جرير يحيى بن طلحة اليربوعي، لين الحديث، لكنه يتقوي بما أخرجه ابن جرير (٢٩/ ٢٥) عن الأعمش عن المنهال عن قيس بن سكن عن عبدالله مطولاً. واسناده صحيح.

عباس على أن حَدَّ الساق في اللغة: الشِّدَّة، فحكى قول أهل اللغـة في ذلك، لا أنه قصد حَـدَّه في الشرع[٣٨].

وأما قول الأوزاعي يفعل الله ما يشاء فلا يجوز أن يحمل هذا من قولـه على أنه قصد بذلك أنَّ النزول من صفات الفعل لأنه لم يصرح به، وعلى انّا قد حكينا عن جماعة من السلف خلاف ذلك[٣٩].

قلت: والحـديث أصله في الصحيحين فقـد أخـرجـه البخـاري (٨/٦٦٣ ـ ٦٦٤) (١٣/٤٢١) ومسلم (١/١٦٨) عن أبي سعيـد الخدري قـال سمعت النبي ﷺ يقول «. . . يكشف ربنـا عن ساقه فيسجدُ له كلُ مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رئـاء وسمعة فيـذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً. . . » واللفظ للبخاري.

وأخـرجه مسلم (٤/٢٢٥٩) من حـديث عبدالله بن عمـرو مرفـوعا «. . قـال فذاك يـوم يجعـل الولدان شيبا، وذلك يوم يكشف عن ساق».

(٣٨) وعلى كل حال، فلا يُقدم قول الصحابي على قول الرسول ﷺ، وتحمل مخالفة الصحابي للحديث المرفوع على عدم العلم به، لما عهد عنهم من التمسك بسنن المصطفى ﷺ.

(٣٩) بل هو من صفات الفعل كما أشار إليه الأوزاعي، ويجب علينا الإيمان به والتسليم له.

فصل في الدلالة على أنه لا يجوز الاشتغال بتأويلها وتفسيرها

من وجوه أحدها: أن آي الكتاب قسمان: أحدهما محكم تأويله تنزيله يفهم المراد منه بظاهره. وقسم هو متشابه لا يعلم تأويله الا الله ولا يوقف على معناه بلغة العرب بدليل قوله تعالى **﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾** وقوله **﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به﴾** فالواو هاهنا للاستئناف وليست عاطفة.

كذلك أخبار الرسول ﷺ جاريةٌ هذا المجرى ومُنزَّلة على هذا التنْزيل منها البينّ المستقل في بيانه بنفسه، ومنها مالا يوقف على معناه بلغة العرب.

فإن قيل من أصحابنا من قال: لا متشابه في القرآن إلا والراسخون في العلم يعلمون تأويله والواو هاهنا للعطف على قوله **﴿إلا الله﴾** وقد ذكر هذا ابن قتيبة[1] في كتابه المسمى بـ «المشكل»[2] فسقط هذا الدليل.

(١) هو الإمام عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الكاتب الدينوري قال الخطيب: وكان ثقة ديناً فاضلا، وهو صاحب التصانيف المشهورة، والكتب المعروفة منها: «غريب القرآن»، و«غريب الحديث»، و«مشكل القرآن»، و«مشكل الحديث»، و«أدب الكتاب»، و«عيون الأخبار»، و«كتاب المعارف» وغير ذلك. مات سنة سبعين ومائتين.
(تاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠، السير ١٣/ ٢٩٦ ـ ٣٠٢).

(٢) مشكل القرآن (ص٩٨ ـ ٩٩) حيث قال: ولسنا ممن يزعم أن المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم، وهذا غلط من متأوليه على اللغة والمعنى، ولم ينزل الله شيئاً من القرآن إلا لينفع به عباده، ويدل به على معنى أراده.
فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره، للزمنا للطاعن مقالٌ، وتعلق علينا بعلّة، وهل يجوز لأحد أن يقول: إن رسول الله ﷺ، لم يكن يعرف المتشابه! وإذا جاز أن يعرفه مع قول الله تعالى **﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾**، جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته، فقد علَّم عليّاً التفسير، ودعا لابن عباس فقال «اللهم علمه التأويل وفقه في الدين» اهـ.
وما قاله حق وسيأتي مزيد من البيان برقم (١٢).

قيل هذا قول يخالف إجماع الصحابة.

٤٢ ــ قال أبوبكر بن الأنباري[٣] في كتاب «الردُّ على أهل الإلحاد»: قد ذهب إلى هـذا الذي أنكـره يعني ابن قتيبـة جمـاعـة من أصحـاب رسـول الله ﷺ منهم أُبي وابن مسعود وابن عباس، ففي قراءة عبدالله ﴿**إنْ تأويله الا عند الله والراسخون في العلم يقولون**﴾ وفي قراءة أبي ﴿**ويقول الراسخون في العلم**﴾ وعن ابن عباس أنـه كان يقـرأ ﴿**ويقول الـراسخون في العلم**﴾[٤]. قـال وكان الفـراء وأبوعبيـد يقولان: الراسخون مُستَأنَفُون والله هو المتفرد بعلم التأويل[٥].

قال وسمعت أباالعبـاس[٦] يقول الـوقف على قـوله ﴿**ومـا يعلم تأويله إلا**

---

(٣) هـو الإمام الحـافظ اللُّغوي ذو الفنـون أبـو بكـر محمـد بن القـاسم بن بشـار ابن الانبـاري المقـرء النحوي.
قال الخطيب: كان ابن الانباري صدوقاً ديناً من أهل السنة.
وقـال الذهبي: لـه كتاب «الـوقف والابتداء»، وكتـاب «المشكل»، و«غـريب الحديث النبـوي»، وكتاب «رسالة المشكل» يردُّ على ابن قتيبة وأبي حاتم، وغيرها.
(تاريخ بغداد ٣/١٨١ ـ ١٨٦، السير ١٥/٢٧٤).

(٤) حكى هذه القراءات الفراء في معاني القرآن (١/١٩١) وابن جرير في تفسير (٣/١٢٢ ـ ١٢٣).

(٥) في معاني القرآن للفراء (١/١٩١): «وما يعلم تـأوليه إلا الله» ثم استـأنف «والراسخـون» فرفعهم بـ «يقولون»، لا باتباعهم إعراب الله.

(٦) هو الإمام العـلامة المحـدِّث، إمام النحـو، أبو العبـاس أحمد بن يحيى بن يـزيد الشيبـاني مولاهم البغدادي، صاحب الفصيح والتصانيف، المعروف بـ «ثعلب».
روى عنه ابن الانباري ونفطويه والأخفش الصغير وغيرهم.
قال المبرِّد: اعلم الكوفيين ثعلب، فذكر لـه الفرَّاء فقـال: لا يَعْشُرُه. وقال الخـطيب: ثقة حجـة، دين صالح، مشهور بالحفظ. له كتاب «اختلاف النحويـين». وكتـاب «القـراءات» وكتاب «معـاني القرآن» وأشياء.
مات في جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين ومئتين.
(تاريخ بغداد ٥/٢٠٤ ـ ٢١٢، السير ١٤/٥).

الله﴾ والابتداء ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به﴾[7].

(٧) اختلف القُرّاء في الوقف في هذه الآية ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾ آل عمران: ٧

فقيل: على لفظ الجلالة كما نقله ابن جرير عن عائشة وابن عباس وعروة ابن الزبير ومالك وغيرهم واختاره الفراء (١/١٩١) وابن جرير (٣/١٢٣).

وقيل: الوقف على قوله «الراسخون في العلم» واختاره ابن قتيبه وأبو سليمان الدمشقي، وحكاه القرطبي (٤/١٧) عن الربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير والقاسم بن محمد وغيرهم، وحكاه أيضا عن شيخه أحمد بن عمر القرطبي فقال: قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر: وهو الصحيح، فإن تسميتهم «راسخين» يقتضي أنهم يعلمون أكثر من «المحكم» الذي يستوي في علمه جميع من يفهم كلام العرب، وفي أي شيء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلا ما يعلم الجميع؟!

لكن المتشابه يتنوع، فمنه مالا يُعلم البته، كأمر الروح والساعة مما استأثر الله بغيبه، وهذا لا يتعاطى علمه أحد، لا ابن عباس ولا غيره، فمن قال من العلماء الحذّاق بأن الراسخين لا يعلمون علم المتشابه فإنما أراد هذا النوع.

وأما ما يمكن حمله على وجوه في اللغة ومَنَاحٍ في كلام العربي فيُتأوّل، ويعلم تأويله المستقيم، ويزال ما فيه مما عسى أن يتعلق من تأويل غير مستقيم، كقوله في عيسى ﴿وروح منه﴾ إلى غير ذلك، فلا يسمى أحدٌ راسخاً إلا بأن يعلم من هذا النوع كثيراً بحسب ما قُدرّ له اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقول أحمد فيما كتبه في «الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القررن وتأولته على غير تأويله» وقوله عن الجهميْة أنها تأولت ثلاث آيات من المتشابه، ثم تكلم على معناها، دليل على أن ا لمتشابه عنده تعرف العلماء معناه، وأن المذموم تأويله على غير تأويله، فأما تفسيره المطابق لمعناه فهذا محمود ليس بمذموم.

وهذا يقضي أن الراسخين في العلم يعلمون التأويل الصحيح للمتشابه عنده، وهو «التفسير» في لغة السلف.

ولهذا لم يقل أحمد ولا غيره من السلف: إن في القرآن آيات لا يعرف الرسول ولا غيره معناها، بل يتلون لفظا لا يعرفون معناه

وهذا القول اختيار كثير من أهل السنة، منهم ابن قتيبة وأبو سليمان الدمشقي اهـ (مجموع الفتاوي ١٧/٣٩١).

وقد تكلم على هذه المسألة بكلام مفيد فليراجع (١٧/٣٩١ - ٤٤٩). وللحافظ ابن كثير رحمه الله كلام مختصر حسن في هذه المسألة، فقال بعد أن ذكر الاختلاف في الوقف في الآية السابقة:

ومن العلماء من فصَّل هذا المقام قال: التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان: أحدهما: التأويل بمعنى حقيقة الشيء، وما يؤول أمره إليه، ومنه قوله تعالى ﴿وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل﴾ يوسف: ١٠٠، وقوله ﴿هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله﴾ الأعراف: ٥٣، أي حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد، فإن أريد بالتأويل هذا، فالموقف على الجلالة، لأن حقائق =

٤٣ ـ ويبين صحة هذا ما رواه ابن المظفر الحافظ[٨] في أول كتاب السنن بإسناده

= الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله عز وجل، ويكون قوله ﴿والراسخون في العلم﴾ مبتدأ و ﴿يقولون آمنا به﴾ خبره.

وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء كقوله ﴿نبئنا بتأويله﴾ يوسف: ٣٦، أي بتفسيره، فإن أريد به هذا المعنى، فالوقف على ﴿والراسخون في العلم﴾ لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علماً بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه، وعلى هذا فيكون قوله ﴿يقولون آمنا به﴾ حال منهم، وساغ هذا، وأن يكون من المعطوف دون المعطوف عليه كقوله ﴿للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾ ـ إلى قوله ﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا﴾ الحشر: ٨ ـ ١٠، وقوله تعالى ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ الفجر: ٢٢، أي: وجاء الملائكة صفوفاً صفوفاً.

وقوله اخبارا عنهم إنهم يقولون ﴿آمنا به﴾ أي المتشابه ﴿كل من عند ربنا﴾ أي الجميع من المحكم والمتشابه حق وصدق وكل واحد منهما يصدق الآخر ويشهد له، لأن الجميع من عند الله وليس شيء من عند الله بمختلف ولا متضاد، كقوله ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ النساء: ٨٢، ولهذا قال تعالى ﴿وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ أي: إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أول العقول السليمة والفهوم المستقيمة اهـ (التفسير ١/٣٤٧)).

وهناك معنى ثالث للتأويل، ذكره ابن تيمية رحمه الله فقال: وأما التأويل بالمعنى الثالث وهو: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، فهذا الاصطلاح لم يكن بعد عرف في عهد الصحابة، بل ولا التابعين، بل ولا الأئمة الأربعة، ولا كان التكلم بهذا الاصطلاح معروفاً في القرون الثلاثة، بل ولا علمت أحداً منهم خصَّ لفظ التأويل بهذا.

ولكن لما صار تخصيص لفظ التأويل بهذا شائعاً في عرف كثير من المتأخرين، فظنوا أن التأويل في الآية هذا معناه، صاروا يعتقدون أن لمتشابه القرآن معاني تخالف ما يفهم منه، وفرقوا دينهم بعد ذلك، وصاروا شيعاً، والمتشابه المذكور الذي كان سبب نزول الآية لا يدل ظاهرة على معنى فاسد، وإنما الخطأ في فهم السامع، نعم قد يقال: إن مجرد هذا الخطاب لا يبين كمال المطلوب، ولكن فَرقٌ بين عدم دلالته على المطلوب، وبين دلالته على نقيض المطلوب، فهذا الثاني هو المنفي، بل وليس في القرآن ما يدل على الباطل البته، كما قد بسط في موضعه.

ولكن كثير من الناس يزعم أن لظاهر الآية معنى، إما معنى يعتقده، وإما معنى باطلاً فيحتاج إلى تأويله، ويكون ما قاله باطلاً لا تدل الآية على معتقده، ولا على المعنى الباطل، وهذا كثير جداً، وهؤلاء هم الذين يجعلون القرآن كثيراً ما يحتاج إلى التأويل المحدث وهو صرف اللفظ عن مدلوله إلى خلاف مدلوله اهـ (مجموع الفتاوي ١٧/٤٠١).

(٨) هو الشيخ الحافظ المجوِّد، محدث العراق أبو الحسين محمد بن المظفَّر ابن موسى بن عيسى بن محمد البغدادي، سمع من حامد بن شعيب البلخي وأبي بكر الباغندي، وأبي القاسم البغوي، والهيثم ابن خلف الدوري وابن جرير الطبري وغيرهم. =

عن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ قال «أنزل القرآن على أربعة أحرف حلالٌ وحرامٌ لا يُعذر أحدٌ بالجهالة به، وتفسير تُفسره العرب، وتفسيرٌ تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه إلا الله من ادعى علمه سوى الله فهو كاذب»[٩].

ولأنَّ الله قال ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به﴾ (آل عمران: ٧) ومعناه صدَّقنا به لأن الإيمان هو التصديق ولم يقل: والراسخون في العلم يقولون عَلِمنا به، فلم يقتض العطف المشاركة في العلم كقول القائل: ما يعلم ما في هذا البيت إلا زيد وعمر[١] يقول آمنا به معناه أنه مصدقٌ له، ولا يقتضي مشاركته في العلم، ولأنه إذا كانت الواو عاطفة في المشاركة في العلم احتاج الكلام إلى إضمار واوٍ أخرى، فتقديره والراسخون في العلم ويقولون آمنا به والإضمار ترك حقيقة.

٤٤ ـ وقد ذكر أبوسليمن حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب البستي[١٠] هذا

(١) كذا في الأصل.

= حدث عنه: أبو حفص ابن شاهين والدارقطني والبرقاني وأبو نعيم وأبو محمد الخلال وغيرهم.
قال الخطيب: كان ابن المظفّر فهماً حافظاً صادقاً مكثراً.
وقال الدارقطني: ثقة مأمون فقيل له: إنه يميل إلى التشيع، قال: قليلا بقدر لا يضر إن شاء الله.
مات سنة تسع وسبعين وثلاث مئة يوم الجمعة.
(تاريخ بغداد (٣/٢٦٢ ـ ٢٦٤)، ميزان الاعتدال (٤/٤٣)، السير (١٦/٤١٨ ـ ٤٢١).

(٩) ضعيف جدا، رواه ابن جرير (١/٢٦) من طريق الكلبي عن أبي صالح مولى أم هاني عن ابن عباس مرفوعاً به.
واسناده ضعيف جدا، أبو صالح هو باذام ضعيف يرسل، والكلبي متهم بالكذب.

(١٠) هو الإمام العلامة الحافظ اللغوي أبو سليمان حَمْدُ بن محمد بن إبراهيم ابن خطاب البُستي الخطابي، صاحب التصانيف، سمع من أبي سعيد ابن الاعرابي ومن أبي العباس الأصم وغيرهما، حدث عن الحاكم وأبو حامد الاسفراييني وخلق كثير.
قال أبو طاهر السِّلفي: وأما أبو سليمان الشارح لكتاب أبي داود، فإذا وقف مُنصفٌ على مصنفاته، وأطلع على بديع تصرفاته في مؤلفاته، تحقق إمامته وديانته فيما يورده وإمامته.
من مصنفاته «معالم السنن» شرح فيه سنن أبي داود، و«غريب الحديث» وكتاب «العزلة» و«شرح أسماء الله الحسنى» وكتاب «الغنية عن الكلام وأهله» وغيرها. توفي بِبُسْت في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة.
(وفيات الأعيان (٢/٢١٤ ـ ٢١٦)، السير (١٧/٢٣ ـ ٢٨)، وانظر تاريخ التراث لفؤاد سزكين (١/٤٢٧ ـ ٤٢٩).

السؤال في كتاب «الغنية عن الكلام» فقال: اعلم أنَّ المتشابه من القرآن قد استأثر الله بعلمه فلا يعلم تأويله أحد غيره.

قال: ومذهب أكثر العلماء أنَّ الوقف التام في هذه الآية إنما هو عند قوله ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ وما بعده استئناف كلام آخر وحكى في ذلك قول ابن مسعود وأبيّ وابن عباس وعائشة وقال: وإنما روي عن مجاهد وحده أنه نسق الراسخين على ما قبله، وزعم أنهم يعلمونه.

وأجاب بجوابٍ آخر فقال: لا يجوز أن ينفي الله عز وجل شيئاً عن الخلق ويثبته لنفسه فيكون له في ذلك شريك، ألا ترى إلى قوله ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ (النمل: ٦٥) وقوله ﴿لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إلا هُو﴾ (الأعراف: ١٨٧) وقوله ﴿كلّ شيءٍ هَالكٌ إلا وَجهه﴾ (القصص: ٨٨) فكان هذا كله مما استأثر الله سبحانه به لا يشركه فيه غيره كذلك ها هنا.

قال: فإن قيل: كيف يصح الإيمان بما لا نحيط علماً بحقيقته، ونصفه بشيء لادرك له في عقولنا؟ قيل: قد أُمرنا أن نؤمن بملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالجنة ونعيمها وبالنار وأليم عذابها، ومعلوم أنَّا لا نحيط علماً بكل شيءٍ منها على التفصيل، وإنما كُلِّفنا الإيمان بها جُملة.

ألا ترى أنَّا لا نعرف أسماء عدة من الأنبياء وكثير من الملائكة ولا نحيط بصفاتهم، ثم لم يَقْدَح ذلك فيما أمرنا أن نؤمن به.

وقد قال النبي ﷺ في صفة الجنة «يقول الله أعددت لعبادي الصالحين مالا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطَر على قلب بشر[١١]» إلى هاهنا كلام أبي سليمان.

---

(١١) أخرجه البخاري (٦/٣١٨)، (٨/٥١٥ - ٥١٦)، (١٣/٤٦٥).
ومسلم (١/١٧٦)، (٤/٢١٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
وأخرجه مسلم (٤/٢١٧٥) عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

٤٥ ـ وقد أجاب قوم آخرون عن هذا السؤال بأجوبة أخر بأنه لو كانت الواو عاطفة والراسخون يعلمون تأويله لم يكن فيه متشابه وكان جميعه مُحكماً، وقد أخبر تعالى أن فيه محكماً وفيه متشابهاً، والمتشابه ما احتاج إلى بيان.

ولأنه لو كانت الواو عطفاً على اسم الله، لكان تقدير الكلام: الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به، ولا يجوز إضافة هذا القول إلى الله.

ولأنه لو كانت عاطفةً على اسم الله لحصل قوله ﴿**يقولون آمنا به**﴾ مبتدأ ولا يصح الابتداء به لأنه غير مفيد لتعلقه بما قبله وإذا كانت الواو للإستئناف حصل المبتدأ ﴿**والراسخون في العلم يقولون آمنا به**﴾ فيكون كلاماً مفيداً لأنه غير متعلق بما قبله.

ولأن الله تعالى مدح من وَكَلَ علم ذلك إلى عالمه بقوله ﴿**والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلٌ من عند ربنا**﴾، ولو شركوه في علمه لكان من عندهم[١٢]. ولأن الله تعالى مدح الذين يؤمنون بالغيب بقوله ﴿**الذين يؤمنون**

(١٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأيضاً فلفظ التأويل يكون للمحكم كما يكون للمتشابه، كما دلّ القرآن والسنة وأقوال الصحابة على ذلك، وهم يعلمون معنى المحكم فكذلك معنى المتشابه، وأيُّ فضيلة في المتشابة حتى ينفرد الله بعلم معناه والمحكم أفضل منه وقد بيَّن معناه لعباده، فأي فضيلة في المتشابه حتى يستأثر الله بعلم معناه.
وما استأثر الله بعلمه كوقت الساعة لم ينزل به خطاباً، ولم يذكر في القرآن آية تدل على وقت الساعة، ونحن نعلم أن الله استأثر بأشياء لم يُطلع عباده عليها، وإنما النزاع في كلام أنزله، وأخبر أنه هدى وبيان وشفاء، وأمر بتدبره، ثم يقال إن منه مالا يَعرف معناه إلا الله، ولم يبيِّن الله ولا رسوله ذلك القدر الذي لا يعرف أحد معناه.
ولهذا صار كل من أعرض عن آيات لا يؤمن بمعناها، يجعلها من المتشابه بمجرد دعواه اهـ. (الفتاوي الكبرى ١٧/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨).
وما قاله الشيخ حق، فإن كثيراً من نفاة الصفات والمبتدعة جعلوا صفات الله سبحانه من المتشابه الذي لا يعلم معناه واستأثر الله بعلمه، فعندهم أن صفات الله مثل ﴿آلم﴾ وغيرها لا يعلم معناها وهذا باطل لاشك فيه.
لأن الصحابة كانوا يعرفون تلك المعاني، ويؤمنون بها ولا يعارضونها بتأويل ولا تعطيل ولا تشبيه، وإنما كانوا لا يخوضون في كيفياتها، وهذا هو معنى قول السلف عن آيات الصفات وأحاديثها: أمرُّوها كما جاءت.

بالغيب﴾ (البقرة : ٣) ولو كانوا يشركونه سبحانه في علم جميع الأشياء، لم يكن هناك غيبُ يؤمنون به لأن ذلك معلومٌ عندهم وغير ممتنع صحة الإيمان بما لا نعلم حقيقته كإيمانه بالملائكة والكتب والرسل.

فإن قيل: فإذا لم نعلم تأويله لم يفد الخطاب فائدة، كما إذا خاطب العربي بالزنجية. قيل: فيه فائدة وهو اختبار العباد ليؤمن به المؤمن فيسعد، ويكفر به الكافر فيشقى، لأن سبيل المؤمن إذا قرأ من هذا شيئاً أن يصدق ربه ولا يعترض فيه بسؤال وإنكار فيعظم ثوابه.

٤٦ ـ وقد جاء هذا مفسراً عن عبدالله قال: ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ **﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾** (البقرة : ٣) (١٣).

ولئن جاز أن يقال إن هذا لا يفيد جاز أن يقال إنَّ أمرنا بالإيمان بملائكته ورسله ونعيم الجنة لا يفيد لأنا لا نعلمه.

فإن قيل: فما وجدنا أحداً من المفسرين وقف على تفسير شيء من القرآن بل مَضَوا في تفسيره كله حتى فسروا الحروف المقطعة في أوائل السور مثل آلم وحم وص وق.

---

(١٣) رواه سعيد بن منصور ـ كما في تفسير ابن كثير (١/ ٤١) ـ حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمار بن عمير عن عبدالرحمن بن يزيد قال: كنّا عند عبدالله بن مسعود جلوساً فذكرنا أصحاب النبي ﷺ وما سبقونا به، فقال عبدالله: إن أمر محمد ﷺ كان بيناً لمن رآه، والذي لا إله غيره، ما آمن أحدٌ قط إيماناً أفضل من إيمان بغيب، ثم قرأ **﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب﴾** ـ إلى قوله ـ **﴿المفلحون﴾** البقرة: ١ ـ ٥.
ورواه من هذا الوجه الحاكم (٢/ ٢٦٠) وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قالا، وعزاه ابن كثير لابن أبي حاتم وابن مردوية.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٦٥) عن الحارث بن قيس عن ابن مسعود، وعزاه لسفيان بن عيينة وسعيد بن منصور وأحمد بن منيع في مسنده وابن أبي حاتم وابن الانباري في المصاحف والحاكم وصححه وابن مردوية!
كذا قال! وقد تقدم أن الحاكم وابن أبي حاتم وابن مردويه إنما أخرجوه من طريق عبدالرحمن بن يزيد.

قيـل: هـذا وهم عـلى السلف لأن الأجلّاء من أصحـاب رسـول الله والمتقدمين في العلم كانوا يسئلون عن الآية من القرآن فلا يجيبون عنها، ويقولـون ما نعرف تأويلها منهم: أبوبكر وعمر وابن عباس.

٤٧ ـ أما أبوبكر ذُكر الأب عنده فقيل لـه هو الـرعي، واختلفوا فيـه، فقال: لا تختلفوا أيُّ سماء تظلني وأيُّ أرض تقلني إذا قلتُ في كتاب الله بما لا أعلم(١٤).

٤٨ ـ وقـال حميد عن أنس تـلى عمر عـلى المنبر ﴿وفـاكهـةً وأبّـا﴾ (عبس: ٣١) فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها فـما الأبُّ؟ ثم رجع عـلى نفسه فقـال: لعمرك يـا ابن الخطاب إنَّ هذا لهو التكلف(١٥).

---

(١٤) صحيـح، أخرجـه أبو عبيـد القاسم بن سـلام في «فضائـل القرآن» ـ كـما في «مقدمـة في أصول التفسير» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٠٨) ـ قال حدثنا محمد بن يـزيد عن العـوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي به، ثم قال: منقطع.
وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٤٧٣) وأعله بذلك.
وعـزاه السيـوطي في «الـدر» (٨/٤٢١) إلى أبي عبيـد، ولم أجـده في نسختي وهي تنقص ورقـه (١٨٩)
وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١/٢٧) وابن عبدالـبر في «جامـع بيان العلم» (٢/٦٤ ـ ٦٥) عن أبي معمر عن أبي بكر به.
قال ابن عبدالبر: وذكر مثل هذا عن أبي بكر رضي الله عنه ميمون بن مهران وعامر الشعبي وابن أبي مليكة.
قلت: واسناده منقطع أيضا، أبو معمر هو عبـدالله بن سخبرة الازدي الكـوفي، ثقة لكن حـديثه عن أبي بكر مرسل، كما في التهذيب.
أما رواية ابن أبي مليكـة فقد رواهـا عبد بن حميـد ـ كما في اعـلام الموقعـين لابن القيم (١/٥٣ ـ ٥٤) ـ قال حدثنا أبو أسامة عن نافع بن عمر الجمحي عن ابن أبي مليكة عن أبي بكر به.
ورجـاله ثقـات، لكن ابن أبي مليكة حـديثه عن عمـر وعثمان مـرسل، قـاله أبـو زرعة (جـامع التحصيل (ص٢٦٠) فسماعه من أبي بكر بعيد.
وهذه الطرق الثلاث وإن كانت مرسلة، فهي يعضد بعضها بعضاً، لاسيما وقد جـاءت من أوجه مختلفة، وإلى هذا ذهب ابن الصلاح والحافظ ابن حجر رحمهما الله تعالى.
(انظر «النكت على كتاب ابن الصلاح» للحافظ ابن حجر (٢/٥٦٦ ـ ٥٦٧)).

(١٥) صحيح، أخرجه ابن جرير (٣٠/٣٨) من طريقـين عن حميد عن أنس به. حميد هـو ابن أبي حميد الطويل، قال الحافظ في التهذيب (٣/٤٠): صرح حميد بسماعه من أنس بشيء كثير.
وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/٤٧٣) وقال: اسناد صحيح.

٤٩ ـ وعن ابن أبي مليكة قال دخلت على ابن عباس أنا وعبدالله بن فيروز مولى عثمان، فقال له عبدالله يا أباالعباس ﴿**تَعْرُجُ الملائكةُ والرُّوحُ إليه في يَوم كَانَ مِقدَارُهُ خَمسينَ أَلَفَ سَنَة**﴾ (المعارج: ٤) أي يوم هذا؟ فقال ابن عباس: من أنت؟ فانتسب له فلما عرفه قال مرحباً بك، ﴿**يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة**﴾ (السجدة: ٦) أي يوم هذا؟ قال: أنا سألتك يا ابن العباس لتخبرني؟ قال: أيام سَمَّاها الله عزَّ وجل هو أعلم بها كيف تكون، أكره أن أقول في كتاب الله عز وجل بما لا أعلم(١٦).

والذي فسره بعض المفسرين مما توقف ابن عباس فإنه لم يذكر مراد الله فيها بل قال: يظهر لي فيها كذا، ويسنح كذا والله هو العالم بالتأويل. فإن قيل: فقد قال ﴿**تبياناً لكل شيء**﴾ (النحل: ٨٩) قيل كما قال ﴿**تدمر كل شيء**﴾ (الأحقاف: ٢٥) ولم تدمر السموات والأرض وقال ﴿**وأوتيت من كل شيء**﴾ (النمل: ٢٣) ولم تؤت مثل فرج الرجل ولحيته.

= وعزاه السيوطي في الدر (٨/٤٢١) لسعيد بن منصور وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب والخطيب والحاكم وصححه. ولم يتفرد به حميد فقد تابعه موسى بن أنس عند ابن جرير (٣٠/٣٨) عن أنس قال: قرأ عمر «وفاكهة وأبا» ومعه عصا في يده فقال: ما الأب؟ ثم قال: بحسبنا ما قد علمنا، وألقى العصا من يده. واسناده صحيح.

وتابعهما معاوية بن قرة وقتادة عن أنس، أخرجه ابن جرير (٣٠/٣٨) وسنده حسن.

وأخرجه ابن جرير (٣٠/٣٩) عن يونس وعمرو بن الحارث عن ابن شهاب أن انس بن مالك حدثه أنه سمع عمر. فذكره، وزاد: واتبعوا ما يتبين لكم في هذا الكتاب. وفي رواية عمرو: ما يتبين فعليكم به ومالا فدعوه. واسناده صحيح. وأخرجه الحاكم (٢/٥١٤) عن أبي صالح عن ابن شهاب به، وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

قال ابن كثير: وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه وإلا فهو وكل من يقرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض لقوله (فأنبتنا فيها حبا..).

(١٦) صحيح، أخرجه ابن جرير (٢٩/٤٥) حدثني يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن علية عن أيوب عن ابن أبي مليكة أن رجلاً سأل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة، فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ قال: إنما سألتك لتخبرني، قال: هما يومان ذكرهما الله في القرآن، الله أعلم بهما، فكره أن يقول في كتاب الله مالا يعلم. وسنده صحيح، رجاله ثقات.

ثم ذكر متابعة لابن علية فقال حدثنا ابن بشار ثنا عبدالوهاب ثنا أيوب عن ابن أبي مليكة قال: سأل رجل ابن عباس بنحوه.

وسنده صحيح أيضا، عبدالوهاب هو ابن عبدالمجيد الثقفي.

فإن قيل: إذا لم يدخل الراسخون مع الله في العلم لم يكن لهم فضل على من لم يرسخ في العلم، لأن كلَّ المسلمين يقولون آمنا به.

قيل فضل الراسخين على غيرهم أنهم يعرفون الأحكام المحكمات مالا يعرفه غيرهم، وقد قيل إن فضيلتهم تحصل بإيمانهم بالغيب على من لم يؤمن به، وقد قال تعالى ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾ (يونس: ٣٩) وهذا يدل على أن هناك من لم يؤمن به فكانت فضيلتهم بالإيمان به.

فإن قيل فنسلم لكم أنَّ في القرآن مالا يعلم تأويله غير الله، لكن فائدته التلاوة التي هي طاعة وهي مندوبٌ اليها يُثَاب على فعلها، فأما الأخبار فمتى لم يعرف معناها بلغة العرب عَريت عن فائدة، لأنها لا تفيد عملاً ولا تُثبت علماً ولا ثواب في فعلها.

قيل: لا تعرى عن فائدة لما بَيَّنا فيما قبل وهو اختبار العباد ليؤمن به المؤمن فيسعد، ويكفر به الكافر فيشقى، لأن سبيل المؤمن أن يُصَدِّقَ بما جاء به الرسول.

٥٠ ـ ودليل آخر، ما روى أبوهريرة وعبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال «يحمل هذا العلم من كلِّ خَلَفٍ عدوله يَنْفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المُبْطلين وتأويل الجاهلين»(١٧). فوجه الدلالة أنَّه منع التأويل في ذلك.

(١٧) ضعيف، روي عن أبي هريرة وعبدالله بن عمر وعلي بن أبي طالب وأبي أمامة الباهلي وعبدالله بن مسعود وابراهيم بن عبدالرحمن العذري.

١ ـ أما حديث أبي هريرة فله طريقان:

الأول: أخرجه ابن عدي في الكامل (١/١٥٣) والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (ص ٢٥) عن سليمان بن عبدالرحمن الدمشقي حدثنا مسلمة بن علي حدثني عبدالرحمن بن يزيد السلمي عن علي بن مسلم البكري عن أبي صالح الأشعري عن أبي هريرة مرفوعاً به.

وسنده واهي، أبوصالح الأشعري قال الحافظ: مقبول، وعبدالرحمن بن يزيد هو ابن تميم السلمي قال البخاري: منكر الحديث، وقال أبوداود: متروك، ومسلمة بن علي الخشني متروك.

الثاني: أخرجه ابن عدي (١/١٥٢) عن مروان الفزاري عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة مرفوعا به. =

= ثم قال ابن عدي: ولم أر هذا الحديث لمروان الفزاري بهذا الإسناد إلا من هذا الطريق.
قلت: مروان هو ابن معاوية ثقة حافظ، والراوي عنه داود بن سليمان الغساني المديني لم أجد له ترجمة وكذا من قبله.

٢ ـ عبدالله بن عمر:
أما عبدالله بن عمرو فلم أجد لـه رواية لهذا الحديث، وإنما وجدته من حديث عبدالله بن عمر، والظاهر أن في الأصل خطأ.
وحديث عبدالله بن عمر، رواه البزار (١/٨٦ ـ زوائد) وابن عدي (١/١٥٢) عن خالد بن عمرو القرشي ثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن سالم عن ابن عمر مرفوعا به.
قال البزار: خالد بن عمرو منكر الحديث، قد حدّث بأحاديث لم يتابع عليها وهذا منها.
قلت: وهو القرشي الأموي السعيدي. قال أحمد: ليس بثقة، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال صالح جزرة: يضع الحديث (الميزان ١/٦٣٥).
وممن روي عنه هذا الحديث:

٣ ـ علي بن أبي طالب:
رواه عنه ابن عدي (١/١٥٢) أنبأنا محمد بن محمد الأشعث الكوفي حدثني موسى بن اسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد ثنا أبي عن أبيه عن جده جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب مرفوعا به. واسناده منكر.
قال ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٣٠٣) عن محمد بن محمد بن الأشعث: مقيم بمصر كتبت عنه بها، حمله شدة ميله إلى التشيع أن أخرج لنا نسخته قريبا من ألف حديث عن موسى بن اسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده إلى أن ينتهي إلى علي والنبي ﷺ، فيها مقاطيع وعامتها مسندة مناكير كلها أو عامتها، فذكرنا روايته هذه لأبي عبدالله الحسين بن علي بن الحسن وكان شيخاً من أهل البيت بمصر: كان موسى هذا جاري بالمدينة أربعين سنة ما ذكر قط أن عنده شيئاً من الرواية لا عن أبيه ولا عن غيره ا هـ باختصار.

٤ ـ أبو أمامة الباهلي:
رواه العقيلي (١/٩) وابن عدي (١/١٥٣) عن بقية عن رزيق أبوعبدالله الألهاني عن القاسم بن عبدالرحمن عن أبي أمامة مرفوعا به.
وفيه رزيق الألهاني قال فيه ابن حبان في المجروحين (١/٣٠١) ينفرد بالأشياء التي لا تشبه حديث الإثبات، لا يجوز الاحتجاج به إلا عند الوفاق. وقال الحافظ: صدوق له أوهام وفيه بقية بن الوليد وقد عنعن.
التنبيه: وقع في الكامل المطبوع تصحيف شنيع لاسم رزيق أبوعبدالله، فقد ورد فيه هكذا: زريـر بن عبدالله وكـذا في الضعفاء للعقيلي فقد تصحف إلى: زريق، وسقط اسم بقية من الإسناد في الكامل، والكتابان فيهما من التصحيف مالا يحصى.

٥ ـ عبدالله بن مسعود:
أخرجه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (ص ٢٨) عن أبي صالح حدثنا الليث بن =

فإن قيل: إنما منع تأويل الجاهلين ولسنا جُهَّالاً بالتأويل.

قيل: بل الجهالة حَاصِلةٌ بالتأويل بدليل ما تقدم من قوله ﴿**وما يعلم تأويله إلا الله**﴾.

دليل آخر على إبطال التأويل أنَّ الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها، ولا صرفها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغاً لكانوا أسبق لما فيه من إزالة التشبيه، ورفع الشبهة، بل قد روي عنهم ما دل على إبطاله.

٥١ — فروى أبوبكر الخلال بإسناده عن أم سلمة أنها قالت في قوله ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ (طه: ٥) قالت: كيفُ غيرُ معقول، والاستواء غير مجهول والإقرار به إيمان، والجحود به كفر(١٨).

فقد صرحت بالقول بالاستواء غير معقول وهذا يمنع تأويله على العلو!! وعلى الإستيلاء.

= سعد عن يحيى بن سعيدعن سعيد بن المسيب عن عبدالله بن مسعود مرفوعاً بلفظ «يرث هذا العلم من كل خلف عدوله»، وفيه كاتب الليث أبوصالح صدوق كثير الغلط.

٦ — ابراهيم بن عبدالرحمن العذري:
رواه عنه ابن أبي حاتم في الجرح (١٧/٢) وابن عدي (١٥٣/١) والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (ص ٢٩) عن معان بن رفاعة عنه.
ورواه ابن عدي (١٥٣/١) عن الوليد ثنا ابراهيم بن عبدالرحمن العذري ثنا الثقة من أشياخنا قال قال رسول الله ﷺ. قال ابن حجر في الاصابة (١١٧/١): ابراهيم بن عبدالرحمن العذري، تابعي أرسل حديثاً فذكره ابن منده وغيره في الصحابة.
ثم قال: وقد أورد ابن عدي هذا الحديث من طرق كثيرة كلها ضعيفة، وفي بعض المواضع رواه الثقات عن الوليد عن معاذ عن ابراهيم قال حدثنا الثقة من أصحابنا أن رسول الله ﷺ فذكره أ هـ.
وقال أبونعيم - كما في كنز العمال (١٧٦/١٠): وروى عن أسامة بن زيد وأبي هريرة وكلها مضطربة غير مستقيمة.

(١٨) ضعيف، رواه اللالكائي (٣٩٧/٣) وأبوعثمان الصابوني في «عقيدة السلف»(٢٣) وابن قدامة =

٥٢ ــ وروى سعيد الجُريري عن سيف السدوسي عن عبدالله بن سلام قال: إذا كان يوم القيامة جيىء بنبيكم ﷺ فأقعد بين يدي الله عز وجل على كرسيه، قال فقلت: يا أبامسعود إذا كان على كرسيه أليس هو معه؟ قال: ويلكم هذا أقَرُّ حديثٍ في الدنيا لعيني.

وفي لفظ آخر قالوا للجريري: إذا كان على الكرسي هو معه؟ قال: نعم ويلكم هو معه، هو معه(١٩).

فقد صرح بالأخذ بالحديث على ظاهره وأنكر على من يرد.

٥٣ ــ وكذلك حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله ﷺ ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً﴾ (الأعراف: ١٤٣). قال: «وضع إبهامه على قريب من طرف أنملة خُنْصره فَسَاخَ الجبل» قال حميد لثابت: تقول هذا فدفع ثابتٌ يده فضرب بها صدر حميد، وقال يقوله رسول الله ﷺ ويقوله أنسٌ وأنا أكتمه. وفي لفظ آخر قال: فضرب صدره ضربة شديدة، وقال: من أنت يا حميد

= المقدسي في العلو (٨٢) والذهبي في العلو (ص ٦٥) كلهم عن محمد بن الأشرس الوراق أبوكنانة حدثنا أبوعمير الحنفي (ووقع عند الصابوني: أبوالمغيرة) حدثنا قرة بن خالد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة به. قال الذهبي: هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي ومالك الإمام وأبي جعفر الترمذي، فأما عن أم سلمة فلا يصح، لأن أباكنانة ليس بثقة، وأبوعمير لا أعرفه. وقال ابن تيمية: وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً، ولكن ليس اسناده مما يعتمد عليه (الفتاوي ٥/ ٣٦٥).

قلت: وفي اسناده أم الحسن البصري واسمها: خيرة، مولاة أم سلمة، قال الحافظ: مقبولة، ومحمد بن الأشرس الوراق ذكره الذهبي في الميزان (٣/ ٤٨٥) وقال: السلمي النيسابوري، متهم في الحديث وتركه أبوعبدالله بن الأخرم الحافظ وغيره، وقال الحافظ في اللسان (٥/ ٨٤): وضعفه الدارقطني.

(١٩) ضعيف، أخرجه الخلال في «مسائل الإمام أحمد بن حنبل» (ق ٢٢) في ذكر المقام المحمود من ثلاث طرق عن يحيى بن كثير العنبري حدثنا سلم بن جعفر البكراوي حدثنا سعيد الجريري حدثنا سيف السدوسي عن عبدالله بن سلام قال: إذا كان يوم القيامة.. فذكره موقوفا.

قلت: سيف السدوسي لم أجد له ترجمة، والجريري كان قد اختلط.

وسيأتي ذكر الروايات في هذا الأمر. برقم (٩٠).

وما أنت يا حميد يُحدثني به أنس بن مالك عن النبي ﷺ تقول أنت ما تريد(٢٠).

٥٤ ــ وروى أن قتادة بن النعمان دخل على أبي سعيد يَعُوده فوجده مُستلقياً رافعاً رجله اليمنى على اليسرى فقرص النعمان رجل أبي سعيد قرصة شديدة، فقال أبوسعيد: سبحان الله يا ابن أخي أوجعتني! قال: ذاك أردت! إنَّ رسول الله ﷺ قال «إنَّ الله لما قضى خلقه استلقى ثم رفع إحدى رجليه على الأخرى ثم قال: لا ينبغي لأحد من خلقي أن يفعل هذا» فقال أبوسعيد: لا جَرَم والله لا أفعله(٢١).

فإن قيل: أليس قد أنكر بعضهم على أبي مسعود وعلى الجريري وعلى ثابت فقد حصل خلاف بينهم.

قيل: لما أمسكوا عن الجريري وعن(١) أبي مسعود دل على أنهم أجابوا إلى ذلك.

---

(١) في الأصل: على، وهو خطأ.

(٢٠) صحيح، أخرجه أحمد في المسند (٣/١٢٥) وابنه عبدالله في السنة (١/٢٦٩ ـ ٢٧٠) وابن أبي عاصم في السنة (١/٢١٠ ـ ٢١١) وأبومحمد الخلال ـ كما في تفسير ابن كثير (٢/٢٤٤) ـ والترمذي (٥/٢٦٥ ـ ٢٦٦) وابن جرير في تفسيره (٩/٣٧) وابن خزيمة في التوحيد (ص ١١٣ ـ ١١٤) والحاكم (٢/٣٢٠) من طرق عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس به.
وقال الخلال: وهذا اسناد صحيح لا علة فيه.
قال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح، لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة.
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.
وقال ابن كثير (٢/٢٤٤) أن الطبراني وابن مردويه روياه من طريقين عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس مرفوعا بنحوه. وقال: واسنده ابن مردويه من طريق ابن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر مرفوعا ولا يصح.
وعزاه السيوطي في الدر (٣/٥٤٥) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عدي في الكامل وأبي الشيخ والبيهقي في كتاب الرؤية.
(٢١) سيأتي تخريجه، وهو حديث منكر.

٥٥ ـ دليل آخر على إبطال التأويل: أنَّ أباالحسن الأشعري وأصحابه مثل أبي بكر بن الباقلاني، وأبي بكربن فورك وأبي علي بن شاذان(٢٢) قد أثبتوا صِفاتاً لم يعقلوا معناها ولم يحملوها على مقتضى اللغة كالوجه واليدين والعين، ولم يحملوا الوجه على جملة الذات، واليدين على النعمتين، ولا العين على المرأى(١) بل أثبتوها صفات ذات، لورود الشرع بها، وقد صرَّحوا بهذا في كتبهم ورأيت بعضهم يأبى ذلك ويتأول هذه الصفات، وهذا القائل يتشاغل بالكلام معه في هذه الصفات، فإذا ثبت الكلام فيها بنينا الأخبار على ذلك.

٥٦ ـ دليل آخر على إبطال التأويل، وذلك أن من حمل اللفظ على ظاهره حمله على حقيقته، ومن تأوله عدل به عن الحقيقة إلى المجاز، ولا يجوز إضافة المجاز إلى صفاته.

---

(١) كذا تقرأ.

(٢٢) هو القاضي المتكلم الأصولي أبوبكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري ثم البغدادي، ابن الباقلاني الأشعري، صاحب التصانيف.
قال الذهبي: وكان ثقة إماماً بارعاً، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية والكرَّامية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري! وقد يخالفه في مضائق، فإنه من نظرائه، وقد أخذ علم النظر عن أصحابه. من كتبه: «إعجاز القرآن» ط، «التمهيد في الرد على الملحدة والرافضة والخوارج والمعتزلة» ط وغيرها. مات في ذي القعدة سنة ثلاثٍ وأربع مئة. (تاريخ بغداد (٥/ ٣٧٩ ـ ٣٨٣)، ترتيب المدارك (٤/ ٥٨٥ ـ ٦٠٢) السير (١٧/ ١٩٠ ـ ١٩٣).
أما ابن شاذان:
فهو الإمام الفاضل الصدوق، مسند العراق، أبو علي الحسن بن أبي بكر أحمد بن شاذان، البغدادي البزاز، الأصولي.
سمع من: أبي عمرو بن السماك أبي بكر أحمد بن سليمان العباداني والنجاد، وميمون بن اسحاق وغيرهم.
حدث عنه: الخطيب والبيهقي وابواسحاق الشيرازي وغيرهم كثير.
قال الخطيب: كتبنا عنه وكان صحيم السماع صدوقاً، يفهم الكلام على مذهب أبي الحسن الأشعري!
توفي سَلْخ عام خمسة وعشرين وأربع مئة، ودفن في أول يوم من سنة ست وعشرين.
(تاريخ بغداد ٧/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠، تبيين كذب المفتري ٢٤٥ ـ ٢٤٦، السير ١٧/ ٤١٥ ـ ٤١٨).

فإن قيل خبر الواحد إنما يقبل فيما طريقة العمل وأما فيما طريقة الاعتقاد والقطع فلا قيل: هذه وإن كانت أخبار آحاد فإن الأمة قد تلقتها بالقبول، منهم من حملها على ظاهرها وهم أصحاب الحديث، ومنهم من تأولها وتأويلها قبول لها.

فإن قيل: فهل تكفرون من ردّها أو تأولها؟

٥٧ ـ قيل: قد قال أحمد في رواية أبي طالب: من قال إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي، وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه(٢٣).

٥٨ ـ وقال في رواية المروذي وقد سأله عن عبدالله التيمي فقال صدوق، ولكن حكي عنه أنه ذكر حديث الضحك فقال: مثل الزرع وهذا كلام الجهمية.

٥٩ ـ وقال في رواية الأثرم(٢٤) وقد سأل أحمد حَدَّث مُحدِّث وأنا عنده بحديث «يضع الرحمن قدمه فيها» وعنده غلام فأقبل على الغلام فقال: إنَّ لهذا تفسيراً فقال أبوعبدالله: أنظر إليه كما تقول الجهمية سواء(٢٥).

فقد أطلق القول بأنه جهمي وقد كفَّرهم ببعض أقوالهم ولم يكفرهم ببعض.

---

(٢٣) ذكره ابن المصنف في طبقاته (١/٣٠٩) في ترجمة محمد بن علي الجرجاني أبوجعفر الوراق ويعرف بحمدان: سألت أبا ثور عن قول النبي ﷺ «إن الله خلق آدم على صورته» فقال: على صورة آدم، وكان هذا بعد ضرب أحمد بن حنبل والمحنة، فقلت لأبي طالب: قل لأبي عبدالله، فقال أبوطالب: قال لي أحمد بن حنبل: صح الأمر على أبي ثور، من قال: إن الله خلق آدم... الخ.
وحمدان له ترجمة في تاريخ بغداد (٣/٦١ ـ ٦٢)، السير (١٣/٤٩ ـ ٥٠).

(٢٤) هو الإمام الحافظ العلامة أبوبكر أحمد بن محمد بن هانيء الإسكافي الأثرم الطائي وقيل الكلبي، أحد الأعلام، ومصنف السنن، وتلميذ الإمام أحمد.
سمع من: أحمد بن حنبل وهوذة بن خليفة وأبي نعيم وعفان والقعنبي وأبي الوليد الطيالسي وغيرهم حدث عنه: النسائي وموسى بن هارون ويحي بن صاعد وغيرهم.
قال أبوبكر الخلال: كان الأثرم جليل القدر حافظاً. وله مصنف في علل الحديث. قال الذهبي: لم أظفر بوفاة الأثرم، ومات بمدينة إسكاف في حدود الستين ومئتين قبلها أو بعدها.
(طبقات الحنابلة ١/٦٦ ـ ٧٤، السير ١٢/٦٢٣ ـ ٦٢٨، التهذيب ١/٧٨ ـ ٧٩).
(٢٥) ذكره الذهبي في العلو (ص ١٣١) والمختصر (ص ١٩٠ ـ ١٩١)

٦٠ ـ فقال في رواية المروذي وقد سأله عن القدري فلم يكفره إذا أقرَّ بالعلم.

٦١ ـ وقال في رواية حنبل: من قال بالقدر وعظم المعاصي فهو أقرب مثل الحسن.

ذِكرُ الأخبَار

٦٢ ـ من ذلك ما حدثناه أبوالقسم عبدالعزيز بن علي بن أحمد بن الفضل الخياط قال نا علي بن ابراهيم بن موسى الموصلي السكوني قال نا أبومزاحم موسى بن عبيدالله(١) بن يحيى المقري قال نا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال نا يحيى بن سعيد قال نا ابن عجلان قال حدثني سعيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه ولا يقل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورته»(٢٦).

٦٣ ـ وحدثناه أبوالقسم قال نا أبوالحسن علي بن ابراهيم بن موسى الموصلي السّكوني قال نا أبومزاحم موسى بن عبيدالله بن يحيى بن خاقان المقري قال نا أبوعبدالرحمن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال نا أبومعمر قا نا جرير عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: «لا

---

(١) في الأصل: عبدالله، والتصويب من تاريخ بغداد.

(٢٦) صحيح لطرقه، أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٥١، ٤٣٤) والبخاري في الأدب (١٧٣) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) وابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٦ ـ ٣٧) والآجري في الشريعة (ص ٣١٤ ـ ٣١٥) والدارقطني في الصفات (٤٤، ٤٦) وابن منده في التوحيد (٨٤) والبيهقي في الأسماء (ص ٢٩١) من طرق عن ابن عجلان به.
قال ابن منده: هذا اسناد مشهور متصل، و ابن عجلان أخرج عنه مسلم والنسائي والجماعة الا البخاري اهـ. قلت: وهو حسن الحديث.
وشيخ المصنف صدوق (تاريخ بغداد ١٠/ ٤٦٨) والسكوني ثقة (تاريخ بغداد ١١/ ٣٤١) والمقري ثقة (تاريخ بغداد ١٣/ ٥٩).
قال الحافظ في الفتح (٥/ ١٨٣) بعد أن ذكر هذا الحديث: وهو ظاهر في عود الضمير على المقول له ذلك.

تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورته»(١)(٢٧).

وذكره الدارقطني في جملة أخبار الصفات.

٦٤ ــ وحدثنا أبو محمد الحسن بن محمد فيما خرجه من أخبار الصفات عن ابن شاهين قال حدثنا زيد بن محمد الكوفي قاله حدثنا أحمد بن منصور المدني قال حدثنا محمد بن اسحاق المسيَّبي قال حدثني أبوسهل سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أخيه عبدالله عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: : «إذا ضرب أحدكم مملوكه فليتق وجهه فإن الله إنما خلق آدم على صورة نفسه»(٢٨).

٦٥ ــ وروى أبوحفص بن شاهين في سننه باسناده عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليتجنب الوجه، فإن الله خلق وجه آدم على صورته»(٢٩).

---

(١) في الأصل: على صورة، التصويب من المصادر الأخرى.

(٢٧) اسناده ضعيف، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/٢٢٨ ـ ٢٢٩) وعبدالله في «السنة» (١/٤٩٨) وابن خزيمة (ص ٣٨) والدارقطني في الصفات (٤٥، ٤٨) والآجري في الشريعة (ص ٣١٥) والطبراني في الكبير (١٢/٤٣٠) والحاكم (٢/٣١٩) مختصراً والبيهقي في الأسماء (ص ٢٩١) عن جرير بن عبدالحميد عن الأعمش به، وجاء عند بعض مخرجيه «على صورة الرحمن».
قال ابن خزيمة: في الخبر عللاً ثلاثاً، احداهن: أن الثوري قد خالف الأعمش في اسناده، فأرسل الثوري ولم يقل عن ابن عمر.
والثانية: أن الأعمش مدلس لم يذكر أنه سمعه من حبيب بن أبي ثابت.
والثالثة: أن حبيب بن أبي ثابت أيضا مدلس، لم يعلم أنه سمعه من عطاء اهـ.
قلت: ولم يزد الحافظ في الفتح (٥/١٨٣) على قوله: رجاله ثقات!
ورواية سفيان الثوري التي خالف فيها الأعمش رواها ابن خزيمة أيضاً (ص ٣٨) حدثناه أبوموسى محمد بن المثنى حدثنا عبدالرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء قال رسول الله ﷺ.

(٢٨) سنده ضعيف جدا، عبدالله بن سعيد المقبري متروك وأخوه أبوسهل سعد بن سعيد لين الحديث. ولم أجد من خرجه.

(٢٩) صحيح، أخرجه أحمد (٢/٤٦٣، ٥١٩) ومسلم (٤/٢٠١٧) وابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٧) =

٦٦ - وروى عبدالرحمن بن منده في كتاب الإسلام بإسناده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا قاتل أحدكم فليتق الوجه فإن الله خلق آدم على صورة وجهه من الطين»[(٣٠)].

اعلم أن هذا حديث صحيح.

٦٧ - قال أحمد في رواية ابن منصور[(٣١)] «لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورته» وإذا ثبت صحته فغير ممتنع الأخذ بظاهره من غير تفسير ولا تأويل.

وقد نص عليه أحمد في رواية يعقوب بن بختان[(٣٢)] «خلق آدم على

= والبيهقي في الأسماء (ص ٢٩٠) عن المثنى بن سعيد عن قتادة عن أبي أيوب المراغي عن أبي هريرة مرفوعا به. وأخرجه أحمد (٢/٣٤٧، ٤٦٢) ومسلم (٤/٢٠١٧) عن همام عن قتادة به، وأخرجه مسلم (٤/٢٠١٧) عن شعبة عن قتادة مختصراً.
تنبيه: وقع خطأ في اسم أبي أيوب المراغي عند ابن خزيمة فقال: عبدالملك بن مالك المراغي، والصواب أن اسمه يحيى بن مالك وقيل حبيب بن مالك كما في التهذيب (١٢/١٦).

(٣٠) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/٢٢٧ - ٢٢٨) حدثنا محمد بن ثعلبة بن سواء حدثني عمي محمد بن سواء عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة مرفوعا به دون قوله: من الطين.
واسناده حسن، لكن قوله «على صورة وجهه» لم ترد إلا في هذا الحديث، وهي من رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وهي مخالفة لرواية المثنى بن سعيد وهمام بن منبه، انظر تعليق الشيخ محمد ناصرالدين الألباني عليه في «السنة» لابن أبي عاصم (١/٢٢٨).

(٣١) هو اسحاق بن منصور بن بهرام الكوسج أبويعقوب، التميمي المروزي روى عن ابن عيينة وابن نمير وعبدالرزاق وخلق كثير وتتلمذ لأحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه ويحيى بن معين وله عنهم مسائل.
وروى عنه الجماعة سوى أبي داود.
قال مسلم: ثقة مأمون أحد الأئمة من أصحاب الحديث، وقال النسائي: ثقة ثبت، وقال ابن أبي يعلى: وكان اسحاق عالماً فقيهاً، وهو الذي دون عن إمامنا المسائل في الفقه.
مات يوم الخميس لعشر بقين من جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين ومئتين بنيسابور.
(طبقات الحنابلة (١/١١٣ - ١١٥)، التهذيب (١/٢٤٩ - ٢٥٠)).

(٣٢) هو يعقوب بن اسحاق بن بختان أبويوسف.
سمع مسلم بن ابراهيم وأحمد بن حنبل، وروى عنه أبوبكر بن أبي الدنيا وجعفر الصندلي وأحمد بن محمد بن أبي شيبة.
قال ابن أبي يعلى: ذكره أبومحمد الخلال فقال: كان جار أبي عبدالله وصديقه، وروى عن =

صورته» لا نفسره كما جاء الحديث.

فقد صرح بالقول بالأخذ بظاهره والكلام فيه في فصلين:

أحدهما جواز إطلاق تسمية الصورة عليه سبحانه وقد ذكره ابن قتيبة في مختلف الحديث فقال: الذي عندي والله أعلم أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين، إنما وقع الألف لمجيئها في القرآن ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن ونحن نؤمن بالجميع. هذا كلام ابن قتيبة[٣٣].

= أبي عبدالله مسائل صالحة كبيرة، لم يروها غيره في الورع، ومسائل صالحة في السلطان.
وقال الخطيب: كان أحد الصالحين الثقات.
(تاريخ بغداد (١٤/ ٢٨٠)، طبقات الحنابلة (١/ ٤١٥ - ٤١٦).

(٣٣) تأويل مختلف الحديث (ص ١٥٠)، وتتمة كلامه: ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حدّ.

الفصل الثاني
في إطلاق القول بأنه خلق آدم على صورته وأن الهاء راجعة على الرحمن

٦٨ ـ وقد روى أبو[١] عبدالله بن منده[٣٤] بإسناده عن اسحق بن راهويه قال قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال «إن آدم خلق على صورة الرحمن» وإنما علينا أن ننطق به.

والوجه فيه أنه ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه لأننا نطلق تسمية الصورة عليه لا كالصور كما أطلقنا تسمية ذات ونفس لا كالذوات والنفوس.

يبين صحة هذا أن الصورة ليست في حقيقة اللغة عبارة عن التخاطيط وإنما هي عبارة عن حقيقة الشيء ولهذا يقول عرفني صورة هذا الأمر[٣٥].

---

(١) في الأصل: عبدالله وهو خطأ.

(٣٤) هو الإمام الحافف الجوال محدث الإسلام أبو عبدالله محمد بن المحدث إسحاق بن الحافظ محمد بن يحيى بن منده. سمع من أبيه وعم أبيه عبدالرحمن بن يحيى بن منده وجم كبير، وحدث عنه أبو الشيخ والحاكم وأبو نعيم وغيرهم كثير. قال الذهبي: ولم أعلم أحداً كان أوسع رحلةً منه، ولا أكثر حديثاً منه، مع الحفظ والثقة. من كتابه «الإيمان»، «والتوحيد»، «والصفات»، و«معرفة الصحابة» (أخبار أصبهان (٢/ ٣٠٦) السير (١٧/ ٢٨ ـ ٤٣)).
وقول اسحاق بن راهويه رواه عنه حرب الكرماني في كتاب «السنة» كما في الفتح (٥/ ١٨٣).

(٣٥) قال ابن الأثير في «غريب الحديث» (٣/ ٥٨ ـ ٥٩): الصورة ترِدُ في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال الفعل كذا وكذا: أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا: أي صفته.

ويطلق القول في صورة آدم على صورته سبحانه لا على طريق التشبيه في الجسم والنوع والشكل والطول لأن ذلك مستحيل في صفاته.

وإنما أطلقنا حمل إحدى الصورتين على الأخرى تسميةً لورود الشرع بذلك على طريق التعظيم لآدم كما قال تعالى في أزواج النبي **﴿وأزوَاجُهُ أمهاتهم﴾** (الأحزاب: ٦) ولسن بأمهات في الحقيقة لكن على وجه التعظيم، ولأن فيه معنى ينفرد به من بين سائر ذريته، وهو أنه لما وجد حيًّا كان كاملاً لم ينتقل من حال صغرٍ إلى كبر، ومن حال ضعفٍ إلى قوة، ومن حال جهلٍ إلى علم، كذلك الله تعالى في حال وجوده كاملاً لم ينتقل من نقصٍ إلى كمالاً ولا يجوز أن يقال أن هذا المعنى موجود في خلق حوَّاء وفي الملائكة لأنه وإن كان خلقهم على ذلك فآدم أكمل منهم لأن الله أسجدهم له، ولأنه قال **﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾** (التين: ٤) ولأن حوَّاء ناقصة بالأنوثية. وليس في حمل إحدى الصورتين على الأخرى ما يوجب المساواة كما قال تعالى **﴿إنَّ مثلَ عيسى عند الله كَمثل آدم﴾** (آل عمران: ٥٩) ومعلوم أن آدم أفضل لأنه لم يخلق من نطفة ولا اشتمل عليه رحم وعيسى وجد فيه ذلك وكما قال تعالى **﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾** (المؤمنون: ١٤)، وقال **﴿وهو خير الرازقين﴾** ، **﴿وهو أرحَمُ الراحمين﴾** (يوسف: ٩٢) وقال[1] **﴿وهو أشد منهم قوة﴾** (فصلت: ١٥) ولفظه أحسن وأرحم على وزن أفعل ولفظة أفعل تقتضي الاشتراك في الشيء، وقد شرك بينه وبين خلقه في هذه الصفات كذلك لا يمتنع الاشتراك في الصورة.

٦٩ ـ وقد روي عن ابن عباس ما دل أن الهاء راجعة على الرحمن، ذكره اسحق بن بشر القرشي[٣٦] في كتاب «المبتدأ» باسناده عن ابن عباس أن ملك

---

(١) في الأصل: «بل هو أشد منهم» وزيادة بل في الآية خطأ.

(٣٦) هو اسحاق بن بشر البخاري أبوحذيفة صاحب كتاب «المبتدأ» قال الذهبي في الميزان: تركوه، وكذبه علي بن المديني، وقال ابن حبان: لا يحل حديثه الا على جهة التعجب، وقال الدارقطني: كذاب متروك ثم قال: لكن خلط ابن حبان ترجمته بترجمة الكاهلي، ولم يذكر الكاهلي، وكذا خبط ابن الجوزي فقال في هذا: الكاهلي مولى بني هاشم، ولم يصب في قوله الكاهلي. وانظر الكامل لابن عدي (١/٣٣١) وقد فرق بينهما أيضاً.

الروم كتب إلى معاوية يسئله عن مسائل منها: أخبرني عن أكرم رجل على الله، فانفذ بها معاوية إلى ابن عباس فقال: اكرم رجل على الله آدم خلقه بيده ونحله صورته ونفخ فيه من روحه واسجد لـه ملائكتـه وأسكنه جنته.

فقد نص على أنه نحله صورته.

فإن قيل فصفوه بالجسم لا كالأجسام!

قيل: لا نصفه بذلك لأن الشرع لم يرد بذلك وهذا كما وصفته أنت بـأن له نفساً وحياةً، ولا نصفه بأنه جسم وكذلك نصفه بـأنه ذات وشيء ولا نصفـه بأنـه جسد.

فإن قيل: الهاء عائدة على المضروب لأن الخبر ورد على سبب.

٧٠ ــ وذلك أن النبي ﷺ مرَّ برجل يضرب ابنه أو عبده في وجهه لطماً ويقـول: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فقال النبي ﷺ «إذا ضرب أحـدكم عبده فليتق الوجه فإن الله خلق آدم على صورته»(٣٧) يعني المضروب(٣٨).

---

(٣٧) لم أقف على سبب الحديث وهو قوله: أن النبي ﷺ مرَّ برجل. . ، وقال ابن قتيبة في «مختلف الحديث» (ص ١٤٩): وزاد قوم في الحديث أنه عليه السلام مرّ برجل يضرب وجه رجل آخر. . وقد مرّ آنفا قوله ﷺ «ولا يقل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك» انظره برقم (٢٦).

(٣٨) اختار هذا القول ابن خزيمة فقد قال في التوحيد (ص ٣٧ ـ ٣٨): توهم بعض من لم يتحر العلم أن قوله «على صورته» يريد صورة الرحمن، عزَّ ربنا وجلَّ عن أن يكون هذا معنى الخبر، بل معنى قوله «خلق آدم على صورته» الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب والمشتوم، أراد ﷺ أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب الذي أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب، والذي قبَّح وجهه، فزجر ﷺ أن يقول: ووجه من أشبه وجهك، لأن وجه آدم شبيه وجه بنيه، فإذا قال الشاتم لبعض بني آدم: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، كان مقبحاً وجه آدم صلوات الله وسلامه عليه، الذي وجوه بنيه شبيهة بوجه أبيهم.
فتفهموا رحمكم الله معنى الخبر لا تغلطوا ولا تغالطوا فتضلوا عن سواء السبيل، وتحملوا على القول بالتشبيه الذي هو ضلال اهـ. واختاره أيضا ابن منده كما في التوحيد (١/٢٢٣ ـ ٢٢٤).
وقال الحافظ في الفتح في آخر العتق (٥/١٨٣) في قوله «فإن الله خلق آدم على صورته»: واختلف في الضمير على من يعود؟ فالأكثر على أنه يعود على المضروب لما تقدم من الأمر باكرام =

قيل: هذا غلط لوجهين: أحدهما أن هذا يسقط فائدة التخصيص بآدم لأن آدم وغيره من الأنبياء والبشر مخلوقون على صورة المضروب بمعنى أن له وجهاً

= وجهه، ولولا أن المراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها.

وقال القرطبي: أعاد بعضهم الضمير على الله متمسكاً بما ورد في بعض طرقه «إن الله خلق آدم على صورة الرحمن» قال: وكأن من رواه أورده بالمعنى متمسكاً بما توهمه فغلط في ذلك.

وقد أنكر المازري ومن تبعه صحة هذه الزيادة ثم قال: وعلى تقدير صحتها فيحمل على ما يليق بالباري سبحانه وتعالى.

قلت (أي الحافظ): الزيادة أخرجها ابن أبي عاصم في «السنة» والطبراني من حديث ابن عمر باسناد رجاله ثقات، وأخرجها ابن أبي عاصم من طريق أبي يونس عن أبي هريرة بلفظ يرد التأويل الأول، قال «من قاتل فليجتنب الوجه فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن».

فتعين اجراء ما في ذلك على ما تقرر بين أهل السنة من امراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه، أو من تأويله على ما يليق بالرحمن جل جلاله.

وزعم بعضهم أن الضمير يعود على آدم أي على صفته، أي خلقه موصوفا بالعلم الذي فضل به الحيوان وهذا محتمل.

وقد قال المازري: غلط ابن قتيبة فأجرى هذا الحديث على ظاهره وقال: صورة لا كالصور انتهى.

وقال حرب الكرماني في كتاب «السنة» سمعت إسحاق بن راهويه يقول: صح «إن الله خلق آدم على صورة الرحمن»، وقال إسحاق الكوسج سمعت أحمد يقول: هو حديث صحيح اهـ من الفتح.

وقال في الاستئذان (١١/٣):

واختلف إلى ماذا يعود الضمير؟ فقيل: إلى آدم أي خلقه على صورته التي استمر عليها إلى أن أهبط وإلى أن مات، دفعاً لتوهم من يظن أنه لما كان في الجنة كان على صفة أخرى، أو ابتدأ خلقه كما وجد لم ينتقل في النشأة كما ينتقل ولده من حاله إلى حاله.

وقيل: للرد على الدهرية إنه لم يكن إنسان إلا من نطفة ولا تكون نطفة إنسان إلا من إنسان ولا أول لذلك فبين أنه خُلق من أول الأمر على هذه الصورة.

وقيل: للرد على الطبائعيين الزاعمين أن الإنسان قد يكون من فعل الطبع وتأثيره.

وقيل: للرد على القدرية الزاعمين أن الإنسان يخلق فعل نفسه. وقيل أن لهذا الحديث سبباً حذف من هذه الرواية وأن أوله قصة الذي ضرب عبده فنهاه النبي ﷺ من ذلك، وقال له: إن الله خلق آدم على صورته.

وقيل: الضمير لله، وتمسك قائل ذلك بما ورد في بعض طرقه «على صورة الرحمن» والمراد بالصورة الصفة، والمعنى: إن الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك، وإن كانت صفات الله لا يشبهها شيء اهـ.

قلت: وأصح ما قيل فيه هو كلام ابن خزيمة ومن تابعه، وعلى كل حال فنحن ننزه ربنا عن مشابهة مخلوقاته، وليس في كلام الله تعالى ولا كلام رسوله ﷺ تشبيه ولا تمثيل.

وما أسقط فائدة التخصيص سقط في نفسه.

والثاني أن في اللفظ «خلق آدم على صورة الرحمن»[٣٩].

فإن قيل: إنما خص آدم بالذكر، لأنه هو الذي ابتديت خلقة وجهه على الحد الذي يُحتذى عليها من بعده، كأنه على وجه المبالغة في الردع له عن ذلك. قيل: لو كان القصد المبالغة لقال: فإن الله خلق محمداً على صورته لأنه أفضل من آدم، فلما خص آدم بالذكر دل على أنه لمعنى فيه. وجواب آخر: وهو أنه قد رُوي في لفظ آخر «على صورة الرحمن وعلى صورة نفسه» وهذا يمنع حمله على المضروب فوجب أن يقضى بالمقيد عليه.

فإن قيل الهاء ترجع على آدم ويكون رجوعها عليه لوجوه: أحدها أن يعرفنا أنه خلق في الجنة على الصورة التي كان عليها في الدنيالم يغير الله خلقته، ويكون فائدة ذلك تعريفنا الفرق بينه وبين سائر من أخرجه من الجنة معه من الحيّة والطاووس، فإنه عاقب الحيَّة وشوَّه خلقها وسلبها قوائمها وجعل أكلها التراب وشوه رجلي الطاووس[٤٠]، ولم يشوه خلقة آدم. بل أبقى له حُسن الصورة فعرفنا بذلك أنه كان في الجنة على الصورة التي هو عليها.

---

(٣٩) تقدم أن هذا اللفظ لا يصح، انظره برقم (٢٧) من هذا الفصل.

(٤٠) نقله البيهقي في الأسماء (ص٢٩٠) عن أبي منصور (وهو الماتريدي). فائدة: أخرج ابن جرير في تفسيره (١/١٨٧ ـ ١٨٩) عدة آثار تفيد أن ابليس لما طرد أراد أن يدخل الجنة فمنعته الخزنة، فأتى الحية وهي دابة لها أربع قوائم كأنها البعير وهي كأحسن الدواب فكلمها أن تدخله في فمها حتى تدخل به إلى آدم فأدخلته في فمها، فمرت الحية على الخزنة فدخلت ولا يعلمون فكلمهما من فيها، فأعراها الله وجعلها تمشي على بطنها.

قلت: وفي أسانيد هذه الآثار انقطاع وجهالة وضعف، وهي أشبه بالاسرائيليات المتلقاة عن أهل الكتاب.

ثم قال ابن جرير: وأولى ذلك بالحق عندنا، ما كان لكتاب الله موافقا، وقد أخبر الله تعالى ذكره عن إبليس أنه وسوس لآدم وزوجته ليبدي لهما ما وُورِيَ عنهما من سوآتهما، وأنه قال لهما (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) وأنه قاسمهما إني لكما من الناصحين، مدلياً لهما بغرور.

ففي أخباره جل ثناؤه عن عدّو الله أنه قاسم آدم وزوجته بقيله لهما: إني لكما لمن الناصحين، الدليل الواضح على أنه قد باشر خطابهما بنفسه، إما ظاهراً لأعينهما، وإما مستجنا في غيره، وذلك أنه غير معقول في كلام العرب أن يقال: قاسم فلان فلانا في كذا وكذا إذا سبب له سبباً وصل به إليه، دون أن يحلف له اهـ.

قيل: هذا لا يصح لوجوه:

أحدها: أنه روي ما دل على تغير خلقه عن الصفة التي كانت عليها.

٧١ - حدثناه أبوالقسم عبدالعزيز قال نا أبوالفتح القوَّاس ولنا منه إجازة قال قرىء على أبي اسحق ابراهيم بن حماد نا أبويحيى الناقد قال نا أبوصالح بن عبدالله الربذي قال: نا معاوية بن عمار نا أبوالزبير عن جابر بن عبدالله قال: إن آدم لما هبط إلى الهند ورأسه يكاد ينال السماء وأن الأرض شكت إلى ربها ثقل آدم قال فوضع الجبار جلَّ اسمه يده عليه فانحط سبعين باعاً، وهبط معه الفحل والأترج والموز قال أبو يحيى الناقد: يقولون: الفحل الذكر من النخل(٤١). وهذا يدل على تغير خلقته عما كانت عليه.

وجواب آخر: وهو أن هذا يسقط فائدة التخصيص لأن حوَّاء لم يُغير خلقها لمَّا أخرجها من الجنة فوجب أن يكون لهذا التخصيص فائدة.

جواب آخر وهو أنه قد روي «خلق آدم على صورة الرحمن»، وهذا يمنع رجوع الهاء على آدم. فإن قيل: فالهاء عائدة على آدم ويكون المراد به أن النبي ﷺ أفادنا بذلك إبطال قول أهل الدهر إنه لم يكن إنسان إلا من نطفة ولا نطفة إلا من إنسان فيما مضى ويأتي وليس لذلك أول ولا آخر وإن الناس إنما ينقلون من نشوء إلى نشوء على ترتيب معتاد، فعرفنا تكذيبهم، وأن آدم خلق على صورته التي شوهد عليها من غير أن كان عن نطفة قبله وعن تناسل، أو تنقل من صغرٍ إلى كبر كالمعهود من أحوال أولاده.

قيل: هذا غلط لأنه يسقط فائدة التخصيص بآدم لأن الملائكة خلقوا من غير نطفة ولا تناسل وكذلك عيسى خلق من غير نطفة قبله وغير تناسل وقد قال تعالى ﴿**إنَّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تُراب ثم قال له كُن فيكون**﴾

---

(٤١) أخرجه ابن منده في «التوحيد» (١/ ٨٥) عن معاوية بن عمار الدهني عن أبي الزبير عن جابر به. وفيه عنعنه أبي الزبير.

(آل عمران: ٥٩) ولأنا قد استفدنا إبطال قول الدهرية من غير هذا الموضوع وهو قوله خلقته من طين.

وجواب آخر وهو أنه قد روي «خلق آدم على صورة الرحمن» وهذا يمنع رجوع الهاء على آدم، فإن قيل الهاء عائدة على آدم ويكون فائدته إعلامنا أنه لم يكن حادثاً عن توليد عنصرٍ أو تأثير طبعٍ أو فلكٍ أو ليلٍ أو نهارٍ إبطالاً لقول الطبائعيين، أن بعض ما كان عليه آدمُ من هيئاته وصورته لم يخلقه الله عز وجل، بل كان فعل الطبع أو تأثير فلك، فبيَّن بذلك أن الله تعالى هو الخالق لآدم على ما كان فيه من الصُّور والتركيب، وإبطالاً لقول القدرية أن من صفات آدم ما لم يخلقه الله وإنما خلقها آدم لنفسه.

قيل: هذا غلط لما بينَّا وهو أنه يسقط فائدة التخصيص بآدم لأن بقية البشر هذا المعنى موجود فيهم وأن الله تعالى هو الخالق وأنه لا صنع للطبيعة فيها والفلك فيه، ولأنه قد روي في لفظ آخرٍ «خلق آدم على صورة الرحمن».

فإن قيل: إنما خص آدمَ بذلك تنبيهاً على أن من شاركه من المخلوقات في معناه، قيل: هذا غلط لما بينَّا من أن خلق عيسى في معنى خلق آدم بقوله ﴿إنَّ مثلَ عيسى عند الله كمثل آدم﴾ (آل عمران: ٥٩) فلا معنى لتخصيصه بذلك ولأن قوله «خلق آدم على صورة الرحمن» يمنع من ذلك.

فإن قيل: الهاء عائدة على آدم ويكون فائدة إشارة إلى ما تقدم أن الله خلق السعيد سعيداً والشقي شقياً، فلما خلق آدم وقد علم أنه يعصي ويخالف، وكتب ذلك عليه قبل أن خلقه[1] عرفنا ما سبق من قضائه وأنه هكذا خلقه على ما علم منه.

قيل: هذا غلط لما بيَّنا أنه يسقط فائدة التخصيص بآدم لأن ولد آدم مخلوق على ما سبق قضائه من الشقاء والسعادة ولأنه قد روي في لفظ آخر «خلق آدم على صورة الرحمن» فإن قيل: عود الهاء على آدم أولى لأنه أقرب المذكور، قيل: الهاء قد تعود تارة إلى الأقرب وتارة إلى الأبعد قال تعالى ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله

(١) كذا في الأصل: خلقه، ولعل الصواب: يخلقه.

وتعزروه وتوقروه وتسبحوه﴾ (الفتح : ٩) فالهاء في قوله **﴿وتسبحوه﴾** عائدة على اسم الله تعالى، وإن كان أبعد في اللفظ وذكر الرسول أقرب ولأنه لو قال قائل: ولد لفلان، ولد على صورته، عقل من ذلك صورة الأب وإن كان هو الأبعد في الخطاب، ولم يرجع ذلك إلى صفة الولد وإن كان هو الأقرب.

٧٢ ــ وقد صرح أحمد بابطال القول أن الهاء عائدة على آدم فقال في رواية أبي طالب من قال أن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه(٤٢).

٧٣ ــ وقد ذكر عبدالرحمن بن منده في كتاب «الإسلام» فقال قال أبواسحق ابراهيم بن أحمد بن فراس(٤٣) في كتابه عن حمدان بن علي قال سمعت أحمد بن حنبل يقول وسأله رجل فقال: يا أباعبدالله، الحديث الذي رُوي عن النبي ﷺ «أن الله خلق آدم على صورته» على صورة آدم قال فقال أحمد بن حنبل: فأين الذي يُروى عن النبي ﷺ «أن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن عز وجل»، ثم قال أحمد: وأي صورة كانت لآدم قبل أن يُخلق.

٧٤ ــ قال وأنا علي بن يحيى بن جعفر الإمام قال أنا الطبراني قال سمعت عبدالله بن أحمد بن حنبل يقول: قال رجل لأبي إنَّ فلاناً يقول في حديث رسول الله ﷺ «إن الله خلق آدم على صورته» فقال على صورة الرجل قال أبي كذب هذا، هذا قول الجهمية وأي فائدة في هذا(٤٤).

---

(٤٢) تقدم برقم (٢٣).

(٤٣) هو الإمام الكبير شيخ الشافعية وفقيه بغداد أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المروزي، صاحب أبي العباس بن سريج وأكبر تلامذته.
صنف كتابا في السنة، وقرأه بجامع مصر، وحضره آلاف فجرت فتنة، فطلبه كافور فاختفى، ثم أدخل على كافور، فقال: أما أرسلت إليك أن لا تشهر هذا الكتاب فلا تظهره، وكان فيه ذكر الاستواء فانكرته المعتزلة. (تاريخ بغداد (٦/ ١١)، السير (١٥/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠)).

(٤٤) اسناده صحيح، علي بن يحيى بن جعفر هو أبو الحسن ابن عبدكُويه الاصبهاني، قال الذهبي: الشيخ الإمام المحدّث الرحّال الثقة.
مولده سنة بضع وثلاثين وثلاث مئة، وتوفي في المحرم سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة. (العبر (٣/ ١٥٠)، السير (١٧/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩)).

٧٥ ـ قال وروي إسماعيل بن أحمد أبو[1] سعد(٤٥) في كتاب السنة عن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: كنّا بالبصرة عند شيخ فحدثنا بحديث النبي ﷺ «إن الله عز وجل خلق آدم على صورته» فقال الشيخ: تفسيره خلقه على صورة الطين، فحدثت بذلك أبي رحمه الله فقال: هذا جهمي أو قال هذا كلام الجهمية.

٧٦ ـ وقد ذكر أبو محمد بن حيان الأصبهاني في مجموع له في التفسير في سورة «حم عسق» بخط أبي مالك المكي[2] فقال صاحب الكتابة(٤٦) عن حمدان بن الهيثم المديني سمعت أبا مسعود(٤٧) يقول قال أحمد بن حنبل معنى

---

(١) وقع في الأصل: ابن اسعد، والصواب ما أثبتناه إن شاء الله.

(٢) كتب في الأصل في الهامش حرف: «ن» و «طالب» إلى جانب أبي مالك.

(٤٥) هو العلامة شيخ الشافعية أبو سعد إسماعيل بن الإمام أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي الجرجاني الشافعي، صاحب التصانيف.
قال حمزة السَّهمي: كان أبو سعد إمام زمانه، مُقدما في الفقه وأصوله والعربية والكتابة والشروط والكلام، صنّف في الفقه كتاباً كبيراً، وتخرج به جماعة، مع الورع الثخين، والمجاهدة والنصح للإسلام، والسخاء وحسن الخلق، وبالغ السهمي في تعظيمه، قاله الذهبي.
(تاريخ بغداد (٦/٣٠٩ ـ ٣١٠)، السير (١٧/٨٧ ـ ٨٨).

(٤٦) أي أبي الشيخ الأصفهاني.
قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (١/٦٠٢ ـ ٦٠٣): حمدان بن الهيثم عن أبي مسعود أحمد بن الفرات وعنه أبو الشيخ ووثقه، لكنه أتى بشيء منكر عن أحمد بن حنبل في معنى قوله عليه السلام: «إن الله خلق آدم على صورته» زعم أنه قال: صوّر الله صورة آدم قبل خلقه ثم خلقه..
قال يحيى بن منده في مناقب أحمد قال المظفر بن أحمد الخياط في كتاب «السنة»: وحمدان بن الهيثم يزعم أن أحمد قال: صور الله صورة آدم قبل خلقه، وأبو الشيخ يوثقه في كتاب الطبقات.
ويدل على بطلان روايته ما رواه حمدان بن علي الوراق ـ الذي هو أشهر من حمدان بن الهيثم وأقدم ـ أنه سمع أحمد بن حنبل.. (ثم ذكر الرواية التي تقدمت برقم (٤٢)، ورواية الطبراني المتقدمة برقم (٤٣)).
ثم قال الذهبي: وقيل: إن أبا عمر بن عبدالوهاب أبا الشيخ لمكان حكاية حمدان، وقال: إن أردت أن أسلم عليك فأخرج من كتابك حكاية حمدان بن الهيثم اهـ. وانظر «لسان الميزان» (٢/٣٥٦ ـ ٣٥٧).

(٤٧) هو أحمد بن الفرات بن خالد الرازي أبو مسعود الضبي الأصبهاني، سمع يزيد بن هارون وأبا اليمان وعبدالرزاق وأحمد وغيرهم.

حديث النبي ﷺ «إن الله خلق آدم على صورته» قال: صوَّر آدم قبل خلقه ثم خلقه على تلك الصورة، فإما أن يكون الله خلق آدم على صورته فلا، وقد قال الله ﴿ليس كمثله شيء﴾ (الشورى: ١١) ولا نقول إن الله يشبهه شيء من خلقه، ولا يخفى على الناس أن الله خلق آدم على صورة آدم ولا يجوز أن يقال: لله كيف لأن الله لا يوصف بصفة الإنسان وقد قال ﴿ليس كمثله شيء﴾ (الشورى: ١١) فذاك ربنا عز وجل ليس كمثله أحد من خلقه.

٧٧ – قال أبوطالب المكي هذا توهم عن أحمد إنما هذا قول أبي ثور فذُكِر ذلك لأحمد فأنكر عليه وقال: ويله وأي صورة كانت لآدم حتى خلقه عليها يقول إن الله خلق على مثال، ويله فكيف يصنع بالحديث الآخر «أن الله خلق آدم على صورة الرحمن».

فهذا هو المحفوظ من قول أحمد، وإنما التبس القولان فنسب ذلك إلى أحمد لأن أباثور كان سُئل عن قوله «خلق آدم على صورته» فقال الهاء عائدة على آدم.

فإن قيل: الزيادة المذكورة في حديث ابن عمر «خلق آدم على صورة الرحمن» غير صحيحة، وقد قال أحمد في رواية المروذي: الأعمش يقول عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن ابن عمر «إن الله خلق آدم على صورة الرحمن» وأما الثوري فيوقفه يعني حديث ابن عمر، وقد رواه أبوالزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «على صورته»(٤٨) فيقول كما جاء فقد بين أحمد أن

= وروى عنه أبو داود وابن أبي عاصم وجعفر الفريابي ومحمد وعبدالرحمن ابنا يحيى بن منده وغيرهم.

جاء عن أحمد أنه قال: ما تحت أديم السماء أحفظ لأخبار رسول الله ﷺ من أبي مسعود، وقال علي بن المديني: كان من الراسخين في العلم.
وقال الحافظ في التقريب: ثقة حافظ تكلم فيه بلا مستند.
(طبقات الحنابلة (١/٥٣ - ٥٥)، التهذيب (١/٦٦ - ٦٧)).

(٤٨) صحيح، أخرجه أحمد (٢/٢٤٤) والآجري في الشريعة (ص٣١٤) والبيهقي في الأسماء (ص٢٩٠) عن سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، فإن الله تعالى خلق آدم على صورته».
واسناده صحيح على شرط الشيخين.

بعضهم وقفه وبعضهم وصله، قيل هذه الزيادة صحيحة ثابتة، حدثنا بها أبوالقسم عبدالعزيز من الطريق الذي ذكرنا، وذكرها أبوالحسن الدارقطني فيما خرَّجه من أخبار الصفات، وذكرها أبوبكر أحمد بن سلمان النجاد في «السنة»(٤٩) وذكرها أبوعبدالله بن بطة(٥٠) في كتاب «الإبانة» ولا يجوز أن يتطابق هؤلاء الحفاظ على نقل زيادة باطلة أو ضعيفة، والذي حكاه أحمد عن الثوري وأنه وقفها لا يدل على ضعفها لأنه لا يجوز أن لا تقع له هذه الزيادة وتقع لغيره، ومثل هذا لا ترد به الأخبار.

٧٨ ــ وعلى أن أباالقسم عبدالرحمن بن منده روى عن حمدان بن علي قال سمعت أحمد يقول وسأله رجل عن الحديث الذي رُوى عن النبي ﷺ «إن الله خلق آدم

---

(٤٩) هو الإمام المحدث الحافظ الفقيه المفتي، شيخ العراق، أبو بكر أحمد بن سلمان بن الحسن البغدادي، الحنبلي النَّجاد.
سمع أبا داود السجستاني وأحمد بن ملاعب وابن أبي الدنيا والترمذي وغيرهم. حدث عنه: أبو بكر القطيعي وابن شاهين والدارقطني وابن منده والخطابي والحاكم وأبو بكر بن مردويه وغيرهم.
قال الخطيب: كان النجاد صدوقاً عارفاً، صنف «السنن». (وصفه الذهبي بأنه كبير).
وقال الدارقطني: حدث النجاد من كتاب غيره بما لم يكن في أصوله.
قال الخطيب: كان قد أضر، فلعل بعضهم قرأ عليه ذلك.
توفي وقد كُفَّ بصره لعشر بقين من ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة.
(تاريخ بغداد (١٨٩/٤ ـ ١٩٢)، طبقات الحنابلة (٧/٢ ـ ١٢)، السير (٥٠٢/١٥ ـ ٥٠٥).
(٥٠) هو الإمام القدوة المحدث شيخ العراق، أبو عبدالله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي، ابن بطة.
روى عنه: أبي القاسم البغوي وابن صاعد وأبي ذر بن الباغندي والقاضي المحاملي، حدث عنه: أبو الفتح بن أبي الفوارس وأبو نعيم الأصبهاني وعبيدالله الأزهري وعبدالعزيز الأزجي وغيرهم.
قال الخطيب: حدثني أبو حامد الدّلوي قال: لما رجع ابن بطة من الرحلة لازم بيته أربعين سنة، لم ير في سوق ولا رؤي مفطراً إلا في عيد، وكان أمّارا بالمعروف، لم يبلغه خبر منكر إلا غيّره.
قال الذهبي: لابن بطة مع فضله أوهامٌ وغلط.
توفي سنة سبع وثمانين وثلاث مئة.
(تاريخ بغداد (٣٧١/١٠ ـ ٣٧٥)، طبقات الحنابلة (١١٤/٢ ـ ١٥٣)، السير (٥٢٩/١٦ ـ ٥٣٣)).

على صورته» على صورة آدم، فقال أحمد فأين الـذي يروى عن النبي ﷺ «إن الله خلق آدم على صورة الرحمن»، وهذامن أحمد دليل على صحته.

فإن قيل لا يجوز أن تكون هذه الزيادة صحيحة لأنـه لا يجوز هـذا في اللغة لأن ما تقدم ذكره بالإسم الظاهر فإنه إذا أعيد ذكره كني عنه بالهـاء من غير إعـادة اسمه الظاهر كقولك: زيد ضرب عبده ولا يقال زيد ضرب عبد زيد والمراد بزيد الثاني[1] الأول، وإذا لم يكن سائغاً من جهة اللغة، لم يكن للإستعمال له وجه.

قيـل: هذا غلط لأنـه قد يصح ذلك في العـربية وقـد ورد بذلـك القـرآن وأشعار العرب قال تعالى ﴿يوم نَحشرُ المتَّقين إلى الرحمن وَفْداً﴾ (مـريم: ٨٥) ولم يقل إلينا أو اليه، وكان يجب على ما قالوه أن يقـول إلينا لئـلا يعيد الإسم الأول، لأن النـون هي اسم الـرحمن وقـال تعـالى ﴿ويـوم يحشرهم[2] ومـا يَعْبُـدون من دون الله﴾ (الفـرقان: ١٧) ولم يقـل: وما يعبـدون من دوننـا وقـال تعـالى ﴿فـلا تضربـوا لله الأمثال إنَّ الله يعلم﴾ (النحـل: ٧٤) ولم يقـل أنـه يعلم وقـال تعـالى ﴿ولئن سـألتهم من خلق السمـوات والأرض ليقـولـن الله قـل الحُمـدلله﴾ (لقمان: ٢٥) ولم يقل الحمد له، وقال الشاعر وهو عدي بن زيد(*):

لا أرى المـوت يسبق المـوت شيء ... نغَّص المـوت ذا الغـنى والفـقـرا

فأعاد ذكر الموت بلفظه، ولم يكنِّ عنه بـالهاء ولم يقـل لا أرى الموت يسبقـه شيء، وقال المتلمس(**):

فـأطرق إطـراق الشجاع ولـو يرى ... مسـاغـاً لِنَـابيـه الشجـاع لصمـما

فأعاد ذكر الشجاع بلفظه.

(١) في الأصل: المراد بزيد بالثاني، ولا يستقيم.
(٢) في الأصل: نحشرهم وهو خطأ.

(*) عـدي بن زيد بن حمـار بن زيد يكنى أبـا عمير، نصراني عبـادي، سكن الحيرة فلان لسانه وسهل منطقه، وكان كاتباً لكسرى (معجم العشراء (ص٢٤٩ ـ ٢٥٠) للمرزباني).
(**) هـو جـريـر بن عبـدالمسيـح الضبعي، من ربيعـة بن نـزار. (المؤتلف والمختلف للحسن بن بشر الآمدي ص ٧١).

فإن قيل: فالهاء ترجع على الله على وجهه وهو قوله على «صورة الرحمن» بمعنى على صفاته فيكون معنى الصورة معنى الصفة كما يقال عرِّفني صورة هذا الأمر أي صفته، وذلك أن الله تعالى حي، عالم، قادر، سميع، بصير متكلم مريد خلق آدم على صفته مما هي صفات الله تعالى حياً عالماً قادراً سميعاً بصيراً متكلماً مختاراً مريداً فميَّزه من الجماد ومن البهائم، وميزه من الملائكة بأن قدَّمه عليهم وأسجدهم له.

ويبين صحة هذا قوله تعالى ﴿**ولقد خلقناكم ثم صَوَّرناكم**﴾ (الأعراف: ١١) فعطف الصورة على خلق البُنية[٥١].

قيل حمله على هذا يُسقط فائدة التخصيص بآدم لأن جميع ولد آدم بهذه الصفات لهم حياة وعلم وقدرة وسمع وبصر وكلام وإرادة وكذلك الملائكة لهم هذه الصفات.

فأما قوله ﴿**ولقد خلقناكم ثم صورناكم**﴾ فيحتمل أن يكون معناه خلقناكم فصورناكم، كما قال تعالى في السورة التي يذكر فيها المؤمن ﴿**الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوَّركم فأحسن صوركم**﴾ (غافر: ٦٤). وقال تعالى في السورة التي يذكر فيها التغابن ﴿**خلق السموَّات والأرض بالحقِّ وصوَّركم فأحسنَ صُوركم**﴾ (التغابن: ٣) يبين صحة هذا أن هذه الصفات ليست غير ذاته.

فإن قيل:قوله «على صورة الرحمن» معناه: على مصور الرحمن، كما يقال هذه الدار صورةُ فلانُ البنَّاء معناه: مصوره فسمى الصورة باسم صورته.

قيل: هذا غلط لأنه يسقط فائدة التخصيص بآدم لأن جميع الخلق على مصور الرحمن.

---

(٥١) ذكره الحافظ في الفتح (١١/٣).

فـإن قيل: معنى قـوله «عـلى صورة الـرحمن» أن أسجـد لـه مـلائكتـه كـما أسجدهم لنفسه قيل: لا يصح هذا من وجوه: أحـدها أن في روايـة ابن شاهـين «فإن الله خلق وجه آدم على صورته».

الثاني:أن الصورة عبارة عما اختصت الـذات، ولهذا قـال تعالى ﴿صـوَّركم فأحْسَنَ صُوركم﴾ والسجود له يرجع إلى المرتبة والـرفعة فـلا يوصف بـالصورة، ولهذا يقال: رأيتُ الأمير في مرتبةٍ حسنة، اذا رآه وقـد سجد لـه جنده، ويقـول: رأيته في صورة حسنة يريد بذلك معنى يرجع إلى ذاته في اللون والقد ونحوه.

الثـالث:أن سجود المـلائكة لـه يقتضي اختصاصـه بمزيـة وذلك لا يـوجب المشاركة في تسمية الصورة كما لم يوجب ذلك في حق عيسى مع اختصاصه بـإحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص، وهـذا يدل عـلى أن هذه تسميـةٌ شرعيةٌ لا يعقـل معناها.

وقد قال أحمد في رواية المروذى أما الأعمش فيقول عن حبيب بن أبي ثابت عن عـطاء عن ابن عمـر عن النبي ﷺ «إن الله خلق آدم عـلى صـورة الـرحمن» فنقول كما جاء الحديث.

٧٩ ــ وقـد ذكر أبـو إسحاق بن شـاقـلا[٥٢] في جملة مـا جـرى لـه في منـاظـرتـه لأبي سليمان الدمشقي على قول النبي ﷺ «خلق آدم عـلى صورتـه» وأن الهاء غـير راجعة على آدم فقال أبوسليمان قد جـاء في الحديث عن أبي هـريرة عن النبي ﷺ

---

(٥٢) هو شيخ الحنابلة أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شاقلا البغدادي البـزاز، كان رأساً في الأصول والفروع.
سمع من: دعلج السجزي وأبي بكر الشافعي وتفقه بأبي بكر غلام الخلال، وتخرج به أئمة.
مات سنة تسع وستين وثلاث مئة.
(تاريخ بغداد (١٧/٦)، طبقات الحنابلة (١٢٨/٢ ـ ١٣٩)، السير (٢٩٢/١٦)).
والحكاية ذكرها ابن المصنف في «طبقات الحنابلة» فقال: قرأت بخط الـوالد السعيـد قال: نقلت من خط أبي بكـر بن شاقـلاً قال: أخـبرنا أبـو إسحاق بن شـاقلا ـ قـراءه عليه ـ قـال: قلت لأبي سليمان الدمشقي.. فذكر مناظرة طويلة، منها ما ذكره المصنف هنا، وهي موجـودة في الطبقـات بأبسط من هذا السياق.

«أن الله خلق آدم على صورة آدم»، فقال أبواسحاق: هذا كذب على رسول الله، فقال الدمشقي: بلى قد جاء في الحديث «طوله ستون ذراعاً»(٥٣) فعلمت أنه آدم، فقال له أبواسحاق: قد روى هذا وليس هو الذي ادعيت على رسول الله ﷺ لأنك قلت عن النبي ﷺ «إن الله خلق آدم على صورة آدم» ثم قال أبواسحق: إن كانت هذه الزيادة محفوظة كان قوله «خلق آدم على صورته» تمَّ الكلام، ثم قال «طوله ستون ذراعاً» إخباراً عن آدم بدلالة ما روى جرير عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطا عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ «لا تقبحوا الوجوه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن». قال أبواسحق هذا الحديث يذكر اسحق بن راهوية أنه صحيح مرفوع. وأما أحمد فذكر أن الثوري وقفه على ابن عمر وكلاهما حجة لأنه إن كان مرفوعاً فقد سقط العذر، وإن كان من قول ابن عمر فهو أولى.

٨٠ ــ ورأيت في أخبار أبي الحسن بن بشار الشيخ الزاهد(٥٤) رواية أبي حفص عمر بن أحمد بن إبراهيم البرمكي(٥٥) عن أبيه قال: كنت أسمع الشيخ إذا دعا يقول في دعائه: اللهم صل على أبينا آدم الذي خلقته بيدك وأنحلته صورتك وأسجدت له ملائكتك، وزوجته حواء أمتك، فسبق عليه قضاؤك وقدرك فأكل من الشجرة وأهبطته إلى أرضك. وهذا من أبي الحسن استنباط من لفظ الخبر وناهيك بأبي الحسن من زاهد وعالم.

---

(٥٣) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٢/٣١٥) والبخاري (٦/٣٦٢) (١١/٣) ومسلم (٤/٢١٨٣ - ٢١٨٤) كلهم عن عبدالرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ: «خلق الله عز وجل آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر، وهم نفرٌ من الملائكة جلوس، فاستمع ما يجيبونك، فإنها تحيتك وتحية ذُريَّتك، قال: فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، قال: فزادوه ورحمة الله، قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، وطوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن».

(٥٤) ستأتي ترجمته برقم (١٣) ص ١٤٥.

(٥٥) هو عمر بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو حفص البرمكي، سمع من أحمد بن عثمان الأدمي وإسماعيل بن علي الحطبي ونحوهما.

قال الخطيب: حدثنا عنه ابنه علي، وكان ثقة صالحاً ديناً، سألت إبراهيم بن عمر البرمكي عن =

حديث آخر في الصورة

٨١ ــ أخبرناه أبوعبدالله الحسين بن أحمد بن جعفر البغدادي الزاهد قال نا أحمد بن جعفر بن حمدان قال نا أبوالعباس البراثي[١] قال نا عثمان بن أبي شيبة قال نا جرير عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء بن أبي رباح عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ «لا تقبحوا الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن»[٥٦].

٨٢ ــ وأنا الحسين ابن أحمد قال نا أحمد بن جعفر قال نا أبوعلي بشر بن موسى بن صالح الأسدي قال نا أبوزكريا يحيى بن اسحاق قال نا ابن لهيعة عن أبي يونس عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإن وجه بن آدم على صورة الرحمن»[٥٧].

---

(١) وقع في الأصل: البراتي، والتصويب من اللباب وتاريخ بغداد.

= وفاة أبيه فقال: في جمادي الأولى من سنة تسع وثمانين وثلاث مئة.
(تاريخ بغداد (١١/٢٦٨ ـ ٢٦٩)).

(٥٦) تقدم الكلام عليه برقم (٢٦) في الفصل السابق.
وشيخ المصنف هو المعروف بابن البغدادي، قال الخطيب: سمع أبا عبدالله بن إسحاق بن إبراهيم البغوي وطبقته وحدث بشيء يسير، كتب عنه صاحبنا أبو يعلى محمد بن الحسن بن العباس الكرخي، وكان صدوقاً ديناً عابداً زاهداً ورعاً. (تاريخ بغداد (٨/١٥)).
وأبي العباس البراثي هو أحمد بن محمد بن خالد بن يزيد، سمع علي بن الجعد وعبدالله بن عون الخزاز وكامل بن طلحة وغيرهم، روى عنه محمد بن مخلد وإسماعيل بن علي الخطبي ومحمد بن عمر بن الجعابي وغيرهم.
قال الدارقطني: ثقة مأمون.
مات سنة اثنتين وثلاث مئة.
(تاريخ بغداد (٥/٣)).

(٥٧) اسناده ضعيف، أخرجه ابن أبي عاصم (١/٢٣٠) عن ابن لهيعه عن أبي يونس سليم بن جبير عن أبي هريرة مرفوعاً به ولفظه «من قاتل فليجتنب الوجه فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن».
ورجاله ثقات، سوى ابن لهيعة فإنه ساء حفظه بعد احتراق كتبه.

٨٣ ـ ورواه أبوبكر الخلال والدارقطني بإسناده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه فإن صورة الإنسان على صورة الرحمن»(٥٨).

٨٤ ـ ورواه ابن بطة باسناده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن صورة الإنسان على وجه الرحمن».

٨٥ ـ وذكر ابراهيم بن عبدالله بن الجنيد الختلي في كتاب العظمة بإسناده عن ابن عباس قال: غضب موسى على قومه في بعض ما كانوا يسئلونه، فلما نزل الحجر قال: اشربوا يا حمير، فأوحى الله إليه: تعمد الى عبيدٍ من عبيدي خلقتهم على مثل صورتي فتقول اشربوا يا حمير، قال: فما برح حتى أصابته عقوبة(٥٩).

اعلم أنه يجب أن يحمل قوله فإن ابن آدم، وإن وجه ابن آدم خلق على صورة الرحمن المراد به: آدم، فحذف المضاف وهو آدم وأقام المضاف إليه وهو ابن آدم مقامه، وقد جاء القرآن بهذا قال تعالى في سورة الكهف **﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة﴾** (الكهف: ٣٧) وتقديره خلق أباك آدم من تراب ثم أنشأك من نطفة. وكذلك قال تعالى **﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب ثم من نطفة﴾** (الحج: ٥) وتقديره خلق أباكم آدم من تراب ثم أنشأكم من نطفة، هكذا ذكره

---

(٥٨) اسناده ضعيف، أخرجه الدارقطني في «الصفات» (٤٩) عن ابن لهيعة عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظه السابق وأوله «إذا ضرب أحدكم فليجتنب. . .»

(٥٩) اسناده ضعيف، أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «الصمت» (٣٤٩) قال حدثنا سعيد بن سليمان عن أبي حفص الأبار عن الأعمش عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن موسى عليه السلام كان في نفر من بني إسرائيل فقال: اشربوا يا حميرا! فأوحى الله إليه: تقول لخلق من خلقي خلقتهم: اشربوا يا حميرا! وذكره ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص١٥٠).

وفيه حكيم بن جبير الأسدي الكوفي، ضعيف رمي بالتشييع.

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١٧٦/١) إلى ابن أبي شيبة عن مجاهد.

أبوبكر من أصحابنا في تفسيره[٦٠].

وقال تعالى ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم﴾ (الأعراف: ١٧٣)[١]. وتقديره أخذ ربك من ظهر آدم الذرية وأضاف ذلك إلى بنيه، يدل عليه ما رواه أبوبكر في كتاب التفسير بإسناده عن عمر بن الخطاب أنه سُئل عن هذه الآية: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم﴾ فقال عمر سمعت رسول الله ﷺ قال «إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء إلى الجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء إلى النار وبعمل أهل النار يعملون»[٦١] وذكر الخبر.

---

(١) في الأصل: «ذرياتهم» على الجمع وهي قراءة البصريان وابن عامر. (النشر في القراءات العشر (٢/٣٧٧)).

(٦٠) هو الحافظ المجود العلامة، محدث أصبهان، أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك الأصبهاني، صاحب «التفسير الكبير» (في سبع مجلدات)، و«التاريخ» و«الأمالي» الثلاث مئة مجلس وغير ذلك.
روى عن أبي سهل بن زياد القطان، وميمون بن إسحاق وعبدالله بن إسحاق الخراساني وإسماعيل بن علي الخطبي وأبي أحمد العسال والطبراني وخلق.
حدث عنه: أبو بكر محمد بن إبراهيم المستملي العطار وعبدالوهاب وعبدالرحمن ابنا الحافظ ابن منده.
قال الذهبي: كان من فرسان الحديث، فهما يقظاً متقناً، كثير الحديث جداً ومن نظر في تواليفه، عرف محله من الحفظ، ومن تصانيفه «المستخرج على صحيح البخاري».
(تاريخ أصبهاني (١/١٦٨)، طبقات المفسرين للداوودي (١/٩٣ - ٩٤)، السير (١٧/٣٠٨ - ٣١١)).

(٦١) صحيح لشواهده، أخرجه مالك في الموطأ (٢/٨٩٨ - ٨٩٩) وأحمد في مسنده (١/٤٤ - ٤٥) والبخاري في التاريخ (٨/٩٧)، وأبو داود (٥/٧٩)، والترمذي (٥/٢٦٦)، وابن جرير في تفسيره (٩/٧٧) وابن حبان في صحيحه (٨/١٤)، والأجري في الشريعة (ص١٧٠) والحاكم (١/٢٧) (٢/٥٤٤) والبيهقي في الأسماء (ص٣٢٥) كلهم عن مالك بن أنس عن زيد بن أبي أنيسة عن عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية.. فذكره، وله بقية حذفها المصنف اختصارا.
قال الترمذي: هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا =

= الاسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً مجهولاً اهـ.
وقال الذهبي متعقباً تصحيح الحاكم: فيه ارسال، وكذا قال البيهقي.
قلت: وأما الترمذي فيشير إلى ما أخرجه أبو داود (٥/ ٨٠) وابن جرير في تفسيره (٩/ ٧٧ ـ ٧٨) عن بقية عن عمرو بن جعثم القرشي حدثني زيد بن أبي أنيسة عن عبدالحميد بن عبدالرحمن عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر به.
ونعيم هو الأزدي لم يوثقه إلا ابن حبان كعادته في توثيق المجهولين.
قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٦٣): الظاهر أن الإمام مالكاً إنما أسقط ذكر نعيم بن ربيعة عمداً لما جهل حال نعيم ولم يعرفه فإنه غير معروف إلا في هذا الحديث ولذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهم، ولهذا يرسل كثيراً من المرفوعات ويقطع كثيراً من الموصولات والله أعلم.
لكن للحديث شواهد كثيرة عن عدة من الصحابة والتابعين، منها:
١ ــ حديث عبدالرحمن بن قتادة السلمي رضي الله عنه:
أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٣٠) (٧/ ٤١٧) وأحمد (٤/ ١٨٦) وابن حبان (١٨٠٦ ـ موارد) والحاكم (١/ ٣١ ـ ٣٢) عن معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن عبدالرحمن بن قتادة وكان من أصحاب النبي ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: خلق الله آدم ثم خلق الخلق من ظهره ثم قال: هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي، قال فقيل: يا رسول الله! فعلى ماذا نعمل؟ قال: «على موافقة القدر».
قال الحاكم: حديث صحيح قد اتفقا على الاحتجاج برواته عن آخرهم إلى الصحابة، وعبدالرحمن بن قتادة من بني سلمة من الصحابة، ووافقه الذهبي.
قلت: بل سنده حسن فقط، لأجل معاوية بن صالح وهو الحضرمي صدوق له أوهام كما في التقريب، وقول الحاكم: قد اتفقا على الاحتجاج برواته فإن معاوية بن صالح لم يخرج له البخاري في الصحيح وإنما خرج له في «جزء القراءة»، وراشد بن سعد وهو المقرئي ثقة، روى له البخاري في «الأدب المفرد» وليس من رجال مسلم!
وعبدالرحمن بن قتادة السلمي ذكره ابن أبي حاتم في كتابه (٥/ ٢٧٦) وذكر حديثه هذا مصرحاً بسماعه من النبي ﷺ وقال: روى عن هشام بن حكيم، روى عنه راشد بن سعد.
قلت: إنما روى عن أبيه عن هشام بن حكيم هذا الحديث، أخرجه البزار (٣/ ٢٠ ـ زوائد) وابن جرير في تفسيره (٩/ ٨١ ـ ٨٢) والطبراني في «الكبير» (   ) والبيهقي في «الأسماء» (ص٣٢٦) عن الزبيدي محمد بن الوليد عن راشد بن سعد عن عبدالرحمن بن قتادة عن أبيه عن هشام بن حكيم قال أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! ايبتدأ الأعمال أم قد قضى القضاء؟ فذكر نحو الحديث السابق.
قلت: قال البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ٣٤١) بعد ذكره لهذه الرواية: وقال معاوية مرة: عبدالرحمن بن قتادة سمعت النبي ﷺ وهو خطأ.
وقال ابن السكن ـ كما في الإصابة (٢/ ٤١٨) ـ: الحديث مضطرب! =

= فردّه الحافظ بقوله: ويكفي في إثبات صحبته الرواية التي شهد له التابعي بأنه من الصحابة فلا يضر بعد ذلك إن كان سمع حديث من النبي ﷺ أو بينهما واسطة.

٢ ــ حديث ابن عباس رضي الله عنهما:

أخرجه أحمد (١/٢٧٢) وابن جرير في «تفسيره» (٩/٧٥) وابن أبي عاصم في السنة (١/٨٩) والنسائي في التفسير من «الكبرى» ـ كما في التحفة (٤/٤٤٠) ـ والحاكم (١/٢٧ ـ ٢٨) والبيهقي في «الأسماء» (ص٣٢٦ ـ ٣٢٧) عن الحسين بن محمد المروذي عن جرير بن حازم عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «أخذ الله تبارك وتعالى الميثاق من ظهر آدم عليه السلام «بنَعمان» ـ يعني بعرفة ـ فلما أخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلاً فقال: (ألست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إلى قوله بما فعل المبطلون).

قال النسائي: كلثوم هذا ليس بالقوي، وحديثه ليس بالمحفوظ.

وقال الحاكم: حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه، وقد احتج مسلم بكلثوم بن جبر، ووافقه الذهبي.

قلت: وثقة أحمد وابن معين وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحافظ: صدوق يخطىء.

قال ابن كثير في تفسيره (٢/٢٦٢) عقب ذكر كلام الحاكم:

هكذا قال، وقد رواه عبدالوارث عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فوقفه، وكذا رواه إسماعيل ووكيع عن ربيعة بن كلثوم بن جبر عن أبيه، وكذا رواه عطاء بن السائب وحبيب بن أبي ثابت وعلي بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وكذا رواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس فهذا أكثر وأثبت والله أعلم اهـ.

قلت: وروايته موقوفاً لا يضر إن شاء الله، فالحديث له شواهد كثيرة مرفوعة، ثم هو مما لا يقال بالرأي.

وهذا ما اختاره العلامتان أحمد شاكر رحمه الله في عمدة التفسير (٥/٢٤٣) والمسند (٢٤٥٥) والألباني حفظه الله في الصحيحة (١٦٢٣).

٣ ــ حديث أنس رضي الله عنه:

أخرجه أحمد (٣/١٢٧، ١٢٩) والبخاري (٦/٣٦٣) ((١١/٤١٦) ومسلم (٤/٢١٦٠ ـ ٢١٦١) وغيرهم عن شعبة عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذاباً: لو كانت لك الدنيا وما فيها، أكنت مفتدياً بها؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك ـ (أحسبه قال) ـ ولا أدخلك النار فأبيت إلا الشرك».

ورواه البخاري (١١/٤٠٠) ومسلم (٤/٢١٦١) عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بنحوه دون ذكر: صلب آدم.

٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ حديث عبدالله بن سلام وأبي الدرداء وحديث رجل من أصحاب النبي ﷺ وسيأتي =

فقد فسر النبي ﷺ أن الأخذ كان من ظهر آدم وإن كانت الإضافة إلى بنيه. فإن قيل: فلم أضاف الفعل إلى بنيه والفعل كان واقعاً فيه. قيل: لأن الفعل كان واقعاً عليه وعلى بنيه لأنه استخرج كل ذرية تخلق إلى يوم القيامة من ظهره ومن ظهر ذريته فيجوز أن تكون الإضافة حصلت إليهم لأنهم الأكثر.

ومثل هذا قوله تعالى **﴿فلما آتاها صالحاً﴾** يعنى آدم وحواء **﴿جعلا له شركا فيما آتاهما﴾** يعني لما ولد لهما ولداً سموه عبدالحارث الذي هو إبليس(٦٢) فقال سبحانه **﴿فتعالى الله عما يشركون﴾** (الأعراف: ١٩٠) يعني إضافتهم الولد إلى عبدالحارث وحصلت الكناية عنهم بلفظ الجمع لأنها لو رجعت إليهما لكانت بلفظ التثنية فيقول: فتعالى عما يشركان.

وقال تعالى **﴿ولقد خلقناكم ثم صَوَّرناكم﴾** (الأعراف: ١١) والمراد بذلك آدم(٦٣).

= تخريجها والكلام عليها في الكلام على صفة «القبض».
فالحديث يصح بهذه الطرق التي ذكرناها، وله طرق أخرى أنظرها في تفسير ابن جرير (٩/٧٥ ـ ٨١) «الأسماء والصفات» للبيهقي (ص٣٢٦ ـ ٣٢٨) وتفسير ابن كثير (٢/٢٦١ ـ ٢٦٤) و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/٥٩٨ ـ ٦٠٧) و«الصحيحة» للألباني (٤٨، ٤٩، ١٦٢٣).

(٦٢) روي في ذلك حديث مرفوع ضعيف، أخرجه أحمد (٥/١١) والترمذي (٥/٢٦٧) وابن جرير في تفسيره (٩/٩٩) والحاكم (٢/٥٤٥) عن عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال: «لما حملت حوّاء طاف بها إبليس ـ وكان لا يعيش لها ولد ـ فقال: سمِّيه عبدالحارث، فسمَّته عبدالحارث، فعاش ذلك، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره».
وعزاه السيوطي في الدر (٣/٦٢٣) إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردوية.
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة، ورواه بعضهم عن عبدالصمد ولم يرفعه، عمر بن إبراهيم شيخ بصري اهـ.
وقال الحاكم: صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي!
كذا قالا! وفيه عمر بن إبراهيم وهو العبدي أبو حفص، قال أحمد: وهو يروي عن قتادة أحاديث مناكير يخالف، وقال ابن عدي: يروي عن قتادة أشياء لا يوافق عليها، وحديثه خاصة عن قتادة مضطرب (التهذيب ٧/٤٢٦).

(٦٣) واختاره ابن جرير (٨/٩٥) بدليل قوله تعالى بعدها **﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم..﴾**.

وقد ذكر ابن قتيبة هذا في مختلف الحديث أن معنى قول ﴿خلقناكم﴾ المراد به خلقنا آدم .

فإن قيل : إذا حملتم الكلام على آدم كان ذلك تأويلاً للخبر وقد منعتم من التأويل .

قيل : ليس هذا بتأويل وإنما هو بيان أن هناك محذوف مقدَّر يشهد لظاهر القرآن ونحن لا نمنع من ذلك ، وهذه طريقة صحيحة ويكون لآدم مزية بالذكر على ذريته .

حديث آخر في الصورة

٨٦ ـ رواه أبوبكر الخلال(٦٤) بإسناده في سننه فقال أنا العباس بن محمد الدوري قال نا أبوداود المباركي قال نا حماد بن دليل عن سفيان بن سعيد عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب ان عبدالرحمن بن سابط قال حماد بن دليل حدثني الحسن بن حي عن عمرو بن مرة عن عبدالرحمن بن سابط عن أبي ثعلبة الخشني عن أبي عبيدة بن الجراح عن النبي ﷺ قال «لما كانت ليلة أسري بي رأيت ربي في أحسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال قلت لا أدري، فوضع يده حتى وجدت فذكر كلمة ذهبت عني. ثم قال فيم يختصم الملأ الأعلى وذكر الخبر(٦٥).

---

(٦٤) هو الشيخ الثقة الرئيس أبو بكر محمد بن عبدالرحمن بن عبيد الله الطائي الدمشقي الداراني القطان، ويعرف بابن الخلال، حدث عن خيثمة الاطرابلسي وأبي ميمون بن راشد، وأبي الحسن بن حذلم وإسحاق بن إبراهيم الأذرعي وجماعة.

روى عنه: علي بن محمد الحنائي وأخوه إبراهيم، وأبو علي الأهوازي وأبو سعد السّمان والقاضي أبو يعلى بن الفراء وغيرهم.

قال الكتاني: توفي شيخنا أبو بكر القطان في سنة ست عشرة وأربع مئة.

قال: وكان ثقة نبيلاً.

(السير (١٧/ ٣٩٩)، الوافي بالوفيات (٣/ ٢٣٠).

(٦٥) اسناده ضعيف، أخرجه الخطيب في تاريخه (٨/ ١٥١ ـ ١٥٢).

وفيه عبدالرحمن بن سابط وهو الجمحي المكي، ثقة كثير الارسال، وفي سماعه من أبي ثعلبة، الخشني نظر، فقد قيل أنه لم يسمع منه. (التهذيب (٦/ ١٨٠)، وانظر الإصابة (٣/ ١٤٨ ـ ١٤٩)).

والحديث له طرق أخرى يصح بها، وسأل الترمذي البخاري عنه فقال: هذا حديث حسن صحيح، (راجع التعليق على الوصية الكبرى بتحقيقنا (٢٢)).

اعلم أن الكلام في هذا الخبر في فصولٍ: أحدها في إثبات ليلة الإسراء وصحتها.

الثاني في إثبات رؤيته لله تعالى في تلك الليلة.

الثالث في وضع الكف بين كتفيه.

الرابع في إطلاق تسمية الصورة عليه.

الخامس قوله لا أدري لمَّا سأله فيم يختصم الملأ الأعلى.

أما الأول فهو أن الإسراء من مكة إلى بيت المقدس ومن بيت المقدس إلى السموات صحيح وأنه كان يقظة، وقد نص أحمد على هذا في رواية المروذي، وحكي له عن موسى بن عقبة أنه قال: إن أحاديث الإسراء منام، فقال: هذا كلام الجهمية، وجمع أحاديث الإسراء فأعطانيها وقال: منام الأنبياء وحي.

٨٧ ــ وقال يعقوب بن بختان سألت أبا عبدالله عن المعراج فقال: رؤيا الأنبياء وحي. فقد أثبت ليلة الإسراء وأنكر قول من قال إنها منام، وقوله: رؤيا الأنبياء وحي معناه: أنها لو كانت مناماً لكانت وحياً لأنهم[1] أعينهم تنام وقلوبهم لا تنام[٦٦].

والدلالة على صحته وإثباتها وجوه أحدها: قوله تعالى ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى**﴾ (الاسراء: ١)

(١) كتبت في الأصل: لأهم وفوقها: ن أي: لأن.

(٦٦) يشير إلى الحديث الصحيح وهو قوله ﷺ عندما سألته عائشة رضي الله عنها: «يا رسول الله! تنام قبل أن توتر؟ قال: تنام عيني ولا ينام قلبي». أخرجه أحمد (٦/٣٦، ٧٣، ١٠٤) والبخاري (٣/٣٣) (٤/٢٥١) (٦/٥٧٩) ومسلم (١/٥٠٩). وفي الباب عن أنس وأبي هريرة وأبي بكرة.

وهذا يدل على ثبوت الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ويدل على ثبوته إلى السماء قوله تعالى ﴿**وهو في الأفق الأعلى**﴾ (النجم: ٧). فإن قيل: المراد به جبريل قيل: بل المراد به النبي ﷺ لأنه تقدم ذكر النبي ﷺ وذكر جبريل بقوله ﴿**ما ضلّ صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى**﴾ (النجم: ٢ ـ ٤) هذا كله كناية عن النبي ﷺ وقوله بعده ﴿**علّمه شديدُ القوى ذو مرةٍ**﴾ (النجم: ٥ ـ ٦) المراد به جبريل وقوله ﴿**فاستوى**﴾ يعني النبي ﷺ استوى على الشريعة ثم قال بعد ذلك ﴿**وهو بالأفق الأعلى**﴾ (النجم: ٧) فعادت الكناية إلى أقرب المذكور وهو النبي ﷺ(٦٧).

---

(٦٧) قال ابن جرير في تفسيره (٢٧/٢٦): وقوله ﴿**فاستوى وهو بالأفق الأعلى**﴾، يقول: فاستوى هذا الشديد القوي وصاحبكم محمد بالأفق الأعلى، وذلك لما أسري برسول الله ﷺ، استوى هو وجبريل عليهما السلام بمطلع الشمس الأعلى، وهو الأفق الأعلى. وعطف بقوله ﴿**وهو**﴾ على ما في قوله ﴿**فاستوى**﴾ من ذكر محمد ﷺ اهـ.
قال هذا بعد أن ذكر القول الأول في تفسيرها، وهو أن معنى ﴿**ذو مرة فاستوى**﴾ أي جبريل عليه السلام ذو خلقةٍ سليمة من الآفات والعاهات، سَويَّة صحيحة اهـ.
وضعّف ابن كثير قول ابن جرير الثاني فقال في تفسيره (٤/٢٤٧): وقد قال ابن جرير ههنا قولا لم أره لغيره، ولا حكاه هو عن أحد وحاصله أنه ذهب إلى أن المعنى فاستوى أي هذا الشديد القوي ذو المرة هو ومحمد ﷺ بالأفق الأعلى أي استويا جميعا بالأفق الأعلى وذلك ليلة الإسراء، كذا قال ولم يوافقه أحد على ذلك ثم شرع يوجه ما قاله من حيث العربية فقال: وهو كقوله ﴿**أئذا كنا تراباً وآباؤنا**﴾ فعطف الآباء على المكني في «كُنا» من غير اظهار «نحن» فكذلك قوله ﴿**فاستوى وهو**﴾ قال: وذكر الفراء عن بعض العرب أنشده:
ألم تر أن النبع يصلب عوده ولا يستوي والخروع المتقصف
ثم قال ابن كثير: وهذا الذي قاله من جهة العربية متجه، ولكن لا يساعده المعنى على ذلك، فإن هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الاسراء بل قبلها ورسول الله ﷺ في الأرض فهبط عليه جبريل عليه السلام وتدلى إليه فاقترب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمئة جناح، ثم رآه بعد ذلك نزله أخرى عند سدرة المنتهى يعني ليلة الاسراء اهـ.
واختار هذا التفسير ابن القيم كما في «التفسير القيم» (ص٤٥٢).
وما نقله ابن جرير هو قول الفراء في «معاني القرآن» (٣/٩٥)، واختاره أيضا البغوي في تفسيره المطبوع بهامش الخازن (٦/٢٥٦).

ومنها دليل آخر قوله ﴿ولقد رآه نـزلة أخـرى﴾ (النجم: ١٣) يعني مرة أخرى ﴿عند سدرة المنتهى عندهـا جنة المـأوى﴾ (النجم: ١٤ ـ ١٥) والمراد بـه نبينا فأخبر أن رؤيته كانت عند سدرة المنتهى وهي في السمآء السادسة.

فإن قيل: المراد به رؤية جبريل لربه، قيل: لا يصح لوجهين: أحدهمـا أنه قد تقدم ذكرهما وأقرب المذكـور النبي ﷺ لأنه قـال تعالى ﴿فـأوحى إلى عبده مـا أوحى مـا كـذب الفؤاد مـارأى﴾ (النجم: ١٠ ـ ١١) والمـراد بـه النبي ﷺ لأن الوحي كان إليه، ثم قال بعده ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ (النجم: ١٣).

والثاني قوله ﴿أفَتُمارُونه على مـا يَرَى﴾ (النجم: ١٢) والمـماراة إنما كـانت بين قريش وبين النبي ﷺ ولم تكن بينها وبين جبريل. فإن قيل: يحتمل أن يكـون جـبريل عنـد السدرة والنبي ﷺ في الأرض خـرقت له الحجب. قيـل: لـو كـان كذلك لنقل ذلك لأنه من أعظم المعجزات.

٨٨ ــ الدليل الثاني: أن في حديث أبي هريرة فيما خرجه أبوعبدالله بن بطة قـال: لما رجع النبي ليلة أسري بـه بلغ ذا طوى فشـدَّد بنوعبـدالمطلب يلتمسـونه قـال فصرخ به العباس فأجابه قال: لبيك قال: أين كنت ابن أخي الليلة؟ قـال أتيت بيت المقـدس، فقال رسـول الله ﷺ: يا جـبريل إنَّ قـومي لا يصدقـوني، قـال: يصدقك أبوبكر الصديق(٦٨) وهذا صريح في نقل جسمه من موضعه(٦٩).

---

(٦٨) لم أقف عليه.

(٦٩) قـال ابن جريـر رحمه الله في تفسـيره (١٥/١٣ ـ ١٤): والصواب من القـول في ذلك عنـدنـا أن يقال: إن الله أسرى بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كـما أخبر الله عبـاده وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أن الله حمله على البراق حتى أتـاه به، وصـلى هنالـك بمن صلى من الأنبياء والرسل، فأراه ما أراه من الآيات.
ولا معنى لقول من قال أسرى بروحه دون جسـده، لأن ذلك لـو كان كـذلك لم يكن في ذلـك ما يوجب أن يكون دليلاً على نبوته، ولا حجة له على رسالتـه، ولا كان الـذين أنكروا حقيقـة ذلك من أهل الشرك كانوا يدفعون به عن صدقه فيه، إذ لم يكن منكراً عندهم ولا عند أحـد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنـام ما عـلى مسيرة ألف سنـة، فكيف ما =

٨٩ – الثالث ما روى أبوبكر الخلال وغيره عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ (الاسراء: ٦٠) قال: هي رؤيا عين أريها ليلة أسري به[٧٠].

فقد أثبت ابن عباس الإسراء والرؤية.

الرابع أنه جعل ذلك حسرةً على الكافرين فقال ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ (الاسراء: ٦٠) يعني أهل مكة وذلك أنه كان قد جعل المطعم بن عدي حوضاً يسقي عليه بأمر بهدمه وقال: والله لا أسقي عليه حسداً لرسول الله ﷺ إذ حدَّث بما رآه من كرامة الله، وهذا لا يكون بالمنام لأنهم يقولون يجوز أن يكون هذا من أحلام المنامات.

الخامس: أن أول فروض الخمس فرضت في تلك الليلة، وذلك أنه كان يصلي بمكة صلاتين أول النهار ركعتين وآخره ركعتين إلى ليلة الإسراء، ففرض عليه خمسون صلاة وفرض عليه غسل الجنابة سبع مرار، والغسل من البول سبع مرار، فما زال به موسى وربه حتى انتهت إلى خمس، وغسل الجنابة والبول مرة واحدة[٧١]، فنسخ الثاني الأول ولا يجوز أن ينسخ منام ليقظة.

= هو على مسيرة شهر أو أقل؟!
وبعد، فإن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس جائز لأحد أن يتعدى ما قال الله إلى غيره.
ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولةً على البراق، إذ كانت الدواب لا تحمل إلا الأجسام اهـ باختصار.

(٧٠) أخرجه البخاري (٦/٢٠٢ ـ ٢٠٣) (٨/٣٩٨) (١١/٥٠٤) والترمذي (٥/٣٠٢) عن سفيان حدثنا عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وتمامه: إلى بيت المقدس، قال: (والشجرة الملعونة في القرآن) قال: هي شجرة الزقوم.

(٧١) موقوف ضعيف، أخرجه أبوداود (١/١٧١) وعنه البيهقي (١/١٧٩) عن قتيبة بن سعيد حدثنا أيوب بن جابر عن عبدالله بن عُصم عن عبدالله بن عمر قال: «كانت الصلاة خمسين، والغسل من الجنابة سبع مرار، وغسل البول من الثوب سبع مرار، فلم يزل رسول الله ﷺ يسأل حتى جُعلت الصلاة خمساً، والغسل من الجنابة مرة، وغسل البول من الثوب مرة».
وفيه أيوب بن جابر أبوسليمان اليمامي ضعيف.

السادس: لو كان مناماً لم ينكره المشركون ولا كان معجزاً ولا طلبوا منه دليلاً على قوله بما قد عرفوه من الطريق والمسجد وصفته، لأن الذي يرى في المنام لا يطالب بجميع ما يكون في ذلك البلد الذي رأى نفسه فيه، ولا يُنكر عليه رؤيته لأن كل أحدٍ يرى أعظم من هذا، فلما أنكروا عليه عُلم أنه إنما قال لهم ذلك في اليقظة، وهذا جوابٌ جيد.

٩٠ – وقد روى أبوحفص بن شاهين في كتاب السنة باسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «لما كان ليلة أسري بي أصبحت بمكة فضقت بأمري وعرفت أن الناس تنكرُني قال فقعد رسول الله ﷺ معتزلاً حزيناً، فمر به أبوجهل فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزىء هل كان من شيء قال: نعم إني أسري بي الليلة،قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا، قال: نعم قال فلم يره أن يحدثه[1] مخافة أن يجحد الحديث إن دعا قومه إليه، فقال: أتحدث قومك ما حدثتني إن دعوتهم إليك؟ قال: نعم، قال: يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا قال فجاؤا حتى جلسوا إليهما فقال حدِّث قومك بما حدثتني، فقال رسول الله ﷺ إنه أسري بي الليلة، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم، قال: فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً، فقالوا: هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ قال: وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد، ورأى المسجد، قال رسول الله ﷺ: فذهبت أنعتُ لهم فما زلت أنعت حتى التبس علي بعض النعت قال فجيىء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل أو عقال، فنعتُّهُ وأنا أنظر إليه، فقال القوم: أما النعت فوالله قد أصاب»[٧٢].

---

(١) كذا وفي المسند وغيره: فلم يره أنه يكذبه.

(٧٢) صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١١/٤٦١ - ٤٦٢) وأحمد في مسنده (١/٣٠٩) والنسائي في الكبرى - كما في التحفة ٤/٣٨٩ - والبزار (١/٥٦ - زوائد) والطبراني في الكبير (١٢/١٦٧ - ١٦٨) والبيهقي في الدلائل (٢/٣٦٣ - ٣٦٤) من طرق عن عوف عن زرارة بن أوفي عن ابن عباس مرفوعا به.
قال الهيثمي في المجمع (١/٦٥): رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح.
=

٩١ ـ السابع ما رواه ابن شاهين باسناده عن أنس: «أن النبي ﷺ أُتي بالبُراق ليلة أُسري به مسرجاً ملجماً ليركبه فاستصعب عليه، فقال جبريل: ما يحملك على هذا فوالله ما ركبك أحدٌ قط أكرم على الله من محمد، قال فأرفض عرقاً»[٧٣]. ولو كان هذا مناماً لقال أنس: رأي النبي في المنام كأنه أُتي بالبُراق ولم يذكر ذلك مطلقاً.

الثامن: أنه لو كان مناماً فهو في حكم اليقظة لأن رؤيا الأنبياء وحي، على ما قال أحمد، والوجه فيه رؤيا إبراهيم عليه السلام أنه يذبح ابنه فكان ذلك أمراً من الله بقوله افعل ما تؤمر.

٩٢ ـ وروى ابن منده باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال: كانت رؤيا الأنبياء وحي[٧٤].

٩٣ ـ وباسناده عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ ما رأى في نومه وفي يقظته فهو حق[٧٥].

= قلت: واسناده صحيح، رجاله ثقات، زرارة أثبت أبوحاتم سماعه من ابن عباس.
وحسَّن الحافظ اسناده في الفتح (٧/١٩٩) فقصر.
وعزاه السيوطي في الدر (٥/٢٢٢) إلى ابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل والضياء في «المختارة» وابن عساكر، وصححه.

(٧٣) صحيح، أخرجه أحمد (٣/١٦٤) والترمذي (٥/٣٠١) وابن جرير في تفسيره (١٥/٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٣٦٢ ـ ٣٦٣) عن عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس به.
قال الترمذي: حديث حسن غريب، ولا نعرفه إلا من حيث عبدالرزاق.
قلت: وإسناده صحيح على شرط مسلم.
وعزاه السيوطي في الدر (٥/٢١٠) إلى عبد بن حميد وابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل.

(٧٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/١٠٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وليس فيه كلمة «كانت».

(٧٥) لم أقف عليه.

الفصل الثاني
في إثبات رؤيته لله سبحانه في تلك الليلة

٩١ ـ وقد اختلفت الرواية عن أحمد في ذلك فروى أبوبكر المروذي قال قلت لأبي عبدالله إن قوماً يقولون إن عائشة قالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية(٧٦). فبأي شيء تدفع قول عائشة قال بقول النبي ﷺ «رأيت ربي» وقول النبي ﷺ أكبر من قولها.

٩٢ ـ وقيل له إنَّ رجلاً يقول: أنا أقول أن الله يُرى في الآخرة ولا أقول إن محمداً رأى ربه في الدنيا، فقال: هذا أهل أن يجفى ما اعتراضه في هذا الموضوع يسلم الخبر

---

(٧٦) أخرجه مسلم (١/١٥٩) والترمذي (٥/٢٦٢ ـ ٢٦٣) وابن جرير في تفسيره (٢٧/٣٠) عن داود بن أبي هِند عن الشعبي عن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة فقالت: يا أباعائشة: ثلاثٌ من تكلم بواحدةٍ منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال وكنت متكئاً فجلست فقلت: يا أم المؤمنين! أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل ﴿ولقد رَآه بالأُفُق المبين﴾ التكوير: ٢٣، ﴿ولقد رآه نَزلةً أُخرى﴾ النجم: ١٣، فقالت: أنا أولُ هذه الأمةِ سأل عن ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: «إنما هو جبريل، لم أرهُ على صُورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء سادًّا عِظَمُ خلقه ما بين السماء إلى الأرض»، فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول ﴿لا تدركه الأبصارُ وهو يُدرِكُ الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ الأنعام: ١٠٣، أو لم تسمع أن الله يقول ﴿وما كان لبشرٍ أن يُكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجابٍ أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليٌّ حكيمٌ﴾ (الشورى: ٥١).

وفي البخاري (٨/٦١٠) ومسلم (١/١٥٨) سألت زرَّ بن حبيش عن قول الله عزَّ وجل ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ النجم: ٩، قال: أخبرني عبدالله بن مسعود: أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح»، وفي مسلم أنه فسَّر قوله تعالى ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ وقوله ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ بأنه جبريل، وفيه أيضا أن أبا هريرة فسّر ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ بأنه جبريل.

فهذا هو الصواب في هذه المسألة، والمصنف قد أخطأ في قوله إن النبي ﷺ رأى ربه عياناً. وانظر كلام ابن تيمية عن هذا في المقدمة.

كما جاء. وظاهر هذا من كلامه إثبات الرؤية في ليلة المعراج، وهذه الرواية اختيار أبي بكر النجاد وأنا أحكي كلامه في آخر الفصل.

٩٣ ـ ونقل حنبل قال قلت لأبي عبدالله النبي ﷺ رأى ربه؟ قال: رؤيا حلم رآه بقلبه.

وهذا يقتضي نفي الرؤية في تلك الليلة؟

٩٤ ـ ونقل الأثرم عن أحمد أنه حكى له قول رجل يقول: رآه ولا أقول بعينه ولا بقلبه، فقال أبوعبدالله: هذا حسن.

وظاهر هذا إطلاق الرؤية من غير تفسير بعين أو قلب والرواية الأولى أصح، وأنه رآه في تلك الليلة بعينيه.

وهذه المسئلة وقعت في عصر الصحابة وكان ابن عباس وأنس وغيرهما يثبتون رؤيته في ليلة المعراج، وكانت عائشة تُنكر رؤيته بعينه في تلك الليلة، والدلالة على إثبات رؤيته قوله تعالى ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه**﴾ (الشورى: ٥١) فوجه الدلالة أنه تعالى قسم تكليمه لخلقه على ثلاثة أوجه: أحدها: بإنفاذ الرسل، وهو كلامه لسائر الأنبياء والمكلفين. والثاني: من وراء حجاب هو تكليمه موسى عليه السلام وهذا الكلام بلا واسطة لأنه لو كان بواسطة دخل تحت القسم الذي ذكرنا وهو إنفاذ الرسل.

الثالث: من غير رسولٍ ولا حجابٍ وهو كلامه لنبينا في ليلة الإسراء إذ لو كان من وراء حجاب أو كان رسولاً دخلَ تحت القسمين ولم يكن للتقسيم فائدة، فتثبت أنه كان كلامه له عن رؤية.

ويدل عليه قوله تعالى ﴿**فأوحى عبده ما أوحى**﴾ (النجم: ١٠) أي كلمه

---

(٧٧) في طبقات الحنابلة (١/١٤٥): قال حنبل بن اسحاق: سمعت أباعبدالله يقول: من زعم أن الله لا يُرى في الآخرة، فقد كفر بالله وكذّب بالقرآن، وردَّ على الله أمره، يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل، والله تعالى لا يُرى في الدنيا، ويُرى في الآخرة.

بما كلمه بلا واسطة ولا ترجمان(٧٨) ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ (النجم: ١١) فالظاهر يقتضي أن النبي ﷺ لما رأى الله بعيني رأسه ليلة المعراج عند سدرة المنتهى لم يكذب فؤاده ما رآه بعيني رأسه.

٩٥ ـ ويدل عليه ما حدثناه أبوالقسم عبدالعزيز قال نا علي بن عمر بن علي أبوالحسن التمار قال نا أبوبكر عمر بن أحمد بن أبي معمر الصفار قال حدثنا يوسف بن أحمد بن حرب بن الحكم الأشعري البصري قال نا روح بن عبادة عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله ﷺ في قوله ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ (النجم: ١٣) قال رأيت ربي جلّ اسمه مشافهةً لا شك فيه، وفي قوله ﴿عند سدرة المنتهى﴾ (النجم ١٤) قال: «رأيته عند سدرة المنتهى حتى تبين له نور وجهه»(٧٩).

٩٦ ـ وروى أبوبكر الخلال عن عكرمة عن ابن عباس ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ قال هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أسري به(٨٠).

---

(٧٨) قال ابن جرير (٢٧/٢٨): اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم: معناه فأوحى إلى عبده محمد ﷺ وحيه، وجعلوا قوله «ما أوحى» بمعنى المصدر.
وقال آخرون: بل معنى ذلك فأوحى جبريل إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى إليه ربه، وقد يتوجه هذا التأويل «ما» لوجهين: أحدهما: أن تكون بمعنى الذي، فيكون معنى الكلام: فأوحى إلى عبده الذي أوحاه إليه ربه، والآخر: أن تكون بمعنى المصدر.
ثم قال: وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب قول من قال معنى ذلك فأوحى جبريل إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى إليه ربه، لأن افتتاح الكلام جرى في أول السورة بالخبر عن رسول الله ﷺ وعن جبريل عليه السلام، وقوله «فأوحى إلى عبده ما أوحى» في سياق ذلك ولم يأت ما يدّل على انصراف الخبر عنهما، فيوجه ذلك إلى ما صرف اليه.

(٧٩) لم أجد من خرجه، ويوسف بن أحمد الأشعري لم أجد له ترجمة، والصفار الراوي عنه له ترجمة في تاريخ بغداد (١١/٢٤٢ ـ ٢٤٣) ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا، والتمار ثقة، تاريخ بغداد (١٢/٤٢).
والخبر في متنه نكاره ظاهرة.

(٨٠) تقدم تخريجه برقم (٧٠) من هذ الفصل.

٩٧ ــ وروى أبـو القسم عبيدالله بن أحمـد بن عثمان[٨١] فيـما خـرجـه من أخبـار الصفات باسناده عن ابن عباس قال: كانت الخلة لإبراهيم عليه السلام والكلام لموسى عليه السلام والرؤية لمحمد ﷺ[٨٢].

٩٨ ــ وروى أبوحفص بن شاهين في سننه بـإسناده عن الضحـاك بن مزاحم عن ابن عباس: رأى محمد ﷺ ربه عز وجل بعينيه مرتين[٨٣].

٩٩ ــ وروى أبوحفص باسنـاده عن ابن جريـج عن عطاء عن ابن عبـاس قال: رأى رسول الله ﷺ ربه بفؤاده مرتين[٨٤].

١٠٠ ــ وروى أيضاً باسناده عن عكرمـة عن ابن عباس قـال: رأى محمد ﷺ ربـه

---

(٨١) هو المحدث الحجة المقرىء، أبوالقاسم عبيدالله بن أحمد بن عثمان الأزهري البغـدادي الصيرفي، مولده سنـة خمس وخمسين وثـلاث مئة. وحـدث عن: أبي بكر القـطيعي وأبي محمد بن مـاسي وغيرهم.
قال الخطيب: كان أحد المعنيين بالحديث والجامعين له، مع صدقٍ واستقامةٍ ودوام تلاوة، سمعنا منه المصنفات الكبار، وكمّل الثمانين، مات في صغر سنه خمس وثلاثين وأربع مئة.
(تاريخ بغداد (١٩٠/ ٣٨٥)، السير (١٧/ ٥٧٨)).

(٨٢) صحيح، أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٩٢ ـ ١٩٣) والنسائي في الكبرى ـ كما في التحفة ٥/ ١٦٥ ـ وابن خزيمة في التوحيد (ص ١٩٧) والحاكم (٢/ ٤٦٩) عن معاذ بن هشام حدثنـا أبي عن قتـادة عن عكـرمـة عن ابن عبـاس رضي الله عنهـما بـه، وأولـه: أتعجبـون أن تكـون الخلة لإبراهيم. . .
قال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، وعزاه السيوطي في الدر (٧/ ٦٤٧) لابن مردويه.

(٨٣) لم أجده بهذا اللفظ.
وإنما أخرجه مسلم (١/ ١٥٨) والبيهقي في الأسماء (ص ٤٣٧) عن الأعمش عن زياد بن حصين عن أبي العالية عن ابن عباس قال: ﴿ما كذب الفؤاد مـا رأى﴾ النجم: ١١، ﴿ولقد رآه نـزلةً أخرى﴾ النجم: ١٣، قال: رآه بفؤاده مرتين.
ورواه ابن جرير (٢٧/ ٢٩) وابن خزيمة في التوحيد (ص ٢٠٠) بسنده ومتنه دون قوله: مرتين.

(٨٤) أخـرج مسلم نحوه قـال حدثنـا أبوبكـر بن أبي شيبة حـدثنا حفص عن عبـدالملك عن عطاء عن ابن عباس قال: رآه بقلبه.
وأخرج ابن خزيمة في التوحيد (ص ٢٠٠) عن سفيان عن جرير عن عـطاء عن ابن عباس قـال: رآه مرتين. واسناده حسن.

بقلبه(٨٥).

وهذا الاختلاف عنه ليس براجع إلى ليلة المعراج إنما هو راجع إلى رؤيته في المنام في غير تلك الليلة رآه بقلبه على مانبينه فيما بعد، وما رويناه عن ابن عباس أولى مما روي عن عائشة لأن قول ابن عباس يطابق قول النبي ﷺ لأن النبي ﷺ أثبت رؤيته في تلك الليلة، ولأنه مثبت والمثبت أولى من النافي ولا يجوز أن يثبت ابن عباس ذلك إلا عن توقيف إذ لا مجال للقياس في ذلك(٨٦).

فإن قيل: قوله «رأيت رِبي» إنما هو بكسر الراء، وهو اسم كان لعثمان رضي الله عنه رآه ﷺ في النوم على تلك الصفات، أو يكون المراد التابع من الجن رآه على تلك الصفات.

قيل: لفظ الخبر يُسقط هذا السؤال لأنه قال له «فيم يختصم الملأ الأعلى» وهذا لا يقوله أحد من البشر، ولأنه قال «فوضع يده بين كتفي فوجدت بُردها بين ثديي» وليس أحد له هذا من المخلوقين.

١٠١ ــ وقد حكى القاضي أبوعلي عن أبي بكر بن سليمان النجاد رحمه الله أنه قال: رأى محمدا ربه إحدى عشرة مرة منها بالسُنة تسع مرات في ليلة المعراج حين كان يتردد بين موسى وبين الله عز وجل يسئل أن يخفف عن أمته الصلاة فنقص خمسة وأربعين صلاة في تسع مقامات ومرتين بالكتاب(٨٦).

---

(٨٥) اسناده ضعيف، أخرجه الترمذي (٥/٣٩٦) وابن جرير (٢٧/٢٨) وابن خزيمة في التوحيد (ص ٢٠٠) عن اسرائيل بن يونس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾ قال: رآه بقلبه.

سماك هو ابن حرب، وفي روايته عن عكرمة خاصة اضطراب. وعزاه السيوطي في الدر (٧/٦٤٦) إلى عبد بن حميد وابن المنذر والطبراني. لكن الأثر يشهد له ما سبق.

(٨٦) قول ابن عباس لا يدل على أن مذهبه إن النبي ﷺ رأى ربه تعالى بعينه، بل الروايات الصحيحة السابقة وهي قوله «رآه بقلبه» تدل على خلاف ذلك، وأما الروايات المطلقة أن محمداً ﷺ رأى ربه تعالى، فتحمل على المقيدة حتى يتم الجمع بين الأدلة، والله أعلم.

(٨٧) أوردها ابن المصنف في طبقاته (٢/١١) فقال: قرأت بخط الوالد السعيد قال: حكى القاضي أبوعلي بن أبي موسى عن أبي بكر النجاد أنه قال: رأى محمد ﷺ .. فذكره.

الفصل الثالث
وضع الكف بين كتفيه

وقد رُوي بألفاظ ففي :

١٠٢ ـ حديث أبي عبيدة بن الجراح «فوضع يده حتى وجدت» وذكر كلمة نسيها الراوي .

١٠٣ ـ وفي حديث أبي هريرة رواه أبوبكر الخلال عن النبي ﷺ قال «أتاني ربي في أحسن صورة فقال:يا محمد أتدري فيما يختصم الملأ الأعلى قلت:لا؟ فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي»(٨٨) .

١٠٤ ـ وناه أبوالقسم عبدالعزيز باسناده عن أبي هريرة قال «فوجدت برد أنامله بين ثديي» .

١٠٥ ـ وفي رواية ابن عباس في موضع آخر «فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي» .

واعلم أنه ليس في حمل هذا الخبر على ظاهره ما يحيل صفاته ، ولا يُخرجها عما تستحقه ، لأننا نثبت كفاً كما أثبتنا يدين وسمعاً وبصراً ووجهاً ، لا على وجه الجوارح والأبعاض ، وليس اثبات تلك الصفات بأولى من إثبات الكف ، لأننا نطلق اسم الوضع بين كتفيه كما أطلقنا خلقة لآدم بيديه فما(١) يتطرق على

---

(١) كتب فوقها في الأصل حرف «ن» أي لعلها «فمن» بدل «فما» وما أثبتناه أقرب للصواب .

(٨٨) رواية أبي هريرة لهذا الحديث ضعيفة جدا أخرجها أبوبكر النجاد في «الرد على من يقول القرآن مخلوق» (٨٢) عن سفيان بن وكيع حدثنا أبي عن عبيدالله بن أبي حميد عن أبي المليح عن أبي هريرة مرفوعا به .
وفي اسناده عبيدالله بن أبي حميد الهذلي متروك الحديث ، وسفيان بن وكيع ضعيف .
وعزاه السيوطي في الدر (٥/ ٣٢٠) إلى الطبراني في «السنة» وابن مردويه .

هـذا يتطرق مثله هنـاك، ورأيت بعضهم يقول غـير ممتنع أن تُـلاقي كف الصفـة لكتفي النبي ﷺ لا على منع ملاقاة الجسم للجسم، لكن على معنى ملاقاة الجسم لنور الشمس والقمر، قال: وهذا ظاهر ما جاء في الحديث «فوجـدت بردهـا بين كتفي» ولأنه ليس في الملاقاة أكثر من مقاربة المحدث من القديم.

١٠٦ ـ وقـد جـاء الشرع بـذلـك فـروى «إن الله يـدني عبـده حتى يضـع عليـه كنفه»[٨٩] ولأنه قد قال تعالى ﴿**عسى أن يبعثك ربـك مقامـا محمودا**﴾ (الاسراء: ٧٩) قال: يقعده معه على العرش[٩٠]، ولأن هذا غـير ممتنع عـلى أصل من أثبت

(٨٩) أخـرجـه البخـاري (٨/٣٥٣) (١٠/٤٨٦) (١٣/٤٧٥) ومسلم (٤/٢١٢٠) وابن مـاجـة (١/٦٥) عن صفوان بن محرز قال: بينا ابن عمر يطوف إذ عرض رجلٌ فقال: يا أبـاعبدالـرحمن ـ أو قال يا ابن عمر ـ هل سمعت النبي ﷺ في النجوى؟ فقال: سمعت النبي ﷺ يقـول: «يُدني المؤمن من ربه ـ وقال هشام: يدنو المؤمن حتى يضع عليه كَنَفَه فيُقرره بذنوبه: تعـرف ذنب كذا؟ فيقول: أعرف، يقول رب أعرف (مرتين)، فيقول: سترتها في الدنيـا، وأغفرهـا لك اليـوم، ثم تطوى صحيفة حسناته، وأما الآخرون ـ أو الكفار ـ فينادى عـلى رؤوس الأشهاد: هؤلاء الـذين كذبوا عـلى ربهم» واللفظ للبخاري، ومعنى كَنَفَـه: أي ستره، والمعنى أنـه تحيط به عنـايته التـامة (الفتح ١٣/٤٧٧).

(٩٠) لم يصح في معنى هذا حديث ولا أثر ـ في حد علمي ـ بل كل ما جاء فيه معلول، وقد حكم عليها ابن تيمية بالوضع كـما مر معنـا سابقـا في المقدمـة.فقد أخـرج الطبراني في الكبـير (١٢/٦١) عن عبدالله بن صالح حدثني ابن لهيعة عن عطاء بن دينار الهذلي عن سعيـد بن جبير عن ابن عبـاس أنه قال في قوله الله عز وجل ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقـاماً محمـوداً**﴾ الإسراء: ٧٩ قال: يجلسـه فيما بينه وبين جبريل، ويشفع لأمته فذلك المقام المحمود.
قـال الهيثمي في المجمع (٧/٥١): وفيـه ابن لهيعة وهـو ضعيف اذا لم يتابـع، وعطاء بن دينـار لم يسمع من سعيد بن المسيب.
قلت: وفيه أيضا عبدالله بن صالح وهو الجهني صدوق كثير الغلط.
وأخرج ابن مردويـة ـ كما في الـدر المنثور (٥/٣٢٦) ـ عن ابن عمـر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قرأ ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا**﴾ قال: «يجلسه على السرير». وعزاه إلى الديلمي أيضـا (٥/٣٢٨).
وأخرج ابن جرير في تفسيره (١٥/٩٨) عن ليث عن مجاهد في قوله ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا**﴾ قال: يجلسه معه على عرشه.
وفيه ليث وهو ابن أبي سليم ضعيف.
وقال ابن جرير بعد أن خرّج هذا الأمر: وأولى القولـين في ذلك بـالصواب مـا صحَّ بـه الخبر عن رسول الله ﷺ . . ثم ذكر أحاديث الشفاعة.
إلا أنه عاد فقال: هذا وإن كان هو الصحيح من القول (يعني أحاديث الشفاعـة) في تأويـل قولـه =

أنه على العرش، لأنه إذا كـان بجهة تصـح الإشارة إليـه فيها ويصـح النظر منهـا وإنما يمتنع على أصل من نفى كونه بجهة يشار إليه فيها.

فإن قيل: الكف ها هنا بمعنى القدرة كما قال القائل:

هـون عـليـك فـإن الأمـور بـكـف الإلـه مـقـاديـرهـا

يعني في قدرته تقديرها وتدبيرها فعلى هذا يكون اعتراف النبي ﷺ بـالعجز واقراره بعد وضع الكف إنما هو إقرار بقدرة الله تعالى على ما فعل به من التعـطف واللطف حتى عرف مالم يعرفه أو يكون المراد بالكف النعمة والمنـة والرحمـة، ومنه قوله: لي عنـد فلان يـد بيضاء أي نعمـة منه كـاملة فيكون إخبـاراً عن نعمة الله وفضله وإقباله عليه بأن شرح صدره ونوَّر قلبه فعرف مالم يعرفه.

قيل: هذا غلط لأنـه إن جاز تـأويل الكف عـلى ما قـالوه جـاز تأويـل قول ﴿خَلَقْتُ بِيَدَي﴾ على ذلك ولأن قدرته ونعمته لا تختص الكفـين بل هي عـامة في جميع مقدوراته، وما قـاله الشـاعر من أن الأمـور بكف الإله مقـاديرهـا، لا يشبه هذا، لأنه قد فسَّر ما بكفه وهو تقدير الأمـور وذلك لا يختص الكف لأنه صفتـه، وتدبير الأشياء لا يحصل بالصفات. وإنما يحصل بالذات فأمَّا ها هنا فـإنما أضـاف إلى الكف فعلاً، كما أضاف إلى اليد فعلاً وهو خلق آدم.

فإن قيل: قوله «بين كتفي» معناه أَوْصَلَ إلى قلبه من لُطفه ونوره وفوائـده، لأن القلب بين الكتفين وهو محل الأنوار العلوم.

قيل: هذا غلط لأن القلب لا يوصف بوضع الكف فيه وإنما يوصف ذلـك بالكتفين.

فإن قيل: قوله «فوجدت بردها» يحتمل برد النعمة بمعنى روحها وأثـرها من قولهم: عيش بارد إذا كان رغداً في رفاهية وسعة.

= ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ لما ذكرنـا من الروايـة عن رسـول الله ﷺ وأصحـابـه والتابعين، فإن ما قاله مجاهد من أن الله يقعد محمداً ﷺ على عرشه، قولٌ غـير مدفـوع صحته لا من جهة خبر ولا نظر... إلى آخر كلامه رحمه الله.

قيـل: هذا غلط لمـا بينـا أن الكف ليس معنـاه النعمـة وإذا لم يكن معنـاه النعمة لم يصح التأويل عليه[٩١].

فإن قيل: قوله «فوجدت برد أنامله» يحتمل آثار إحسـانه ونعمـه ورحمته في صدري فتجلى لي ما بين السماء والأرض، قيل: هذا غلط لما بينًـا من أن احسانـه ونعمه لا يختص القلب والكف والأنامل، ولأنه إن جاز تأويل الأنامـل على ذلـك جاز تأويل اليدين على النعمتين والوجه على الذات.

---

(٩١) نقل هذه التأويلات البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٣٠٠ ـ ٣٠١).

الفصل الرابع
جواز إطلاق تسمية الصورة عليه

وقد بينا جواز ذلك في الخبر الذي قبله، وقد بينا أنه لا يمتنع إطلاق ذلك لا على وجه الأبعاض والجوارح كما جاز إطلاق نفس وذات.

فإن قيل: ذكر الصورة يرجع إلى النبي ﷺ ويكون المعنى: رأيت ربي وأنا في أحسن صورة كما يقوله القائل رأيت الأمير في أحسن صورة وزي[٩٢].

قيل هذا غلط لأنه لم ينقل أن صفة النبي ﷺ تغيرت في تلك الليلة، ولو كان لنقل كما نقل غيره من المخاطبة ووضع الكف وغير ذلك. وعلى أنه قد روي في الخبر ما يمنع من هذا بقوله «رأيت ربي في صورة شاب على وجهه فراش وفي رجليه نعلان» ولو كانت الصفة راجعة إلى النبي ﷺ لقال على وجهي وفي رجلي.

فإن قيل: فيحتمل أن تكون الصورة راجعة إلى الله تعالى بمعنى أنه يُحسن خلق من يشاء كما يُقبح خلق من يشاء لأن أفعل قد تجيء على معنى يفعل كما وصف نفسه بأنه «حكيم» والمراد به مُحكم لما يفعله، قيل: هذا غلط لأنه يُسقط فائدة التخصيص بتلك الليلة لأن النبي ﷺ لم يزل مشاهداً لأفعاله في خلقه من تحسين وتقبيح فحمله على هذا يسقط فحمله على هذا يسقط فائدة التخصيص بتلك الليلة.

---

(٩٢) لا يخفى ما في هذا التأويل من تكلف وبعد، لا يوافق قائله شرعا ولا عقلا ولا لغة.
والخبر الذي ذكره المصنف «رأيت ربي في صورة..» سيأتي تخريجه وهو حديث منكر.

فإن قيل: فيحتمل أن تكون الصورة راجعة إلى الله تعالى بمعنى الصفة من توفر الرب عليه في الإنعام والإقبال عليه فيكون حسن الصورة يرجع إلى حسن الأفعال به والإكرام.

قيل: هذا يسقط فائدة التخصيص بتلك الليلة، لعلمنا بأن نعمه عليه كانت ظاهرة بقيام المعجزات في المواضع التي تظهر النعم فيها، ولأنه إن صح هذا التأويل ها هنا وجب أن يصح مثله في قوله «إنكم ترون ربكم يوم القيامة» على معنى صفته توفر أنعامه وأفضاله على أهل الجنة.

فإن قيل: فقد ذكر النقاش[٩٣] في «شفاء الصدور» في تفسير قوله تعالى ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ (النجم: ١٨) فقال قال عمرو بن عثمان: رأيت عبدالله بن أحمد بن حنبل في المسجد الحرام في الحجر تحت الميزاب فقلت له يا أباعبدالرحمن: أيش كان مذهب الشيخ في قول «رأيت ربي في أحسن صورة» قال: رأيته في أحسن مكان.

قالوا وهذا ينفي الصورة.

قيل: الرواية الصحيحة عنه ما ذكرنا من إثبات الصورة ا هـ.

---

(٩٣) هو العلامة المفسر شيخ القراء أبوبكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي ثم البغدادي النقّاش، ولد سنة ٢٦٦ هـ، قال أبوبكر البرقاني: كل حديث النقاش منكر، وقال الخطيب: في حديثه مناكير بأسانيد مشهورة.
قال الذهبي: وكان واسع الرحلة، قديم اللقاء، وهو في القراءات أقوى منه في الروايات. وله كتاب «الإشارة في غريب القرآن» و «دلائل النبوة»، وله كتاب كبير في التفسير نحوا من أربعين مجلداً. . ، ولو تثبت في النقل لصار شيخ الإسلام. قلت: واسم تفسيره «شفاء الصدور». مات سنة ٣٥١ هـ.
(تاريخ بغداد (٢/٢٠١ - ٢٠٥)، ميزان الإعتدال (٣/٥٢٠)، السير (١٥/٥٧٣ - ٥٧٦)، وأنظر مخطوطات كتابه «شفاء الصدور»، تاريخ التراث لسزكين (١/١٠٤)).

الفصل الخامس

قول النبي ﷺ «لا أدري» لما قيل: له «فيم يختصم الملأ الأعلى»

قيل: فيه وجهان:

أحدهما: أنه يحتمل أنه كان يعلم لكن استعمل حسن الأدب بحضرة من هو أعلم به، حتى لا يدعي ذلك بحضرة من هو أعلم كما قال تعالى **﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علامُ الغيوب﴾** (المائدة: ١٠٩).

وقيل: إنه يحتمل أنه لم يعلم ثم علم بعد ذلك ما بين المشرق والمغرب بأن زويت له الأرض كما رُوي في الحديث «زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها»(٩٤).

---

(٩٤) أخرجه أحمد في مسنده (٥/٢٧٨، ٢٨٤) ومسلم (٤/٢٢١٥) عن حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها. .» ومعنى زوي أي جمع. وأخرجه أحمد (٤/١٢٣) عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني عن أبي أسماء الرحبي عن شداد بن أوس مرفوعا به. واسناده صحيح.

فصل

هـل أحيـا الله لنبيـه الأنبيـاء في ليلـة الإسراء أم نشر أرواحهم في مثل صورهم

١٠٧ ــ فذكر أبواسحق في تعاليقه على «كتاب التفسير» في قوله تعـالى ﴿**واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا**﴾ الآية (الزخرف: ٤٥) قال سعيد بن جبير: أحيا الله له الأنبياء حتى سألهم وعلى هذا كلام موسى وغيره(٩٥).

١٠٨ ــ وذكر أبوبكر عبدالعزيز في «كتاب التفسير» في هـذه الآية قـولين: أحـدهما سل أهل الكتاب أما كانت الرسل تأتيهم بالتوحيد، أما كانت تأتي بـالإخلاص، حكاه عن قتادة(٩٦).

---

(٩٥) لم أجد هذا الأثر.

(٩٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤٦/٢٥) عنه، واسناده حسن.

واختار ابن جرير هذا القول فقال: وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك قول من قـال: عني به سل مؤمني أهل الكتابين، فإن قال قائل: وكيف يجـوز أن يقال: سـل الرسـل فيكون معنـاه سل المؤمنين بهم وبكتابهم؟ قيـل: جاز ذلـك من أجل أن المؤمنـين بهم وبكتابهم أهـل بلاغ عنهم مـا أتوهم به عن ربهم، فالخبر عنهم وعما جاءوا به من ربهم إذا صح بمعنى خبرهم، والمسئلة عما جاؤا به بمعنى مسألتهم، إذا كان المسئول من أهل العلم بهم والصدق عليهم، وذلك نظير أمر الله جل ثناؤه إيانا بردٍّ ما تنازعنا فيه إلى الله وإلى الرسول «فـإن تنازعتم في شيء فـردوه إلى الله والرسـول» ومعلوم أن معنى ذلك فردّوه إلى كتاب الله وسنة رسـوله، لأن الـرد إلى ذلك ردٌّ إلى الله ورسـوله، وكذلك قوله ﴿**واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا**﴾ إنما معناه: فاسأل كتب الذين أرسلنا من قلك من الرسل، فإنك تعلم صحة ذلـك من قبلها، فـاستغنى بذكـر الرسـل عن ذكر الكتب إذ كان معلوماً ما معناه اهـ.

والثاني: قول سعيد بن جبير قال: لقي الرسل ليلة أسري به، ثم قال: كما قال سعيد بن جبير، وهو أحسن التأويلين إذ كان قد لقيهم، وظاهر كلام أبي بكر وأبي اسحق الأخذ بقول سعيد.

وقد قيل: إن أرواحهم نُشِرَت في مثل صورهم.

١٠٩ ـ وقد جاء هذا في حديث المعراج في رواية أبي حفص بن شاهين وأبي طالب بن العُشاري[٩٧]. قال فيه «ثم أتينا بيت المقدس فنشر لي أرواح الأنبياء فصليت معهم» فبين أن النّشر كان على الأرواح، وقد ذكر أبوبكر الخلال في كتاب «السنة» هذه اللفظة.

---

(٩٧) هو الشيخ أبو طالب محمد بن علي بن الفتح الحربي العُشاري، سمع الدارقطني وابن شاهين وابن بطة وغيرهم.

قال الخطيب: كتبت عنه وكان ثقة صالحاً.

توفي سنة ٤٥١هـ. (تاريخ بغداد (٣/١٠٧)، طبقات الحنابلة (٢/١٩١)، ميزان الاعتدال (٣/٦٥٦)، السير (١٨/٤٨)).

فصل ثان

١١٠ ــ يتعلق بليلة الإسراء في قوله تعالى ﴿ثم دنا فتدلى﴾ (النجم: ٨) هل الكناية في التدلي عن الله سبحانه أم عن جبريل؟ فذكر أبوبكر في «كتاب التفسير» في هذه الآية قولين: أحدهما أنه جبريل عن مجاهد والحسن في رواية(٩٨).

١١١ ــ والثاني: أنه الله سبحانه حكاه عن ابن عباس وعطاء وعكرمة والحسن(٩٩)، واختار هذا القول، والوجه فيه: أن رؤيته لجبريل قد سبقت مراراً لا تحصى فلا فائدة في إثباتها في تلك الليلة، إذ كان المقصود بذلك حصول الفضيلة له وعلو المنزلة، ولأنه قال تعالى ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ (النجم: ١٠) والوحي إنما يكون من الله تعالى فقوله فأوحى كناية عمن تقدم

---

(٩٨) لم يذكر السيوطي في الدر المنثور عنهما شيئا.
إنما أخرج ابن جرير (٢٧/٢٧) عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: «فكان قاب قوسين أو أدنى» قال: الله من جبريل عليه السلام.
وابن أبي نجيح وهو عبدالله، لم يسمع التفسير من مجاهد قاله يحيى القطان وابن عيينة (انظر جامع التحصيل ص٢٦٥).

(٩٩) أخرج الطبراني في الكبير (١١/١٥٠) عن عبدالرحمن بن شريك عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة وعطاء عن ابن عباس «ثم دنا فتدلى» قال: هو محمد ﷺ ودنى فتدلى إلى ربه عز وجل.
قال الهيثمي في المجمع (٧/١١٤): وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط.
قلت: كذا اقتصر عليه، وفيه شريك بن عبدالله النخعي، سيء الحفظ.
وعزاه السيوطي في الدر (٧/٦٤٥) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه.
وأخرجه ابن جرير (٢٧/٢٦) قال حدثنا يحيى بن سعيد الأموي حدثنا أبي حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن ابن عباس: «ثم دنى فتدلى» قال: دنى ربه فتدلى» وإسناده حسن وعزاه السيوطي في الدر (٧/٦٤٥) إلى ابن مردويه.

ذكره وهو المتدلي، فعلم أن المتدلي هو الذي يوحي وهو الله تعالى، وقد شهد الكتاب والسنة لما قاله أبوبكر قال تعالى ﴿وجاء ربك﴾ (الفجر: ٢٢) وقوله ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظُلل من الغمام﴾ (البقرة: ٢١٠) وبقول النبي ﷺ «ينزل الله تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا»(١٠٠).

حديث آخر في هذا المعنى

١١٢ ـ ناه أبومحمد الحسن بن محمد(١٠١) فيما خرَّجه من أخبار الصفات باسناده عن معاذ بن جبل قال احتبس علينا رسول الله ﷺ يوماً بصلاة الغداة حتى كادت الشمس أن تطلع فلما خرج صلى بنا الغداة فقال «إني صليت الليلة ما قضي لي ثم وضعت جنبي في المسجد فأتاني ربي في أحسن صورة فقال لي: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري، فضرب يديه بين ثديي حتى بدا لي ما في السموات والأرض»(١٠٢).

---

(١٠٠) أخرجه البخاري (٣/٢٩) (١١/١٢٨ ـ ١٢٩) (١٣/٤٦٤) ومسلم (١/٥٢١ ـ ٥٢٣) عن أبي هريرة مرفوعا به.

(١٠١) هو الخلّال، تقدمت ترجمته.

(١٠٢) حديث معاذ بن جبل، أخرجه أحمد (٥/٢٤٣) والترمذي (٥/٣٦٨ ـ ٣٦٩) وابن خزيمة في التوحيد (ص ٢١٨ ـ ٢١٩) عن جهضم اليمامي ثنا يحيى بن أبي كثير ثنا زيد بن أبي سلام عن أبي سلام ـ وهو زيد بن سلام بن أبي سلام نسبه إلى جده ـ أنه حدثه عبدالرحمن بن عياش الحضرمي عن مالك بن يخامر أن معاذ بن جبل قال: احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس، فخرج رسول الله ﷺ سريعاً فثوِّب بالصلاة، وصلى وتجوّز في صلاته، فلما سلم قال: «كما أنتم على مصافكم» ثم أقبل إلينا فقال: «إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، إني قمت من الليل فصليت. . » فذكر تمام الحديث.
قال أبوعيسى: حديث حسن صحيح سألت محمد بن اسماعيل عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح.
قلت: وأعلَّه ابن خزيمة (ص ٢٢٠) بتدليس يحيى بن أبي كثير، ولكنه قد صرح بالتحديث بالإسناد السابق وهو عند أحمد فأمنًا من تدليسه.
تنبيه: سقط من اسناد ابن خزيمة ذكر «أبي سلام».
وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/١٠٩) عن جهضم وموسى بن خلف قالا ثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده ممطور عن أبي عبدالرحمن السكسكي عن مالك بن يخامر عن معاذ =

١٣ ـ وروى أبو القسم عبيدالله بن أحمد الصيرفي[١٠٣] فيما خرَّجه من أخبار الصفات بإسناده عن معاذ عن النبي قال «رأيت ربي في منامي» وذكر الخبر.

اعلم أن الكلام في هذا الخبر يتعلق به فصول: أحدها جواز إطلاق الصورة عليه، وقد تقدم الكلام في ذلك.

= به. فذكر أبا عبدالرحمن السكسكي بدلا من عبدالرحمن بن عياش.
وأخرجه أبوبكر النجاد في «الرد على من يقول القرآن مخلوق» (٧٤).
وابن عدي في الكامل (٦/٢٣٤٤) عن موسى بن خلف العمي وحده عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده ممطور عن أبي عبدالرحمن السكسكي عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل به.

وموسى بن خلف العمي وثقه يعقوب بن شيبة والعجلي، وقال أبوحاتم: صالح الحديث، وقال الدارقطني: ليس بالقوي، وقال ابن حبان: أكثر من المناكير (التهذيب ١٠/٣٤١).
وقال البيهقي في الأسماء (ص ٣٠٠): وأحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبدالله ثم رواية موسى بن خلف.
وأخرجه النجاد (٧٥) وابن خزيمة (ص ٢٢٠) والطبراني في الكبير (٢٠/١٤١ ـ ١٤٢) والحاكم (١/٥٢١) عن محمد بن سعيد بن سويد حدثني أبي عن عبدالرحمن بن اسحاق عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل به.
وأعله ابن خزيمة فقال: وهذا الشيخ سعيد بن سويد لست أعرفه بعدالة ولا جرح، وعبدالرحمن بن اسحاق هذا هو أبوشيبة الكوفي ضعيف الحديث، وعبدالرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ اهـ.
وقال ابن عدي: وهذا له طرق قوله «رأيت ربي في أحسن صورة» واختلفوا في أسانيدها، فرأيت أحمد بن حنبل صحح هذه الرواية التي رواها موسى بن خلف عن يحيى بن أبي كثير حديث معاذ بن جبل، قال: هذا أصحها اهـ.
وانظر الكلام على الحديث وطرقه الإصابة (٢/٤٠٥ ـ ٤٠٧).

(١٠٣) هو عبيدالله بن أبي الفتح ـ واسمه أحمد ـ بن عثمان بن الفرج، يكنى أبا القاسم الصيرفي وهو الأزهري ويعرف بابن السوادي.
قال الخطيب: وكان أحد المكثرين من الحديث كتابة وسماعاً، ومن المعنيين به والجامعين له، مع صدق وأمانة، وصحة واستقامة، وسلامة مذهب وحسن معتقد، ودوام درس للقرآن.
ولد سنة ٣٥٥ هـ ومات سنة ٤٣٥ هـ.
(تاريخ بغداد (١٠/٣٨٥)).

الثاني: جواز رؤيته في منامه، وهذا غير ممتنع في حق النبي ﷺ وفي حق غيره من المؤمنين.

١١٤ ــ وقد نص أحمد على هذا فيما رواه عبدالله سمعت أبي يقول: رأيت رب العزة في النوم فقلت: يا رب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك؟ قال فقال: كلامي يا أحمد، قلت يا رب بفهم أو بغير فهم؟ قال: بفهم وبغير فهم(١٠٤).

فأخبر عن نفسه بالرؤية فدلَّ على جوازه.

١١٥ ــ والوجه في جوازه ما روى أبوهريرة قال قال رسول الله ﷺ «رؤيا الرجل الصالح جزء من ستةٍ وأربعين جزءاً من النبوة»(١٠٥).

فوجه الدلالة أنه أخبر أن الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وما كان من النبوة لا يكون إلا حقاً ولا يكون باطلاً، فوجب أن تكون رؤية الله حقاً(١٠٦).

---

(١٠٤) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص ٤٣٤) باب ذكر المنامات التي رآها أحمد بن حنبل.
وسيأتي الكلام على هذه المسألة.

(١٠٥) أخرجه البخاري (١٢/٤٠٤) ومسلم (٤/١٧٧٣) عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعا به، لكن قال في رواية مسلم: جزء من خمس وأربعين جزءا. وتابعه أبوصالح عن أبي هريرة، أخرجه مسلم (٤/١٧٧٤).
وتابعهما أبوسلمة عن أبي هريرة، أخرجه مسلم (٤/١٧٧٤).
وتابعهم همام بن منبه عن أبي هريرة، أخرجه مسلم (٤/١٧٧٤).

(١٠٦) تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذه المسألة في كتابه «تلبيس الجهمية» فقال في معرض بيانه للوهم والخيال ومطابقته للحقيقة:
وقد يكون التوهم والتخيل مطابقاً من وجه دون وجه، فهو حق في مرتبته، وإن لم يكن مماثلا للحقيقة الخارجة مثل ما يراه الناس في منامهم. وقد يرى في اليقظة من جنس ما يراه في منامه. فإنه يرى صورا وأفعالا، ويسمع أقوالا، وتلك أمثال مضروبة لحقائق خارجية، كما رأى يوسف سجود الكواكب والشمس والقمر له، فلا ريب أن هذا تمثله وتصوره في نفسه وكانت حقيقته سجود أبويه وأخوته، كما قال: ﴿يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا﴾ =

ولأنه إجماع أهل الأعصار وذلك أن عصراً بعد عصر من لدن التابعين ومن

= (يوسف: ١٠٠) وكذلـك رؤيا الملك التي عـبرها يـوسف حيث رأى السنبل بـل والبقر، فتلك رآهـا متخيلة متمثلة في نفسه وكـانت حقيقتها وتـأويلها من الخصب والجـدب. فهـذا التمثـل والتخيل حق وصدق في مرتبته بمعنى أن له تأويلا صحيحا يكون مناسباً له ومشابهاً له من بعض الوجوه، فإن تأويل الرؤيا مبناها على القياس والاعتبار والمشابهة والمناسبة. ولكن من اعتقـد أن ما تمثل في نفسه وتخيل من الرؤيا هو مماثل لنفس الموجـود في الخارج وأن تلك الأمـور هي بعينها رآها فهو مبطل مثل من يعتقد أنَّ نفس الشمس التي في السماء والقمـر والكواكب انفصلت عن أماكنها وسجدت ليوسف، وأن بقراً موجودة في الخارج سبعاً سمانـاً أكلت سبعاً عجـافاً: فهـذا باطل.

وإذا كان كذلك فالإنسـان قد يـرى ربه في المنـام ويخاطبـه. فهذا حق في الـرؤيا، ولا يجـوز أن يعتقد أن الله في نفسه مثل ما رأى في المنام، فإن سائر ما يرى في المنام لا يجب أن يكون ممـاثلاً، ولكن لابد أن تكون الصـورة التي رآه فيها منـاسبة ومشـابهة لاعتقـاده في ربه، فـإن كان إيمـانه واعتقاده مطابقـا أتي من الصور وسمـع من الكلام مـا يناسب ذلـك، وإلا كان بـالعكس. قال بعض المشايخ: إذا رأى العبد ربه في صورة كانت تلك الصورة حجابا بينه وبـين الله. وما زال الصالحون وغيرهم يرون ربهم في المنام ويخاطبهم، وما أظن عاقلاً ينكر ذلك، فإن وجود هذا مما لا يمكن دفعه، إذ الرؤية تقع للانسان بغير اختياره، وهذه مسألـة معروفـة، وقد ذكـرها العلماء من أصحابنا وغيرهم في أصول الدين، وحكوا عن طائفة من المعتزلة وغيرهم انكار رؤيـة الله، والنقل بذلك متواتر عمن رأى ربه في المنام، ولكن لعلهم قالوا: لا يجوز أن يعتقد أنه رأى ربـه في المنام فيكونون قد جعلوا مثل هذا من أضغاث الأحلام، ويكـونون من فـرط سلبهم ونفيهم نفوا أن تكون رؤية الله في المنام رؤية صحيحة كسائر مايرى في المنام. فهذا مما يقوله المتجهمة، وهو باطل مخالف لما اتفق عليه سلف الأمـة وأئمتها، بـل ولما اتفق عليـه عامـة عقلاء بني آدم، وليس في رؤية الله في المنام نقص ولا عيب يتعلق به سبحانـه وتعالى، وإنمـا ذلك بحسب حـال الرائي وصحة إيمانه وفساده، واستقامة حاله وانحرافه. وقول من يقول ما خطر بالبال أو دار في الخيال فالله بخلافه، ونحو ذلك، إذا حمل على مثل هذا كان محملاً صحيحـاً، فلا نعتقـد أن ما تخيله الإنسان في منامه أو يقظته من الصور أن الله في نفسـه مثل ذلـك، فإنـه ليس هو في نفسـه مثل ذلك، بل نفس الجن والملائكة لا يتصورها الإنسان ويتخيلها على حقيقتهـا، بل هي عـلى خلاف ما يتخيله ويتصوره في منامه ويقظته، وإن كان ما رآه مناسبا مشابهاً لها، فالله تعالى أجل وأعظم أ هـ (تلبيس الجهمية (١/ ٧٢ - ٧٤)).

وقال في «الوصية الكبرى» (ص ٢٧ - بتحقيقنا) وهي في مجموع الفتاوي (٣/ ٣٩٠): وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه، فـإذا كان إيمـاناً صحيحـاً لم يره إلا في صـورة حسنة، وإذا كـان في إيمانـه نقص رأي ما يشبـه إيمانـه، ورؤيا المنـام لها حكم غـير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق.

بعـدهم يخبر أنـه رأى ربه ولا ينقـل عن أحد من أهـل العصر الإنكار عليـه فدلَّ سكوتهم على جواز ذلك.

١١٦ ـ من ذلـك رقبـة بن مسقلة[١٠٧] قـال: رأيت رب العـزة في المنـام فقـال: لأكرمِنَّ مثوى سليمان يعني التيمي.

١١٧ ـ وعن عـطاء السليمي[١٠٨] أنه رأى ربـه في المنام فقـال: مـا هـذا الخـوف الشديد الذي تخافني ألم تعلم أني أرحم الراحمين.

١١٨ ـ وعن حمزة بن حبيب الزيـات[١٠٩] أنه رأي في المنـام كأنـه عُرض عـلى الله فقال له: إقرأ القرآن كما علمّتك، وذكر القصة بطولها.

ولا يصح حمل ذلك على أنهم رأوا بشارة ربهم لأن في الأخبار مايسقط ذلك وهو قوله لأكرمَنَّ مثوى سليمان، وقوله ما هذا الخوف، وقوله إقرأ.

الثالث: جواز الإتيان عليه، وهذا غير ممتنع إطلاقه إذا لم يوصف بالانتقال ومثل هذا قوله ﴿**ثم استـوى على العـرش**﴾ (الأعراف: ٥٤) يجـوز إطلاق هـذه الصفة عليه لا على وجه الإنتقال والحدوث، وإن كان حرث «ثم» يقتضي ذلك في

---

(١٠٧) رقبة بن مصقلة (ويقال مسقلة كما وقع في صحيـح مسلم) العبدي أبـوعبدالله قـال عبدالله بن أحمد عن أبيه: شيخ ثقة من الثقـات مأمـون، وقال يحيى: ثقـة وكذا قـال النسائي والعجـلي، وكان صديقا لسليمان التيمي (التهذيب ٣/٢٨٦).

(١٠٨) عطاء السليمي الزاهد المشهور، قـال ابن أبي حاتم (٦/٣٤٠): رأى عبـدالله بن غالب، بـايع ابن الأشعث، روى عنه نوح بن قيس، سمعت أبي يقول ذلك اهـ. ولم يذكر فيـه جرحـاً ولا تعديلا، وترجم له أبونعيم في الحلية (٦/٢١٥ ـ ٢٢٦).

(١٠٩) حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات القارىء أبوعمارة الكوفي، قال ابن معين ثقة، وقال النسـائي: ليس به بأس، وقال ابن سعد: كان رجلاً صالحاً عنده أحاديث وكـان صدوقـاً، وقال السـاجي والأزدي: يتكلمون في قراءتـه وينسبونـه إلى حالـة مذمـومة فيـه وهو في الحـديث صدوق سيء الحفظ ليس بمتقن في الحـديث، وقـال الحـافظ: صـدوق زاهـد ربمـا وهم. (التـهـذيب ٣/٢٧ ـ ٢٨).

اللغة، وكذلك قوله «ينزل الله إلى السماء الدنيا» يجوز إطلاق ذلك من غير انتقال وشغل مكان(١١٠).

فإن قيل قوله «في أحسن صورة» معناه بأحسن صورة فتكون الفاء بمعنى الباء، ويكون معنى الإتيان فعله وإظهاره له، ومنه قوله تعالى **﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾** (النحل: ٢٦) معناه إظهار فعله، وكذلك قوله **﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾** (البقرة: ٢١٠) معناه بظلل.

قيل: هذا غلط لوجوه أحدها: أن إظهار فعله وتدبير ملكه عام في كل الأزمان والأحوال، فلا فائدة بتخصيصه في تلك الليلة التي أسرى به ا هـ.

والثاني: إن جاز تأويله على إتيان الأفعال والملك جاز عمل قوله «إنكم

---

(١١٠) الواجب على المسلم التعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية، خصوصا فيما يتعلق بصفات الباري سبحانه وأسمائه، ولفظ «الحركة والانتقال» لم يرد في الكتاب والسنة، فالإمساك عن ذكره هو الموافق للحق والصواب.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:
وأما لفظ «الزوال» و «الإنتقال» فهذا اللفظ مجمل، ولهذا كان أهل الحديث والسنة فيه على أقوال: عثمان بن سعيد الدارمي وغيره أنكروا على الجهمية قولهم: إنه لا يتحرك. وذكروا أثراً: أنه لا يزول، وفسروا الزوال بالحركة، فبين عثمان بن سعيد أن ذلك الأثر إن كان صحيحاً لم يكن حجة لهم، لأنه في تفسير قوله (الحي القيوم) ذكروا عن ثابت: دائم باق لا يزول عما يستحقه. كما قال ابن اسحاق: لا يزوال عن مكانته. (قلت) والكلبي بنفسه الذي يروي هذا الحديث وهو يقول: (استوى على العرش)، واستقر. ويقول: (ثم استوى إلى السماء) صعد إلى السماء. وأما «الانتقال» فابن حامد وطائفة يقولون: ينزل بحركة، وانتقال. وآخرون من أهل السنة كالتميمي من أصحاب أحمد أنكروا هذا، وقالوا: بل ينزل بلا حركة وانتقال. وطائفة ثالثة، كابن بطة وغيره يقفون في هذا. وقد ذكر الأقوال الثلاثة القاضي أبويعلى في «كتاب اختلاف الروايتين والوجهين» ونفى اللفظ بمجمله. والأحسن في هذا الباب مراعاة ألفاظ النصوص: فيثبت ما أثبت الله ورسوله باللفظ الذي أثبته، وينفي ما نفاه الله ورسوله كما نفاه وهو أن يثبت النزول والإتيان والمجيء وينفي المثل والسمي والكفؤ، والند.
وقد صرح طوائف منهم بالحركة كما صرح بذلك طوائف من أئمة الحديث والسنة، وصرحوا بأنه لم يزل متكلما إذا شاء، وأن الحركة من لوازم الحياة، وقد صرح بالحركة من صرح من الفلاسفة.

ترون ربَّكم يوم القيامة» على رؤية أفعاله وملكه، وقد أجمعنا ومثبتوا الصفات على خلاف ذلك.

الثالث: أنه وصفه بالصورة ووضع الكف بين كتفيه وهذه الصفة لا تتصف بها الأفعال والملك، فأما قوله ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ (النحل: ٢٦) فالمراد به أفعاله لأن في الآية ما دلَّ عليه، وهو خراب الديار بقوله ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب﴾ (النحل: ٢٦)(١١١).

وأما قوله ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾ (البقرة: ٢١٠) المراد به الذات على أصولنا، لأن حمله على الأمر يسقط فائدة التخصيص بذلك اليوم، لأن أمره سابق لإيتانه، ولأنه إن جاز حمله على هذا جاز حمل قوله «إنكم ترون ربَّكم يوم القيامة» على رؤية أمره وملكه.

١١٩ – فإن قيل: فقد روي عن ابن عباس في قوله ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظُلل من الغمام﴾ (البقرة: ٢١٠) قال: يأتيهم بوعده ووعيده.

قيل له: ولم يقل إنه لا يأتي ذاته فيحتمل أن يكون تأتي ذاته بوعده ووعيده وهكذا قوله ﴿وجاء ربك﴾ (الفجر: ٢٢) معناه مجيء ذاته، لأن حمله على مجيء الأمر والملك يُسقط فائدة التخصيص بذلك اليوم لأن أمره سابق، ولأن هذا يوجب تأويل «ترون ربكم»، ولأنه ليس في حمله على ظاهره ما يُحيل صفاته لأنَّا لا

---

(١١١) أخرج ابن جرير (١٤/٦٧) عن قتادة في هذه الآية قوله: إي والله، لأتاها أمر الله من أصلها فخر عليهم السقف من فوقهم، والسقف أعالي البيوت، فأتفكت بهم بيوتهم فأهلكهم الله ودمرهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون. واسناده حسن.
قال ابن جرير: وقال آخرون: عنى بقوله (فخر عليهم السقف من فوقهم) يقول: عذابٌ من السماء لما رأوه استسلموا وذلوا.
قال: وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال معنى ذلك: تساقطت عليهم سقوف بيوتهم، إذ أتى أصولها وقواعدها أمر الله فأتفكت بهم منازلهم، لأن ذلك هو الكلام المعروف من قواعد البنيان وخر السقف، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأشهر الأعرف منها أولى من توجيهها إلى غير ذلك، ما وجد إليه سبيل ا هـ.

نثبت مجيء انتقال، بل نثبت مجيئاً غير معقول كما أثبتنا ذاتاً ونفساً ووجهاً ويداً(١١٢).

١٢٠ ــ وقد قال أحمد في رواية حنبل في قوله ﴿وجاء ربك﴾ قال: قدرته قال أبواسحاق بن شاقلا هذا غلط من حنبل لا شك فيه، وأراد أبواسحق بذلك أن مذهبه حمل الآية على ظاهرها في مجيء الذات هذا ظاهر كلامه والله أعلم.

١٢١ ــ وقد قال أحمد في رواية أبي طالب **﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾** (البقرة: ٢١٠) **﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾** (الفجر: ٢٢) فمن قال أن الله لا يرى فقد كفر وظاهر هذا أن أحمد أثبت مجيء ذاته، لأنه احتج بذلك على جواز رؤيته، وإنما يحتج بذلك على جواز رؤيته إذا كان الإتيان والمجيء مضافاً إلى الذات.

---

(١١٢) وهو الصواب الذي عليه أئمة السلف، وجمهور الأمة واختاره ابن جرير في تفسيره (٢/١٩١) فقال: وأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من وجه قوله **﴿في ظلل من الغمام﴾** إلى أنه من صلة فعل الرب عز وجل، وأن معناه هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وتأتيهم الملائكة.

قال: ثم اختلف في صفة إتيان الرب تبارك وتعالى الذي ذكره في قوله **﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾** فقال بعضهم: لا صفة لذلك غير الذي وصف به نفسه عز وجل من المجيء والإتيان والنزول، وغير جائز تكلف القول في ذلك لأحد إلا بخبر من الله جل جلاله أو من رسول مرسل، فأما القول في صفات الله وأسمائه فغير جائز لأحد من جهة الاستخراج إلا بما ذكرنا ا هـ.

ولا شك في صحة هذا القول، وهو من القواعد الثابتة لأهل السنة والجماعة، أنهم لا يتكلمون في أسماء الله وصفاته إلا بقول الله وقول الرسول ﷺ.

حديثٌ آخر في هذا المعنى في ألفاظه زيادة

١٢٢ ــ رواه أبوبكر الخلال عن الحسن بن ناصح الخلال قال نا الأسود بن عامر شاذان قال نا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ «رأى ربه جل ثناؤه جعداً قططاً أمرد في حلة حمراء»(١).

---

(١) حديث منكر، أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/٦٧٧) ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل» (١/٣٦) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢/٥١٢ - ٥١٣) مختصراً والبيهقي في «الأسماء» (ص ٤٤٤ - ٤٤٥) عن شاذان به، لكن فيه: حلة خضراء، بدل حمراء.

ورواه ابن عدي في الكامل (٢/٦٧٧) وابن الجوزي في «العلل» (١/٣٥) والخطيب في «تاريخه» (١١/٢١٤) عن عبدالصمد بن حسان عن حماد به وفيه: عليه حلة حمراء. ووقع في العلل والتاريخ: ابن كيسان، وهو خطأ، وابن حسان له ترجمة في الجرح لابن أبي حاتم (٦/٥١) وقال عن أبيه: صالح الحديث صدوق. ووقع في الكامل المطبوع: ابن كيان، وهو من تحريفات الناشرين للكتاب التي لا تعد.

ورواه ابن عدي عن الحسين بن يحيى بن كثير عن أبيه عن حماد به. وسيكرره المصنف من طرق عن شاذان.

قال ابن عدي: قال لنا ابن أبي داود: روى هذا الحديث شاذان وابراهيم بن أبي سويد وعفان وعبدالصمد بن حسان عن حماد، ورواه الحكم بن أبان عن زيرك عن عكرمة، وهو غريب اهـ. وقد اتهم حماد بن سلمة بهذا الحديث، وليس ذلك بصحيح.

قال ابن عدي (٢/٦٧٦) حدثنا ابن حماد حدثنا أبوعبدالله محمد بن شجاع الثلجي أخبرني ابراهيم بن عبدالرحمن بن مهدي قال: كان حماد بن سلمة لا يُعرف بهذه الأحاديث - يعني التي في الصفات - حتى خرج خرجةً إلى «عبادان» فجاء وهو يرويها، فلا أحسب إلا شيطانا خرج إليه في البحر فألقاها اليه.

قال أبوعبدالله: سمعت عباد بن صهيب يقول: إن حماد بن سلمة كان لا يحفظ، فكانوا يقولون إنها دُسَّت في كتبه، وقد قيل: إن ابن أبي العوجاء كان ربيبه فكان يدسُّ في كتبه هذه الأحاديث اهـ.

هكذا اتهم الثلجي الكذاب حماد رحمه الله، فدافع عنه ابن عدي بقوله: وأبوعبدالله بن الثلجي كذاب. وكان يضع الحديث ويدسه في كتب أصحاب الحديث بأحاديث كفريات فهذه الأحاديث من تدسيسه اهـ. =

= وقال الذهبي في الميزان (١/٥٩٣) بعد نقله لكلام ابن الثلجي: قلت: ابن الثلجي ليس بمصدق على حماد وأمثاله، وقد اتهم! نسأل الله السلامة ا هـ.
والثلجي هذا جهمي ضال، قال الذهبي في ميزانه (٣/٥٧٧): قال ابن عدي: كان يضع الحديث في التشبيه ينسبها إلى أصحاب الحديث يسابهم بذلك.
قلت (أي الذهبي): جاء من غير وجهٍ أنه كان ينال من أحمد وأصحابه. ويقول: أيش قام به أحمد؟! قال المروزي: أتيته ولُمْته فقال: إنما أقول• كلام الله كما أقول: سماء الله وأرض الله.
وكان يقول: أصحاب أحمد بن أحمد يحتاجون أن يذبحوا!!
ويقول: عند أحمد بن حنبل كتب الزندقة!
وتعرض الدارمي في «النقض على المريسي» له، ورد عليه في مواطن كثيرة من كتابه. ولا تعجب بعد هذا من دفاع إمام الجهمية في عصرنا، الكوثري الهالك عن إمامه هذا بقوله في تعليقه على كتاب «الأسماء» للبيهقي وهو يرد على ابن عدي قوله (أبوعبدالله الثلجي كذاب): وهذا غاية في التجرؤ وهكذا يكون من تحمسهم في الباطل! (يعني أصحاب الحديث) والثلجي إمام من أئمة المسلمين! وكان من بحور العلم آية في الورع، لكن الهوى يقتل صاحبه، وقد كشفت الستار عن وجه هذا التجرؤ في غير كتاب، وقد سبق بعض ما يتعلق بهذا، والعقيلي على تعنته لم يذكره في الضعفاء، ولابن عدي نزوات تقضي على نفسه!» ثم أنظر إليه وهم يهجم على حماد بن سلمة: وأحاديث حماد بن سلمة في الصفات تحتوي على غرائب تحتاج إلى تدوين كتاب خاص، راجع تكملة الرد على النونية (ص ٩٦)، والدفاع عن حماد بن سلمة ومحاولة تصحيح مثل هذا الحديث لا يصدر إلا ممن لا يعي ما يقول! فتباً لعقل يستسيغ الوثنية في الاسلام!! ويحاول الدفاع عن ضعفاء الأحلام، بعد وضوح العلل وتبين الخلل فيما يتمسك به أهل الزلل والله سبحانه هو الهادي ا هـ.
أقول: الله حسيبك فيما سطرته في ذم السلف وأهل الحديث وتنقصهم ورميهم بالوثنية وقصور العقل والجهل، وغيرها من الصفات التي أنت وأتباعك أحقّ بها وأهلها.
فالحاصل أن حماد بن سلمة بريء من عهدة هذا الحديث، وقيل أن عكرمة أخطأ فيه.
قال البيهقي: وقد حمل غيره (يعني ابن عدي) من أهل النظر في هذه الرواية على عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما، وزعم أن سعيد بن المسيب تكلم فيه، وكذلك عطاء وطاووس ومحمد بن سيرين، وكان مالك بن أنس لا يرضاه. ومسلم بن الحجاج لم يحتج به في الصحاح اهـ.
قلت: وكلامه فيه نظر، فقد دافع عن عكرمة الحافظ في التقريب، بقوله: ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا تثبت عنه بدعة.
وقد احتار الدارمي رحمه الله في علة هذا الحديث فقال في «النقض» (ص ١٦٣): والله أعلم بهذا الحديث وعلته، غير أني استنكره جدا، لأنه يعارض حديث أبي ذر أنه قال لرسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه» ويعارضه قول عائشة رضي الله عنها: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية وتلت (لا تدركه الأبصار) فهذا هو الوجه عندنا فيه ا هـ.
والحديث فيه عنعنه قتادة وهو مدلس، فلعلها هي العلة، والله أعلم.
وللحديث طريق أخرى موقوفة على ابن عباس. =

١٢٣ ــ ونـا أبوالقسم عبـدالعزيـز بن أحمد قـال نـا أبـوالحسن أحمـد بن محمـد بن موسى بن الصلت قال نـا أبوعمـر حمزة بن القسم الهـاشمي نـا عمـر بن مـدرك أبوحفص القاضي نا محمد بن الوليد مولى بني هاشم قال نا شاذان قال نـا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «رأيت ربي عزَّ وجلَّ في حلة خضراء في صورة شاب عليه تاج يلمع منه البصر».

١٢٤ ــ ونا أبوالقاسم عبدالعزيز قـال أخبرني أبـوبكر أحمـد بن جعفر بن مـالك في الإجازة وقرأته على أبي قال نا عبـدالله بن أحمد بن حنبـل قال حـدثني أبي قال ثنـا عبـدالرزاق نـا معمر عن أيـوب عن أبي قلابـة عن ابن عبـاس أن النبي ﷺ قـال «أتاني ربي عزَّ وجل الليلة في أحسن صورة ـ يعني في النوم ـ فقال لي: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعـلى؟ قال قلت: لا، قـال فوضـع يده بـين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي»[٢].

١٢٥ ــ وأخـرج إلي أبـوالقسم عبيـدالله بن أحمـد في جملة أخبـار الصفـات قـال نا أحمد بن محمد الرازي قـال نا حمـزة بن القسم قال نـا أبوحفص عمـر بن مدرك قال نا محمد بن الوليد مولى بني هاشم بغدادي قال نا شاذان قال نا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «رأيت ربي عز وجـل في حلة خضراء في صورة شاب عليه تاج يلمع منه البصر».

١٢٦ ــ وقال أيضا نا محمد بن العباس قال نا أبوالطيب محمد بن القسم الكوفي قال نا أحمد بن زهير بن حرب قال نا ابـراهيم بن محمد عن عـروة قال نـا شاذان قـال نـا حماد بن سلمـة عن قتادة عن عكـرمة عن ابن عبـاس قال قـال رسول الله ﷺ «رأيت ربي عز وجل جعداً أمرد عليه حلة خضراء».

= فقد أخرج البيهقي في الأسماء (ص ٤٤٤) عن ابراهيم بن الحكم بن أبـان حدثني أبي عن عكـرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل: هل رأى محمد ﷺ ربـه؟ قال: نعم، رآه كـأن قدميـه على خضرة دونه ستر من لؤلؤ، فقلت: يا ابن عباس أليس يقـول الله عز وجـل ﴿**لا تدركـه الأبصار**﴾ قال: لا أم لك! ذاك نوره الذي هو نوره، اذا تجلى بنوره لا يدركه شيء.

ثم نقل البيهقي عن ابن معين، تضعيفه لابراهيم بن الحكم بن أبان.

وهو ضعيف عند جمهور المحدثين (انظر التهذيب).

(٢) سبق تخريجه.

١٢٧ ـ وناه أبومحمد الحسن بن محمد في جملة أخبار الصفات نايوسف بن عمر قال نـا اسحق بن ابـراهيم بن الحسن بن داود العـطار قـال نـا أبـوالفضـل محمـد بن أبي هرون الوراق قال نا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان قال نا أسـود بن عـامر قـال نـا حمـاد بن سلمـة عن قتـادة عن عكـرمـة عن ابن عبـاس قـال رسول الله ﷺ «رأيت ربي جعداً أمرد عليه حلة خضراء».

١٢٨ ـ وأنـا أبومحمـد الحسن بن محمد قـال أجاز لنـا عـلي بن محمـد بن لؤلؤ قـال نا الهيثم بن خلف الدوري قال نا حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج قال قال الضحاك سمعت ابن عباس يقول: رأى محمد ربه بعينيه مـرتين في صـورة شاب أمرد(٣).

١٢٩ ـ وأنا أبوبكـر محمد بن عبـدالملك بن بشران قال أنـا أبوالحسن عـلي بن عمر الدارقطني نا أبوالعباس عبدالله بن جعفر بن خشيش نا محمد بن منصور الـطوسي نا(١) أسود بن عامر نـا حماد بن سلمـة عن قتادة عن عكـرمة عن ابن عبـاس عن النبي ﷺ «أنه رأى ربه عز وجل شاباً أمرد جعداً قططاً في حلة خضراء».

١٣٠ ـ وذكر أبوبكـر الخلال في سننـه قال أنـا محمد بن عـلي بن محمد الـوراق قال نا ابراهيم بن هـاني قال نـا أحمد بن عيسى وقـال له أحمـد بن حنبل حـدثهم به في منـــزل عمـه قـــال نـا عبـــدالله بن وهب قـال أخـــبرني عمـــرو بن الحـــرث عن سعيـد(٢) بن أبي هـلال أن مـروان بن عثـمان حـدثـه عن عـــمارة بن عـامـــر عن أم الطفيل امرأة أبي بن كعب أنها قالت: سمعت رسـول الله ﷺ يذكـر «أنه رأى ربه في المنام في صورة شاب موفر رجلاه في خضر عليه نعلان من ذهب على وجهه فَراش من ذهب»(٤).

(١) في الأصل: نا أخبرنا، وهو خطأ.
(٢) في الأصل: سعد وهو خطأ، والتصويب من الطبراني والبيهقي وكتب الرجال.

(٣) اسناده ضعيف، فيه عنعنة ابن جريج وهو مدلس. وقد أخرجه مسلم بلفظ: رآه بفؤاده مرتين. وقد تقدم ذكر طرقه.
(٤) حديث منكر، أخرجه الطبراني في الكبير (٢٥/١٤٣) والبيهقي في الأسماء (ص ٤٤٦ ـ ٤٤٧) عن عمرو بن الحارث به. =

١٣١ ــ ونـا أبوالقسم عبـدالعزيـز قال أنـا أبـوبكـر عبـدالعـزيـز في الإجـازة قـال نـا محمد بن سليـمان قـال نـا أحمـد بن عبـدالـرحمن بن أخي وهب قـال نـا عمي عبـدالرحمن بن وهب قـال أخبرني عمـرو بن الحرث عن سعيـد بن أبي هـلال أن مروان بن عثمان حدثه عن عـمارة بن عامـر عن أم الطفيـل امرأة أبي بن كعب أنها سمعت رســول الله ﷺ يقـول «رأيت ربي في المنــام في خضر من الفــردوس إلى أنصاف ساقيه في رجليه نعلان من ذهب على وجهه فراش من ذهب».

١٣٢ ــ وأنـا أبـوبكـر بن بشران أنـا الـدارقـطني نـامحمـد بن اسـماعيـل الفـارسي نا أبوزرعة الدمشقي ناأحمد بن صـالح نـا ابن وهب أخبرني عمـرو بن الحرث أن سعيد[1] بن أبي هلال أخـبره أن مروان بن عثـمان أخبره عن عـمارة بن عامـر عن أم الطفيل امـرأة أبيٍّ بن كعب أنها سمعت رسول الله ﷺ يـذكر «أنـه رأى ربه في النوم في صورة شاب ذي وفرة قدماه في الخضر عليـه نعلان من ذهب عـلى وجهه فراش من ذهب».

١٣٣ ــ وروى أبوعبدالله بن بطة في كتاب «الإبانة»: قال أحمد بن محمد الباغنـدي قال نا أحمد بن عبدالجبار العطاردي قـال نا يـونس بن بكير عن محمـد بن اسحق عن عبدالرحمن بن الحرث عن عبدالله بن أبي سلمة عن عبدالله بن عمـر أنه بعث

---

(١) في الأصل: سعد.

= ضعفه الإمام أحمد بقوله: هذا حديث منكر، كما سيأتي نقل المصنف عنه. وفيه: مروان بن عثمان وهو ابن أبي سعيد بن المعلى الأنصاري الزرقي، ضعفه أبوحاتم، وكذا الحافظ في التقريب.

وقـال في ترجمتـه من التهذيب (١٠/٩٥): ذكـر المؤلف (أي المزي) أنـه روى عن أم الطفيـل وفيه نظر، فإن روايته إنما هي عن عمارة بن عمرو بن حزم عن أم الطفيل امرأة أُبي في «الرؤية» وهو متن منكر، قال أبوبكر بن الحداد سمعت النسائي يقول: ومن مروان بن عثمان حتى يصدق على الله عز وجل اهـ.

قلت: وعمارة بن عمرو بن حزم، هو نفسه: عمارة بن عامر، فإن عمرو هو جدّ عـمارة، كما سيـأتي نقل المصنف عن أبي زرعة.

وذكره ابن أبي حاتم في كتابه(٦/٣٦٧) ولم يورد فيه جرحاً ولا تعديلاً. وذكره ابن حبان في الثقـات (٥/٢٤٥) وقـال: يروي عن أم الـطفيل امـرأة أبي كعب عن النبي ﷺ قال: «رأيت ربي» حـديثاً منكراً، لم يسمع عمارة من أم الطفيل، وإنما ذكـرته لكي لا يغـتر الناظـر فيه فيحتـج به من حـديث أهل مصر.

(٥) هو مكرر الحديث السابق.

إلى عبدالله بن عباس يسئله هل رأى محمد ربـه تبارك وتعالى؟ فبعث إليه: أن نعم قد رآه، فرد عليـه رسولـه فقال كيف رآه؟ قـال: فقال رآه عـلى كرسي من ذهب تحمله أربعة من الملائكة ملك في صورة رجـل، وملك في صورة أسـد، وملك في صـورة ثـور، ومـلك في صـورة نسر، في روضـة خضراء دونـه فـراش مـن ذهب»[٦].

١٣٤ ــ قال ونا أبوذر قال نا العطاردي قـال نا يـونس بن بكير عن أبي اسحق قـال حدثني يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس قال: أنشد رسـول الله ﷺ من قول أمية بن أبي الصلت:

رجـل وثـور تحت رجـل يمينـه　　　والنسر لـلأخـرى وليث مـرصـد

فقال رسول الله ﷺ صدق»[٧].

---

(٦) اسناده ضعيف، أخرجه ابن خزيمـة في «التوحيـد» (ص ١٩٨) وابن أبي شيبة في كتـاب «العرش» (٣٨ - بتحقيـقي) والآجـري في «الشريعـة» (ص ٤٩٤) والبـيهـقي في «الأسـماء» (ص ٤٤٣) وابن الجوزي في «العلل» (١/٣٧) وذكره الـذهبي في الميزان (٣/٤٧٤) كلهم عن يـونس بن بكير عن محمد بن اسحاق به.

قـال البيهقي: فهذا حـديث تفرد بـه محمد بن اسحـاق بن يسار، وقـد مضى الكلام في ضعف مـا يرويه إذا لم يبين سماعه فيه، وفي هذه الرواية انقطاع بـين ابن عباس رضي الله عنهما وبين الـراوي عنه، وليس بشيء من هذه الألفاظ في الروايات الصحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ا هـ.

قلت: الانقطاع الذي ذكره البيهقي رحمه الله، هو جهالة الرسـول بين ابن عبـاس وابن عمر رضي الله عنهما.

(٧) صحيـح، أخـرجــه أحمـد (١/٢٥٦) وابنــه عبـدالله في «السنــة» (٢/٥٠٣ - ٥٠٤) والـدارمي (٢/٢٩٦) وابن أبي عـاصم في «السنة» (٢/٢٥٥ - ٢٥٦) وابن خـزيمة في «التـوحيـد» (ص ٩١) والـطبراني في الكبـير (١١/٢٣٣) وابن منـده في «الـرد عـلى الجهميـة» (ص ٤٣ - ٤٤) كلهم عن عبدة بن سليمان عن محمد بن اسحاق عن يعقوب بن عتبة (وقع عند أحمـد: عتيبة وهـو خطأ) عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ: «صدق أمية في شيء من شعره فقال:

رجـل وثـور تحت رجـل يمـيـنـه　　　والـنسر لـلأخـرى ولـيـث مـرصـد

فقال النبي ﷺ صدق، وقال:

والـشـمس تـطلع كـل آخـر لـيـلة　　　حمـراء يـصـبـح لـونها يـتـورد

تـأتي فـما تـطلع لـنـا في رسلهـا　　　إلا مـعـذبـة والا تجـلـد

فقال النبي ﷺ: «صدق».

=

وقد ذكر أبوالحسن الدارقطني هذه الألفاظ في كتاب الرؤية من طرق.

إعْلَم أن الكلام في هذه الأخبار في فصلين أحدهما في طرقها، والثاني في ألفاظها. أما طرقها فإن كلام أحمد في ذلك مختلف.

١٣٥ – فروى المروذي قال حدثني عبدالصمد بن يحيى الدهقان قال سمعت شاذان يقول: أرسلت إلى أبي عبدالله أستأذنه في أن أحدث بحديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس «رأيت ربي» فقال: حدِّث به فقد حدث به العلماء، فقلت: إنهم يقولون ما رواه غير شاذان قال: بلى قد كتبته عن عفان عن رجل عن حماد بن سلمة(٨).

= قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٧١): هذا اسناد جيد.
قلت: لكن فيه عنعنة ابن اسحاق.
لكن قد صرح بالسماع في رواية يونس بن بكير عنه، أخرجها ابن خزيمة في «التوحيد» (ص ٩١) والبيهقي في «الأسماء» (ص ٣٦٠).
وأخرجه ابن خزيمة (ص ٩٠) عن محمد بن عيسى حدثنا سلمة بن الفضل حدثني ابن اسحاق به.
وفي اسناد البيهقي أحمد بن عبدالجبار وهو العطاردي، ضعيف، ولكن تابعه عند ابن خزيمة محمد بن أبان البلخي وهو ثقة حافظ، ويونس بن بكير دون عبدة بن سليمان الكلابي في الحفظ، قال ابن أبي حاتم: سئل أبي وأبوزرعة عن عبدة بن سليمان ويونس بن بكير وسلمة بن الفضل، أيُّهم أحب إليكم في ابن اسحاق؟ فقالا: عبدة بن سليمان.
على كل حال، لم يتفرد به محمد بن اسحاق، ـ خلافاً لقول البيهقي في الأسماء ـ، بل تابعه عمارة بن أبي حفصة، أخرجه ابن خزيمة (ص ٩١) حدثنا أبوهاشم زياد بن أيوب حدثنا اسماعيل يعني ابن عليه حدثنا عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة عن ابن عباس فذكر القصة، قال عكرمة فقلت لابن عباس: وتجلد الشمس؟ فقال: عصفت بهن وأبيك، إنما اضطره الراوي إلى أن قال تجلد.
واسناده صحيح، عمارة بن أبي حفصة، قال أحمد وابن معين وأبوزرعة وابن سعد والنسائي: ثقة، وأبوهاشم ثقة حافظ.
وزيادة قال عكرمة فقلت لابن عباس. . ، فيها ما يستنكر وهو قوله: وأبيك، وقال الشيخ الهراس: وهي زيادة لا تطمئن إليها النفس.

(٨) أخرجه ابن المصنف في طبقاته (١/ ١١٨ ـ ١١٩) قال: أنبأنا محمد بن الأبنوسي عن الدارقطني حدثنا محمد بن مخلد حدثنا أبوبكر المروذي حدثنا عبدالصمد بن يحيى فذكره، دون قوله: فقلت إنهم يقولون ما رواه غير شاذان. . الخ.
عبدالصمد بن يحيى الدهقان لم أجد له ترجمة.

وهذا من أحمد تصحيح لحديث ابن عباس وتثبيت له.

١٣٦ ــ وذكر أبوبكر الأثرم في كتاب العلل سألت أحمد عن حديث عبدالرحمن بن عايش الذي روى عن النبي ﷺ «رأيت ربي في أحسن صورة» فقال يضطرب في إسناده لأن معمراً روى عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس عن النبي ﷺ.

وروى معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن أبي قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس عن النبي ﷺ.

ورواه حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ.

ورواه يوسف بن عطية عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ.

ورواه عبدالرحمن بن زيد عن جابر عن خالد بن اللجلاج عن عبدالرحمن بن عايش سمعت النبي ﷺ.

ورواه يزيد بن يزيد بن جابر عن خالد بن اللجلاج عن عبدالرحمن بن عايش عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

ورواه يحيى بن أبي كثير فقال عن ابن عباس عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ.

وأصل الحديث واحد، وقد اضطربوا فيه.

وظاهر هذا الكلام من أحمد التوقف في طريقه لأجل الإختلاف فيه، ولكن ليس هذا الكلام مما يوجب تضعيف الحديث على طريقة الفقهاء.

١٣٧ـ ورأيت في مسائل مهنا بن يحيى الشامي قال: سألته يعني أحمد عن حديث رواه ابن وهب عن عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبي هلال أن مروان بن عثمان حدثه عن أم الطفيل امرأة أبي بن كعب أنها قالت سمعت النبي ﷺ «يذكر أنه رأى ربه في المنام في صورة شاب موفر رجلاه في خضر عليه نعلان من ذهب على وجهه فراش من ذهب» فحوَّل وجهه عني وقال: هذا حديث منكر، وقال: لا نعرف هذا رجل مجهول يعني مروان بن عثمان.

فظاهر هذا التضعيف من أحمد لحديث أم الطفيل.

١٣٨ ــ ورأيته بخط أبي بكر الكشي قال عبدالعزيز سمعت الخلال يقول: إنما نروي هذا الحديث وإن كان في إسناده شيء، تصحيحاً لغيره ولأن الجهمية تنكره.

١٣٩ ــ ورأيت بخط ابن حبيب جوابات مسائل لأبي بكر عبدالعزيز قال: حديث أم الطفيل فيه وهاء ونحن قائلون به، وظاهر رواية ابراهيم بن هانىء تدل على صحته، لأن أحمد قال لأحمد بن عيسى في منزل عمه حدثهم به ولا يجوز أن يأمره أن يحدثهم بحديث يعتقد ضعفه لا سيما فيما يتعلق بالصفات.

١٤٠ ــ وقد صححه أبوزرعة الدمشقي فيما سمعناه من أبي محمد الخلال وأبي طالب بن العشاري وأبي بكر بن بشران عن علي بن عمر الحافظ فيما خرَّجه في آخر «كتاب الرؤية» قال نا محمد بن اسماعيل الفارسي قال نا أبوزرعة الدمشقي قال نا أحمد بن صالح قال نا ابن وهب أخبره أن مروان بن عثمان أخبره عن عمارة بن عامر عن أم الطفيل امرأة أبي بن كعب أنها سمعت رسول الله ﷺ «يذكر أنه رأى ربه عز وجل في النوم في صورة شاب ذي وفرة قدماه في أخضر عليه نعلان من ذهب على وجهه فراش من ذهب».

قال أبوزرعة كل هؤلاء لهم أنساب قوية بالمدينة، فأما مروان بن عثمان فهو مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى الأنصاري، وأما عمارة فهو ابن عامر بن عمرو بن حزم صاحب رسول الله ﷺ، وعمرو بن الحرث وسعيد بن أبي هلال فلا يشك فيهما وحسبك بعبدالله بن وهب محدثاً في دينه وفضله(٩).

---

(٩) في تاريخ أبي زرعة المطبوع (١/٤٤٥): ونسب مروان بن عثمان صاحب حديث أم الطفيل: مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى الأنصاري.
قال أبوزرعة: أخبرنيه محمد بن عثمان عن محمد بن شعيب أنه نسبه له، وقد روى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري وسعيد بن أبي هلال ا هـ.

وظاهر الكلام من أبي زرعة إثباتاً[1] لرجال حديث أم الطفيل، وتعريفاً لهم وبياناً عن عدالتهم، وهو ظاهر ما عليه أصحابنا لأن أبابكر الخلال ذكر حديث أم الطفيل في «سننه» ولم يتعرض للطعن عليه.

١٤١ ـ وأخرج إليَّ أبو اسحق البرمكي[١٠] جزءاً فيه حكايات عن أبي الحسن بن بشار[2] رواية أبيه أبي حفص[١١] عن أبيه أحمد بن ابراهيم[١٢] قال: سألت الشيخ يعني أباالحسن بن بشار[١٣] عن حديث

---

(١) كذا في الأصل.
(٢) في الأصل: بن يسار وهو خطأ.

(١٠) ابو اسحاق البرمكي هو الشيخ الإمام ابراهيم بن عمر بن أحمد بن ابراهيم البرمكي ثم البغدادي الحنبلي، مولده في سنة إحدى وستين وثلاث مئة. سمع أبابكر القطيعي والحافظ أباالفتح الأزدي الموصلي وابن ماسي وعدة.
حدث عنه: أبوغالب محمد بن عبدالواحد الشيباني، وأبوطالب اليوسفي وغيرهما. قال الخطيب: كتبت عنه، وكان صدوقاً دينا، فقيها على مذهب أحمد، وله حلقة للفتوى، مات يوم التروية من ذي الحجة سنة خمس وأربعين وأربع مئة.
قال الذهبي: كان ذا زهد وصلاح، ومعرفةٍ تامة بالفرائض. (تاريخ بغداد (٦/١٣٩)، طبقات الحنابلة (٢/١٩٠ ـ ١٩١)، السير (١٧/٦٠٥ ـ ٦٠٧)).
وله في الظاهرية: «المنتخب من فوائد عبدالله بن ابراهيم بن ماسي».
مجموع ١٤٤ (ق ١٢/١ ـ ٢). (المنتخب من مخطوطات الحديث للعلامة الألباني (ص ١٣٠)).
(١١) هو عمر بن أحمد بن ابراهيم أبوحفص البرمكي، كان من الفقهاء والأعيان النساك الزهاد، ذوالفتيا الواسعة والتصانيف النافعة من ذلك «المجموع»، حدث عن ابن الصواف والخطبي، قال الخطيب: حدثنا عنه ابنه علي وكان ثقة صالحاً دينا، مات سنة ٣٨٩ هـ. (تاريخ بغداد (١١/٢٦٨ ـ ٢٦٩) طبقات الحنابلة (٢/١٥٣ ـ ١٥٥).
(١٢) هو أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل البرملي، ترجمه ابن المصنف في طبقاته (٢/٧٤) قال: صحب جماعة ممن صحبوا من صحب إمامنا أحمد وتخصص لصحبه أبي الحسن بن بشار، وحكى عنه أشياء قد ذكرنا بعضها في «أخبار أبي الحسن بن بشار»، ونذكر الآن في هذه الترجمة ما أغفلناه هناك، من ذلك.. ثم ذكر بعض أخباره.
(١٣) هو علي بن محمد بن بشار أبوالحسن، الزاهد العارف، حدث عن عبدالله وصالح ابني أحمد بن حنبل وأبي بكر المروذي، روى عنه أبوالحسن أحمد بن محمد ابن مقسم المقرىء وعلي بن محمد بن جعفر البجلي وغيرهما.
قال أبوعبدالله بن بطة الفقيه: إذا رأيت البغدادي يحب أباالحسن بن بشار وأبامحمد البربهاري =

أم الطفيل وحديث ابن عباس في الرؤيا، فقال: صحيح، فعارض رجل، فقال: هذه الأحاديث لا تذكر في مثل هذا الوقت، فقال لـه الشيخ: فَيَـدْرس الاسلام، فسكت(١٤).

فقد حكم بصحة الحديث، وقد يجوز أنه لم يقع لأحمد معرفة مروان بن عثمان في حال ما سأله مهنا، ثم وقع له معرفة نسبه فيما بعد.

١٤٢ ــ وكتب إليَّ أبوالقسم عبدالرحمن بن محمد بن إسحق بن محمد بن يحيى بن منده الأصبهاني بجزءٍ فيه حديث ابن عباس في الرؤية من طرق، وكلام أصحاب الحديث عليه.

١٤٣ ــ فقال أنا الحسن بن علي بن سلمة الهمذاني ومحمد بن علي بن مهدي وغيرهما قالوا ثنا أحمد بن جعفر بن مالك / ونا أحمد بن محمد بن عبدالله بن اسحق واللفظ له قال نا سليمن بن أحمد بن أيوب(١٥) قال نا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال نا الأسود بن عامر قال نا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «رأيت ربي في صورة شاب أمرد له وفرة جعد قطط في روضة خضراء».

١٤٤ ــ قال: وأبلغت أن الطبراني قال: حديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ في الرؤية صحيح، وقال: من زعم أني رجعت عن هذا الحديث

= فاعلم أنه صاحب سنة.
قال الخطيب: قال لي أبويعلى محمد بن الحسين الفراء: أبوالحسن علي بن محمد بن بشار الزاهد، كان يروي مسائل صالح بن أحمد، وكان له كرامات ظاهرة، وانتشار ذكر في الناس، وتوفي سنة ثلاث عشرة وثلاث مئة.
(تاريخ بغداد (١٢/٦٦)، طبقات الحنابلة (٢/٥٧ ـ ٦٣)).

(١٤) ذكرها ابن المصنف في طبقاته (٢/٥٩) في ترجمة أبوالحسن بن بشار معلقة: وقال أحمد البرمكي: سألت أباالحسن بن بشار عن حديث أم الطفيل..

(١٥) هو الطبراني وقد تقدم بيان مكان الحديث عنده، وهو من غير هذا الطريق.

بعد ما حدثت به فقد كذب، وهذا حديث رواه جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ وجماعة من التابعين عن ابن عباس، وجماعة من تابعي التابعين عن عكرمة، وجماعة من الثقات عن حماد بن سلمة[1] عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ وذكر أسماءهم بطولها.

١٤٥ ـ وأنا محمد بن عبيدالله الأنصاري قال سمعت أباالحسن عبيدالله بن محمد بن معدان يقول سمعت سليمان بن أحمد يقول سمعت ابن صدقة الحافظ[16] يقول: من لم يؤمن بحديث عكرمة فهو زنديق.

١٤٦ ـ وأنا محمد بن سليمان قال سمعت بندار بن أبي اسحق يقول سمعت علي بن محمد بن إبان يقول سمعت البرذعي يقول سمعت أبازرعة الرازي يقول: من أنكر حديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «رأيت ربي عز وجل» فهو معتزلي[17].

١٤٧ ـ وسمعت علي بن أحمد بن مهران المديني[18] قال حضرت

---

(١) هنا إشارة من الناسخ إلى وجود سقط في العبارة استدركه في الهامش وكتب إلى جانبه: صح، ولكنه مطموس لم استطع قراءته.
ثم تبين لي عند حصولي على المصورة الثانية وهو: «وقال أبي رحمة الله: روى هذا الحديث جماعة من الأئمة الثقات عن حماد بن سلمة». ولا يتناسب مع السياق!.

(١٦) هو الإمام الحافظ المتقن الفقيه أبوبكر أحمد بن محمد بن عبدالله بن صدقة البغدادي.
حدث عن أحمد بن حنبل بمسائل وعن اسماعيل بن مسعود الجحدري، ومحمد بن مسكين اليمامي وعدّه.
وحدث عنه: عبدالباقي بن قانع وأبوبكر الشافعي والطبراني والفقيه أبوبكر الخلال وأبوبكر بن مجاهد.
قال الدارقطني: ثقة ثقة.
وقال ابن المنادي: كان من الحِذق والضبط على نهاية ترضي أهل الحديث. وقال الذهبي: كان نقالاً لكتب القراءات، ومسائله عن الإمام أحمد مدونة، وكان موصوفاً بالإتقان والتثبت.
توفي سنة ٢٩٣ هـ.
(تاريخ بغداد (٥/ ٤٠ ـ ٤١)، طبقاته الحنابلة (١/ ٦٤ ـ ٦٥)، السير (١٤/ ٨٣ ـ ٨٤)).

(١٧) في سنده من لم أجد له ترجمة.

(١٨) كذا في الأصل ابن مهران، ولم أجد من ترجمه، ولعله أبوالحسن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أخرم المديني، ثم النيسابوري الصندلي المؤذن. مولده سنة ٤٠٥ هـ ووفاته سنة =

أباعبدالله بن مهدي وحضر عند جماعة فتذاكروا حديث عكرمة، وأنكره بعضهم، وكنت قد حفظته فحدثت به بطوله، فقام إليَّ أبوعبدالله وقبَّل رأسي ودعا لي.

١٤٨ ـ ونا محمد بن محمد بن الحسن قال نا أحمد بن محمد الملحمي قال سمعت محمد بن علي بن جعفر البغدادي قال سمعت أحمد بن محمد بن هاني الأثرم يقول سألت أباعبدالله أحمد بن حنبل عن حديث حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ «رأيت ربي» الحديث فقال أحمد بن حنبل هذا حديث رواه الكبر عن الكبر عن الصحابة عن النبي ﷺ فمن شكَّ في ذلك أو في شيء منه فهو جهمي لا تقبل شهادته، ولا يُسلّم عليه، ولا يُعاد في مرضه(١٩).

١٤٩ ـ وأنا أحمد بن محمد بن عبدالله بن اسحاق قال نا محمد بن يعقوب قال نا أحمد بن محمد قال نا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: رأيت أبي يصحح هذه الأحاديث ويذهب اليها، وجمعها وحدثناها.

١٥٠ ـ وروى باسناده عن عبدالوهاب الوراق قال سمعت أسود بن سالم يقول في هذه الأحاديث التي جاءت في الرؤية قال: نحلف عليها بالطلاق والعتاق أنها حق(٢٠).

فهذا الكلام في طريقها.

= ٤٩٤ هـ.
قال عبدالغافر في تاريخه (بواسطة السير): شيخ عابد فاضل جليل، من تلامذة الإمام أبي محمد الجويني.
وقال الذهبي: الشيخ العالم الزاهد، بقية المسندين..
(السير (١٥٧/١٩ ـ ١٥٨)، العبر (٣٤١/٣)، شذرات الذهب (٤٠١/٣)).

(١٩) في سنده من لم أعثر له على ترجمة.

(٢٠) سبق تخريجه في أول الكتاب.

وأما ألفاظ هذه الأحاديث فإنها تتضمن إثبات الصورة وإثبات الرؤية، وقد تقدَّم الكلام في ذلك فيما قبل وتتضمن زيادة ألفاظ في الرؤية لا يجب أن يستوحش من إطلاقها، لوجهين:

أحدهما أن أحمد قال في رواية حنبل لا نزيل عنه صفة من صفات ذاته بشاعة شُنِّعت.

الثاني: أننا لا نطلقها على وجه الجوارح والأبعاض، وتغير الأحوال، وإنما نطلقها كما نطلق غيرها من الصفات من الذات والنفس والوجه واليدين والعين وغير ذلك، وليس في قوله: شاب وأمرد وجعد وقطط وموفر إثبات تشبيه، لأننا نُثبت ذلك تسميةً كما جاء الخبر لا نعقل معناها، كما أثبتنا ذاتاً ونفساً، ولأنه ليس في إثبات الفراش والنعلين والتاج وأخضر أكثر من تقريب المحدث من القديم، وهذا غير ممتنع كما لم يمتنع وصفه بالجلوس على العرش، وكما روي في تفسير قوله ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا**﴾ (الاسراء: ٧٩) قال يقعده على العرش.

وكما رُوي «أن الله يدني عبده حتى يضع عليه كنفه» وكما روي في قوله ﴿**ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين**﴾ (النجم: ٨ ـ ٩) وكما روي «أنه وضع يده بين كتفيه» وكما روي «دونه حجاب» وغير ذلك(٢١).

واعلم أنها رأيا منام لأن أم الطفيل قد صرحت بذلك في خبرها، وحديث ابن عباس أكثر ألفاظه مطلقة، وقد نقل في بعضها صريح بذكر المنام فيما حدثنا أبوالقسم فقال «أتاني ربي الليلة في أحسن صورة يعني في النوم».

فإن قيل: فهذه الأخبار ضعاف لأن مدارها على عكرمة، وقد قال ابن عمر لنافع: لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس(٢٢).

---

(٢١) سبق تخريج هذه الأحاديث.

(٢٢) التهذيب (٧/٢٦٧).

وردَّه الحافظ في التقريب بقوله: ثقة ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا تثبت عنه بدعة. أما الحافظ الذهبي فقال: ثبت، لكنه أباضي يرى السيف، وروى له مسلم مقروناً وتحايده مالك. (الكاشف (٢/٢٤١)).

قيل هذا غلط لأن عكرمة ثقة ثقة، وهو مولى لابن عباس وقد أخرج عنه البخاري ومسلم ومالك وأحمد وغيرهم من أئمة أصحاب الحديث.

فإن قيل: فهذه الأخبار منام والشيء قد يُرى في المنام على خلاف ما هو به، قيل هذا غلط لوجوه: أحدها أن النبي ﷺ قصد بذلك بيان كرامته من ربه وقرب منزلته منه، فإذا حمل على خلاف ما أخبر زال المقصود، ولأن ما يخبر به شرع فهو معصوم فيه وصفات الله عز وجل شرع اعتقادها، وإذا كان معصوماً استوى فيه المنام واليقظة لأن رؤية الأنبياء تجري مجرى الوحي، من ذلك رؤيا ابراهيم عليه السلام ذبح ولده، ومن ذلك رؤيا يوسف عليه السلام في المنام الكواكب أنها ساجدة له، ولأن أعينهم تنام وقلوبهم لا تنام.

فإن قيل يحتمل أن يكون قوله «رأيت ربي جعداً قططاً شاباً موفراً» معناه: وأنا جعد قطط أمرد فتكون الصفة راجعة إلى النبي ﷺ كما يقال: رأيت الأمير راكباً يحتمل أن يكون الأمير هو الراكب، ويحتمل أن يكون الرائي راكباً.

قيل هذا غلط لوجوه: أحدها: أنه لم يكن هذه صفات النبي ﷺ ولو تغيرت صفته في تلك الحال لأخبر بذلك كما أخبر بوضع اليد بين كتفيه، وكما أخبر بقوله «فيم يختصم الملأ الأعلى» ولأن ألفاظ الخبر تدفع هذا، لأن في حديث ابن عباس عليه «تاج يلمع منه البصر» لو كانت الصفة راجعة إلى النبي ﷺ لقال عليَّ تاج، وفي حديث أم الطفيل «رجلاه في خضر عليه نعلان من ذهب على وجهه فراش من ذهب» ولو كانت الصفة عائدة على النبي ﷺ لقال: على وجهي وعليَّ فراش وعليَّ نعلان. وعلى أن قائلاً لو قال رأيت الأمير جعداً قططاً لم تنصرف هذه الصفة إلا إلى الأمير دون الرائي كذلك ها هنا.

فإن قيل: يحتمل أن تكون هذه المناظرة التي وصفها في الخبر ترجع إلى ما رأى في الجنة من هذه الخلق وما زُينت به، وأنه كان رائياً لربه في جميع ذلك لم يقطعه نظره إليها عنه ولم يشغله عنه.

قيل: هذا غلط لأنه لو قال: رأيت الخليفة في صورة شاب على وجهه فراش وفي رجليه لم يعقل من ذلك داره وإنما يرجع ذلك إلى ذاته.

فـإن قيل: هـذه الصفات لا تليق بصفـات الله سبحانـه لأنها من صفـات المخلوقـين المحدثـين. قيل: هـذا غلط، لأن مثل هـذا موجـود في إثبات الـوجه واليدين والعين فإنها من صفات المخلوقين المحدثين وقد جاز وصفه بها.

فإن قيل: إنما أثبتنا ذلك لأنها وردت من طريق مقطوع عليه وهـو القرآن، وهذه أخبار آحـاد وخبر الـواحد إنمـا يقبل فيـها طريقـة العمل، فـأما فيـها طريقـة الإعتقاد والقطع فلا، لأنه لا يمكن القطع بمثلها.

قيل: هذا غلط، لأنها وإن كانت أخبار آحاد فقد تلقتهـا الأمة بـالقبول، منهم من حملها على ظاهرها وهم أصحاب الحديث[٢٣]، ومنهم من تأولها وتأويله لها قبول لها، وإذا تُلقيت بـالقبول اقتضت العلم من طـريق الإستدلال، لأن تلقيهم لها يدل على صحتها.

وجواب آخر: وهو أنه لو لم يجب قبولهـا لم يجب التشاغـل بتأويلهـا كسائـر الأخبار الباطلة، ولما تشاغلوا بالتأويل على مقتضى اللغة علمنا صحتها.

فإن قيل: إنما تأولناها لئلا يخلو نقلها من فائدة، وأن لا يكون ورودها كـلا ورود.

قيل: لو لم يجب قبـولها لم يلزم طلب الفـائدة لهـا ولم يضر إطراحهـا كسائـر الأخبار الباطلة.

١٥١ ــ وقد روي عن ابن عباس كلام يؤكد صحة حديثه ذكره أبـوبكربن أبي داود في كتاب «السنة» من جملة كتاب السنن باسناده عن عكرمـة قال سئـل ابن عباس

---

(٢٣) الذي عليه المحققون من أهل السنة والجماعة أنه لا فرق بين الحديث الآحاد والحـديث المتواتـر في تلقي العقيدة وغيرهـا، وأن التفريق بينهـما بدعـة محدثـة، لم يعرفهـا سلف الأمة وعلمائهـا، وإنما أحدثها من كاد لهذه الأمة وعقيدتها.
وبسبب هذه البدعة الشنيعة ردّت أحاديث علامات الساعة ونزول عيسى عليـه الصلاة والسـلام وظهور المهدي وخروج الدجال.. وغيرها من أحاديث العقيدة.
وللشافعي رحمه الله كلام نفيس على خبر الواحد وحجيته في كتابه «الرسالة» (ص ٣٦٩ ـ ٤٦١).

هل رأى محمد ربه؟ قال: نعم، قال كيف رآه؟ قال: في صورة شاب دونه ستر من لؤلؤ، كان قدميه في خضرة، فقلت أنا لابن عباس: أليس هو من يقول ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**﴾؟ قال: لا أم لك، ذلك نوره الذي هو نوره إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء[٢٤].

وهذا يدل من كلامه على إثبات الحديث وحمله على ظاهره وتأويل الآية.

١٥٢ — فأما الفراش فقال أبوبكر عبدالعزيز نا أحمد قال سألت ثعلب عن قوله «فراش من ذهب» قال: الفراش ما تطاير من كل شيء رقيق فهو فراش.

فهذا حدُّ الفراش في الشاهد[٢٥]، فأما الفراش المذكور في الخبر فلا نعقل معناه كغيره من الصفات[٢٦].

---

(٢٤) أثر ضعيف، وقد سبق تخريجه.

(٢٥) «الفراش» بالفتح: الطَّير الذي يُلقي نفسه في ضوء السراج، واحدتها: فراشة. النهاية (٤٣٠/٣).

(٢٦) بل الصواب أن أهل السنة والجماعة يعقلون معاني الصفات الإلهية ولكنهم يفوضون الكيفية، أما تفويض المعنى فليس هو مذهب أهل السنة بل هو مذهب بدعي كما تقدم.

حديث آخر في الصورة

١٥٣ ـ رواه أحمد في المسند عن عبدالرزاق نا معمر عن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة قال قال الناس يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال النبي ﷺ «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، فقال «هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» فقالوا: لا يا رسول الله قال «فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئاً فيتبعه، فيتبع من كان يعبد القمر القمر ومن كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله عز وجل في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا عز وجل، فإذا جاءنا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه»[١].

اعلم أن هذا الخبر يدل على إثبات الصورة وعلى الإتيان، وقد تقدم ذلك في الأخبار التي قبله وبينًا أنه غير ممتنع جواز اطلاق الصورة لا كالصور، كإطلاق نفس وذات لا كالنفوس والذوات، وإتيان لا عن انتقال وشغل مكان، كما جاز إطلاق الإستواء على العرش لا عن انتقال من حال إلى حال، وكما جاز رؤيته لا في مكان! وإن لم يكن ذلك معلوماً في الشاهد.

فإن قيل: معنى الإتيان ها هنا ظهور فعله كقوله **﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾** (النحل: ٢٦) وقوله **﴿وجاء ربك﴾** (الفجر: ٢٢) وقوله **﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾** (البقرة: ٢١).

قيل: هذا غلط، لما بيَّنا فساده[1] في الخبر الـذي قبله وبينا أن ظهـور فعله عام في كل الأزمات والأحوال فلا فائدة لتخصيصه في ذلك اليوم.

والثـاني: إن جاز تـأويل الإتيـان على الأفعـال جاز تـأويل قـولـه ﴿تـرون ربكم﴾ عـلى رؤية أفعـاله وملكـه وذلك لا يصـح وبينا أن قـوله ﴿وجـاء ربك﴾ (الفجر: ٢٢) ﴿وهل ينـظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل﴾ (البقـرة: ٢١٠) على ظاهره، وأن المراد به الذات وأجبنا عن قوله ﴿فـأتى الله بنيانهم﴾ (النحـل: ٢٦) على أن المراد به أفعاله لأن في الآية ما دل عليه من خراب الديار.

فإن قيل: فقوله «في صـورته» معنـاه بصورتـه، فتكون الفـاء ها هنـا بمعنى الباء، وقد روي عن ابن عباس في قوله ﴿في ظلل من الغمام﴾ بظلل، ولقوله الحركـة بالمتحرك والحركة في المتحـرك فتحصل تقـديره يـأتيهم بالصـورة التي يعرفـونها في الدنيا من التدبير والملك، لأن معرفتهم له في الـدنيا كـانت بالـدلالات المنصوبـة وآياته.

قيل هذا غلط لوجوه أحدها: أن قولهم أنت ربنا فيتبعونه، وهذا لا يتصور في أفعاله وملكه، لأنه لا يوصف بالربوبية ولا يصح اتباعه.

الثاني: أنه إن جاز تأويله على ما يظهر من أفعـاله وملكـه جاز تـأويل قـوله «إنكم تـرون ربكم» على رؤيـة تعـطفـه بكم ورحمتـه لكم، وقـد أجمعنـا ومثبتـوا الصفات على خلاف ذلك.

الثـالث: أنهم سألـوه هل نـرى ربنا قـال «ثم يجمع الله النـاس ثم يـأتيهم فيقولون أنت ربنـا» فاقتضى ذلـك إتيانـاً يرونـه فيه لأن النبي ﷺ أثبت لهم رؤيـة ووصف[2] لهم كيفية الرؤية.

---

(١) في الأصل: إفساده، وهو خطأ. (٢) في الأصل: وصف، والسياق يقتضي زيادة الواو.

(١) حـديث صحيـح، رواه أحمـد (٢/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦، ٥٣٣ ـ ٥٣٤) والبخـاري (١١/ ٤٤٥) عن عبدالرزاق بـه، وقد اختصره المصنف هنـا. وقد تـابع ابراهيم بن سعـد معمـراً عنـد البخـاري (١٣/ ٤١٩ ـ ٤٢٠) ومسلم (١/ ١٦٣ ـ ١٦٦).
وتابعهما شعيب عند البخاري (١١/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥).

فإن قيل: يحتمل أن يكون قوله «يأتيهم الله» معناه يأتيهم خلق من خلقه من الملائكة يتصوَّر لهم ويخاطبهم بأمر الله وأضاف ذلك إليه، كما يقال ضرب الأمير اللص معناه أمر بضربه، يدل على ذلك قولهم «نعوذ بالله منك» ولو كان هو الإله لقالوا: نعوذ بك.

قيل: هذا غلط لقوله «فيأتيهم الله» ولأن القوم سألوه هل نرى ربنا قال «نعم يجمع الله الناس ثم يأتيهم فيقولون أنت ربنا» فاقتضى ذلك إتياناً يرونه منه.

وأما قولهم «نعوذ بالله منك» فلا يمتنع مثل هذا، كما روي أنه كان في دعاء النبي ﷺ «أعوذ بك منك»(٢) ولا يمتنع أن يذكر الإسم الظاهر في موضع الكناية كما قال تعالى ﴿**يوم نحشر المتقين إلى الرحمن**﴾ (مريم: ٨٥)وتقديره نحشر المتقين إلينا.

فإن قيل: فقد حُكي عن أبي عاصم النبيل أنه كان يقول: ذلك تغير يقع في عيون الرائين كنحو ما يتخيل إلى الإنسان الشيء بخلاف ما هو به فيتوهم الشيء على الحقيقة.

قيل: هذا غلط لأن في الخبر أنه قال «فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها فيقولون نعوذ بالله منك ثم يأتيهم في الصورة التي يعرفونها فيقولون أنت ربنا ويتبعونه» وهذا الفرق بين الصورتين لا يكون عن تغير يقع في العين وإنما يكون عن تميز صحيح.

فإن قيل: لابد من حمل الخبر على نوع مما ذكرنا لاستحالة أن يكون الله سبحانه على صور كثيرة يجهلونه مرة ويعرفونه أخرى، أو يكون ممن يحل الصور فتنتقل الصور به لاستحالة أن يكون حالا أو محلاً للصور أو مصور، فلم يبق إلا

---

(٢) أخرجه مسلم (١/٣٥٢) عن الأعرج عن أبي هريرة عن عائشة قالت: فَقَدتُ رسول الله ﷺ ليلةً من الفراش، فالتمسته فوقعت يدي على بَطْنِ قَدَميه ـ وهو في المسجد ـ وهما منصوبتان، وهو يقول: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك».

أن يكون تغير الصور راجعاً إلى الملك والفعل، أو تكون الصورة بمعنى الصفة كما يقول القائل: عرفني صورة هذا الأمر أي صفته فيحصل تقدير ما يظهر لهم من بطشه وشدة بأسه يوم القيامة وقد عرفوه حليماً غفَّاراً كريماً، فيظهر لهم منها قولا[1] «أنا ربكم» فيقولون عند ذلك «نعوذ بالله منك مستعيذين بالله، هذا مكاننا حتى يأتينا» بمعنى حتى يظهر رحمته وكرمه، فيأتيهم بعد ذلك في الصورة التي يعرفونها من العفو والمغفرة.

قيل: هذا غلط لأنه لا يجب حمله على شيء مما ذكروه لأنَّا نطلق صفة الإتيان لا عن انتقال، ونطلق الصورة لا على وجه التشبيه، كما أطلقنا تسمية نفس وذات ووجه ويد.

أما تغير الصورة فليس بتغير، لأنه لا يمتنع أن يكون جميع ذلك صفات له يحجبهم عن النظر إلى شيء منها في حال، ويريهم إياها في حال أخرى، كما جاز أن يريهم ذاته في حال ويمنعهم ذلك في حالة أخرى، وإذا كان كذلك لم يجز منه ما قالوه من تغير الصور عليه.

وأما حمله على الملك والفعل فقد أفسدناه من الوجوه التي تقدمت، وكذلك حمل الصورة على الصفة لا يصح لما ذكرنا وهو أن في الخبر «فيأتيهم فيتبعونه» وهذا لا يصح في الملك.

والثاني أنه لو جاز تأويله على هذا جاز تأويل قوله «ترون ربكم».

والثالث أن النبي ﷺ تكلم بهذا في جواب سؤالهم عن رؤية الله في الآخرة اهـ.

(١) كذا في الأصل: قولا، ولعل الصواب: قولٌ.

[إثبات صفة الساق لربنا سبحانه]

«حديث آخر في هذا المعنى».

ذكره أبوبكر الخلال في كتاب السنة فقال أنا أبوبكر المروذي قال نا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة الحراني قال نا محمد بن سلمة عن أبي عبدالرحيم[1] خالد بن أبي يزيد قال حدثني زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة بن عبدالله عن مسروق بن الأجدع قال نا عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال «يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم» وذكر الخبر إلى أن قال «وينزل الله تبارك وتعالى في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي» إلى أن قال «فيتمثل لهم الربُّ تبارك وتعالى فيأتيهم فيقول: ما لكم لا تنطلقون كما انطلق الناس فيقولون: لنا إله ما رأيناه بعد، فيقول: وهل تعرّفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: هم بيننا وبينه علامة: إذا رأيناها عرفناه، قال فيقول: ما هي؟ قال فيقولون: يكشف عن ساقه، قال فعند ذلك يكشف عن ساقه، قال فيخر من كان بظهره طَبَق، ويبقى قومٌ ظهورهم كأنها صَيَاصي البقر يُريدون السجود فلا يستطيعون» وذكر الخبر بطوله[3].

---

(١) في الأصل: عبدالرحمن وهو خطأ وما أثبتناه موافق لما في التهذيب وغيره.

(٣) صحيح، أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٢/٥٢٠ ـ ٥٢٤) والطبراني في «الكبير» (٩/٣٥٧ ـ ٣٦١) عن اسماعيل بن عبيدة بن أبي كريمة به. قلت: واسناده حسن، رجاله ثقات سوى المنهال بن عمرو فهو صدوق.

وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (ص ٣٢٩) والطبراني في الكبير (٩/٣٥٧ ـ ٣٦١) والحاكم =

١٥٤ ــ ورواه أبوعبدالله بن بطنة في كتاب «الإبانة» بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه فلا يبقى من سجد لـه في الدنيا من تلقاء نفسه إلا أُذن له في السجود».

١٥٥ ــ وأخرج إلى أبوالقسم عبـدالعزيـز بإسنـاده عن أبي سعيد الخـدري سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكْشِفُ رَبُّنَا عن ساقِهِ فلا يبقى من سجد له في الـدنيا من تلقاء نفسه إلا أذن له بالسجود ولا يبقى من سجد لـه اتقاء أو ريـاء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه».

= (٤/٥٨٩ ـ ٥٩٢) من طريق أبي خالد الدالاني عن المنهال بن عمرو به.

قـال الحاكم: رواة هـذا الحديث عن آخـرهم ثقات، غـير أنهما لم يخـرجـا أبـا خـالـد الـدالاني في الصحيحين لما ذكر من انحرافه عن السنة في ذكر الصحابة فأما الأئمة المتقدمون فكلهم شهدوا لأبي خالد بالصدق والاتقان، والحديث صحيح ولم يخرجاه. وقال الذهبي: ما أنكره حديثاً على جـودة إسناده، وأبوخالد شيعي متحرف.

قلت: وأبوخالد هو يزيد بن عبدالرحمن الأسدي الكوفي، صدوق يخطىء كثيراً وكان يدلس، قالـه الحافظ.

وتساهل الهيثمي فقـال في المجمع (١٠/٣٤٣) بعـد ذكره للحـديث: رواه كله الطبراني من طـرق ورجال أحدها رجال الصحيح، غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة أ هـ. ولكنه متابع كما تقدم.

وأخرجه الحاكم (٢/٣٧٦ ـ ٣٧٧) من هذا الطريق موقوفا.

وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٩/٢٥) موقوفا على ابن مسعود من ثلاثة طرق عنه:

الأولى: عن شريـك عن الأعمش عن المنهال بن عمـرو عن عبدالله بنحـوه. والمنهال لم يسمـع من عبدالله، وشريك هو القاضي سيء الحفظ.

الثانية: عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن قـال حدث عبـدالله وهو عنـد عمر «يوم يقوم الناس لرب العالمين» بنحوه. وسندها حسن.

الثـالثة: عن الأعمش عن المنهـال بن عمرو عن أبي عبيـدة وقيس بن سكن قالا قـال عبدالله وهـو يحدث عمر بنحوه.

وسندها حسن أيضا.

وعزاه السيوطي في الدر (٨/٢٥٧) إلى إسحاق بن راهويه في مسنده وعبد بن حميد وابن أبي الدنيـا والآجري في الشريعة والدارقطني في الرؤية وابن مردويه والبيهقي في البعث.

١٥٦ ــ وقد ذكره البخاري في صحيحه بإسناده عن أبي سعيد سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشفُ ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة»(٤) وذكر الخبر بطوله.

١٥٧ ــ وقد رواه أبوالحسن الدارقطني في كتاب «الرؤيا» عن ابن مسعود وابن عمر، فرواه بإسناده عن عبدالله عن النبي ﷺ يوم يكشف عن ساق قال: «يكشف ربنا عن ساقه ونخر له سجداً»(٥).

١٥٨ ــ وباسناده عن ابن عمر عن النبي ﷺ يوم يكشف عن ساق قال: «يكشف عن ساقه ونخر له سجداً».

اعلم أن هذا حديث صحيح.

١٥٩ ــ قال المروذي ذكرت لأبي عبدالله حديث محمد بن سلمة الحراني عن عبدالرحمن قال حدثني زيد بن أبي أنيسة عن المنهال عن أبي عبيدة عن مسروق قال حدثنا عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال أبوعبدالله هذا حديث غريب لم يقع إلينا عن محمد بن سلمة واستحسنه.

والكلام فيه في فصول: أحدها قولهُ «ينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي» وهذا غير ممتنع في صفاته ونظيره قوله ﷺ: «ينزل الله إلى السماء الدنيا في كل ليلة» وذلك جائز لا على وجه الإنتقال من مكان وشغل مكان آخر كما جاز وصفه بالاستواء على العرش على وجه الانتقال، وإن كان حرف ثم يقتضي حدوث استواء ويأتي الكلام في ذلك في خبر النزول إلى سماء الدنيا.

(٤) أخرجه البخاري (٨/٦٦٣ ـ ٦٦٤) مختصراً وفي التوحيد (١٣/ ٤٢٠ ـ ٤٢٢) مطولا ومسلم (١/١٦٧ ـ ١٧١).

(٥) هو الحديث قبل السابق.

الفصل الثاني
جواز رؤيته سبحانه للمؤمنين

وهذا فصل يأتي ذكره في حديث آخر.

الفصل الثالث

قوله «يكشف عن ساقه» وهذا أيضاً غير ممتنع إضافة الساق إليه وإثبات ذلك صفة لذاته، كما لم يمتنع إضافة اليد والوجه على وجه الصفة لا على وجه الأبعاض والأجزاء كذلك في الساق ونظير هذا الخبر ما روي «يضع قدمه» وروي «رجله في النار» ويأتي الكلام في ذلك.

فإن قيل: المراد بذكر الساق ها هنا شدة الأمر قال الشاعر:

وقامت الحرب على ساق.

وقال ابن عباس في قوله «يَومَ يُكشف عن ساق» أي عن شدة الأمر[6].

١٦٠ـ وقال الحسن في قوله ﴿والتفت الساق بالساق﴾ (القيامة: ٢٩) أي التفت ساق الدنيا بساق الآخرة[7].

قيل: هذا غلط لوجوه أحدها: أنه قال «فيتمثل لهم الرب وقد كشف عن ساقه» والشدائد لا تسمى ربًّا.

والثاني: أنهم التمسوه ليتّبعوه فينجوا من الأهوال والشدائد التي وقع فيها من كان يعبد غيره وإذا كان كذلك لم يجز أن يلتمسوه على صفةٍ تلحقهم فيها الشدة والأهوال.

الثالث: أنه قال «فَيَخَرُونَ سُجَّدا» والسجود لا يكون للشدائد، وهذا جواب أبي بكر رأيته في تعاليق أبي اسحق عنه.

---

(٦) تقدم تخريجه والكلام على أسانيده.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٢٢/٢٩) عن قتادة عنه.
وعزاه السيوطي في الدر (٣٦٢/٨) إلى عبد بن حميد.

الرابع: إن جاز تأويل هذا على الشدة جاز تأويل قوله «ترون ربكم» على رؤية أفعاله وكراماته، وقد امتنع مُثبتو الصفات من ذلك، والذي رُوي عن ابن عباس والحسن، فالكلام عليه من وجهين: أحدهما أنه يحتمل أن يكون هذا التفسير منهما على مقتضى اللغة وأنَّ الساق في اللغة هو الشدة، ولم يقصُدا بذلك تفسيره في صفات الله تعالى في موجب الشرع.

والثاني: أنه يعارض ما قاله قول عبدالله بن مسعود أخرجه إلى ابو القسم عبدالعزيز قال نا أبوالقسم ابراهيم بن جعفر الساجي قال أنا محمد بن بكر بن عبدالرزاق التمار البصري قال نا أبو داود سليمان بن الأشعث قال نا سلمة بن شبيب نا عبدالرزاق أنا سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن ابن مسعود في قوله عز وجل ﴿**يوم يكشف عن ساق**﴾ (القلم: ٤٢) قال: عن ساقيه جلَّ ذكره[٨].

١٦١ ــ وقال أبوداود نا بندار محمد بن بشار نا محمد بن جعفر نا شعبة عن مغيرة عن ابراهيم قال كان ابن مسعود يقول ﴿**يوم يُكْشَفُ عن ساقٍ**﴾ (القلم: ٤٢) قال: يكشف الرحمن عن ساقه[٩].

---

(٨) إسناده منقطع، أبوصادق هو الأزدي الكوفي، صدوق، أرسل عن علي بن أبي طالب وأبي هريرة (التهذيب ١٢/١٣٠).
ففي سماعه من ابن مسعود بُعد، فإن علياً وأباهريرة توفيا بعد ابن مسعود. وله طريق آخر، أخرجه ابنَ منده في «الرد على الجهمية» (ص ٣٧) أخبرنا علي بن العباس بن الأشعث ثنا محمد بن حماد الطهراني ثنا عبدالرزاق أنبأ الثوري عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن ابن مسعود به.
والطهراني ممن روى عن عبدالرزاق بعدما عمي، وشيخ ابن منده لم أجد له ترجمة.
وأشار إلى هذا الأثر الحاكم وصححه (٢/٥٠٠) فقال بعد أن روى حديث ابن عباس في تفسير «يوم يكشف عن ساق»: هذا حديث صحيح الاسناد، وهو أولى من حديث رُوي عن ابن مسعود باسناد صحيح! لم أستجز روايته في هذا الموضع.
وعزاه السيوطي في الدر (٨/٢٥٤) إلى عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.
(٩) اسناده منقطع، ابراهيم وهو ابن يزيد النخعي لم يسمع من عبدالله.
ولم أجد الحديث في سنن أبي داود ولا في المراسيل وكذا الذي قبله.

١٦٢ ــ وأخرج إلى أبوالقسم قال نا أبوالحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بشران نا عثمان بن أحمد بن عبدالله بن السماك قال نا عبدالله بن ثابت قال حدثني أبي قال حدثني الهذيل بن حبيب الدنداني قال قال مقاتل بن سليمان قال عبدالله بن مسعود في قوله عز وجل ﴿**يوم يكشف عن ساق**﴾ (القلم: ٤٢) يعني عن ساقه اليمين فيضيىء من نور ساقه الأرض، فذلك قوله ﴿**وأشرقت الأرض بنور ربها**﴾ (الزمر: ٦٩)، يعني نور ساقه اليمين(١٠).

١٦٣ ــ فهذا قول ابن مسعود وناهيك بعبدالله أول المقدَّمين من الصحابة بعد العشرة وقال النبي ﷺ «رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد»(١١).

---

(١٠) إسناده ضعيف جدا، مقاتل بن سليمان متهم ورمي بالتجسيم.

(١١) صحيح، أخرجه الحاكم (٣/٣١٧ ـ ٣١٨) عن زائدة عن منصور عن زيد بن وهب عن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ فذكره.

قال الحاكم: هذا اسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وله علة من حديث سفيان الثوري فأخبرنا محمد بن موسى بن عمران الفقيه ثنا ابراهيم بن أبي طالب ثنا أبو كريب ثنا وكيع عن سفيان.

وأما حديث اسرائيل فأخبرناه أبوعبدالله الصفار ثنا أحمد بن مهران ثنا عبيدالله بن موسى أنا اسرائيل جميعا عن منصور عن القاسم بن عبدالرحمن أن رسول الله ﷺ فذكره ا هـ.

قلت: وهذا المرسل لا يقدح في صحة الموصول السابق، لأن الراوي عن منصور وهو زائدة بن قدامة ثقة ثبت، فوجب قبول زيادته، ولأن منصور رواها عن شيخ آخر فدلَّ على أن له شيخان في هذا الحديث، وهذا ما قرره الشيخ الألباني حفظه الله في السلسلة (١٢٢٥).

وممن رواه مرسلا من الوجه السابق أحمد في فضائل الصحابة (١٥٣٦) والطبراني في الكبير (٩/٨٠).

ورواه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/٥٤٩ ـ ٥٥٠) عن سفيان حدثنا أبوعميس (عتبة بن عبدالله) عن القاسم قال قال النبي ﷺ لعبدالله: «قم فتكلم فحمد الله عز وجل.. فقال النبي ﷺ: «اللهم رضيت لأمتي. .» ورواه العدني في مسنده (كما في المطالب ٤/١١٣ ـ ١١٤).

وأخرجه الطبراني كما في المجمع (٩/٢٩٠) مطولا عن أبي الدرداء وقال الهيثمي: رجاله ثقات إلا أن عبيدالله بن عثمان بن خثيم لم يسمع من أبي الدرداء والله أعلم. ورواه البزار عن عمرو بن أبي قيس عن منصور عن القاسم بن عبدالرحمن عن أبيه عن عبدالله مرفوعا به وزاد: وكرهت لأمتي ما كره لها ابن أم عبد.

قال البزار: لا نعلم اسند منصور عن القاسم عن أبيه عن عبدالله إلا هذا، ولا نعلمه مسنداً إلا بهذا الإسناد، وروي عن منصور عن القاسم بن عبدالرحمن مرسلا ا هـ.

١٦٤ ـ «وتمسكوا بعهد[١] ابن أم عبد»[١٢] وهو صاحب السواد يعني سرار[٢]

---

(١) كتب فوق بعهد: بهدي، وقد وردت في بعض طرق الحديث.
(٢) في الأصل: شراز وهو خطأ.

= وفي اسناده محمد بن حميد الرازي، حافظ ضعيف، قاله الحافظ.
ورواه أحمد في فضائل الصحابة (١٥٣٩) عن وكيع ثنا مالك يعني ابن مغول عن عبدالرحمن بن سعيد بن وهب قال قال رسول الله ﷺ فذكره مرسلا. ورجاله ثقات.

(١٢) جزء من حديث صحيح، رواه أحمد (٥/٣٩٩) وفي فضائل الصحابة (١٩٨، ٤٧٩) والبخاري في الكنى (ص ٥٠) وابن سعد (٢/٣٣٤) والترمذي (٥/٦١٠) عن سالم أبي العلاء المرادي عن عمرو بن هرم عن ربعي بن حراش وأبي عبدالله عن حذيفة قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ قال: «إني لست أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي يشير إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، واهتدوا بهدي عمارٍ، وتمسكوا بعهد أم عبد» ولم يذكر الترمذي: واهتدوا بهدي.. إلى آخره.
وأبوعبدالله قال ابن سعد: رجل من أصحاب رسول الله ﷺ وقال البخاري في الكنى: رجل من أهل المدائن، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً. وسالم هو ابن عبدالواحد المرادي الأنعمي قال الحافظ: مقبول. وعمرو بن هرم ثقة.
وقد تابعه عبدالملك بن عمير، أخرجه الحميدي (٢/٢١٤) وابن سعد (٢/٣٣٤) وأحمد (٥/٣٨٢) والترمذي (٥/٦٠٩) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/١٧٧) والحاكم (٣/٧٥) عن ربعي بن حراش عن حذيفة مرفوعا به، وبعضهم لا يذكر: واهتدوا بهدي... وقال الترمذي: حسن.
وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو كما قالا.
ورواه عبدالملك بن عمير عن هلال مولى لربعي عن ربعي عن حذيفة. أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٤٥) وأحمد (٥/٣٨٥، ٤٠٢) وابن ماجة (١/٣٧) والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/٤٨٠) وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (٢/٢٢٣) والخطيب في تاريخه (١٢/٢٠) والحاكم (٣/٧٥) والبيهقي في «السنن» (٨/١٥٣) وفي «الاعتقاد» (ص ٣٤٠).
وبعضهم يقول عن مولي لربعي ولا يسميه، وهما واحد كما نبه عليه أبوحاتم في «العلل» (٢/٣٨١)، وقال فيه الحافظ: مقبول.
ورواه عبدالملك عن مولى لربعي عن حذيفة.
أخرجه ابن سعد (٢/٣٣٤) وعبدالله بن أحمد في «السنة» (٢/٥٨٠) وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (٢/٢٢٣).
وله طريق آخر عن ابن مسعود، أخرجه الترمذي (٥/٦٧٢) والطبراني في «الكبير» (٩/٧٢) والحاكم (٣/٧٥ ـ ٧٦) عن ابراهيم بن اسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كُهيل حدثني أبي عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن ابن مسعود مرفوعا به. =

رسول الله[١٣] وقال «لو كنت مُؤَمِراً أحداً دون شورى المؤمنين لأمرَّتُ عليهم ابن أم عبد»[١٤].

وهو أحد القراء ممن جمع القرآن. وبعثه عمر بن الخطاب إلى الكوفة مع عمار بن ياسر: إني بعثت إليكم بعمار أميراً وبعبدالله قاضياً ووزيراً[١٥] وغير ذلك من الفضائل.

= وسنده ضعيف جداً، علته يحيى بن سلمة فإنه متروك.
قال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن مسعود، لا نعرفه إلا من حديث يحيى بن سلمة بن كهيل، ويحيى بن سلمة يضعف في الحديث.
وقال الذهبي: سنده واه.

(١٣) يشير إلى حديث مسلم (١٧٠٨/٤) وابن ماجة (٤٩/١) والطبراني في الكبير (٧٧/٩) عن عبدالرحمن بن يزيد النخعي سمعت عبدالله بن مسعود يقول: قال لي رسول الله ﷺ: «إذْنُكَ عليَّ أن يرفع الحجاب، وأن تسمع سِوادي حتى أنهاك».
والسِّواد بالكسر: السِّرار، يقال: ساودت الرجل مُساوَدة إذا ساورته، قيل هو من إدناء سوادك من سواده، أي: شخصك من شخصه (النهاية ٢/٤١٩ - ٤٢٠).

(١٤) ضعيف، أخرجه ابن سعد (١٥٤/٣) وأحمد (٩٥/١، ١٠٧، ١٠٨) والترمذي (٦٧٣/٥ - ٦٧٤) وابن ماجة (٤٩/١) والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٥٣٤/٢) والخطيب في «تاريخه» (١٤٨/١) كلهم عن أبي اسحاق السبيعي عن الحارث عن علي مرفوعاً به.
قال الترمذي: هذا حديث غريب إنما نعرفه من حديث الحارث عن علي.
قلت: والحارث هو ابن عبدالله الأعور، ضعيف متهم. لكنه لم يتفرد به، بل تابعه عاصم بن حمزة:
رواه الحاكم (٣١٨/٣) عن أبي اسحاق عنه عن علي مرفوعاً، وأوله: لو كنت مستخلفاً أحداً... ثم قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه..
فتعقبه الذهبي بقوله: عاصم ضعيف!
قلت: كذا قال! مع أنه قال في الكاشف: وهو وسط، ونقل في الميزان (٣٥٢/٢) توثيق ابن معين وابن المديني له، وقول أحمد: هو أعلى من الحارث الأعور وهو عندي حجة، وقول النسائي: ليس به بأس.
وقال الحافظ في التقريب: صدوق.
لكن للحديث علة أخرى، وهي عنعنة أبي إسحاق السبيعي.
وقد صحح الشيخ أحمد شاكر رحمه الله هذه الرواية من هذا الطريق في تعليقه على المسند (٥٦٦).

(١٥) ضعيف، أخرجه ابن سعد (٨/٦) والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٥٣٣/٢ - ٥٣٤) عن أبي نعيم وقبيصة قالا: ثنا سفيان عن أبي اسحاق عن حارثة بن مضرب قال: كتب عمر بن

[إثبات صفة الشخص والغيرة لربنا جل شأنه]

«حديث آخر»

١٦٥ ـ نـاه أبوالقسم عبـدالعزيـز باسنـاده عن المغيره بن شعبـة قال قـال سعد بن عبادة: لو رأيتُ رجلاً مع امرأتي لضربته بـالسيف غير مُصْفـح[٣] عنه فبلغ ذلـك رسول الله ﷺ فقال: «أتعجبـونَ من غَيرة سعـد، فوالله لأنـا أغيرُ من سعـد والله أغيرُ مني، من أجل ذلك حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شخص أغـير من الله، ولا شخص أحب إليـه المعاذيـر من الله، من أجل ذلـك بَعَثَ المـرسلين مُبشرين ومُنذرين، ولا شخص أحب إليه المدحة من الله من أجل ذلك وعـد الله الجنة» وروي في لفظ آخر «لا أحد أغير من الله»[١].

وفي لفظ آخر رواه أبوهريرة أن رسول الله ﷺ قال «إنَّ الله يغار وإنَّ المؤمن يغار وغير الله أن يأتي المؤمن ما حُرِّم عليه»[٢].

---

(٣) في الأصل: غير صفح، وهو خطأ.

= الخطاب إلى أهل الكوفة: إني قد بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً وعبدالله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب محمد ﷺ من أهل بدر، فاقتدوا بهما واسمعوا من قولهما، وقد آثرتكم بعبدالله على نفسي.

ورجاله ثقات ـ سوى قبيصة بن عقبة وهو صدوق ربما خالف ـ لكن فيه عنعنة أبي اسحاق.

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٤/٢٤٨) والبخاري (٩/٣١٩) معلقاً و (١٢/١٧٤) مسنداً مختصراً ـ ذكر الغيرة فقط ـ و (١٣/٣٩٩) مطولا بمثل متن المصنف ومسلم (٢/١١٣٦) عن وراد كاتب المغيرة عن المغيرة قال: قال سعد بن عبادة لو رأيت.. فذكره..

وعندهم «لا أحد» بدل: لا شخص، و «العذر» بدل: المعاذير، و «بعث المبشرين والمنذرين» بدل: بعث المرسلين مبشرين ومنذرين.

وقوله: غير مصفح، قال عياض: هو بكسر الفاء وسكون الصاد المهملة، قال: ورويناه أيضا بفتح الفاء، فمن فتح جعله وصفا للسيف وحالاً منه، ومن كسر جعله وصفاً للضارب وحالاً منه ١ هـ. (الفتح ٩/٣٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٩/٣١٩) ومسلم (٤/٢١١٤) عن يحيى بن أبي كثير حدثني أبوسلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ فذكره. واللفظ الذي ساقه المصنف موافق للفظ مسلم وليس عند البخاري: وإن المؤمن يغار.

وعنده: ما حرَّم الله عليه.

اعلم أن الكلام في هذا الخبر في فصلين:
أحدهما: إطلاق صفة الغيرة عليه.

والثاني: في إطلاق الشخص.

أما الغيرة فغير ممتنع إطلاقها عليه سبحانه لأنه ليس في ذلك ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه لأن الغيرة هي الكراهية للشيء، وذلك جائز في صفاته قال تعالى ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ (التوبة: ٤٦).

فإن قيل: لا يجوز إطلاق ذلك عليه، ويكون معناه الله أزجر عن محارمه من الجميع، لأن الغيور هو الذي يزجر عما يغار عليه ويحذر الدُّنُوَ منه وقد نبه على ذلك عقيبة بقوله «ومن غيرته حرم الفواحش» أي زجر عنها وحظرها. ومنه أن بعض أزواج النبي ﷺ أهدت اليه شيئاً في غير يومها فأُخبرت عائشة بذلك فبددته فقال: «غَارَت أُمكم»(٣) أي زجرت عن إهداء ما أهدت.

---

(٣) يشير إلى ما أخرجه أحمد (٣/ ١٠٥، ٢٦٣) والبخاري (١٢٤/٥) (٣٢٠/٩) وأبوداود (٣٥٦٧/٣) والترمذي (٦٣١/٣) وابن ماجة (٧٨٢/٢) والدارمي (٢٦٤/٢) من طرق عن حميد عن أنس: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصَحْفَةٍ فيها طعامٌ، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فِلَقَ الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: غارت أُمُّكم، ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفةٍ من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كُسِرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كُسِرت فيها».
ووقع عند أحمد من قول أنس: أظنها عائشة.
ووقع مصرحا بها فيما ذكره معلقا ابن حزم في المحلى (١٤١/٨) قال): روينا من طريق الليث بن سعد عن جرير بن حازم عن حميد سمعت أنس بن مالك؛ أن زينب بنت جحش أهدت إلى النبي ﷺ وهو في بيت عائشة ويومها جفنة من حيس. . . » الحديث.
وقصة أخرى أخرجها أبوداود (٣٥٦٨/٣) والنسائي (٧١/٧) عن سفيان حدثني فليت العامري عن جسرة بنت دجاجة قالت: قالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت صانعاً طعاماً مثل صفية، صنعت لرسول الله ﷺ طعاما فبعثت به فأخذني أَفْكَلٌ فكسرت الإناء، فقلت: يا رسول الله! ما كفارة ما صنعت؟ قال: «إناءٌ مثلُ إناءٍ، وطعام مثل طعام».
وحسَّن الحافظ في الفتح (١٢٥/٥) اسنادها، مع أنه قال في جسرة: مقبولة!
وقد وثقها العجلي وابن حبان، وذكرها أبونعيم في الصحابة، وقال البخاري: عند جسرة عجائب.
=

قيل هذا يؤكد ما ذهبنا إليه لأنه إذا كان معناها الزجر وذلك مما يجوز على الله سبحانه لم يمتنع من إطلاق لفظ يتضمن ذلك، وعلى أن الخبر يقتضي أن تكون الغيرة علة في الزجر بقوله «ولهذا حرم» يعني لأجل هذه الغيرة حرم، وعلى ما قالوه لا يقتضي أن تكون الغيرة علة في الزجر، بل يكون الزجر نفسه علة لنفسه وهذا لا يصح.

وأما لفظ الشخص فرأيت بعض أصحاب الحديث يذهب إلى جواز إطلاقه، ووجهه أنَّ قوله «لا شخص» نفي من إثبات، وذلك يقتضي الجنس كقولك: لا رجل أكرم من زيد يقتضي أن زيداً يقع عليه اسم رجل، كذلك قوله «لا شخص أغير من الله» يقتضي أنه سبحانه يقع عليه هذا الإسم.

١٦٦ ــ وقد ذكر أبوالحسن الدارقطني في كتاب الرؤية ما يشهد لهذا القول فروي باسناده عن لقيط بن عامر أنه خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ، فذكر الرب تبارك وتعالى فقال: «تنظرون إليه ويَنْظُر إليكم» قال قلت: يا رسول الله كيف ونحن

= والأفكل: الرعدة من خوف أو برد، والمراد أخذتها الغيرة.
ولعائشة قصة أخرى مع أم سلمة.
فقد أخرج النسائي (٧/ ٧٠ ـ ٧١) عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي المتوكل عن أم سلمة أنها يعني أتت بطعامٍ في صحفةٍ لها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فجاءت عائشة متزرة بكساء ومعها فِهْرٌ ففلقت به الصحفة فجمع النبي ﷺ بين فلقتي الصحفة ويقول: كُلُوا غارت أمكم مرتين.. الحديث.
والفهر: حجر قدر ما يدق به الجوز، أو ما يملأ الكف (القاموس).
وقد صحح هذه الرواية أبوحاتم وأبوزرعة، كما حكاه ابن أبي حاتم في العلل (١/ ٤٦٦). وضعَّف أبوزرعة ما رواه عمران بن خالد الواسطي عن ثابت عن أنس: كان النبي ﷺ في بيت عائشة معه بعض أصحابه فأرسلت حفصة بقصعة فكسرتها عائشة.. الحديث.
وهو عند أبي يعلى (٦/ ٨٥ ـ ٨٦) والدارقطني (٤/ ١٥٣).
وروى هذه القصة بسياق أطول ابن ماجة (٢/ ٧٨١ ـ ٧٨٢) عن شريك بن عبدالله عن قيس بن وهب عن رجل من بني سُوأة قال قلت لعائشة: أخبريني عن خلق رسول الله ﷺ قالت أو ما تقرأ... قالت: كان رسول الله ﷺ مع أصحابه فصنعت له طعاما وصنعت له حفصة طعاماً... الحديث.
قال البوصيري: اسناده ضعيف للجهالة بالتابعي.
قلت: اقتصر على هذا! مع أن في إسناده شريك القاضي.

ملء الأرض وهو شخصٌ واحد فينظر إلينا وننظر إليه؟ قال: «الشمس والقمر آية منه صغيرة، ترونهما ويريانكم»(٤) فأقره النبي ﷺ على قوله «وهو شخص واحد».

١٦٧ ــ وقد ذكر أحمد هذا الحديث في الجزء الأول من مسند الكوفيين فقال عبدالله قال عبيدالله القواريري: ليس حديث أشدُّ على الجهمية من هذا الحديث قوله «شخص أحب اليه مدحه من الله».

ويحتمل أن يمنع من إطلاق ذلك عليه، لأن لفظ الخبر ليس بصريح فيه، لأن معناه: لا أحد أغير من الله، لأنه قد روى ذلك في لفظ آخر فاستعمل لفظ الشخص موضع أحد، ويكون هذا استثناء من غير جنسه ونوعه كقوله تعالى ﴿ما لهم به من علم إلا اتباع الظّن﴾ (النساء: ١٥٧)، وليس الظن من نوع العلم وقوله ﴿فإنهم عدوٌ لي إلا رب العالمين﴾ (الشعراء: ٧٧).

---

(٤) ضعيف، أخرجه أبوداود (٣/٣٢٦٦) مختصرا وعبدالله بن أحمد في زوائد المسند (٤/١٣ ـ ١٤) عن ابراهيم بن حمزة بن محمد حدثنى عبدالرحمن بن المغيرة الخزاعي حدثني عبدالرحمن بن عياش السمعي الأنصاري عن دلهم بن الأسود بن عبدالله بن حاجب العقيلي عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر أن لقيطاً خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، قال لقيط: فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ لانسلاخ رجب فأتينا رسول الله ﷺ، فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيبا فقال: «أيها الناس ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام . .» فذكر حديثاً طويلاً.

قال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٤٠): رواه عبدالله والطبراني بنحوه، وأحد طريقي عبدالله اسنادها متصل ورجالها ثقات، والاسناد الآخر واسناد الطبراني مرسل عن عاصم بن لقيط أن لقيطا ا هـ.

كذا قال: رجالها ثقات! مع أن في الإسناد اثنان من المجاهيل لم يوثقهما إلا ابن حبان، وهم: دلهم بن الأسود (قال عنه الذهبي: لا يعرف) وعبدالرحمن بن عياش السمعي.

وسقط من اسناد أبي داود: عبدالرحمن بن المغيرة، وأشار إلى ذلك المزي في التحفة (٨/٣٣٤) فقال: وقد وقع فيه وهم في غير موضع، رواه غير واحد عن ابراهيم بن حمزة الزبيري عن عبدالرحمن بن المغيرة بن عبدالرحمن الحزامي عن عبدالرحمن بن عياش السمعي عن دلهم عن أبيه عن جده عن عمه لقيط بن عامر، وعن دلهم عن أبيه عن عاصم بن لقيط عن لقيط، وتابعه ابراهيم بن المنذر الحزامي عن عبدالرحمن بن المغيرة ا هـ.

والاسناد الآخر الذي أشار إليه الهيثمي والمزي هو في المسند في الموضع السابق والطبراني في الكبير (١٩/٢١١ ـ ٢١٤).

قال الحافظ في التهذيب (٥/٥٧): ورواه أبوالقاسم الطبراني مطولاً، وهو حديث غريب جدا.

[إثبات صفة اليَّد واليمين والقبض لله تعالى]

«حديث آخر»

١٦٨ – أخبرناه أبوالقسم عبدالعزيز قال نا علي بن أحمد بن محمد بن داود بن موسى بن بيان(١) قال نا عثمان بن أحمد بن عبدالله بن زيد قال نا موسى بن سهل الوشا نا اسماعيل بن عُلية عن عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم من قَبْضَةٍ قَبَضَها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم منهم الأحمر والأسود والأبيض وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب»(١).

اعلم أنه غير ممتنع إطلاق القبض عليه سبحانه وإضافتها إلى الصفة التي هي اليد التي خلق بها آدم، لأنه مخلوق باليد من هذه القبضة، فدلَّ على أنها قبضةٌ باليد(٢) وفي جواز إطلاق ذلك أنه ليس في ذلك ما يُحيل صفاته ولا يُخرجها

(١) في الأصل مهمل النقط، وكذا هو في تاريخ بغداد وغيره.
(٢) وضعت هنا علامة الاستدراك، ولم يكتب في الهامش شيئا.

(١) حديث صحيح، أخرجه ابن سعد (١/٢٦) وأحمد (٤/٤٠٠، ٤٠٦) وأبوداود (٥/٤٦٩٣) والترمذي (٥/٢٠٤) وابن جرير في تفسيره (١/١٧٠) وابن خزيمة في التوحيد (ص ٦٤) وابن حبان في صحيحه (٨/١١) وأبونعيم في الحلية (٣/١٠٤) (٨/١٣٥) والحاكم (٢/٢٦١ - ٢٦٢) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٣٢٧، ٣٨٥) وفي السنن (٩/٣) من طرق عن عوف الأعرابي عن قسامة بن زهير المازني البصري عن أبي موسى الأشعري مرفوعا به.
قال الترمذي: حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وهو كما قالوا.
والحديث عزاه السيوطي في الدر (١/١١٥) إلى عبد بن حميد والحكيم في نوادر الأصول وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة وابن مردويه.
والحديث يثبت صفة «اليد» للباري سبحانه وتعالى، وهو أحد الأحاديث الكثيرة التي تثبت هذه الصفة.
وقد ذكرها امام الأئمة ابن خزيمة ضمن السنن التي تثبت صفة «اليد» فقال: باب ذكر صفة آدم عليه السلام، والبيان الشافي أنه خلقه بيده لا بنعمته على ما زعمت الجهمية المعطلة، إذ قالت: إن الله يقبضُ بنعمته من جميع الأرض قبضةً فيخلق منها بشراً ا هـ.
وعلّق الشيخ الهراس على تأويل الجهمية لهذه الصفة بقوله: وهذا تأويل باطل، فإن القبض إنما =

عما تستحقه، لأنَّا لا نحمل القبضة على معنى الجارحة والعضو والبعض ومعالجة وممارسة، بل نطلق هذه التسمية كما أطلقنا قوله ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (صٓ: ٧٥)، على ظاهره.

وكذلك الوجه والعين والاستواء لا في مكان.

١٦٩ ــ وقد قال أحمد في رواية الميموني[٢]: من زعم أن يداه نعماه كيف يصنع بقوله ﴿خلقت بيديَّ﴾ مُشددة، قال الميموني فقلت «وحين خلق آدم بقبضة» يعني من جميع الأرض، والقلوب بين أصبعين. وظاهر هذا منه الأخذ بظاهر الحديث.

فإن قيل: لا يجوز إطلاق ذلك عليه بل تُحمل[١] القبضة على معنى القدرة كقول القائل فلان في قبضتي على معنى قادر عليه، وعلى هذا قوله تعالى ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ (الزمر: ٦٧) أي تحت قدرته وملكه.

قيل: هذا غلط لأن فيه إسقاط فائدة التخصيص بهذه القبضة لعلمنا بقدرته على جميع الأشياء، فلا معنى لإضافة القُدرة إلى خلق آدم من قبضة قبضها، ولأن للقدرة أسماء أخصّ به من القبضة، ولأنه إن جاز أن تُحمل القبضة على معنى القُدرة وجب أن يُحمل قوله «ترون ربكم يوم القيامة» بمعنى ترون قدرته

---

(١) في الأصل: تحتمل، وهو خطأ.

= يكون باليد الحقيقية لا بالنعمة، فإن قالوا: إن الباء هنا للسببية، أي بسبب إرادته الإنعام، قلنا لهم: وبماذا قبض؟ فإن القبض محتاج إلى آلة، فلا مناص لهم لو أنصفوا من أنفسهم إلا أن يعترفوا بثبوت ما صرح به الكتاب والسنة اهـ.
وأنظر ردَّ الإمام الدارمي على من كذب بهذه الصفة من الجهمية والمعطلة في كتابه القيم «النقض على بشر المريسي» (ص ٢٥ ـ ٤١).

(٢) هو أبوالقاسم سعد بن عبدالله بن الحسين بن علويه الفرضي الشافعي الميموني، كان من ولد ميمون بن مهران فنسب اليه.
سمع أباعمرو بن السماك وأحمد بن سلمان النجاد وغيرهما.
روى عنه أبوالعباس أحمد بن ابراهيم بن تركان، وأبوبكر أحمد بن عبدالرحمن الشيرازي.
(اللباب ٢/٢٨٤ ـ ٢٨٥).

وكذلك قوله «خلق آدم بيده» بمعنى بقدرته. فأما قوله ﴿**والأرض جميعاً قبضته يوم القيمة**﴾ (الزمر: ٦٧) فلا يمتنع أن نقول فيه ما قلناه ها هنا.

فإن قيل: يحمل ذلك على معنى إظهار فعل هو الخلق والإختراع والإحداث كما قال تعالى ﴿**لطمسنا على أعينهم**﴾ (يس: ٦٦) وكما قال تعالى ﴿**اليوم نختم على أفواههم**﴾ (يس: ٦٥) وليس ذلك طمساً وختماً على معالجة.

قيل: هذا يُسقط فائدة التخصيص بآدم لأن إظهار[1] الفعل موجود عند خلق غير آدم من سائر البشر، ولأن لذلك اسماً أخصّ به من القبض وهو الخلقُ والإختراع والأحداث، ولأن هذا يوجب أن يكون قوله ﴿**خَلَقْتُ بيديَّ**﴾ على معنى إظهار فعل، وكذلك يوجب تأويل قوله «ترون ربكم» على رؤية أفعال يظهرها، وقد أجمعنا ومثبتوا الصفات على خلاف ذلك.

وأما قوله ﴿**لطمسنا على أعينهم**﴾ ﴿**ونختم على أفواههم**﴾، فإنما لم يُضف ذلك إلى الصفة التي هي اليد لأنه لبس في الآية ما دلّ على ذلك وفي القبضة ما دلَّ عليه من الوجه الذي ذكرنا وهو أنه مخلوق باليد من القبضة فدلَّ على أنها قبضة باليد.

فإن قيل تحمل القبضة على أنها لبعض الملائكة بأمر الله، كما يقال: ضرب الأمير اللص وإنما أَمَرَ بضربه.

قيل: هذا غلطٌ، لأن الخبر يقتضي أنَّ آدم مخلوقٌ من القبضة، وقد ثبت أنَّ الخالق لآدم هو الله سبحانه، فوجب أن يكون هو القابض لا غيره، ولأنه إن جاز تأويله على هذا جاز تأويل قوله ﴿**خلقت بيديَّ**﴾ (صٓ: ٧٥) معناه بيدي بعض الملائكة[3].

---

(١) كتب بجانب هذا السطر: بلغ مقابلة.

(٣) قال الدارمي في نقضه على المريسي (ص ٢٩ ـ ٣٠): وقد يجوز للرجل أن يقول بنيت داراً، أو قتلت رجلاً، أو ضربت غلاماً، أو وزنت لفلان مالا، أو كتبت له كتاباً، وإن لم يتول شيئاً من ذلك بيده، بل أمر البنّاء ببنائه، والكاتب بكتابته، والقاتل بقتله، والضارب بضربه، والوازن =

واعلم أنه ليس بمنكر في العقـول، أن يكون الله خلق طينـة آدم من أجزاء أنواع الطين، وأنَّ الأخلاق والخَلْق اختلفت وتفاوتت كما تفوت أجـزاء الطين، لا لأجل أنَّ تفاوتها أوجب ذلك بل حدوثها على تلك الوجوه التي حدثت عليه بقدرة الله واختياره لكنه جعلها علامات لربوبيته ووحدانيته.

حديثٌ آخـــر

١٧٠ ــ حدثناه أبوالقاسم عبدالعزيز قال نا أبوسعيد الحسن بن جعفر محمد الحربي قال نا جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض أبو بكر الفريابي قال نا عُبيدالله بن معـاذ قال نـا المعتمر بن سُليـمان عن أبيه قـال نا أبـو عثمان أنـه سمـع عبـدالله أو سلمان، قـال ولا أراه إلا سلمان قال: إنَّ الله عـزَّ وجل لمـا خَمَّـر طينـة آدم عليـه السـلام أربعين ليلةً أو أربعـين يومـاً، ثم ضَرَب بيديـه فيه، فَخَـرج كل طيِّب في يمينه وكل خبيث في يده الأخرى، ثم خلط بينهما، قال: فمن ثَمَّ خـرج الحيُّ من الميت والميتُ من الحي. أو كما قال هكذا حدثناه موقوفاً وربما وصله بعضهم(٤).

= بوزنه، فمثل هذا يجوز على المجاز الذي يعقله الناس بقلوبهم، على مجاز العرب.
وإذا قال: كتبت بيديّ كتاباً كما قال الله: خلقت آدم بيـديّ، أو قال وزنت بيـدي، وقتلت بيديّ، وبنيت بيديّ، وضربت بيديّ، كان ذلك تأكيداً ليديه، دون يدي غيره.
ومعقول المعنى عند العقلاء، كما أخـبرنا الله: أنـه خلق الخلائق بـأمره فقـال ﴿**إنما قـولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون**﴾ النحل: ٤٠، فعلمنا أنه خلق الخلائق بأمره وإرادته وكلامه وقولـه «كن» وبذلك كانت، وهو الفعال لما يريد.
فلما قال خلقت آدم بيدي، علمنا أن ذلك تأكيد ليديه، وأنه خلقه بهما مع أمـره وإرادته، فـاجتمع مع آدم تخليق اليد نصاً، والأمر والإرادة، ولم يجتمعا في خلق غيره من الروحانيين اهـ.
تنبيه: كذا وقـع في الموضعـين (خلقت آدم بيدي) والآيـة ﴿**قال يـا إبليس ما منعـك أن تسجد لمـا خلقت بيدي**﴾ صٓ: ٧٥.

(٤) موقوف صحيـح، أخرجـه الآجري في «الشريعـة» (ص ٢٠٦) والبيهقي في «الأسماء» (ص ٣٢٧) عن المعتمر بن سليمان به. والشك في الصحابي وقع من سليمان التيمي، كما في روايـة البيهقي.
ولم يتفرد به المعتمر، بل تابعه معاذ بن معاذ العنبري.
أخرجه ابن سعد (١/ ٢٧) ووقع عنده: عن سلمان الفارسي أن ابن مسعود قال: خمرّ الله...
وتابعه يزيد بن هارون عند البيهقي في الأسماء (ص ٣٢٧).
وتابعه ابوسحاق الفزاري ابراهيم بن محمد عند الآجـري (ص ٢٠٦) لكن في سنده عبـدالملك بن حبيب المصيصي، قال الحافظ عنه: مقبول.
والأثر وإن كان موقوفا، إلا أن له حكم الرفع، لأنه من الأخبار الغيبية التي لا اجتهاد فيها.

اعلم أنَّ الخبر تضمن إثبات اليمين وتخمير الطين وخلط بعضه ببعض، وغير ممتنع إضافة ذلك إلى اليد التي خلق بها آدم ليس في ذلك ما يحيل صفاته، لأنَّا لا نحمل إثبات اليمين والتخمير والخلط على معنى الجارحة والعضو ومعالجة، وممارسة، بل نُطْلق ذلك كما أطلقنا قوله (خَلَقْتُ بيديَّ) على ظاهره.

فإن قيل: يحمل قوله خمَّر وخلط على ما تقدم في الخبر الذي قبله، وهو أنه خمرَّها وخلطها بملكه وقدرته، أو أمر بعض المخلوقين من ملائكته بفعل ذلك.

قيل: هذا غلطٌ لما تقدَّم من الجواب في الخبر الذي قبله، وهو أنَّ فيه إسقاط فائدة التخصيص لأنَّ قدرته تَعُم سائر الأشياء. ولأنَّ للقدرة اسماً أخصّ به، ولأنَّه إن جاز ذلك ها هنا جاز في قوله (خلقت بيديَّ).

فإن قيل: إنما لم يحمل قوله (خلقت بيديَّ) على القدرة، لأنَّ فيه إبطال تفضيل آدم على إبليس، وليس في حمله ها هنا على القدرة إبطال ذلك.

قيل: في حمله على القدرة ها هنا إبطال فضيلة آدم أيضاً، لأنه من هذه الطينة خُلِقَ ولا يصح حمله أيضاً على يد بعض المخلوقين ولا القدرة لما ذكرنا في الخبر الذي قبله، ولأنَّ في الخبر ما يسقط ذلك، وهو قوله «فخرج كل طيب في يمينه وكلُ خبيثٌ في يده الأخرى»، وهذا صريحٌ في إبطال القدرة لأن القُدرة لا توصف باليمين والشمال، ولأنَّ يد غير الله سبحانه لا توصف بأنه يخرج منها الخبيثُ والطيب، لأن هذا ابتداء خلق، وهو مما يختص الله به سبحانه.

فإن قيل: يحمل قوله «فخرج كل طيب بيمينه» أي بما أنْعَم عليه من توفيقه وتسديده، وكل خبيث في اليد الأخرى بما حُرِمَه من معونته ونصرته، والعرب تستعمل لفظة اليمين على معنى الحظِّ والجدِّ، كما قال القائل:

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ ... تلقَّاها عرابة باليمين(٥)

أي بجدٍ وحظٍّ.

---

(٥) البيت للشمَّاخ بن ضرار. أنظر اللسان (٦/٤٩٦٩).

قيل: لا يصح لأنَّ الكلام يجب أنْ يرجع إلى ما تقدم ذكره، والـذي تقدم ذكره: اليدان بقوله «ثم ضرب بيـديه فخـرج كل طيب في يمينـه» وجب أن يكون ذكر اليمين صفة لما تقدم ذكره من اليدين.

فأما النعم فلم يَجْر لها ذكر، ولأنَّ النعم لا توصف باليمين وضدها.

فإن قيل يُحمل قوله «ثم ضرب بيديه ثم خلط بينهما» على معنى أنه لمَّـا خلق الذرية خلقها نوعين طيباً وخبيثاً، وميزَّهما وجعل محل الطيب جـانب اليمين عنـد يُمن السعـادة والتوفيق، وجعـل محـل الخبيثُ جـانب اليسـار من آدم أو من الملك الذي أمَره بخلط الطينة ثم خلطهما بأن جعل الطيب في محل الخبيث، والخبيث في المحل الطيب.

قيـل: هذا غلطٌ لأنَّـه قد ثبت أنَّـه خلقه بيـديـه فـوجب أن يكـون الخلط والضرب عائداً إليهما لأنَّ بهما حصل الخلق، ولأنَّه لا يجوز حمله على الطائفتين لأن الـطائفتين لا يقـع عليهما اسم يـدين ولا يمين. واعلم أنَّ الخـبر أفاد أنَّ آدم عليـه السلام كان أصله طيناً على هـذا الوجـه هذه المـدة، ويشبه أن يكـون ما روي في الخبر «أن النُّطفة تكون علقةً أربعين يـوماً، ثم تكـون مُضْغَةً مثلهـا، إلى أن يُنفخ فيها الروح»[٦]، فكانت مُدَّة تغير آدم من هيئةٍ إلى هيئةٍ كنحو مـدة تغير النُّـطفة، وإنْ كان أمر النُّطفة مُفارق لطينة آدم من وُجُوه أُخر ا هـ.

«حديثٌ آخــر»

١٧١ ــ ناه أبوالقسم عبدالعزيز قال نا عبيدالله بن محمد المخرمي قـال نا جعفـر بن محمد الفريابي قال نا قتيبة بن سعيد عن مالـك بن أنس عن زيد بن أبي أنيسـة أن

(٦) أخـرجه البخـاري (٦/٣٠٣، ٣٦٣) (١١/٤٧٧) (١٣/٤٤٠) ومسلم (٤/٢٠٣٦) عن زيـد بن وهب عن عبدالله قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحـدكم يُجمعُ خَلْقـهُ في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك عَلقةً مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغـةً مثل ذلـك، ثم يُرسَل المَلك فَينفخُ فيه الروح. . . .» الحديث.

عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أنَّ عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله خلق آدم فمسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للخير وبعمل أهل الخير يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنَّار وبعمل أهل النار يعملون»(٧).

١٧٢ ــ ونا أبوالقسم قال نا أبوسعيد الحسن بن جعفر بن محمد الحربي قال نا جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي نا قتيبة نا الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبيه عن عبدالله بن سلَّام أنه قال: خلق الله آدم في آخر ساعةٍ من يوم الجمعة وذكر الخبر إلى أن قال: ثم مَسَحَ ظهره بيديه فأخرج فيهما من هو خالق من ذريته إلى أن تقوم الساعة، ثُم قَبَضَ يديه، ثم قال: اختر يا آدم، قال اخترت يمينك يا رب وكلتا يَدَيكَ يمين، فبسطها فإذا فيها ذريته من أهل الجنة(٨).

---

(٧) صحيح، تقدم تخريجه.

(٨) اسناده حسن، أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢١٩) والآجري في الشريعة (ص ٣٢٢) عن قتيبة بن سعيد به موقوفا على عبدالله بن سلّام.
وقد رجَّح النسائي هذه الرواية الموقوفة على ما روي عن أبي هريرة مرفوعا.
فقال: وهذا هو الصواب (يعني حديث ابن سلام الموقوف) والآخر خطأ، والذي بعده حديث محمد بن خلف وهو منكر ا هـ.
قلت: يعني بالآخر ما أخرجه هو قبل هذا الحديث وهو برقم (٢١٨) والترمذي (٥/٤٥٣ ـ ٤٥٤) وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد (ص ٦٧) والبيهقي في الأسماء (ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥) عن ابن أبي ذباب عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس، فحمد ربه باذن الله له، فقال: الحمدلله، فقال له ربه: رحمك ربك يا آدم، اذهب إلى أولئك الملائكة، وملأ منهم جلوس فقل: السلام عليكم، فقالوا: سلام عليك ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه، فقال: هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم».
قال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه.
قال النسائي عقبه: خالفه محمد بن عجلان فيه، ثم ذكر حديث عبدالله بن سلام.
قلت: والمخالف هو: ابن أبي ذُباب الحارث بن عبدالرحمن الدوسي.
قال أبوحاتم: ليس بالقوي، وقال الحافظ في التقريب: صدوق يهم.
وحديث محمد بن خلف أخرجه النسائي (٢٢٠) عنه عن آدم حدثنا أبوخالد سليمان بن حيان وذكر أربعة طرق إلى أبي هريرة مرفوعاً به.

١٧٣ ــ وأنا أبومحمد الحسن بن محمد بإسناده عن أبي نضرة أنَّ رجلاً من أصحاب النبي ﷺ يقال له أبوعبدالله دخل عليه أصحابه يَعُودُونه وهو يبكي فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله قبض قبضةً بيمينه وأخرى بيساره فقال: هذه لهذه، وهذه لهذه ولا أُبَالي» فلا أدري في أيِّ القبضتين أنا(٩).

(٩) اسناده صحيح، أخرجه أحمد (٤/١٧٦، ١٧٦ ـ ١٧٧) (٥/٦٨) عن حماد بن سلمة حدثنا الجريري عن أبي نضرة قال: أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ يقال له: أبوعبدالله دخل عليه أصحابه يعودونه وهو يبكي، فقالوا له: ما يبكيك؟ ألم يقل لك رسول الله ﷺ: «خذ من شاربك ثم أقره حتى تلقاني»، قال: بلى، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكره.
ولكن ليس فيه: بيساره، وإنما: بيده الأخرى.
قال الهيثمي في المجمع (٧/١٨٦): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.
قلت: وهو كما قال، وحماد بن سلمة سمع من الجريري قبل الاختلاط.
رواه ابن خزيمة في «التوحيد» (ص ٧٩) والبزار (٣/٢٠) عن محمد بن المثنى حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا النمر بن هلال عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ في القبضتين: «هذه في الجنة ولا أبالي، وهذه في النار ولا أبالي».
قال البزار: لا نعلمه يروى عن أبي سعيد إلا من هذا الوجه، والنمر بصري ليس به بأس، حدث عنه عمران القطان، ومسلم لم يتابع على هذا ا هـ.
قال الهيثمي (٧/١٨٦): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، غير نمر بن هلال، وثّقه أبوحاتم.
قلت: إنما قال أبوحاتم: شيخ، كما نقله ابنه في الجرح والتعديل (٨/٥١١).
فالإسناد حسن إن شاء الله.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٦٠٦) إلى الطبراني (ولم أجده في الكبير) وابن مردويه.
وللحديث شاهد من حديث أنس بن مالك.
أخرجه أبويعلى (٦/١٤٤ ـ ١٤٥، ١٧٢) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ٧٩) والعقيلي في الضعفاء (١/٢٥٧) وابن عدي في الكامل (٢/٦٢٤) والدولابي في الكنى (٢/٤٨) عن الحكم بن سنان حدثنا ثابت البناني عن أنس مرفوعا: «إن الله قبض قبضة فقال: للجنة..».
لكن فيه الحكم بن سنان وهو الباهلي أبوعون، قال العقيلي: لا يتابع عليه، وقد روي في القبضتين أحاديث بأسانيد صالحة ا هـ.
قلت: والحكم بن سنان ضعفه ابن معين والنسائي وأبوداود وابن سعد، وقال البخاري: لا يكتب حديثه، وقال أحمد: ليس بالمتين عندهم، وقال الحافظ: ضعيف.
لكن الحديث يقوى بما سبق إن شاء الله تعالى.
تنبيه: وقع عند ابن حزيمة: الحكم بن سنان قال حدثنا ابن عون حدثنا ثابت، وهو خطأ إنما هو: الحكم بن سنان أبوعون، وكذا هو عند العقيلي وابن عدي والدولابي.

١٧٤ – وروى أبوعبدالله بن بطة في «الإبانة» حدثني أبوصالح محمد بن ثابت ثال نا أبوعلي الحسن بن عليل العنزي ونا أبوحفص عمر بن محمد بن رجا قال نا أبوجعفر محمد بن داود البصروي قالا: نا العباس بن عبدالعظيم العنبري قال نا الهيثم بن خارجة قال نا سُليمان بن عُتبة أبوالربيع السلمي قال سمعت يونس بن ميسرة بن حَلْبَس عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدَّرداء عن النبي ﷺ قال «خَلَقَ الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمين، فأخرج ذُرِّيةً بيضاء كأنهم الذَّر(١)، وضرب كتفه اليُسرى، فَأَخرج ذُرِّيّة سوداء كأنهم الحُمم فقال للتي في يمينه إلى الجنة ولا أبالي، وقال للتي في يساره إلى النَّار ولا أبالي»(١٠).

وروى أيضا عن أبي. . (٢) ابن جعفر قال نا محمد بن اسمعيل قال نا وكيع قال نا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عباس قال: مَسَحَ الله ظهر آدم فأخرج في يمينه كل طيب، وأخرج في الأخرى كل خبيث(١١).

واعلم أن هذا الخبر يفيد جواز إطلاق القبضة عليه واليمين واليسار والمسح، وذلك غير ممتنع لما بينًا فيما قبل من أنَّه لا يحيل صفاته، فهو بمثابة إثبات اليدين والوجه وغيرهما.

---

(١) في الأصل: الدر، مهملة النقط.
(٢) كلمة طمس أولها، وأغلب الظن أنها: حسين.

(١٠) حسن، أخرجه أحمد وابنه عبدالله في زوائده (٦/٤٤١) وعبدالله في السنة (٢/٤٦٦) والبزار (١٩/٣، ٢١) عن الهيثم بن خارجة به.
قال البزار: لا نعلمه يروى بهذا اللفظ الا بهذا الاسناد، واسناده حسن.
قلت: وهو كما قال، من أجل سليمان بن عتبة، قال فيه الحافظ: صدوق له غرائب، وهو من رجال ابن ماجة.
والحديث عزاه الهيثمي في المجمع (٧/١٨٥) للطبراني أيضا، ووهم فقال: رجاله رجال الصحيح!
(١١) موقوف صحيح، أخرجه ابن جرير (٩/٧٦) حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن الأعمش عن حبيب عن ابن عباس به.
وفي اسناده ابن وكيع وهو سفيان، ضعيف، لكنه متابع في رواية المصنف.
وحبيب بن أبي ثابت ثبت سماعه من ابن عباس.

فإن قيل: هذا الحديث تفرد بروايته محمد بن اسمعيل وكان ضعيفاً والمقبري وهو مدلس(١٢).

قيل: قد رُوِّيناه من غير هذا الطريق على أن محمد بن اسمعيل وهو ابن فديك من أهل المدينة وتفرده به لا يُوجب ضعفه، وكذلك كون المقبري مدلساً لا يوجب رد خبره.

فإن قيل: إضافة القبضة إليه عل معنى الملك والفعل.

قيل: هذا غلط لما بينَّا فيما قبل، وهو أنَّ هذا يُسقط فائدة التخصيص، لأن ملكه لا يختص للقبضة، ولأن لذلك أسماء أخصّ به، ولأنَّ هذا يوجب تأويل اليدين أيضا.

فإن قيل: قوله «اخترت يمين ربي» معناه اخترت من اختاره الله من أهل السعادة، وهم أولياؤه، وأضافه إلى اليمين لأنها محل للطيب.

قيل: هذا غلطٌ لأنَّ لذلك أسماء أخص به، ولأن هذا يوجب تأويل اليدين أيضاً، ولأنَّ الكلام يجب أن يُحمل على ما تقدَّم ذكره، والذي تقدم ذكره ذكر اليدين، وحصول الخلق والمسح بهما، لا يوجب أن يكون اليمين والشمال صفة لهما.

(١٢) محمد بن اسماعيل بن مسلم بن أبي فديك الدِّيلي مولاهم، أبواسماعيل المدني، قال فيه النسائي: ليس به بأس، وقال ابن معين: ثقة، وقال ابن سعد: كان كثير الحديث وليس بحجة، وقال الحافظ: صدوق.
قلت: وهو من رجال الصحيحين.
وأما المقبري وهو سعيد بن أبي سعيد واسمه كيسان المقبري، أبوسعد المدني، قال ابن المديني وابن سعد والعجلي وأبوزرعة والنسائي: ثقة، وقال يعقوب بن شيبة: قد كان تغير وكبر واختلط قبل موته يقال بأربع سنين. وقال الحافظ: ثقة من الثالثة، تغير قبل موته بأربع سنين، وروايته عن عائشة وأم سلمة مرسلة.
قلت: فوصفه بالتدليس مطلقاً فيه مبالغة، فلم يذكره الحافظ ابن حجر ولا غيره في المدلسين.

فإن قيل: قوله «اخترت يمين ربي» معناه رَدَدْتُ أمري إلى ربي واخترت ما اختاره.

قيل هذا غلط، لأنَّه لو كان قد ردَّ الأمر إليه لم يوجد منه اختيار، وفي الخبر اخترت.

فأما قوله «وكِلتا يَدَيه يَمين» قيل فيه: أنَّه لم يُوصف باليدين ويد الجارحة تكون أحدهما يميناً والأخرى يساراً، واليسرى تنقص أبداً في الغالب عن اليمين في القُوة والبطش عرفنا كمال صفة الله تعالى، وأنه لا نَقْصَ فيها، وأنَّ ما وُصِفَ به من اليدين ليس كما يوصف به الجوارح التي تنقص مياسِرُه عن ميامنه[13].

---

(١٣) كلام المصنف رحمه الله يدل على أنه لا يرى بأساً في تسمية اليد الأخرى لربنا سبحانه بـ «الشمال».

وقد أنكر هذا ابن خزيمة في كتابه «التوحيد» (ص ٦٦) فقال:

باب ذكر سنة ثامنة تُبيِّن وتوضِّح أنَّ لخالقنا جل وعلا يدين كلتاهما يمينان، لا يسار لخالقنا عز وجل، إذ اليسار من صفة المخلوقين، فجلَّ ربنا عن أن يكون له يسار ا هـ.

وبوَّب الآجري في الشريعة (ص ٣٢١): (باب الإيمان بأن لله عز وجل يدين، وكلتا يديه يمين) وضعف البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٣٢٤) الزيادة التي وردت في مسلم في حديث ابن عمر مرفوعاً: «ثم يطوى الأرضين بشماله» فقال: وذِكْر الشمال فيه تفرد به عمر بن حمزة عن سالم، وقد روى هذا الحديث نافع وعبيدالله بن مقسم عن ابن عمر، لم يذكرا فيه الشمال، ورواه أبوهريرة رضي الله عنه وغيره عن النبي ﷺ، فلم يذكر فيه أحد منهم الشمال، ورُوي ذكر الشمال في حديث آخر في غير هذه القصة، إلا أنه ضعيف بمرة، تفرد بأحدهما جعفر بن الزبير، وبالآخر يزيد الرقاشي، وهما متروكان. وكيف يصح ذلك؟ وصحيح عن النبي ﷺ أنه سمى كلتا يديه يميناً!

وكأن من قال ذلك أرسله من لفظه على ما وقع له، أو على عادة العرب في ذكر الشمال في مقابلة اليمين ا هـ.

قلت: ثم ذكر حديث ابن عمرو مرفوعا «المقسطون عند الله يوم القيامة، على منابر من نور على يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا» رواه مسلم.

وعلّق القرطبي في «المفهم» على الزيادة السابقة قائلا: كذا جاءت هذه الرواية باطلاق لفظ الشمال على يد الله تعالى، على المقابلة المتعارفة في حقنا، وفي أكثر الروايات وقع التحرز عن إطلاقها على الله حتى قال: وكلتا يديه يمين، لئلا يتوهم نقصٌ في صفته سبحانه وتعالى، لأن الشمال في حقنا أضعف من اليمين ا هـ من (الفتح ١٣/٣٩٦).

وقال ابن الأثير في النهاية (٥/٣٠١): «وكلتا يديه يمين» أي أنَّ يديه تبارك وتعالى بصفة الكمال، =

وقيل: معنى قوله «كلتا يديه يمين» وصفه بغاية الجود والكرم والإحسان والتفضُّل، وذلك أنَّ العرب تقول لمن هو كذلك: كلتا يديه يمين، وإذا نَقَص حظ الرجل وبخس نصيبه، قيل جعل سهمه في الشمال، وإذا لم يكن عنه اجتلابُ منفعة ولا دفعُ مضرة قيل ليس فلان باليمين ولا بالشمال، ولذلك قال

= لا نقص في واحدة منهما، لأن الشمال تنقصُ عن اليمين.

وقد علق الشيخ الهراس رحمه الله على كلام ابن خزيمة السابق قائلاً: يظهر أن المنع من إطلاق اليسار على الله عز وجل إنما هو على جهة التأدب فقط، فإن إثبات اليمين وإسناد بعض الشئون إليها كما في قوله تعالى ﴿**والسموات مطويات بيمينه**﴾ الزمر: ٦٧، وكما في قوله عليه السلام: «إن يمين الله ملآى سَحَّاء الليل والنهار» يدل على أن اليد الأخرى المقابلة لها ليست يميناً ا هـ.

قلت: ويقويه كلام الدارمي رحمه الله في نقضه على المريسي فقد قال: وأعجب من هذا قول الثلجي الجاهل فيما ادعى: تأويل حديث رسول الله ﷺ «المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين» فادعى الثلجي أن النبي ﷺ تأول «كلتا يديه يمين» أنه خرج من تأويل الغلوليين أنها يمين الأيدي، وخرج من معنى اليدين إلى النعم.

يعني بـ «الغلوليين» أهل السنة، يعني أنه لا يكون لأحد يمينان، فلا يوصف أحد بيمينين، ولكن يمين وشمال بزعمه!

قال أبوسعيد: ويلك يها المعارض! إنما عنى رسول الله ﷺ ما قد أطلق على التي في مقابلة اليمين الشمال، ولكن تأويله: وكلتا يديه يمين، أي: منزهٌ عن النقص والضعف، كما في أيدينا الشمال من النقص وعدم البطش، فقال «كلتا يدي الرحمن يمين» إجلالا لله، وتعظيما أن يوصف بالشمال، وقد وصفت يداه بالشمال واليسار.

وكذلك لو لم يجز إطلاق الشمال واليسار، لما أطلق رسول الله ﷺ، ولو لم يجز أن يقال «كلتا يدي الرحمن يمين» لم يقله رسول الله ﷺ.

وهذا قد جوّزه الناس في الخلق، فكيف لا يجوز ابن الثلجي في يدي الله أنهما جميعا يمينان؟! وقد سُمي من الناس ذا الشمالين؟ فجاز نفي دعوى ابن الثلجي أيضا، ويخرج ذو الشمالين من معنى أصحاب الأيدي ا هـ (النقض ص ١٥٥ - ١٥٦).

وقال ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص ١٤٢): إنما أراد بذلك معنى التمام والكمال، لأن كل شيء فمياسره تنقص عن ميامنه في القوة والبطش والتمام، وكانت العرب تحب التيامن وتكره التياسر، لما في اليمين من التمام وفي اليسار من النقص.

ويجوز أنه يريد: العطاء باليدين جميعا، لأن اليمنى هي المعطية، فإذا كانت اليدان يمينين كان العطاء بهما، وقد روي في حديث آخر أن النبي ﷺ قال: «يمين الله سحّاء لا يغيضها شيء الليل والنهار» أي تصب العطاء ولا ينقصها ذلك ا هـ.

الفرزدق(١٤): كلتا يديه يمين غير مختلفة ا هـ.

وهذا لا بأس لأنَّه لا ينفي الصفة بل يثبتها على الكمال.

«حَدِيثٌ آخـــر»

١٧٥ ـ حدثناه أبوالقسم عبدالعزيز باسناده عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ: «قال الله جَـلَّ اسمه: يـا ابن آدم أَنفق أُنفق عليك، يمـين الله جلَّ اسمـه سحَّاء ـ وفي لفظ آخر: إنَّ يمين الله ملأى(١) لا يَغِيضها نفقة سحَّاء الليلَ والنهار»(١٥).

معنى سحاء كثيرة العطايا لا يُنقصها شيء، وهذا لا بـأس به لأنَّـه لا ينفي الصفة بل يُثبتها على الكمال.

---

(١) في الأصل: ملأ وهو خطأ.

(١٤) هـو شاعـر عصره أبوفـراس همـام بن غـالـب بن صعصعـة بن نـاجيـة التميمي البصري الشهـير بـ «الفرزدق»، والفرزدق وصف لوجهه وهو الرغيف الضخم.
أرسـل عن علي ويـروي عن أبي هريـرة والحسين وابن عمـر وأبي سعيد وطـائفة. وعنـه الكميت ومروان الأصفر وخالد الحذاء وغيرهم.
وفد على الوليد وعلى سليمان ومدحهما.
قال الذهبي: ونظمه في الذروة.
مات سنة ١١٠ هـ.
(طبقـات الشعـراء لابن سـلام (ص ١١١ ومـا بعـدهـا)، معجم الشعـراء للمـرزبـاني (ص ٤٨٦ ـ ٤٨٧)، السير للذهبي (٤/٥٩٠)).

(١٥) أخرجه البخاري (٨/٣٥٢) (٩/٤٩٧) (١٣/٣٩٣، ٤٠٣، ٤٦٤)
ومسلم (٢/٦٩٠ ـ ٦٩١) عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ: «قـال الله عز وجل: أَنِفق أُنفق عليك، وقال ﷺ: يـد الله ملأى لا تغيضهـا نَفقة، سحَّـاء الليل والنهـار، وقال: أرأيتم ما أَنفَقَ منذ خلق السماء والأرض؟ فإنه لم يَغِض ما في يده، وكان عرشه على المـاء، وبيده الميزان يَخفض ويرفع».
وأخرجه مسلم (٢/٦٩١) عن همام بن منبه عن أبي هريرة به.

«حَــديثٌ آخـــر»

١٧٦ ـــ حدثناه أبـوالقاسم بـاسناده عن عبـدالله بن عمرو يبلغ بـه النبي ﷺ قال: «المقْسِطُون عند الله يوم القيامة على منابر من نورٍ عن يمين الـرحمن عز وجـل وكلتا يديه يمين»(١٦).

اعلم أن هذا الخبر يَتَضمنَّ اليدين وإثبات اليمين، وقد تقـدم ذكر ذلـك، وبينًا أنه ليس في إطلاق ذلك ما يُحيل صفاته، لأن إطلاق اليمين كاطلاق اليد.

فإن قيل: قوله «عن يمين الرحمن» معناه عن يمين عرش الرحمن على طريقـة العـرب في الحـذف والإضـمار، كـما قـال تعـالى ﴿وأشربـوا في قلوبهم العجـل﴾ (البقـرة: ٩٣) معناه حبّ العجـل، وكما قـال الشاعـر:

واستب بـعــدك يـــا كليـب المجـلس

يعني أهل المجلس.

قيل: هذا غلطٌ لوجوه أحدها: قوله «وكلتا يديه يمين» وهـذا يدل عـلى أنَّ ذلك صفة ترجع إلى ذاته لأن العرش لا يوصف باليدين.

الثاني: أن اليمين إذا إضيفت إلى الذات اقتضت إضافـة صفة، ولهـذا إذا قيل وقف الوزير على يمين الخليفة إنما يعقل منه يمينه التي هي من صفته.

الثـالث: أن حمله على ذلـك يقتضي إضـماراً في الخـبر، وهـو ذكـر العـرش والإضمار ترك حقيقة.

فإن قيل: قوله «عن يمين الرحمن» المراد به المنزلة الـرفيعة والمحـل العظيم، لأنهم يقولون: كان فلان عندنا باليمين، أي كان عندنـا بالمحـلِّ العظيم والمنـزلة الرفيعة، قال الشاعر:

أقولُ لناقتي إذ بَلَّغَتني ... لقد أصبحت عندي باليمين

(١٦) أخـرجـه أحمـد (٢/١٦٠) ومسلم (٣/١٤٥٨) والنسـائي (٨/٢٢١ ـ ٢٢٢) والآجـري في «الشريعة» (ص ٣٢٢) واللالكـائي في «شرح أصول الاعتقـاد» (٢/٤١٦) والبيهقي في «الأسماء والصفـات» (ص ٣٢٤) كلهم عن سفيان بن عيينـة عن عمرو بن دينـار عن عمرو بن أوس عن عبدالله بن عمرو مرفوعا به.

أي بالمحلِّ الجليل.

قيل: هذا غلط لأنَّه لو أراد ذلك لقال: المقسطون في يمين الرحمن، معناه في المنزلة الرفيعة لأنَّه يُقال: فلان عندنا في المنزلة الرفيعة، ولأنه قال «وكلتا يديه يمين» فلو كان المرادُ به المنزلة لم يكن لذكر اليد معنى.

فإن قيل: حمله على ظاهره يستحيل على الله سبحانه لأنه يؤدي إلى وصفه بالحد والجهة.

قيل لا يُفضي إلى ذلك، كما أنَّ قوله «ترون ربكم كما ترون القمر» حملناه على ظاهره، وإنْ كُنَّا نعلم أنَّ رؤية القمر في جهةٍ ومحدودة، والله تعالى لا في جهة ولا محدود، وكذلك قوله ﴿**ثُمَّ استَوى على العَرْش**﴾ تُطلق هذه الصفة وإن كان العرشُ في جهة ولم يوجب ذلك وصفه تعالى بالجهة، كذلك ها هنا[١٧].

«حَدِيــثٌ آخَــر»

١٧٧ ـ حدثناه أبوالقاسم قال نا القاضي عمر بن سنبك نا أحمد بن القسم بن نصر بن زياد نا أبوسالم العلا بن مسلمة الرواسي[١] نا أبوحفص العبدي عن ابان عن أنس قال رسول الله ﷺ: «الحجر في الأرض يمينُ الله جلَّ اسمه فمن مَسَحَ

---

(١) في الأصل: ابن مسلم الرواس، والتصويب من التهذيب (١٩٢/٨) وغيره.

(١٧) نفي الجهة عن الله سبحانه من الألفاظ المحدثة التي تحتمل الحق والباطل، لأن كثيرا من نفاة الصفات يريدون بها نفي العلو عن الله سبحانه، وهذا باطل لمخالفته للأدلة الصريحة التي تثبت علو ربنا تبارك وتعالى.

قال ابن القيم رحمه الله: وكذلك قولهم: ننزهه عن الجهة، إن أردتم أنه مُنزهٌ عن جهة وجودية تحيط به وتحويه وتحصره إحاطة الظرف بالمظروف فنعم، هو أعظم من ذلك وأكبر وأعلى، ولكن لا يلزم من كونه فوق عرشه هذا المعنى.

وإن أردتم بالجهة أمراً يوجب مباينة الخالق للمخلوق، وعلوّه على خلقه، واستواءه على عرشه، فنفيكم لهذا المعنى باطل، وتسميته جهة اصطلاح منكم توسلتم به إلى نفي ما دلَّ عليه العقل والنقل والفطرة، وسمَّيتم ما فوق العالم جهةً وقلتم منزهٌ عن الجهات، وسمّيتم العرش حيزاً وقلتم ليس بمتحيِّز، وسميتم الصفات أعراض وقلتم الرب منزهٌ عن قيام الأعراض به.. الخ كلامه رحمه الله (مختصر الصواعق ١/ ١٨٠).

يَده على الحجر، فقد بايع الله عزَّ وجلَّ أن لا يعصيه»(١٨).

١٧٨ ــ وروى ابن جريج عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومي قال سمعت عبدالله بن عباس يقول: إنَّ هذا الركن الأسود، يمينُ الله في الأرض يُصَافح به عباده مصافحة الرجل أخاه(١٩).

إعْلم أنَّ هذا الخبر ليس على ظاهره، لأن إضافة الحجر إلى أنه صفة ذات هي يمين، يحيل صفاته ويخرجها عما تستحقه، لأنَّ الحجر جسم مخلوق حال في مخلوق وفي الأرض، والقديم سبحانه(٢٠) تستحيل عليه هذه الصفات، ويفارق

(١٨) حديث موضوع، أبان هو ابن أبي عياش متروك، وأبوحفص العبدي هو عمر بن حفص قال الذهبي في الضعفاء (٢/ ٧٨٠): واه.
والعلاء بن مسلمة، قال الأزدي: كان رجل سوء لا يبالي ما روى، وقال ابن حبان: يروي المقلوبات والموضوعات عن الثقات لا يحل الاحتجاج به، وقال ابن طاهر المقدسي: كان يضع الحديث.
والحديث ذكره الديلمي في «الفردوس» (٢/ ٧/ ٢٨٠٧).
وأخرجه الأزرقي في «تاريخ مكة» ـ كما في كنز العمال (١٢/ ٢١٥) ـ عن عكرمة موقوفا.

(١٩) ضعيف جدا، أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٥/ ٣٩) والأزرقي في «أخبار مكة» أخبرنا ابن جريج عن محمد بن عباد عن ابن عباس، فقال: نحوه. وقول عبدالرزاق «نحوه» يشير به إلى الرواية التي أخرجها قبله (٥/ ٣٩) عن ابراهيم بن يزيد أنه سمع محمد بن عباد يحدّث أنه سمع ابن عباس يقول: الركن ـ يعني الحجر ـ يمين الله في الأرض، يصافح بها خلقه مصافحة الرجل أخاه، يشهد لمن استلمه بالبر والوفاء، والذي نفسُ ابن عباس بيده ما حاذى به عبدٌ مسلمٌ يسأل الله تعالى خيراً إلا أعطاه إياه.
وفيه ابراهيم وهو الخوزي، متروك.
وسند المصنف فيه عنعنة ابن جريج.
وأخرجه الخطيب في تاريخه (٦/ ٣٢٨) مرفوعاً عن جابر بن عبدالله، وفي سنده اسحاق بن بشر الكاهلي، كذبه الأئمة.

(٢٠) «القديم» ليس من أسماء الله الحسنى، إنما هو من التسميات التي جرت على ألسنة أهل الكلام والفلسفة، فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن هو: المتقدم على غيره، فيقال: هذا قديم، للعتيق، وهذا حديث، للجديد، ولم يستعملوا هذا الإسم إلا في المتقدم على غيره، لا فيما لم يسبقه عدم، كما قال تعالى ﴿**حتى عاد كالعرُجُون القديم**﴾ يسٓ: ٣٩، والعرجون القديم: الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الجديد قيل للأول: قديم. (انظر شرح الطحاوية ص ١١٤).

هذا ما تقدمه من إثبات اليمين في الخبر الذي قبله، وأنَّ ذلك صفةُ ذات، لأنّه لا يستحيل إضافتها إليه، لأنها غير مستحيلة عليه، لأن إضافة اليمين إليه كـإضافـة اليد إليه، وذلك جائز، ومثل هذا غير موجود هاهنا.

يبين صحة هذا من كلام أحمـد أن فسَّر قولـه ﴿وهو الله في السمـوات وفي الأرض﴾ (الأنعام: ٣) قال معناه: هُو إله من في السموات وإلـه من في الأرض، وهو على العرش، فلم يحمل قوله «وفي الأرض» على ظاهره بل تأوله وبين أنه على العرش، فوجب أيضاً أن يمتنع من إطـلاق صفة ذات في الأرض تُلمس في جهـةٍ من الجهات.

وقـد قيل في تـأويله أوجه أحـدهـا: أن هـذا عـلى طـريق المثـل وأصله أنَّ الملك كان إذا صافح رجلاً قبَّل الرجلُ يده، فكأن الحجر لله سبحانه بمنزلة اليمين للملك يُسْتَلَم ويُلْثَم(٢١). وقد رُوي في الخبر «أن الله عـزّ وجلّ حـين أخذ الميثـاق من بني آدم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم قالـوا بلى جعـل ذلك في الحجـر الأسود ولذلك يقال إيماناً بك ووفاءً بعهدك(٢٢).

= والصواب أن يستعاض عن هذا الإسم بما جاء في قوله تعالى ﴿هو الأول والآخر﴾ الحـديد: ٣، ربمـا جاء في قـول رسـولـه ﷺ: «. . . اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخـر فليس بعدك شيء. .» رواه مسلم (٤/٢٠٨٤).

واتباع ما جاءت به الشريعة أولى من اتباع ألفاظ أهل الكلام. وقال العلامة الألباني حفظه الله في تعليقه على الطحاوية: لكن أفاد الشيخ ابن مانع هنا فيما نقله عن ابن القيم في «البدائع» أنه يجوز وصفه سبحانه بالقدم بمعنى أنه يخبر عنه بذلك، وباب الأخبار أوسع من باب الصفات التوقيفية.

قلت: (أي الألباني): ولعل هذا هو وجه استعمال شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الوصف في بعض الأحيان.

(٢١) قاله ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص ١٤٥).

(٢٢) لعله يشير إلى ما أخرجه الحاكم (١/٤٥٧) عن أبي هارون العبـدي عن أبي سعيد الخـدري رضي الله عنه: حججنا مع عمر بن الخـطاب فلما دخل الـطواف استقبل الحجـر فقال: إني أعلم أنـك حجـر لا تضر ولا تنفـع، ولـولا أني رأيت رسـول الله ﷺ قبلك مـا قبلتـك، فقـال لـه عـلي بن أبي طـالب: بلى يـا أمير المؤمنـين! إنه يضر وينفـع، قال: بم؟ قـال: بكتاب الله تبـارك وتعالى، قال: وأين ذلك من كتاب الله؟ قال: قال الله عز وجل ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾، خلق الله آدم ومسح على ظهـره فقرَره بأنه الرب وأنهم العبيد، وأخذ عهودهم ومواثيقهم وكتب ذلك في رق، وكـان لهذا الحجـر عينان =

وقد قيل فيه وجهٌ آخر وهو أنه يُحتمل أن يكون معنى قوله «الحجر يمين الله في أرضه» إنما أضافه اليه على طريق التعظيم للحَجَر وهو فعلٌ من أفعال الله تعالى سمَّاه يميناً فنسبه إلى نفسه، وأمر الناس باستلامه ومصافحته ليظهر طاعتهم بالايتمار وتقربهم إلى الله سبحانه، فيحصل لهم بذلك البركة والسعادة.

وقيل فيه وجه آخر وهو أنَّ معنى قوله «يمين الله» أمان الله، لأن الحجر من جملة البيت. وقد قال سبحانه ﴿وَمَنْ دَخَلَه كان آمناً﴾ (آل عمران : ٩٧) ولا بأس بهذه الوجوه للمعنى الذي ذكرنا من امتناع إضافة ذلك إلى الله سبحانه.

ويبين صحة هذا ما روي عن النبي ﷺ الحجر الأسود من ياقوت الجنة وإنما سَوَّدته خطايا بني آدم(٢٣). وأيضا قول عمر: لإني لأعلم أنَّك حجر لا تضرُّ ولا تنفع(٢٤).

وهذا لا يقال في صفات القديم(٢٥).

= ولسان، فقال له: افتح فاك قال: ففتح فاه فألقمه ذلك الرق، وقال: اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة، وإني أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يؤتى يوم القيامة بالحجر الأسود وله لسان ذلق، يشهد لمن يستلمه بالتوحيد»، فهو يا أمير المؤمنين يضر وينفع، فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن.
قال الحاكم: ليس من شرط الشيخين، فإنهما لم يحتجا بأبي هارون عمارة بن جوين العبدي.
وقال الذهبي بعده: أبوهارون ساقط. وقال في الميزان: قال أحمد: ليس بشيء، وقال ابن معين: ضعيف لا يصدق في حديثه، وقال النسائي: متروك.
وقد صح منه قول عمر رضي الله عنه: أني لأعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع، كما سيأتي برقم (٢٤).

(٢٣) اسناده ضعيف، أخرجه ابن خزيمة (٤/ ٢٢٠) عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «الحجر الأسود ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة، وإنما سوَّدته خطايا المشركين، يُبعث يوم القيامة مثل أحد يشهد لمن استلمه وقبله من أهل الدنيا».
وفيه أبوالجنيد خالد بن الحسين الضرير، قال ابن معين: ليس بثقة، وقال ابن عدي (٣/ ٩١١): عامة حديثه عن الضعفاء أو قوم لا يعرفون.

(٢٤) أخرجه البخاري (٣/ ٤٧١، ٤٧٥) ومسلم (٢/ ٩٢٥) عن زيد بن أسلم عن أبيه: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للركن: أما والله إني لأعلم أنك حَجَرٌ لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ استلمك ما استلمتك، فاستلمه.
وأخرجه مسلم (٢/ ٩٢٥ ـ ٩٢٦) من طرق أخرى عن عمر رضي الله عنه.

(٢٥) وفي ختام هذا الفصل نقول، إنَّ مذهب سلف الأمة هو إثبات صفة «اليد» لربنا جل شأنه، ولا =

= يلتفت إلى تأويلات بل تحريفات الجهمية وأشياعهم.

وقَد ردَّ العلامة المحقق ابن القيم رحمه الله في كتابه الفذّ «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» على من قال بتأويل هذه الصفة أو تعطيلها من عشرين وجهاً (٢/١٥٣ ـ ١٧١) وقال في خاتمة الفصل:

ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودا متنوعا متصرفا فيه مقرونا بما يدل على أنها يد حقيقة من الامساك والطي والقبض والبسط والمصافحة والحثيات والنضح باليد والخلق باليدين والمباشرة بهما وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، وتخمير طينة آدم بيده، ووقوف العبد بين يديه، وكون المقسطين عن يمينه وقيام رسول الله ﷺ يوم القيامة عن يمينه وتخيير آدم بين ما في يديه فقال اخترت يمين ربي، وأخذُ الصدقة بيمينه يُربيها لصاحبها، وكتابته بيده على نفسه إن رحمته تغلب غضبه، وأنه مسح ظهر آدم بيده ثم قال له ويداه مفتوحتان اختر فقال اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة، وأن يمينه ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وبيده الأخرى القسط يرفع ويخفض، وأنه خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، وأنه يطوي السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يطوي الأرض باليد الأخرى وأنه خط الألواح التي كتبها لموسى بيده، وقوله: الأيدي ثلاثة فيد الله العليا ويد المعطي التي تليها ويد السائل السفلى. فهل يصح في عقل أو لغة أو عرف أن يقال قدرة الله أو نعمته العليا ويد المعطي التي تليها. فهل يحتمل هذا التركيب غير يد الذات بوجه ما وهل يصح أنْ يراد به غير ذلك؟ وكذلك قوله «اليد العليا خير من اليد السفلى» واليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي السائلة. فضم هذا إلى قوله الأيدي ثلاثة فيد الله العليا ويد المعطي هي التي تليها وإلى قوله ﴿**بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء**﴾ تقطع بالضرورة أن المراد يد الذات لا يد القدرة والنعمة فإن التركيب والقصد والسياق لا يحتمله البتة. وتأمل قوله ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم**﴾ فلما كانوا يبايعون رسول الله ﷺ بأيديهم ويضرب بيده على أيديهم وكان رسول الله ﷺ هو السفير بينه وبينهم كانت مبايعتهم له مبايعة لله تعالى، ولما كان سبحانه فوق سمواته على عرشه وفوق الخلائق كلهم كانت يده فوق أيديهم كما أنه سبحانه فوقهم، فهل يصح هذا لمن ليس له يد حقيقية فكيف يستقيم أن يكون المعنى قدرة الله ونعمته، فوق قدرهم ونعمهم؟ أم تقتضي المقابلة أن يكون المعنى هو الذي يسبق إلي الافهام من هذا الكلام. وكذلك قوله «ما تصدّق أحد بصدقةٍ من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرةً فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل» فهل يحتمل هذا الكلام غير الحقيقة.

وهب أن اليد تستعمل في النعمة أفسمعتم أنَّ اليمين والكف يستعملان في النعمة في غير الوضع الجديد الذي اخترعتموه وحملتم عليه كلام الله وكلام رسوله ﷺ. وكذلك وبيده الأخرى القسط هل يصح أن يكون المعنى وبقدرته الأخرى؟ وهل يصح في قوله «إن المقسطين عن يمين الرحمن» أنه عن قدرته في لغة من اللغات؟ وهل سمعتم باستعمال اليمين في النعمة والكف في النعمة؟ وكيف يحتمل قوله «إن الله أخذ ذرية آدم من ظهره ثم أفاض بهم في كفه» كف النعمة والقدرة؟ =

«حديث آخر»

١٧٩ ـ نا أبوالقسم عن أبي بكر عبدالعزيز اجازة عن أبي بكر أحمد بن محمد الخلال عن أحمد عن الحسين الرقي عن ابراهيم بن المنذر عن [محمد بن][(١)] فليح بن سليمان عن أبيه عن سعيد بن الحرث عن عبيد بن حنين[(٢)] عن قتادة بن النعمان قال سمعت رسول الله يقول: «إن الله لما فرغ من خلقه استوى على عرشه واستلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى وقال: أنها لا تصلح لبشر»[(١)].

---

(١) سقط من الأصل.
(٢) في الأصل: بن جبير وهو خطأ.

= وهذا لم تعهدوا أنتم ولا أسلافكم به استعمالاً البتة سوى الوضع الجديد الذي اخترعتموه، وكذلك قوله «خمر الله طينة آدم ثم ضرب بيده فيها فخرج كل طيب بيمينه وكل خبيث بيده الأخرى ثم خلط بينهما فهل يصح في هذا السياق غير الحقيقة؟ فضع لفظ النعمة والقدرة ها هنا ثم أنظر هل يستقيم ذلك وهل يصح في قوله «والخير كله في يديك» أن يكون في نعمتك أو في قدرتك اهـ باختصار يسير (٢/١٧١ ـ ١٧٣).

(١) حديث منكر، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/٢٤٨ ـ ٢٤٩) وأبومحمد الخلال وأبوبكر الخلال كما سيأتي والطبراني في الكبير (١٩/١٣) والبيهقي في «الأسماء» (ص ٣٥٥) عن ابراهيم بن المنذر الحزامي به. قال البيهقي عقبه: فهذا حديث منكر، ولم أكتبه إلا من هذا الوجه، وفليح بن سليمان مع كونه من شرط الخاري ومسلم، فلم يخرجا حديثه هذا في الصحيح، وهو عند بعض الحفاظ غير محتج به.
ثم نقل تضعيف ابن معين والنسائي لفليح بن سليمان، قلت: وضعفه ابن المديني وقال أبوحاتم: ليس بقوي، وقال الدارقطني: يختلفون فيه وليس به بأس، والظاهر أن هذا الحديث من غرائبه، فقد ذكره الذهبي في ترجمته من الميزان (٣/٣٦٥).
وقال البيهقي: وفيه علة أخرى، وهو أن قتادة بن النعمان مات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصلى عليه عمر، وعبيد بن حنين مات سنة خمس ومائة وله خمس وسبعون سنة في قول الواقدي وابن بكير، فتكون روايته عن قتادة منقطعة اهـ.
قلت: قوله أن فيه انقطاع، فيه نظر إذ السياق يأباه.
ثم إن الحافظ بن حجر اختار في التهذيب (٧/٦٣) أنه مات وهو ابن تسعين، ولم ينف سماع عبيد بن حنين من قتادة كما في ترجمة قتادة من التهذيب (٨/٣٥٨).
والحديث في متنه نكارة شديدة، وهو ما أشار إليه البيهقي بقوله: وما نقل في هذا الخبر إنما يفعله في الشاهد من الفارغين من أعمالهم مَن مسّه لغوب، أو أصابه نصب مما فعل، ليستريح بالإستلقاء =

١٨٠ ــ وفي لفظ آخر عن عمرو بن عتبة بن فرقد وكعب بن عجرة أنهما كانا جالسين عند الأشعث بن قيس قال فوضع إحدى رجليه على الأخرى فقال: ضعهما إنها لا تصلح لبشر.

١٨١ ــ وفي لفظ آخر عن محمد بن قيس قال جاء رجل إلى كعب فقال: يا كعب أين ربنا؟ فقال له الناس: دقّ الله فاك أتسئل عن هذا؟ قال لكعب: دعوة فإن يك عالماً ازداد، وإن يك جاهلاً تعلم، سألت أين ربنا وهو على العرش العظيم متكىء واضعٌ إحدى رجليه على الأخرى(٢).

١٨٢ ــ ونا أبومحمد الحسن بن محمد(٣) قال نا علي بن عمر التمار من أصل كتابه قال نا جعفر بن محمد بن أحمد بن الحكم الواسطي قال نا أحمد بن علي الأبار أبوالعباس قال نا محمد بن اسحق الصاغاني قال نا ابراهيم بن المنذر الحزامي(٢)

---

(٣) في الأصل: الحراني وهو خطأ، وأشار إلى ذلك الناسخ.

= ووضع إحدى رجليه على الأخرى، وقد كذَّب الله تعالى اليهود حين وصفوه بالاستراحة بعد خلق السموات والأرض وما بينهما فقال **﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون﴾**.

وقال: وأما النهي عن وضع الرجل إحدى رجليه على الأخرى مستلقياً فقد رواه أبوالزبير عن جابر عن النبي ﷺ دون هذه القصة (قلت: وهو في مسلم ٣/١٦٦١) وحمله أهل العلم على ما يخشى من انكشاف العورة ـ وهي الفخذ ـ إذا رفع إحدى رجليه على الأخرى مستلقياً والإزار ضيق، وهو جائز عند الجميع إذا لم يخش ذلك ا هـ.

ثم ساق حديث عباد بن تميم عن عمه: «أن رسول الله ﷺ كان يستلقي في المسجد وإحدى رجليه على الأخرى» رواه مسلم.

والحديث ذكره الألباني حفظه الله في الضعيفة (٧٥٥) وحكم بنكارته وأنه من الاسرائيليات.

تنبيه: سقط من سند ابن أبي عاصم المطبوع: فليح بن سليمان.

ووقع فيه: عبدالله بن حنين، قال الألباني: بالميم المضمومة، ووقع في الأصل بالحاء وهو تحريف! كذا قال، وهو وهم منه حفظه الله، فإن صوابه: عبيد بن حنين، وكذا هو عند الطبراني والبيهقي والتهذيب.

(٢) لم أجده مسنداً، وقد أشار إليه الحافظ أبوموسى المديني كما في السلسلة الضعيفة للألباني (١٧٨/٢).

(٣) تقدمت ترجمته.

قال نا محمد بن فليح عن أبيه عن سعيد بن الحرث عن عبيد بن حنين[1] قال بينا أنا جالس في المسجد إذ جاء قتادة بن النعمان فجلس يتحدث وثاب إليه ناس، فقال: انطلق بنا يا ابن حنين[2] إلى أبي سعيد فأخبرت أنه اشتكى قال فانطلقنا حتى دخلنا على أبي سعيد فوجدناه مستلقياً رافعاً رجله اليمنى على اليسرى فسلمنا عليه وجلسنا، فرفع قتادة يده إلى رجل أبي سعيد فقرصها قرصة شديدة، فقال أبوسعيد: سبحان الله يابن أخي أوجعتني قال ذاك أردت إنَّ رسول الله ﷺ: «إنّ الله لما قضى خلقه استلقى ثم رفع إحدى رجليه على الأخرى، ثم قال: لا ينبغي لأحدٍ من خلقي أن يفعل هذا» فقال أبوسعيد: لا جرم والله لا أفعله أبدا.

قال أبومحمد الخلال هذا حديث، اسناده كلهم ثقات وهم مع ثقتهم شرط الصحيحين مسلم والبخاري.

١٨٣ ــ وقد ذكر أبوبكر أحمد بن محمد الخلال[4] هذا الحديث في «سننه» فقال نا أحمد بن الحسين الرقي نا ابراهيم بن المنذر نا محمد بن فليح بن سليمان قال حدثني أبي عن سعيد بن الحرث عن عبيد بن حنين[1] قال بينما أنا جالس في

---

(١) في الأصل: ابن جبير.
(٢) في الأصل: ابن جبير.

(٤) هو الإمام العلامة الحافظ [illegible]يه، شيخ الحنابلة وعالمهم، أبوبكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الخلال، ولد سنة ٢٣٤ هـ أو في التي تليها فيجوز أن يكون رأى الإمام أحمد، ولكنه أخذ الفقه عن خلقٍ كثير من أصحابه، وتلمذ لأبي بكر المروذي، قاله الذهبي.
ورحل إلى فارس وبلاد الشام والجزيرة، يتطلب فقه الإمام أحمد وفتاويه وأجوبته. وكتب عن الكبار والصغار حتى كتب عن تلامذته، وجمع فأوعى، ثم أنه صنف كتاب: «الجامع في الفقه» من كلام أحمد بأخبرنا وحدثنا، وصنف كتاب «العلل» عن أحمد في ثلاث مجلدات، وألف كتاب «السنة» وغيرها من المؤلفات التي تدل على إمامته وسعة علمه.
قال الذهبي: ولم يكن قبله للإمام مذهب مستقل حتى تتبع هو نصوص أحمد ودونها وبرهنها بعد الثلاث مئة فرحمه الله تعالى.
توفي سنة ٣١١ هـ.
(تاريخ بغداد (١١٢/٥ ـ ١١٣) طبقات الحنابلة (١٢/٢ ـ ١٥)، السير (٢٩٧/١٤ ـ ٢٩٨)).

المسجد إذ جائني قتادة بن النعمان وجلس إليَّ وتحدث وثاب إلينا الناس فقال قتادة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله لما فرغ من خلقه استوى على عرشه واستلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى وقال: إنها لا تصلح لبشر».

اعلم أن هذا الخبر يفيد أشياء منها: جواز اطلاق الإستلقاء عليه، لا على وجه الاستراحة، بل على صفةٍ لا تعقل معناها[٥]، وأن له رجلين كما له يَدَان وأنه يضع إحداهما على الأخرى على صفةٍ لا نعقلها[١]، إذ ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته، لأنا لا نصف ذلك بصفات المخلوقين بل نُطلق ذلك كما أطلقنا صفة الوجه واليدين وخلق آدم بها، والاستواء على العرش، وكذلك جاز النظر إليه، لا في مكان، وكذلك إثبات الوجه لا على الصفة التي هي معهودة في الشاهد، وكذلك العين.

فإن قيل لا يجوز حمل هذا الخبر على ظاهره بل يُحمل قوله «لما فرغ من خلقه استلقى» بمعنى ترك أن يخلق مثله ويديم ذلك كما يقال: فلان بنى داره وعمرها فاستلقى على ظهره بمعنى أنَّه ترك البناء، ولا يُراد أنه اضطجع.

قيل: قولكم أنه لا يجوز حمله على ذلك غلط، لأنَّا قد بينا أنا لا نحمله على صفةٍ تستحيل في صفاته، بل يجري في ذلك مجرى غيره من الصفات، وأما حمله على ترك أنْ يخلق مثله وترك الاستدامة لذلك فغلط أيضاً، لأن لذلك اسماً هو أخصُّ به من الاستلقاء وهو ترك الخلق وقطع استدامته.

وجواب آخر: وهو أنه لا يصح حمله على قطع الاستدامة لأنه مستديم لخلقه ومستديم أيضاً إيقاع خلق في السموات والأرض بقوله **﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾** (فاطر: ٤١) فأخبر أنه فاعلٌ لإمساكها بعد الفراغ منها.

---

(١) في الأصل: لا نعقتله، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٥) تقدم أن الحديث لا يصح، ولذا فلا تثبت به صفة لله تعالى، لأن الصفات تثبت بالأحاديث الصحيحة فقط دون الأحاديث الضعيفة والمنكرة.

فإن قيل قوله «استلقى» بمعنى ألقى مخلوقاته[1] عن الرجل يستلقي ويضع إحدى رجليه على الأخرى قال: ليس به بأس قد روي.

وقال حنبل رأيت أباعبدالله مستلقياً على قفاه واضعاً إحدى رجليه على الأخرى.

قيل هذا غلط، لأن قول كعب تَضَمَّن شيئين:
أحدهما إثبات الرِّجلين صفة.

والثاني منع هذه الجلسة وكراهتها[2]، قام الدليل على جواز هذه الجلسة لخلاف السلف واجازتهم له، وبقي إثبات الرجلين على ظاهره لأنه لم ينقل عنهم خلافه ولا ردّه، فوجب الرجوع إليه لأنه لا يجوز في حقه إثبات صفة برأيه واجتهاده.

«حديث آخر في هذا المعنى»

ناه أبومحمد الحسن بن محمد قراءة عليه قال نا عبدالواحد بن علي بن الحسين الفامي أبوالطيب قال نا أبوالقسم الحسن بن محمد بن عبدالله الواسطي قال نا محمد بن اسمعيل أبواسماعيل قال نا الحسن بن الصباح أبوعلي البزاز قال نا أبوتوبة الربيع بن نافع نا سلمة بن كلثوم عن الأوزاعي عن حسان بن عطية أن رجلاً من المشركين سب النبي ﷺ فحمل عليه رجل من المسلمين فقتله فقتل الرجل فقال رسول الله ﷺ: «ما تعجبون من رجلٍ نصر الله ورسوله لقي الله غداً متكياً فقعد له»[6] والكلام فيه كالكلام في الذي قبله في الإستلقاء سواء.

---

(١) كذا في الأصل ويوجد نقص، وهو الرد على القول السابق، وأول الفقرة هنا وتقديرها: وسئل أحمد.
(٢) كذا في الأصل وفي الكلام نقص.

(٦) مرسل، حسان بن عطية من ثقات التابعين.
وفي الصارم المسلول لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ص ١٤٩) قوله: وروى أبواسحاق الفزاري في كتابه عن الأوزاعي عن حساب بن عطية قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً فيهم =

[إثبات الرجل والقدم لربنا جلّ شأنه]

«حديث آخر»

١٨٤ ــ ناه أبوالقسم عبدالعزيز من طرقٍ مختلفةٍ بألفاظٍ مختلفة.

أحدها عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «لا تَزَالُ جَهَنَّم تقولُ: هل من مزيد؟ قال: فَيُدْلي رَبُّ العِزَّة جَلَّ اسمه فيها قَدَمَهُ فيَنْزوي بعضها إلى بعض وتقول: قَط قَط بعزتك».

وفي لفظٍ آخر «فَيَضَعُ رَبُّ العِزّة قَدَمه». وفي لفظ آخر «فيدلي رب العالمين جلَّ اسمه قدمه، قال: فينزوي بعضها إلى بعض»[1].

= عبدالله بن رواحة وجابر، فلما صافوا المشركين أقبل رجل منهم يسب رسول الله ﷺ فقام رجل من المسلمين فقال: أنا فلان بن فلان وأمي فلانة فسبني وسب أمي، وكُفَّ عن سب رسول الله ﷺ، فلم يزده ذلك إلا اغراء، فأعاد مثل ذلك، وعاد الرجل مثل ذلك، فقال في الثالثة: لئن عُدت لأرحلنَّك بسيفي، فعاد فحمل عليه الرجل فولى مدبراً، فاتبعه الرجل حتى خرق صف المشركين، فضربه بسيفه، وأحاط به المشركون فقتلوه، فقال رسول الله ﷺ: «أعجبتم من رجل نصر الله ورسوله» ثم إن الرجل برىء من جراحته فأسلم، فكان يسمى «الرحيل».

رواه الأموي في مغازيه من هذا الوجه ا هـ.

ابواسحاق الفزاري هو ابراهيم بن محمد بن الحارث الحافظ، وكتابه هو «السير في الأخبار» أنظر تاريخ التراث لسزكين (١/٢/٩٦).

والأموي هو سعد بن يحيى بن سعيد.

(١) أخرجه البخاري (٨/٥٩٤) (١٢/٥٤٥) (١٣/٣٦٩) ومسلم (٤/٢١٨٧، ٢١٨٨) عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال «لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع ربُّ العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قَطِ قطِ بعزّتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فَضْلٌ حتى يُنشىء الله لها خلقاً، فيُسكنهم فضل الجنة» لفظ مسلم.

أما رواية «فيدلي رب العالمين قدمه»، فقد أخرجها مسلم (٤/٢١٨٨) والدارمي في «النقض على المريسي» (ص ٦٩) وابن خزيمة في التوحيد (ص ٨٨، ٩٧) وابن جرير (٢٦/١٠٦) من طريق أبان بن يزيد العطار حدثنا قتادة عن أنس مرفوعا به.

وسندها صحيح، أبان بن يزيد ثقة له أفراد، قاله الحافظ فلعل هذه الرواية من أفراده، فإن عامة من روى الحديث قال: يضع. وقال الشيخ الهراس رحمه الله في تعليقه على هذه الرواية: لعل هذه رواية بالمعنى، فإن أغلب الروايات بلفظ «يضع» وهو ـ أي التدلي ـ معنى صحيح فإنه الإلتقاء من علو إلى سفل، ولا شك أن النار في أسفل مكان، والله هو العلي الأعلى جل شأنه ا هـ.

١٨٥ ــ وفي لفظٍ آخر رواه أبوهريرة أخبرناه أبوالقسم قال أنا أبوبكر بن ملك إجازة وقرأته على أبي عنه قال نا عبدالله بن أحمد قال حدثني أبي قال نا عبدالرزاق بن همام نا معمر نا همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبوهريرة قال: قال رسول الله ﷺ «تَحَاجَّت الجنةُ والنارُ، فقالت النار: أُوثِرتُ بالمتكبِّرين والمُتجبِّرين، وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضُعفاءُ الناس وسفلهم، فقال الله عز وجل للجنة: إنما أنت رحمة أرحمُ بك من أشاءُ من عبادي، وقال للنار: [أنت عذابي][(١)] أعذبُ بك من أشاءُ من عبادي، ولكلٍّ واحدةٍ منكما مِلْئُها، فأما النارُ فلا تمتلىء حتى يَضَعَ الله رجله فيها تقول: قط قط أي حسبِ هنالك تمتلىء ويُزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله تعالى من خلقه أحداً، وأما الجنة فإنَّ الله يُنشىء لها خلقاً»[(٢)].

١٨٦ ــ وفي لفظ آخر «لا تزالُ جهنم تقول: هل من مزيد حتى يَضَعَ الجبار جل اسمه قدمه فيها فتقول: قط قط يعني: حسبي حسبي»[(٣)].

وفي لفظ آخر «فيضعُ الله تعالى قَدَمه فيها فتقول: قط قط لكرمك[(١)] وعظمتك».

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل.

(١) في الأصل: لكزمك، وهو خطأ.

(٢) أخرجه عبدالرزاق (١١/٤٢٢ ـ ٤٢٣) وأحمد (٢/٣١٤) والبخاري (٨/٥٩٥) ومسلم (٤/٢١٨٦ ـ ٢١٨٧) عن معمر به.
وله طرق أخرى عن أبي هريرة، انظر المسند (٢/٢٧٦، ٤٥٠) والبخاري (١٣/ ٤٣٤) ومسلم (٤/٢١٨٦).

(٣) حسن، أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (ص ٩٢) حدثنا اسماعيل بن بشر بن منصور السليمي حدثنا عبدالأعلى بن عبدالأعلى السامي حدثنا هشام ـ وهو ابن حسان ـ عن محمد ـ وهو ابن سيرين ـ عن أبي هريرة مرفوعا: اختصمت الجنة والنار. . .» وفيه: حتى يضع الجبار فيها قدمه . . .» وليس فيه: قط قط يعني: حسبي حسبي.
قلت: واسناده حسن، اسماعيل بن بشر، صدوق تكلم فيه للقدر. والحديث أخرجه الدارقطني في الصفات (ص ٣٢) عن محمد بن سيرين به بلفظ: لا تزال جهنم . . حتى يضع الجبار تبارك وتعالى فيها قدمه. وعزى الحافظ في الفتح (٨/٥٩٥) زيادة: حسبي حسبي لعبدالرزاق، ولم أجدها في مصنفه، فالظاهر أنها في تفسيره.

١٨٧ ــ وفي لفظ آخر «فلا تمتلىء حتى يَضَعَ الله قدمه فَتقول: قط قط قط، فهنالك تمتلىء ويُزوى بعضها إلى بعض ولا يَظلم الله تعالى أحداً من خلقه»(٤).

١٨٨ ــ وفي حديث آخر رواه أبوسعيد الخدري «فيضعُ الله قدمه عليها فتُزوى وتقول قدني قدني»(٥). وقد ذكر أبوالحسن الدارقطني هذا الحديث من طرق وألفاظ مختلفة نحو ما ذكرنا(٦).

(٤) أخرجه ابن خزيمة (ص ٩٣ ـ ٩٤) عن يونس عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ به.
وأخرجه (ص ٩٤) بالطريق التي تقدمت برقم (٢).
وفي كلا الطريقين تكررت «قط» ثلاث مرات.

(٥) صحيح، أخرجه أحمد (١٣/٣، ٧٨) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/٢٣٣) والدارمي في «النقض» (ص ٦٩ ـ ٧٠) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ٩٣، ٩٤، ٩٨) والدارقطني في الصفات (ص ٣١، ٣٤) عن حماد عن عطاء بن السائب عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «افتخرت الجنة والنار، فقالت النار: يا رب يدخلني الجبابرة والمتكبرون والملوك والأشراف، وقالت الجنة: أي رب يدخلني الضعفاء والفقراء والمساكين، فيقول الله تبارك وتعالى للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء، وقال للجنة: أنت رحمتي وسعت كل شيء، ولكل واحدة منكما ملؤها، فيلقي في النار أهلها فتقول: هل من مزيد، قال: ويلقي فيها وتقول: هل من مزيد، ويلقي فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يأتيها تبارك وتعالى فيضعُ قدمه عليها فتزوى وتقول: قدي قدي، وأما الجنة فيبقى فيها أهلها ما شاء الله أن يبقى فينشىء الله لها خلقاً ما يشاء». وفي رواية ابن خزيمة (ص ٩٨): وتقول: قدني قدني.
والحديث فيه عطاء بن السائب وقد اختلط، وحماد بن سلمة ممن روى عنه قبل الإختلاط وبعده كما في «الكواكب النيرات» (ص ٣٢٢ ـ ٣٣١).
ورواه ابن خزيمة (ص ٩٥) عن جرير عن عطاء بن السائب به لكن قال: عن أبي هريرة! والظاهر أنه من اختلاط عطاء، فإن جرير أيضا ممن روى عن عطاء بعد الاختلاط. لكن يشهد للحديث ما أخرجه أحمد (٧٩/٣) ومسلم (٢١٨٧/٤) عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ «احتجت الجنة والنار» فذكر نحو حديث أبي هريرة إلى قوله «ولكليكما عليّ ملؤها» ولم يذكر ما بعده من الزيادة.

(٦) انظر كتاب الصفات للدارقطني (ص ٢٦ ـ ٣٥).

وقد ذكر البخاري ومسلم «القدم» في الصحيحين جميعا(٧).

اعلم أنه غير ممتنعٍ حمل هذا الخبر على ظاهره، وأنَّ المراد به «قدم» هو صفة لله تعالى وكذلك «الرِّجل».

١٨٩ ـ وقد نص أحمد على ذلك في رواية المروذي وقد سأله عن الأحاديث «يضع

(٧) في الأحاديث السابقة إثبات صفة «الرجل» و«القدم» لربنا تبارك وتعالى، وهو مذهب سلف الأمة وأئمتها.

فقد روى الترمذي في سننه (٦٩٢/٤) من حديث أبي هريرة مرفوعا: «يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد، ثم يطلع عليهم . . . . .» وفيه «ويبقى أهل النار فيُطرح منهم فيها فوج، ثم يقال: هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيد؟ ثم يطرح فيها فوج فيقال: هل امتلأتِ؟ فتقول: هل من مزيد؟ حتى إذا أَوْعَبُوا فيها وضع الرحمن قَدَمه فيها، وأزوى بعضها إلى بعض، ثم قال: قط، قالت: قَطْ قَطْ. . . .» الحديث، واسناده حسن.

ثم قال الترمذي: وقد روي عن النبي ﷺ روايات كثيرة مثل هذا ما يُذكر فيه أمر «الرؤية»، أنّ الناس يرون ربهم، وذِكرُ القدم وما أشبه هذه الأشياء.

والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل: سفيان الثوري ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم، أنهم رووا هذه الأشياء ثم قالوا: تُروى هذه الأحاديث ونؤمن بها، ولا يقال: كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت، ويُؤْمَنُ بها ولا تُفسَّر ولا تُتوهم، ولا يقال كيف؟

وهذا أمرُ أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه ا هـ.

وقال ابن خزيمة في «التوحيد» (ص ٩٠): باب ذكر إثبات «الرِّجْل» لله عز وجل.

وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية الذين يكفرون بصفات خالقنا عز وجل التي أثبتها لنفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ، قال الله عز وجل يذكر ما يدعو بعض الكفار من دون الله **﴿ألهم أرجلٌ يمشون بها أم لهم أيدٍ يبطشون بها أم لهم أعينٌ يبصرون بها أم لهم آذانٌ يسمعونَ بها قُل أدعو شركائكم﴾** الأعراف: ١٩٥ ا هـ.

وهذا هو مذهب سلف الأمة في هذه الصفة وغيرها من الصفات، أن نؤمن بها كما جاءت من غير ين نُبدِّل معانيها أو نحرِّفها أو نعطلها، ولو عرف لها السلف غير معانيها الظاهرة لتكلموا بها وجرت على ألسنتهم.

وقد تهجم إمام الجهمية في هذا العصر الكوثري ـ عليه من الله ما يستحق ـ على تبويب ابن خزيمة السابق فقال في تعليقه الآثم على كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي (ص ٣٥١): وكلمة ابن خزيمة في التوحيد (باب إثبات الرجل لله عز وجل وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية) مما يقضي بمحو اسمه من ديوان العلماء !! إلى أن قال: ومثله لا يلتفت إليه في باب الاعتقاد !

فإذا كان ابن خزيمة إمام الأئمة يُمحى اسمه من ديوان العلماء، ولا يلتفت إليه في باب الإعتقاد، فمن يكتب اسمه في ديوان العلماء ويلتفت اليه في باب الاعتقاد، أأنت وأمثالك من الجهمية المعطلة أشباه اليهود والنصارى؟ ! الذين عطلوا صفات خالقهم حتى كادوا يعبدون عدما !

قدمه» وغيرها قال: نُمِرَها كما جاءت.

١٩٠ ــ وقال ابن منصور[٨] قلت لأبي عبدالله «اشتكت النار إلى ربها حتى يضع قدمه فيها» فقال أحمد: صحيح.

١٩١ ــ وقال أبوبكر الأثرم قلت لأبي عبدالله حَدَّث مُحدث وأنا عنده بحديث «يَضَعُ الرب عزَّ وجلَّ قدمه» وعنده غلام فأقبل على الغلام فقال: نعم إن لهذا تفسيراً، فقال أبوعبدالله: أنظر اليه كما تقول الجهمية سواء.

١٩٢ ــ وقال في رواية حنبل قال النبي ﷺ: «يضع قدمه» نُؤمنُ به ولا نرّد على رسول الله ﷺ.

فقد نصَّ على الأخذ بظاهر ذلك لأنه ليس في حمله على ظاهره ما يُحيل صفاته ولا يخرجها عمَّا تستحقه لأنَّا لا نثبت قدماً جارحة ولا أبعاضاً، بل نثبتُ ذلك قدما صفة كما أثبتنا يدين ووجهاً وسمعاً وبصراً وذاتاً، وجميع ذلك صفات، وكذلك القدم والرجل، ولأنَّا لا نصفه بالإنتقال والمماسة لجهنم، بل نطلقُ ذلك كما أطلقنا الإستواء على العرش والنَّظر إليه فى الآخرة.

وقد احتج أبو بكر بن خزيمة في كتاب «التوحيد»[٩] على إثبات الرجل بقوله تعالى ﴿أَلَهُم أَرْجُلٌ يمشون بها﴾ (الأعراف: ١٩٥) وبقول أمية:

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد

وإن رسول الله صدقه فقال صدق أمية بن الصلت»[١٠].

وقد اعترض عليه بعضهم في هذا الدليل، وقال: لو كان التمسكُ بظاهر الآية صحيحاً، لوجب القول بإثبات الأرجل والأيدي والأعين والآذان على وجه الجمع، لأن أرجل اسم جمع، وقد أجمع المسلمون على إنكار ذلك، وكذلك الآذان، قال هذا القائل: فَعُلمَ أنَّ الله تعالى أراد به ردَّ الكافرين عن عبادة الأصنام، وعرَّفهم أنكم تأنفون من عبادة من له رجلٌ يمشي بها ويدٌ يبطش بها وعينٌ يُبصر بها وأذنٌ يسمعُ بها، فكيف تعبدون من ليس له شيء من ذلك

(٩) التوحيد (ص ٩٠).
(١٠) صحيح، وقد سبق الكلام عليه عند أحاديث رؤية النبي ﷺ لربه عز وجل.

يقرّعهم على عبادة الأصنام التي هي جماد وموتان ليس لها فعلٌ ولا قُدرةٌ ولا سمعٌ ولا بصر.

وهذا الذي ذكره هذا القائل لا يمنع الاحتجاج بالآية، لأنَّ الدليل قد دلَّ على نفي إثبات هذه الصفات التي هي الأذن وجمع الأرجل فنفيناه، وبقي ما عدا ذلك على ظاهره، وهذه طريقةٌ ظاهرةٌ على أصول الفقهاء، وإنَّ الدليل إذا تناول شيئين فقام الدليل على إسقاط أحدهما، لم يُوجب ذلك إسقاط باقيه، كذلك ها هنا.

فإن قيل يُحمل قول أمية على أنَّه إذا أراد يمين العرش ويساره.

قيل: هذا غَلَطٌ لوجهين: أحدهما أنَّ صفة اليمين واليسار في حقيقة اللغة إنما يُضاف إلى الذات دون الجمادات.

والثاني: أنَّ هاهنا كِناية ومكني، فيجبُ أنْ تَرجعَ إلى المقصود بالذكر هو الله سبحانه، كما لو قال: فلان عن يمين الخليفة، لا ينصرف ذلك إلى غيره.

فإن قيل: معنى القدم ها هنا المتقدم من المشركين يضعه في النار، لأنَّ العرب تقول للشيء المتقدم: قدم، وعلى هذا تأويل قوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ الذين آمنوا أنَّ لهم قَدَمَ صدق عند ربهم﴾ (يونس: ٢). أي سابقة صِدْق[١١]، قال وضَّاح اليمن[١٢]:

صلِّ لربِّك واتخذ قَدَماً يُنْجيك يوم العثار والزلل

أراد بذلك ما تقدم من الشرف، وما يفتخر به.

---

(١١) حكاه ابن فورك في «مشكل الحديث» (ص ٤٤) عن النضر بن شميل.
وقاله ابن حبان، انظر الإحسان (١/٤٢٧ ـ ٤٢٨) ط الأرنؤوط.

(١٢) هو عبدالرحمن بن اسماعيل بن عبدكلال المعروف بوضَّاح اليمن، من آل خولان من حمير، شاعر رقيق الغزل، عجيب النسيب.
توفي نحو ٩٠ هـ. (فوات الوفيات (٢/٢٧٢ ـ ٢٧٥)، الاعلام (٣/٢٩٩)).

قيل هذا غلطٌ لوجهين: أحدهما: أنَّ قوله «يضع قدمه» هاءُ كنـاية، وهـاء الكناية ترجع إلى المذكور، والمذكور في الخبر الله سبحانه، وفي لفظٍ آخر «الجبَّـار» وفي لفظٍ آخر «رَبُّ العزة»، فـوجب أن يرجـع إليه، فـأمّا المتقـدم من الكفار فلم يتقدَّم ذكرهم، فلا يجب رجوع الهاء إليهم.

والثاني: أنَّ هذا يُسقِط فائدة التخصيص بـالنار، لأنَّ المتقـدم بفعل الخـير يضعه في الجنة، فلو كـان المراد بـالقدم المتقـدم لم يكن لتخصيصه بـالنار فـائدة، فوجب حَمْلهُ على ظاهره ليُفيد فائدة.

وأمّا قوله سبحانه ﴿**أن لهم قدم صدق عند ربهم**﴾ (يـونس: ٢) فقد روي عن زيد بن أسلم المراد به محمد ﷺ(١٣).

وقيل المراد به الثواب رُوي بذلك عن ابن زيد وغيره(١٤).

---

(١٣) ضعيف، أخرجه ابن جرير (١١/٥٩) حدثني المثنى حدثنا اسحاق حدثنا عبـدالله بن الزبـير عن ابن عيينة عن زيد بن أسلم به.
اسحـاق هو ابن الحجـاج الطاحـوني، أورده ابن أبي حاتم (٢/٢١٧) ولم يـذكر فيـه جـرحـا ولا تعديلا، وشيخ ابن جرير: المثنى وهو ابن ابراهيم الآملي لم أجد له ترجمة.

(١٤) أخرجه ابن جرير (١١/٥٩) حدثني يونس أخـبرنا ابن وهب قـال قال ابن زيـد في قولـه ﴿**وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق**﴾، قال: القدم الصدق: ثواب الصدق بما قدموا من الأعمال.
وابن زيد هو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، قال أبوزرعة: ضعيف، وقـال أبوحـاتم: ليس بقوي في الحديث، كان في نفسه صالحاً وفي الحديث واهيا.
قلت: وضَعْفُه في الحديث لا يمنع من الأخذ بتفسيره، فإنه كان صالحاً في نفسه كما قال أبوحـاتم.
وأخرجه ابن جرير (١١/٥٩) من قول ابن عباس وسنده تالف. وأخـرجه عن مجـاهد من وجـوه فيهـا ضعف وانقطاع، تتحسن بمجمـوعها. وأخـرجه من طـريقين عن الـربيع بن أنس، وفيهـما أبوجعفر الرازي، سيء الحفظ.
ثم قال أبوجعفر رحمه الله: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال معناه: أن لهم أعمالاً صالحة عند الله يستوجبون بها منه الثواب، وذلـك أنه محكي عن العـرب: هؤلاء أهل القـدم في الإسلام، أي: هؤلاء الذين قدموا خيراً فكان لهم فيه تقديم، ويقال: له عندي قَدَم صدق وقَدَم سوء، وذلك ما قدم اليه من خير أو شر، ومنه قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:
لنـا القَـدَمُ الـعُليـا إليـك وخلفنـا ... لأولـنـا في طـاعـة الله تـابـع

وإنما حمل القـدم هناك عـلى السابق من الـرسول والثـواب، لأن في ظاهـر اللفظ ما دلَّ عليه، وهو قول سبحـانه **﴿قـال الكافـرون إنَّ هذا لسـاحر مبـين﴾** (يونس ۲) وإنما قـالوا ذلـك في الرسـول وكذلـك قولـه تعالى **﴿وبشر المؤمنـين﴾** (البقرة: ٢٢٣) إنما يبشرون بمـا سبق لهم من الأعمال فهنـاك ما دلَّ عـلى أن المراد بالقدم السابقة وليس في الخبر ما يدلَّ على ذلك، بل فيه ما يدل على خـلاف ذلك من الوجه الذي ذكرنا.

فإن قيل: فقد رُوي بكسر القاف: قِدمه، وإذا كـان كذلـك كان معنـاه ما ذكرنا من التقدم من المشركين.

قيـل: هذا غلطٌ لأنَّـه لا يُحفظ عن أحـدٍ من أصحـاب الحـديث أنَّـه رواه بالكسر، فلا يجوز دعوى ذلك، والذي يدل على بطلانه ما ذكرنا.

فإن قيل: المراد بالقـدم ها هنـا: خلق من خلق الله تعالى يخلقـه الله تعالى يوم القيامة، فَيُسميه: قَدَمًا، ويضعه الله من طريق الفعـل والملك يضعه في النَّـار فتمتلىء منه.

وقيل المراد: قدم بعض خلقه فأضاف ذلـك إليه كـما يقال: ضـرب الأمـير اللص، فيضاف إليه على معنى أنَّه يأمره.

قيل: هذا غلطٌ لما تقدَّم من الوجهين أحـدهما: أنَّ هاء الكنايـة ترجـع إلى المذكور المتقدم، والذي تقدم ذكره هو الله سبحانه.

والثـاني: أنَّه يُسقط فـائدة التخصيص بـالنار، لأنـه قـد ينشيء خلقـاً يـوم القيامة فيدخلهم الجنة فتخصيص النار بذلك لا معنى له.

فإن قيل: قوله «فيضُع الجبار» جنس الجبابرة وهم الكفرة المعاندون.

وقيل المراد به إبليس وشيعته لأنه أول من استكبر، فقال تعالى **﴿إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين﴾** (صٓ: ٧٤)[١٥].

---

(١٥) انظر مُشكل الحديث لابن فورك (ص ٤٥).

قيل: هذا غلط، لأنَّا قد روينا في الحديث «يضعُ الله قَدَمه» وفي لفظ آخر، «فيضعُ ربُّ العزَّة قدمه» وهذا صريح في أنَّ المراد بالجبار هو الله ربُّ العزة.

وجوابٌ آخر وهو أنَّ في الخبر تقول «قطِ بعزَّتك وعظمتك»، وهذه صِفَةٌ تختص الله سبحانه، لأنَّ هذا قَسَمٌ منها بالله سبحانه، خَرَجَ منها مخرج الخضوع والتذلل، ولا يكون هذا منها بوضع الجبابرة ومن يستحق العذاب لأنها سحق لهم، ولأنَّه قال لا تمتلىء حتى يضع الله رجله فيها، والرجلُ لا يعبر بها عن الجبابرة، والمتقدم من المشركين.

ولأنَّ قوله «لا تمتلىء» تعظيماً لحالها وشِدَّة غيظها، قال تعالى ﴿**تَكَادُ تَمَيَّزُ من الغيظ**﴾ (تبارك: ٨) وما هذا صفته لا يَكُفُّه وضع بعض الجبابرة من الكفار، وإنما يكفيه قَدَمُ الصفة، ولأنه قال «ينزوي بعضها إلى بعض» يعني مجتمع، وهذا لا يُوجد ببعض خلقه، لأنَّ النار تسحقه، كما قال ﴿**فسحقا لأصحاب السعير**﴾ (تبارك: ١١) وإنما تجتمع من قَدَمِ الصِّفة.

فإن قيل: الحديث الذي رُوي فيه «يضع رجله» لم يروه إلا بعضهم على الشك، فرواه الدارقطني باسناده عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «يُلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع رجله فيها. أو قال: قدمه فتقول قِط قِط»[١٦]، فذكره على لفظ الشك فاحتمل أن يكون لما التبس عليه اللفظ، وتَوَهَمَ أنَّ القدم لا يكون إلا رجلاً ذكر بدل القدم الرجل.

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّا قد روينا هذا اللفظ باسناده عن أبي هريرة من غير شك في اللفظ.

فإن قيل: فنتأول الرجل على نحو تأويلنا القدم، إمّا أن يُريد رجل بعض خلقه فأضافه إليه مُلْكاً وفعلاً، أو يُراد به رجل المتجبرين من خلقه، ولأنَّه قد قيل

---

(١٦) كتاب «الصفات» للدارقطني (ص ٢٨).

الرجل للجماعة الكثيرة، ولأنَّ العرب تقول: مَرَّ بنا رجل من جراد أي قطعة منها[17].

قيل: هذا غلطٌ لما تقدم، وهو أن هاء الكناية يرجع إلى المذكور المتقدم ولأنّه صرح باسمه الأعظم.

فإن قيل: حَمْلُ الخبر على ظاهره يُوجبُ رَدَّ القرآن، لأنَّ الله سبحانه يقول **﴿لو كان هؤلاء آلهةً ما وردوها﴾** (الأنبياء: ٩٩) فأخبر أنَّ الإلهية: لا تردها، وفي جواز وضع القدم فيها إيرادٌ لها، وقال تعالى **﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾** (صٓ: ٨٥) وظاهرُ الخبر يقتضي أنها تمتلىء بالقدم، وهذا خلاف ظاهر القرآن، فوجب تأويله.

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّ حمله على ظاهره لا يوجب ردَّ القرآن، وذلك أنَّ قوله تعالى **﴿لو كان هؤلاء ألهة ما وردوها﴾** (الأنبياء؛ ٩٩) معناه: ما وردوها على وجه الخوف والفَزَع والعقوبة قال تعالى **﴿وإن منكم إلا واردها﴾** (مريم: ٧١) وأرادَ على وجه الخوف، ثم قال تعالى **﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾** (مريم: ٧٢) وهذا المعنى معدوم في حقه سبحانه.

وأما قوله تعالى **﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم﴾** (صٓ: ٨٥) فنحن نقول بظاهره، وأنها تمتلىء به وبمن تبعه، لكن بعد وضع القدم وانزواء بعضها إلى بعض، ولا نقول أنها تمتلىء بالقدم.

فإن قيل: فَقَدَمُ الصِّفة لا يجوز وصفها بالوضع في المكان، وإنما قَدَمُ الجارحة، وذلك لا يليقُ بصفاته.

قيل: لا يمتنع إطلاق ذلك لا على وجه الحدِّ والجهة والحلول، كما جاز وصف الذات بالعُلوِّ على العرش لا على وجه الحد والجهة، وإنْ كنا نعلم أنَّ

---

(١٧) انظر مشكل الحديث لابن فورك (ص ٤٦)، وذكر هذا التأويل الخطابي كما في «الأسماء والصفات» للبيهقي (ص ٣٥٢).

العُلو غير السفل، ولهذا نَصفُه بالعلو ولا نصفه بالسفل، ثم لم يُوجب ذلك وصفه بالجهة وكذلك رؤيته.

فأما قوله: قط قط، أيّ حسبي، وقد ورد هذا مفسراً في بعض الألفاظ، وهذا كما تقول العرب:

امتلأ الحوض وقال قطني مهلاً قليلاً قد ملأْتَ بطني (١)

وقد قيل: إنَّ ذلك حكاية صوت جهنم.

«حديث آخر في هذا المعنى»

١٩٣ – ثنا أبومحمد الحسن بن محمد قال نا أبوحفص من شاهين قال نا الحسين بن جعفر الكوكبي قال نا العباس بن عبدالله قال نا أبوالمغيرة قال نا صفوان قال نا سريج بن عبيد عن أبي بشر الأذرمي عن كعب قال: إن الله تعالى نظر إلى الأرض فقال: إني واطٍ على بعضك، فانتسفت اليه الجبال فتصعصعت الصخرة فشكر لها ذلك، فوضع عليه قدمه(١٨).

(١) كتب في الأصل متصلا.

(١٨) الخبر من الإسرائيليات، كعب هو الأحبار.

«حديث آخر»

١٩٤ - أخبرناه أبوالقسم قال نا أبويعلى عبدالله بن مسلم بن يحيى قال نا الحسين بن اسمعيل الضبي نا اسمعيل بن الحرث قال نا أبوالنضر نا عبدالرحمن بن عبدالله بن دينار عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «ضرسُ الكافِر مثل أُحد، وفَخِذه مثلُ البيضاء، ومقعدُهُ من النار كما بين قُديد ومكة، وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار جلَّ اسمه[1].

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٢/٣٣٤، ٥٣٧) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/٢٧١) عن عبدالرحمن بن عبدالله بن دينار عن زيد بن أسلم به.
واسناده حسن، عبدالرحمن بن عبدالله هو مولى ابن عمر (وقع في الأصل عبدالعزيز وهو خطأ)، صدوق، قاله ابن المديني، وقال أبوحاتم: فيه لين يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال الحافظ: صدوق يخطىء. واسناد المصنف فيه: اسماعيل بن الحارث لم أجد له ترجمة سوى قول ابن أبي يعلى في الطبقات (١/١٠٤) ذكره أبومحمد الخلاف فيمن روى عن إمامنا أحمد، أما الحسين الضبي فهو صادق فاضل (تاريخ بغداد ٨/١٩ - ٢٠)، وأبويعلى هو الدباس، ثقة (تاريخ بغداد ١٠/١٧١).
وله طريق آخر عن أبي هريرة، أخرجه أحمد (٢/٣٢٨) والحاكم (٤/٥٩٥) عن عبدالرحمن بن اسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعا ولفظه «ضرس الكافر يوم القيامة مثل أُحد، وعرض جلده سبعون ذراعاً، وعضده مثل البيضاء وفخذه مثل وَرِقَان، ومقعده من النار مثل ما بيني وبين الربذة».
قال المنذري في «الترغيب» (٤/٤٨٤): اسناد جيد.
قلت: وهو كما قال، عبدالرحمن بن اسحاق هو ابن عبدالله المدني، صدوق رمي بالقدر.
وطريق ثالث عن أبي هريرة، أخرجه الترمذي (٤/٧٠٣) وابن حبان (٩/٢٨٤) والحاكم (٤/٥٩٥) والبيهقي في الأسماء (ص ٣٤٢) عن عبيدالله بن موسى أخبرنا شيبان عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا ولفظه «إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار، وضرسه مثل أحد» وزاد الترمذي: «وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة» وليس عند الترمذي: «بذراع الجبار».
قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.
وطريق رابع عن أبي هريرة، أخرجه الترمذي (٤/٧٠٣) عن محمد بن عمار حدثني جدي محمد بن عمار وصالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ «ضرس الكافر يوم القيامة مثلُ أُحد، وفخذه مثل البيضاء، ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثلُ الربذة»
قال الترمذي: حسن غريب.
ومثل الربذة كما بين المدينة والربذة، والبيضاء: جبلٌ مثلُ أُحد. قلت: واسناده حسن لغيره، محمد بن عمار الأول هو ابن حفص، لا بأس به، وجده محمد بن عمار هو ابن سعد القرظ، وثق، =

وحدثناه أيضاً عن طريق أبي بكر عبدالعزيز بهذا اللفظ.

إعلم أنه ليس في حمله على ظاهره ما يُحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه لأنَّا لا نُثبت ذراعاً جارحةً، ولا أَبْعَاضَاً بل نثبت ذلك صفة، كما أثبتنا الوجه واليدين وغيرهما من الصفات.

فإن قيل: المداد بالجبار المتجبر من خلقه، لأنَّ حمله على الله سبحانه يوهم الجارحة والعضو في صفته ويوهم الطول عليه[٢].

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّ في الخبر أنَّه قال «اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبّار جل اسمه» وهذه الصفة لا يستحقها أحدٌ من الجبابرة غير الله عز وجل بل غيره يستحق الذم والمقت[١] ولأنَّه ذكر الجبار بالألف واللام والألف واللام يَدْخُلان

---

(١) في الأصل: المعصية، وصوّبت في الهامش بـ «المقتة» ولعل الصواب ما أثبتناه.

= وقال الحافظ: مستور، وصالح صدوق مختلط.

وطريق خامس عن أبي هريرة مختصرا، أخرجه مسلم (٤/٢١٨٩) والترمذي (٤/٧٠٤) عن أبي حازم عن أبي هريرة مرفوعا ولفظه: «ضرسُ الكافر أو نابُ الكافر مثل أُحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاثٍ».

فوائد: ورقان: بوزن قطران، جبلٌ أسود بين العَرْج والرُّوَيثة، على يمين المار من المدينة إلى مكة (النهاية ٥/١٧٦).

قوله: ضرسه مثل أحد وفخذه مثل البيضاء، جبلان تعظم أعضاء الكافر كعظمهما وتقتضي النسبة النبوية أن تكون البيضاء جبلا أكبر من أحد، كما أن الفخذ أكبر من الشرس (انظر عارضة الأحوذي ١٠/٤٨).

(٢) قال ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص ١٤٥): إن لهذا الحديث مخرجاً حسناً إن كان النبي ﷺ أراده، وهو أن يكون الجبار ههنا الملك، قال الله تبارك وتعالى ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ أي: بملك مسلط، والجبابرة الملوك، وهذا كما يقول الناس: هو كذا وكذا بذراع الملك، يريدون بالذراع الأكبر، وأحسبه ملكاً من ملوك العجم كان تام الذراع اهـ.

وقال ابن حبان عقب الحديث السابق: إن الجبار ملك باليمن يقال له الجبار (له ذراع معروف المقدار) (وانظر الترغيب ٤/٤٨٤) وقال المنذري: وقيل ملك بالعجم.

وقال الحاكم: قال الشيخ أبوبكر رضي الله عنه معنى قوله «بذراع الجبار» أي: جبار من جبابرة الآدميين، ممن كان في القرون الأولى، ممن كان أعظم خلقاً وأطول أعضاء وذراعا من الناس.

وأبوبكر هو شيخ الحاكم أحمد بن اسحاق بن أيوب النيسابوري المعروف بالصِّبْغي الإمام العلامة المفتي المحدث له كتاب في «الأسماء والصفات»، وترجمته في العبر (٢/٢٥٨ - ٢٥٩) والسير (١٥/٤٨٣ - ٤٨٩) وغيرهما. =

للعهد أو للجنس، وليس يمكن حمله على الجنس لأنه يقتضي كل جبار وليس هاهنا معهود من الخلق يُشار اليه، فلم يبق إلا أن يُحمل عليه سبحانه، لأنه أعرف المعارف.

وأما قولهم: إنَّه يُفضي إلى أن نصفه بالطول، فليس كذلك لأنَّا نثبت قوله «خلق آدم بيده» ولم يُوجب ذلك إثبات صفة في اليد تُفضي إلى الحدِّ على ما نعقله في الشاهد كذلك ها هنا، ونُثبت استواء على العرش ولم يوجب ذلك تحديده لأجل أنَّ العرش محدود.

فإن قيل: قوله جلَّ اسمه يُحتمل أن يكون من كلام بعض الرواة أَدْرَجَه في كلام النبي ﷺ(٣)،

قيل: هذه مِدْحَهُ لا يستحقها غيره، ولا يجوز أن نُضيف إلى الراوي الخطأ لأنه قد أخذ علينا حُسْنُ الظن فيهم.

فإن قيل: هذا يفضي إلى تحديد الذراع لأنَّ جلد الكافر محدود. قيل: لا يُفضي إلى هذا كما لم يفض إلى تحديده بالإستواء على العرش، لأن العرش محدود وكذلك قوله: الكرسي موضعُ القدمين(٤)، وكذلك قوله **﴿والسموات مطويات بيمينه﴾** (الزمر: ٦٧) ولم يوجب ذلك تحديد اليمين لأنَّ السموات محدودة.

= وقال البيهقي في الأسماء (ص ٣٤٢): قال بعض أهل النظر: في قوله «بذراع الجبار» إن الجبار ههنا لم يعن القديم، وإنما عُني به رجلا جباراً كان يوصف بطول الذراع وعظم الجسم، ألا ترى إلى قوله **﴿كل جبار عنيد﴾** وقوله **﴿وما أنت عليهم بجبار﴾** وقوله «بذراع الجبار» أي: بذراع ذلك الجبار الموصوف بطول الذراع وعظم الجسد، ويحتمل أن يكون ذلك ذراعاً طويلاً يُذرع به يُعرف بـ «ذراع الجبار»، على معنى التعظيم والتهويل، لا أن له ذراعاً كذراع الأيدي المخلوقة اهـ.

(٣) لم تذكر هذه الزيادة وهي «جلّ اسمه» في المصادر السابقة، والظاهر أنها مدرجة كما ذكر، والله أعلم.

(٤) أثر موقوف على ابن عباس، اسناده حسن، أخرجه عبدالله في «السنة» (١/٣٠١) والدارمي في «النقض» (ص ٧١، ٧٣ - ٧٤) وابن أبي شيبة في «العرش» (٦١ - بتحقيقي) وابن خزيمة في التوحيد (ص ١٠٧ - ١٠٨) وابن جرير في تفسيره (٣/١٠) والدارقطني في «الصفات» (ص ٤٩ - ٥٠) والحاكم (٢/٢٨٢) والخطيب في تاريخه (٩/٢٥٢) كلهم عن سفيان عن عمار الدهني عن سعيد بن جبر عن ابن عباس في قوله **﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾** قال: الكرسي موضع القدمين، لا يقدر أحد قدره.

«حـــديث آخـــر»

١٩٥ ــ ناه أبوالقسم، باسناده عن مجاهد قال: إذا كان يوم القيامة يذكـر داود ذنبه فيقول الله عز وجل له: كن أمـامي، فيقول: رب ذنبي، فيقـول الله: كن خلفي فيقول: رب ذنبي ذنبي فيقول الله له خذ بقدمي(٥).

وفي لفظ آخر أخرجه أبو محمـد الحسن بن محمد الخـلال وسمعته منـه عن ابن سيرين يقول في قوله عز وجل ﴿وإن له عندنـا لزلفي وحسن مـآب﴾ (صٓ: ٤٠) قال: إنَّ الله عز وجل لَيُقرب داود حتى يضـع يده عـلى فخذه يقـول ادنُ مِنَّا أزلفت لدينا.

اعلم أنه غير ممتنع حمل هذا الخبر على ظاهره إذ ليس فيه ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه لأنَّا لا نُثبت قدماً وفخذا جارحة ولا أبعاضا، بـل نُثبت ذلك صفة كما أثبتنا الذات والوجه واليدين، ولا نثبت أخذاً بقدمه على وجه المماسّة، كما أثبتنا خلقه لآدم بيده لا على وجه المماسّة والملاقاة، بل لا نعقل معنـاه(٦)، ولا

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٦٨/٧) إلى ابن مـردويه ولكن من حـديث عمر بن الخـطاب عن النبي ﷺ: «أنه ذكر يوم القيامة فعظم شأنه وشدته قال: ويقول الرحمن لداود عليه السلام مـر بين يديّ، فيقول داود: يا رب أخاف أن تـدحضني خطيئتي فيقـول: خذ بقـدمي، فيأخـذ بقدمـه عز وجل، فيمر قال فتلك (الزلفى) التي قال الله ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾.

(٦) قوله «كما أثبتنا خلقه لآدم بيده لا على وجه المماسة والمـلاقاة» نفي لم يـأت به النص، بـل الصواب خـلافه، فقـد زعم بشر المريسي في تفسـيره لقولـه تعالى ﴿مـا منعك أن تسجـد لما خلقت بيـدي﴾ صٓ: ٧٥، أن الله ولي خلقه، وقوله «بيدي» تأكيد للخلق لا أنه خلقه بيده.
فردَّه الإمام عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله في كتابه «النقض» (ص ٢٥ ـ ٣٠) بقوله:
فيقال لهذا المريسي الجاهل بالله وبآياته: فهل علمت شيئـاً مما خلق الله ولى خلق ذلـك غيره، حتى خصَّ آدم من بينهم أنـه ولي خلقه من غـير مسيس بيده فمسـه؟ وإلا فمن ادعى أن الله لم يل خلق شيء صغر أو كبر، فقد كفر. غـير أنه ولى خلق الأشيـاء بأمـره، وقولـه، وإرادته. وولي خلق آدم بيده مسيساً.
لم يخلق ذا روح بيده غيره، فلذلك خصه به، وفضله وشرف بذلك ذكره، لـولا ذلك مـا كانت لـه فضيلة في ذلك على شيء من خلقه. إذ كلهم خلقهم بغير مسيس في دعواك.
وأما قولك «تأكيد للخلق» فلعمري إنه لتأكيد جهلت معناه فقلبته، إنما هو تأكيد اليدين وتحققهـما، وتفسـيرهما، حتى يعلم العبـاد أنه تـأكيـد مسيس بيـد، لمـا أن الله تعـالى قـد خلق خلقـا كثيـراً في =

= السموات والأرض أكبر من آدم وأصغر، وخلق الأنبياء والرسل، وكيف لم يؤكد في خلق شيء منها ما أكد في آدم. إذا كان أمر المخلوقين في معنى يد الله كمعنى آدم عند المريسي. فإن يك صادقا في دعواه فَلْيُسَمِّ شيئا نعرفه، وإلا فإنه الجاحد بآيات الله، المعطل ليدي الله.

وادعى الجاهل المريسي أيضا في تفسير التأكيد من المحال مالا نعلم أن أحداً ادّعاه من أهل الضلالة. فقال: هذا تأكيد للخلق، لا لليد، كقول الله تعالى ﴿**فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة**﴾ البقرة: ١٩٦.

فيقال لهذا التائه الذي سلب الله عقله وأكثر جهله: نعم هو تأكيد لليدين، كما قلنا، لا تأكيد للخلق. كما أن قوله (**تلك عشرة كاملة**) تأكيد للعدد لا تأكيد للصيام. لأن العدد غير الصيام، ويد الله غير آدم. فأكّد الله لآدم الفضيلة التي كرمه وشرفه بها، وآثره على جميع عباده. إذ كل عباده خلقهم بغير مسيس بيد، وخلق آدم بمسيس: فهذه عليك لا لك. وقد أخذنا فألك من فيك، محتجين بها عليك كالشاة التي تحمل حتفها بأظلافها.

فإن أجاب هذا المريسي أعلمناه أن تأكيد الخلق ـ إن كان جاهلا به ـ هو قول الله ﴿**صُنْعَ الله الذي أتقن كل شيء خلقه**﴾ النمل: ٨٨ و﴿**الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين. ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين. ثم سواه ونفخ فيه من روحه ـ**﴾ الآية السجدة: ٧ ـ ٩ وقوله ﴿ **خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة** ﴾ الآية ﴿ **وصوركم فأحسن صوركم**﴾ غافر: ٦٤ ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾ التين: ٤، ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة. فخلقنا العلقة مضغة. فخلقنا المضغة عظاما. فكسونا العظام لحما. ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾ المؤمنون: ١٢ ـ ١٤ فهذا تأكيد الخلق وتفسيره، لا ما ادّعى الجاهل. وقوله ﴿**لما خلقت بيدي**﴾ تأكيد يديه لا تأكيد خلق آدم. وما كان حاجة إبليس إلى أن يؤكد الله له خلق آدم، وقد كان من أعلم الخلق بآدم؟ رآه قبل أن ينفخ فيه الروح طيناً مصوراً مطروحاً بالأرض. ثم رآه بعد ما نفخ فيه الروح. ثم كان معه في الجنة حتى وسوس إليه فأخرجه منها. ثم كان يراه إلى أن مات. فإنما أكد الله له من أمر آدم مالم ير، لا ما رأى. لأنه لم ير يدي الله وهما تخلقانه. فليعلم الجاهل المريسي بأنا ما ظننا أن عنده من رثاثة الحجج والبيان، وقلة الإصابة والبرهان، قدر ما كشف عنه هذا الإنسان. والحمدلله الذي أنطق بها لسانه، وعرف الناس شأنه، ليعرفوه فيجافوا مكانه.

وقال: ولو لم يكن لله يدان بهما خلق آدم ومسه بهما مسيساً. كما ادعيت لم يجز أن يقال ﴿**بيدك الخير**﴾ آل عمران: ٢٦ ﴿**وأن الفضل بيد الله**﴾ الحديد: ٢٩ ﴿**تبارك الذي بيده الملك**﴾ تبارك: ١ للمذهب الذي فسرنا. فإن كنت لا تحسن العربية فسل من يحسنها ثم تكلم.

وقد يجوز للرجل أن يقول: بنيت داراً، أو قتلت رجلاً، أو ضربت غلاماً، أو وزنت لفلان مالاً، أو كتبت له كتاباً، وإن لم يتول شيئاً من ذلك بيده، بل أمر البناء ببنائه، والكاتب بكتابته، والقاتل بقتله، والضارب بضربه، والوازن بوزنه. فمثل هذا يجوز على المجاز الذي يعقله الناس بقلوبهم، على مجاز كلام العرب وإذا قال: كتبت بيدي كتابا كما قال الله: **خلقت** آدم بيدي. أو قال: وزنت =

نثبت أيضا أماماً وخلفاً على وجه الحد والجهة بل نثبت ذلك صفة غير محدودة، كما قالوا في الاستواء على العرش معناه العلو عليه، ومعلوم أن العلو غير السفل ولم يوجب ذلك وصفه بالجهة ! وإن كان العلو جهة في الشاهد وإن لم يكن هذا معقولا في الشاهد.

ونظير هذا الحديث قوله ﷺ في الرحم يأخذ بحقو الرحمن(٧) قد أخذ أحمد بظاهره من غير قول بمماسة ولا جهة.

= بيدي، وقتلت بيدي، وبنيت بيدي، وضربت بيدي. كان ذلك تأكيداً ليديه، دون يدي غيره.
ومعقول المعنى عند العقلاء، كما أخبرنا الله: أنه خلق الخلائق بأمره. فقال **﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾** النحل: ٤١، فعلمنا أنه خلق الخلائق بأمره وإرادته وكلامه وقوله «كن» وبذلك كانت وهو الفعال لما يريد.
فلما قال خلقت آدم بيدي ـ علمنا أن ذلك تأكيد ليديه. وأنه خلقه بهما مع أمره وإرادته. فاجتمع مع آدم تخليق اليد نصا والأمر والإرادة. ولم يجتمعا في خلق غيره من الروحانيين. لأن الله لم يذكر أنه مس خلقاً ذا روح بيده غير آدم، إذ لم يذكر ذلك في أحد ممن سواه. ولم يخص به بشراً غيره من الأنبياء وغيرهم.
ولو كان على ما تأولت أنه أراد بيديه أنه ولي خلقه فأكده لكان لإبليس إذا فيما احتج به الله عليه من أمر اليدين لآدم بذلك فضل وفخر، إذ ولي خلق إبليس في دعواك كما ولي خلق آدم سواء، وأكده كما أكده. ولو كان ذلك على ما تأولت لحاجّ ابليس ربه، كما حاجه حين قال **﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾** صّ: ٧٦، وكما قال **﴿لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون﴾** الحجر: ٣٣ فيقول خلقتني أيضا يا رب بيديك، على معنى ما خلقت به آدم، أي وليتَ خلقي. فأكذبه في دعواه. ولكن كان الكافر الرجيم أجود معرفة بيدي الله منك أيها المريسي بل علم عدو الله ابليس أنه لو احتج بها على الله لأكذبه ا هـ.
تنبيه: وقعت آية الحجر السابقة في النقض المطبوع: أأسجد لبشر . . . ، وهو خطأ.

(٧) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٠) والبخاري (٨/ ٥٧٩ ـ ٥٨٠) (١٠/ ٤١٧) (١٣/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦) ومسلم (٤/ ١٩٨٠ ـ ١٩٨١) عن معاوية بن أبي مزرد عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامتِ الرحمُ فأخذت بحَقوِ الرحمن، فقال له: مَهْ، قال: هذا مقامُ العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصِلَ من وصَلَكِ، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فذاك، قال أبوهريرة: اقرؤا إن شئتم **﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾** محمد: ٢٢.
والحقو: معقد الإزار، وهو الموضع الذي يُستجار به ويُحتزم على عادة العرب، لأنه من أحق ما يحامى عنه ويدافع، كما قالوا: نمنعه مما نمنع منه أزرنا. (قاله القاضي عياض).

فإن قيل: مجاهد وابن سيرين ليسا بحجةٍ ولا ممن يثبت بقولهما صفات الله تعالى.

قيل: اثبات الصفات لا تؤخذ إلا توقيفاً لأنه لا مجال للعقل والقياس فيه، فإذا رُوي عن بعض السلف فيه قولا، عُلم أنه قاله توقيفاً.

فإن قيل: قوله «كن أمامي وخلفي» معناه حاسب نفسك قبل أن أُسائلك فيقول داود أخاف أن تدحضني خطيئتي إن حاسبت نفسي، فيقول له خُذ بقدمي أي بما قدمت لك من العفو والغفران، ودع ما أسأت إلي ولا تأخذ به، ومنه قوله تعالى ﴿تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ (الحجرات: ١) أي لا تسبقوا قبل حكم الله عليكم في الشيء ولم يرد به التقدم في الأمكنة وكذلك قوله ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ [الأمام يطلق على محاسبته فلا يصح لأن الله سبحانه قد أخبرنا بالقرآن بقوله ﴿فغفرنا له ذلك﴾ والمحاسبة لا تكون مع الغفران، وإذا امتنع حمله على المحاسبة امتنع حمل القدم على المغفرة، وأما قوله ﴿لا تقدموا بين يدي الله﴾ وقوله ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾][1] فقد نقل عن السلف ما وجب الرجوع إليه أما قوله ﴿لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ (الحجرات: ١)، فإنها نزلت على سبب، وذلك أنهم قتلوا رجلين بغير أمر النبي ﷺ فنزلت الآية(٨)، فكان معناها لا تقدموا حدا ضربه الله على فريضة ولا تتقدموا على حد ضربه رسول الله ﷺ في سنته.

وأما قوله ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه﴾ أي لاتكذبه الكتب التي قبله من التوراة والانجيل والزبور، ولا ينزل كتاب من بعده يكذبه(٩)، فوجب الرجوع

(١) استدرك الناسخ هذه الفقرة في الهامش وكأن في الكلام نقصا.

(٨) لم أقف على هذا السبب.
والمشهور أنها نزلت في اختلاف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عند النبي ﷺ، والحديث في الصحيحين وغيرهما.

(٩) نقله القرطبي (١٥/٣٦٧) عن الكلبي. وقال قتادة والسدي ﴿لا يأتيه الباطل﴾ يعني الشيطان ﴿من بين يديه ولا من خلفه﴾ لا يستطيع أن يغير ولا يزيد ولا ينقص.
وقال سعيد بن جبير: لا يأتيه التكذيب من بين يديه ولا من خلفه.
=

إلى تفسير السلف في ذلك ولم يرد عنهم مثل ذلك في خبر داود مع ذكرهم له في التفاسير بل حملوه على ظاهره.

فإن قيل: يحمله قوله «يضع يده على فخذه» معناه فخذ بعض خلق أُمَر بالدُّنو منه.

قيل: قوله «حتى يضع يده على فخذه» هاء كناية وهاء الكناية تعود إلى المذكور، والذي تقدم ذكره اسم الله تعالى.

فإن قيل: يحتمل أن يكون أراد بالدنو منه ليقربه من عفوه ورحمته وصفحه حتى يصير كهيئة المماس في المثل على الوجه الذي لا يكون بينه وبين مايماسه حائل.

قيل لا يصح حمله على العَفو والرحمة، لأن عفوه ورحمته سبقت له في الدنيا قبل أن يدنيه منه بقوله تعالى ﴿**فغفرنا له ذلك**﴾ (صٓ: ٤٠). فوجب حمله على ما يفيد.

«حديث آخر في هذا المعنى فيه زيادة»

١٩٦ — أناه أبومحمد الحسن بن محمد نا يوسف بن عمر القواس قال نا محمد بن عثمان بن البسري التمار قال نا مخول المستملي قال نا محمد بن منصور الطوسي قال نا يونس بن محمد المؤدب قال نا سعيد بن زربي عن الحسن قال: أوحى الله إلى داود إرفع رأسك فقد غفرت لك، فقال يا رب كيف تغفر لي وقد صنعت ما صنعت؟ قال: ارفع رأسك فقد غفرت لك ومحوت خطيئتك بابهام يميني[١٠].

وهذه الزيادة تقتضي إثبات الإبهام وذلك غير ممتنع كما لم يمتنع إثبات الأصابع.

= وقال ابن جريج: (لا يأتيه الباطل) فيما أخبر عما مضى ولا فيما أخبر عما يكون. وعن ابن عباس: (من بين يديه) من الله تعالى (ولا من خلفه) يريد من جبريل ﷺ ولا من محمدﷺ.
وقال ابن كثير (١٠٢/٤): ليس للبطلان اليه سبيل لأنه منزل من رب العالمين.

(١٠) مرسل ضعيف، سعيد بن زربي منكر الحديث.

[إثبات صفة الضحك لربنا تبارك وتعالى]

«حديث آخر»

١٩٧ ــ ناه أبو القسم عبدالعزيز من طرق أحدها عن أبي هريرة أن رسـول الله ﷺ قال: «يَضْحكُ الله تعالى إلى رجلين يَقْتُل أحـدهما الآخـر كلاهمـا يدخـل الجنة، يُقَاتل هذا في سبيل الله فَيُقْتَل ثمَّ يَتُوب الله على القاتل فيقاتـل في سبيل الله[1] ثم يستشهد»[1].

١٩٨ ــ وروى علي بن ربيعة قال كنت ردف علي بن أبي طالب فلما ركب كبَّر ثـلاثا وحمد ثلاثا ثم قال سبحـان الذي سخَّـر لنا هـذا وما كُنَّـا له مقرنين [وإنَّا إلى ربنا لمنقلبون][2]، ثم قال: سبحانك لا إلـه إلا الله إني ظلمت نفسي فاغفـر لي ذنوبي إنَّه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم استضحـك، فقلتُ: مما استضحكت؟ فقـال: إنَّ رسول الله ﷺ قال يوماً مثل ما قلت ثم استضحـك فقلت مما استضحكت يـا رسـول الله؟ قال: «ضَحكتُ لضَحـك ربي عزَّ وجـل لعجبه بعبـده إنـه لا يغفـر الذّنوب أحدٌ غيره»[2].

---

(١) كتب في هامش الأصل: لفظ الجلالة ساقط من الأصل.
(٢) سقطت من الأصل.

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٣٩) ومسلم (٣/ ١٥٠٤) عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة به.
وأخرجه مسلم (٣/ ١٥٠٥) عن معمر عن همام بن منبه حدثنا أبوهريرة بنحوه.

(٢) حسن، أخرجه الطيالسي في مسنده (١٣٢) وأحمد (٧٥٣، ٩٣٠، ١٠٥٦ ـ طبعة شاكـر) وأبوداود (٣/ ٧٧) والـترمـذي (٥/ ٥٠١) وقـال: حسن صحيـح، والنسـائي في الكـبرى ـ كـما في التحفـة (٧/ ٤٣٦) ـ والآجري في «الشريعة» (ص ٢٨١ ـ ٢٨٢) والحـاكم (٢/ ٩٩) والبيهقي في «السنن» (٥/ ٢٥٢) وفي «الأسـماء» (ص ٤٧١) من طرق عن أبي إسحـاق السبيعي عن علي بن ربيعـة عن علي بن أبي طالب به.
قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: صحيح.
قلت: كذا قال! مع أن فيه عنعنة أبي إسحاق وهو السبيعي، وقد ثبت أنـه أسقط اثنين من الـرواة =

١٩٩ ــ وروى أبـو سعيد الخـدري عن النبي ﷺ قال: «ثـلاثةٌ يَضْحـك الله اليهم يومٍ القيامة: الرجل إذا قام من الليل يُصلي والقومُ إذا صفُّوا للصـلاة، والقومُ إذا صفُّوا لقتال العدو»(٣).

= كما في «العلل» لابن أبي حاتم (١/٢٧٢) قال: أخبرنا عبدالـرحمن بن بشر النيسابـوري (ثقة) فيـما كتب إليَّ قال: ذكر عبدالرحمن بن مهدي حديث علي بن ربيعة الـذي رواه قال: كنت ردف عـلي فلما ركب قال: سبحان الله الذي سخر لنا هذا، فسمعت عبدالرحمن بن مهدي يقول: قـال شعبة فقلت لأبي اسحـاق ممن سمعته قـال: من يونس بن خبـاب، فأتيت يـونس بن خباب فقلت: ممن سمعته فقال من رجل رواه عن ربيعة ا هـ.

ولم يتفـرد به ابـو اسحاق بـل تابعـه اسماعيـل بن عبدالملك، أخـرجـه ابن خـزيمـة في «التـوحيـد» (ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧) والآجري في «الشريعة» (ص ٢٨٠) والبيهقي في الأسماء (ص ٤٧٠ ـ ٤٧١).

واسماعيل هو ابن أبي الصُغير الأسدي، قال ابن معين في رواية وأبوحاتم والنسـائي: ليس بقوي، وقـال البخاري: يكتب حـديثه، وقـال الحافظ: صـدوق كثير الـوهم. قلت: فحـديثـه حسن في المتابعات.

وتابعه المنهال بن عمرو، أخرجه الحاكم (٢/٩٨ ـ ٩٩).

عن سعيد بن سليمان الواسطي حدثنا فضيل بن مرزوق عن ميسرة بن حبيب عنه به.

وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي! مع أن المنهال وميسرة ليسا من رجال مسلم!

وشيخ الحاكم وشيخ شيخه لم أجد لهما ترجمة.

(٣) ضعيف، أخـرجـه أحمـد (٣/٨٠) وابنـه عبـدالله في «السنـة» (٢/٤٧٠) والـدارمي في «النقص» (ص ١٧٩) وأبـويعـلى (٢/٢٨٥ ـ ٢٨٦) وابن أبي عـاصم في «السنـة» (١/٢٤٧) وابن مـاجـة (١/٧٢ ـ ٧٣) والآجـري في «الشريعـة» (ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩) والبيهقي في «الأسـماء» (ص ٤٧٢) والبغوي في «شرح السنة» (٤/٤٢) عن مجالد بن سعيد عن أبي الوداك عن أبي سعيد به.

قال البوصيري في الزوائد (١/٨٧): هذا اسنـاد فيه مقـال، مجالـد بن سعيد وان أخـرج مسلم في صحيحه فإنما روى له مقروناً بغيره، قال ابن عدي: عامة ما يرويه غير محفوظ ا هـ.

قلت: وما قاله البوصيري لا غبار عليه، ولذا قال الحافظ في التقريب: ليس بالقوي، وقد تغيَّر في آخر عمره.

وله طريق آخر، أخرجه البزار (١/٣٤٤ ـ زوائـد) عن محمد بن أبي ليـلى عن عطيـة عن أبي سعيد مرفوعاً بنحوه.

قال الهيثمي في المجمع (٢/٢٥٦): رواه البزار وفيه محمد بن أبي ليلى وفيه كلام كثير لسوء حفظه، لا لكذبة ا هـ.

قلت: واقتصر على هذا، مع أن فيه عطية وهو العوفي مدلس ضعيف.

٢٠٠ ـ وروت عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله عز وجل ليضحك من إياس الناس وقنوطهم وقُرب الرحمة منهم»، قالت عائشة فقلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي أو يَضْحكُ ربنا؟ قال: «أي والذي نفس محمدٍ بيده إنه ليضحك»، قال فقالت: لن يعدمنا خيراً إذا ضحك(٤).

٢٠١ ـ وروى جابر بن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله عزّ وجل يَضحَكُ إلى العبد إذا مدَّ يده إلى الصدقة ومن ضحك الله إليه غَفَرَ له»(٥).

٢٠٢ ـ نا أبوالقسم قال أنا أبوبكر عبدالعزيز الفقيه إجازة قال نا جعفر بن محمد الخلال قال نا سلمة بن شبيب قال نا أبوعبدالرحمن المقري قال نا ابن لهيعة عن أبي الزبير أنَّه سأل جابر بن عبدالله عن الوُرُود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تجي أمتي يوم القيامة على كومٍ فوق النَّاس فتأتي الأُمَمُ بأوثانها وماكانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك يمشي فيقول: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا، فيقوله: أنا ربكم فيقول: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك حتى تبدو لهواته، ثم ينطلقون يتبعونه». وذكر الخبر(٦).

---

(٤) ضعيف جدا، أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (ص ٢٣٥) وابن عدي في الكامل (٣/٩٢٤)) والخطيب في «تاريخه» (١٣/٤٤) عن سلم بن سالم البلخي عن خارجة بن مصعب عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عائشة به.

وعلته خارجة بن مصعب وهو أبوالحجاج السَّرخسي، متروك وكان يدلس عن الكذابين، قاله الحافظ.

وسلم (وتصحف في التوحيد إلى سالم) بن سالم، قال أحمد: ليس بذاك، وقال ابن معين: ليس بشيء، وضعفه أبوحاتم (الجرح ٤/٢٦٧) وله شاهد، أخرجه أحمد (٤/١١) وابنه عبدالله في «السنة» (١/٢٤٦) وكذا ابن أبي عاصم (١/٢٤٤) والدارمي في «النقض» (ص ١٧٧) وابن ماجة (١/٦٤) والدارقطني في «الصفات» (ص ٤٦) والآجري في «الشريعة» (ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠) والبيهقي في الأسماء (ص ٤٧٣) عن حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس عن عمه أبي رزين.

واسناده ضعيف، وكيع بن عدس لم يوثقه إلا ابن حبان، وقال ابن القطان: مجهول الحال، وقال ابن قتيبة: غير معروف.

(٥) ذكره الديلمي في «كتاب الفردوس» (١/١٦٠) واقتصر عليه علاءالدين الهندي في كنز العمل (٦/٣٨٣).

(٦) اسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، وقد أخرجه الدارقطني في «الصفات» (٣٣) حدثنا أحمد بن =

٢٠٣ ــ ونـا أبوالقسم عبـدالعزيـز اجازة نـا محمـد بن سليـمان نـا عمرو بن اسحق القومسي نا روح بن عبادة قال، وأنا عبدالعـزيز أجـازه قال نـا العباس بن محمـد نا يحيى بن معين نا روح بن عبادة عن ابن جريج عن أبي الزبيرعن جابر قال قـال رسـول الله ﷺ: «يضحك الله ربكم حتى بـدت لهواتـه وأضراسه» قـال يحيى بن معين «لهواته وأضراسه»(٧).

٢٠٤ ــ وذكـر أبوالحسن الـدارقـطني في الصفـات عن أبي بكـر النيسـابـوري قـال نا عبدالله بن أحمد قال حدثني أبي قال نا روح قال نا ابن جريج عن أبي الزبـير أنَّه سمع جابراً سئل عن الورود وذكر الحـديث وقال فيـه «فيقول الله عـز وجل؛ أنـا ربكم، فيقــولـون: حتى ننــظر إليــك، فيتجــلى لهم يضحــك قــال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حتى تبدو لهاته وأضراسه»(٨).

٢٠٥ ــ نـا أبوالقسم بـاسناده عن امـرأة من الأنصار يقـال لها أسـماء ابنة يـزيد بن السكن أنَّ رسول الله ﷺ قال لأم سعد: «ألا يَرْقـأُ دمعك، وَيَـذْهَب حُزنـك بأنَّ ابنك أول من ضحك الله عزّ وجل له واهتزَّ له العرش»(٩).

= محمد بن اسماعيل الأدمي ثنا الفضل بن سهل الأعرج ثنا يحيى بن إسحاق أبوزكريا السليحيني ثنـا ابن لهيعة به.

وفي الحـديث ما ينكـر وهو قـوله (حتى تبـدوا لهواتـه) والحديث أخـرجـه مسلم (١/١٧٧ ـ ١٧٨) وعبدالله بن أحمد في السنـة (١/٢٤٨) وابن مندة في كتـاب «الإيمان» (٢/٨٢٣ ـ ٨٢٥) دون هـذه الزيادة، مما يشعر أن ابن لهيعة لم يحفظ الحديث. واستنكـرها ابن منـده فقال: ولم يـذكر من تقـدم هذا.

(٧) أخـرجه ابن منـده في «الإيمان» (٢/٨٢٦) عن العبـاس بن محمد ثنـا يحيى بن معين ثنـا حجاج بن محمد عن ابن جريج به.

حجاج بن محمد وهو المصيصي ثقة ثبت، لكنه اختلط في آخر عمره.

(٨) كتـاب «الصفات» (٣٢)، وعبـارة: «حتى تبدوا لهـاته وأضراسـه» ترك مكـانها بياضـاً في الأصـل المخطوط للكتاب، كما أشار إلى ذلك المحقق.

(٩) ضعيف، أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/٤٣٤) وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٢/١٤٣ ـ ١٤٤) وأحمد في «مسنـده» (٦/٤٥٦) وفي فضـائـل الصحــابـة (١٥٠٠) وابن أبي عــاصم في «السنـة» (١/٢٤٦) والدارمي في «النقض» (ص ١٨٠ ـ ١٨١) ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في «العـرش» (٥٠ ـ بتحقيقي) وابن خـزيمة في «التـوحيـد» (ص ٢٣٧) والـطبراني في الكبـير (٦/١٢) والحـاكم

٢٠٦ ــ وروى نعيم بن هَمار قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أي الشهداء أفضل؟ قال: «الذين يقاتلون في الصَّف ولا يلفتُون وُجُوهَهم حتى يُقتلوا أولئك يَتَلَبَّطُون في العُلى في الجنة، يضحكُ إليهم ربك، وإذا ضحك إلى عبدٍ في مَوْطِنٍ فلا حساب عليه»(١٠).

٢٠٧ ــ وروى أبوبكر أحمد بن اسحق الصبغي في كتابه المسمى «بالأسماء والصفات» فيما ذكره ابن فورك عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «إني لأعلمُ آخرَ أهل النَّار خروجاً من النار، وآخر أهل الجنَّة دُخُولاً، يقال له: أدخل الجنة، فيأتيها فيرى أنها قد مُلِئَتْ فيرجع فيقول يا رب قد امتلأت، فيقال ارجع ثلاث مرات، ثم يقال له: لك الدنيا ولك عشرة أمثالها، فيقول: أتضحكُ بي

(٢٠٦/٣) كلهم عن يزيد بن هارون أخبرنا اسماعيل بن أبي خالد عن اسحاق بن راشد عن امرأة من الأنصار يقال لها أسماء بنت يزيد به.
قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي !
كذا قالا ! مع أن فيه اسحاق بن راشد، مجهول لم يوثقه الا ابن حبان وقد خالفه شيخه ابن خزيمة فقال: لست أعرف اسحاق بن راشد هذا، ولا أظنه الجزري أخو النعمان بن راشد أ هـ.
قلت: وهو كما قال، فإن اسحاق بن راشد هذا أقدم طبقة من الجزري (وهو ابوسليمان الحراني صدوق)، كما ميزهما الحافظ في التهذيب (٢٣٢/١).
ولعل الحاكم والذهبي توهما أنه الجزري فقالا مقالتهما السابقة.
(١٠) حسن، أخرجه أحمد (٤٨٧/٥) والدارمي في «النقض» (ص ١٧٩) والآجري في «الشريعة» (ص ٢٨٤) عن اسماعيل بن عياش حدثني بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة عن نعيم بن همّار به. قال المنذري في الترغيب (٣١٩/٢): رواه أحمد وأبويعلى، ورواتهما ثقات. وكذا قال الهيثمي في المجمع (٢٩٢/٥).
قلت: اسناده حسن فقط، فرجاله ثقات سوى اسماعيل بن عياش، فهو صدوق في روايته عن أهل بلده كما هو الحال هنا، فإن بحير بن سعد حمصي.
وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا، أخرجه الطبراني في الأوسط ـ كما في الترغيب للمنذري (٣١٩/٢) ـ بلفظ: «أفضل الجهاد عند الله يوم القيامة الذين يَلْتَقُون في الصف الأول، فلا يَلْفِتُون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يَتَلَبَّطُون في الغُرفِ من الجنة يَضحكُ اليهم ربك، وإذا ضَحِك إلى قومٍ فلا حساب عليهم».
قال المنذري: رواه الطبراني باسناد حسن.
وذكره الهيثمي في المجمع (٢٩٢/٥) وقال: رواه الطبراني في الأوسط من طريق عنبسة بن سعيد بن أبان، وثّقه الدارقطني ـ كما نقل الذهبي ـ ولم يضعفه أحد ا هـ.
يتلبطون: أيّ يتمرغون ويضطجعون، وفي المسند: ينطلقون، وعند الآجري: سَيَطَئُون في العلى من الجنة.

وأنت الملك»(١١).

٢٠٨ ــ وعن طلحة بن البراء أنَّ رسول الله ﷺ لما أخبر بموت طلحة رفع رأسه إلى السماء، ثم قال: «اللهم القه وهو يَضحك(١) وأنت تضحك إليه»(١٢).

(١) في رواية الطبراني: وهو يضحك اليك.

(١١) أخرجه أحمد (١/ ٤٦٠) والبخاري (١١/ ٤١٨ ـ ٤١٩) (١٣/ ٤٧٤) ومسلم (١/ ١٧٣) عن منصور عن ابراهيم عن عبيدة السلماني عن عبدالله بن مسعود به.
وتابع الأعمش منصوراً عند مسلم (١/ ١٧٤).

(١٢) ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٣١١) عن عبدربه بن صالح عن عروة بن رويم عن أبي مسكين عن طلحة بن البراء أنه أتى النبي ﷺ فقال: أبسط يدك، قال: «وإن أمرتك بقطيعة والدتك؟» قال: لا، قال: ثم عدت إليه، فقلت: ابسط يدك أبايعك، قال: «علام، قلت: على الإسلام . . . الحديث».
قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٦٥): رواه الطبراني مرسلاً، وعبدربه بن صالح لم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا.
قلت: عبد ربه ذكره ابن أبي حاتم (٦/ ٤٤) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلا، وأبومسكين هو الحر بن مسكين الأودي، ذكره ابن حبان في الثقات (٦/ ٢٣٩) في أتباع التابعين، فهو لم يسمع من طلحة.
وله طريق آخر، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٤٦) حدثنا عبدالرحيم بن مطرف حدثنا عيسى بن يونس عن سعيد بن عثمان البلوي عن عروة بن سعيد الأنصاري عن أبيه عن حصين بن وَحْوَح أن رسول الله ﷺ أتى قبر طلحة بن البراء في قطار بالغصبة، فصفَّ وصففنا خلفه فقال: «اللهم الق طلحة تضحك إليه ويضحك إليك». وقد أخرجه أبو داود (٣/ ٥١٠ ـ ٥١١) من الطريق السابق مختصراً ولفظه: أن طلحة بن البراء مرض فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقال: «إني لا أرى طلحة إلا قد حدث فيه الموت، فآذنوني به وعجلوا، فإنه لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهراني أهله». وأخرجه من الطريق نفسه الطبراني في الكبير (٤/ ٢٨ ـ ٢٩) مطولاً.
قال الحافظ في الإصابة (٢/ ٢٢٧) بعد أن أورد ما رواه أبوداود: هكذا أورده أبوداود مختصراً كعادته في الاقتصار على ما يحتاج إليه في بابه. ثم قال: وفيما صنع قصور شديد، فإن هذا القدر هو بقية الحديث، أورده البغوي وابن أبي خيثمة وابن أبي عاصم والطبراني وابن شاهين وابن السكن وغيرهم، من هذا الوجه الذي أخرجه منه أبوداود مطولاً ومختصراً، وقال الطبراني لما أخرجه في «الأوسط»: لا يروى عن حصين بن وحوح إلا بهذا الاسناد، وتفرد به عيسى بن يونس اهـ.
قلت: عيسى بن يونس هو ابن أبي اسحاق السبيعي، ثقة مأمون لا يضر تفرده، ولكن الحديث يعل بعروة أو عزرة بن سعيد الأنصاري وأبيه، فإنهما مجهولان، وكذا سعيد بن عثمان فإنه لم يوثقه إلا ابن حبان.

٢٠٩ ــ وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يُضْرَبُ الصراط بين ظَهْراني جهنم» وذكر الحديث، وقال فيه «فيقول وَيْلَك يا ابن آدم ما أَغْدَرَكَ!، ألم تُعطني عُهُودك ومواثيقك أن لا تسئلني غير ما أعطيتك؟، فيقول: أي ربِّ لا أكُونُ أَشْقَى خلقك، فلا يزال يدعُو حتى يَضْحَك الربُّ منه، فإذا ضَحِكَ الله منه قال له: أدخل الجنة»(١٣).

٢١٠ ــ وأخرج أبو علي الحسن بن علي بن المذهب من مسند أحمد باسناده عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ أردفه على دابته فلمّا استوى عليها كبّر رسول الله ﷺ ثلاثاً وحَمِدَ الله ثلاثاً وسبَّح الله ثلاثاً، فقال: «ما من امرىء يركبُ دابته فيصنع كما صنعت إلا أقبل الله عزّ وجلّ يضحكُ اليه كما ضحكتُ اليك»(١٤).

اعلم أنه غير مُمتنع حملُ هذه الأحاديث على ظاهرها من غير تأويل، وقد نصّ أحمد على ذلك في رواية الجماعة.

٢١١ ــ قال في رواية حنبل: يضحك الله، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديقها الرسول ﷺ . . . . . (١) القرآن.

٢١٢ ــ وقال المروذي: سألت أبا عبدالله عن عبدالله التيمي فقال: صدوقٌ، وقد كتبت عنه من الرقايق ولكن حُكي عنه أنه ذكر حديث الضحك فقال: مثل

---

(١) كلمة غير مفهومة.

(١٣) أخرجه البخاري (١٣/٤١٩ ـ ٤٢٠) ومسلم (١/١٦٣ ـ ١٦٧) عن ابراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثي أن أباهريرة أخبره أنَّ ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ . . .» الحديث بطوله.
وأخرجه البخاري (١١/٤٤٤ ـ ٤٤٦) ومسلم (١/١٦٧) عن شعيب عن ابن شهاب به.

(١٤) ضعيف، أخرجه أحمد (١/٣٣٠) حدثنا أبوالمغيرة حدثنا أبوبكر بن عبدالله عن علي بن أبي طلحة عن عبدالله بن عباس مرفوعا به.
قال الهيثمي في المجمع (١٠/١٣١): رواه أحمد وفيه أبوبكر بن أبي مريم وهو ضعيف.
قلت: ضعفه أحمد وابن معين وأبوزرعة وأبوحاتم والنسائي والدارقطني وغيرهم. وفيه علةٌ أخرى، وهي الانقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس، فإنه لم يسمع منه.

الزرع الضحك، وهذا كلام الجهمية(١٥)، قلت: ما تقول في حديث ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر «فضحك حتى بدت» قال: هذا يشنّع به، قلت فقد حدَّثت به قال: ما أعلم أني حدثت به إلا محمد بن داود يعني المصيصي وذلك أنّه طلب إليَّ فيه، قلت: أفليس العلماء تلقته بالقبول؟ قال بلى.

٢١٣ ــ قال أبوبكر الخلال رأيت في كتاب لهرون المستملي أنه قال لأبي عبدالله حديث جابر بن عبدالله «ضحك ربنا حتى بدت لهواته أو قال أضراسه ممن سمعته» قال نا روح قال رسول الله ﷺ «يضحك حتى بدت لهواته أو قال أضراسه».

فقد نصَّ على صحة هذه الأحاديث والأخذ بظاهرها والإنكار على من فسَّرها، وذلك أنَّه ليس في حمله على ظاهره ما يُحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه، لأنَّا لا نُثبت ضحكاً هو فَتْحُ الفم وتكشير شفتين وأسنان، ولا نُثبت أضراسا ولهوات هي جارحة ولا أبعاضا(١٦)، بل نُثبت ذلك صفة كما أثبتنا الوجه واليدين والسمع والبصر، وإنْ لم نعقل معناه(١٧)، ولا يجب أنْ نستوحش من إطلاق هذا اللفظ إذا وَرَدَ به سَمْعٌ، كما لا نستوحش من إطلاق ذلك في غيره من الصفات.

فإن قيل: هذا محمول على إظهار فضله ونعمه بالإثابة: للرجلين المقتولين في سبيل الله، كأنَّه بيَّن ثوابهما وأظهر من كرامته لهما، وكذلك قوله «ضحكت لضحكِ ربيّ» أيّ لإظهار فضله وكرامته، لأن الضحك في اللغة هو الإظهار من قولهم: ضحكت الأرضُ بالنبات، إذا ظهر فيها النبات وانْفَتَق عن زهره، وكذلك قالت العرب لِطَلعِ النخل إذا تَفَتَّق عنه فيقولون: ضَحِكَت الطلعة، إذا

(١٥) وذلك أن الجهمية قالوا: ضحك الله كناية عن إعطائه الثواب والنعم والفضل، كما يقال ضحكت الأرض، أي: خرج فيها النبات والزهر، فنفوا هذه الصفة عنه تعالى، وسيأتي ردَّ المصنف عليهم.

(١٦) تقدم بيان ضعف هذه الزيادة، فلا تثبت به صفة لله تعالى.

(١٧) بل الصواب أنه يعقل معناها لكن لا يعلم كيفيتها وهذا هو مذهب السلف، تفويض الكيفية لا تفويض المعنى.

ظهر منها ما كان مُسْتِتَراً[18]، وكذلك قول القائل: يضاحك الشمس منها كوكب شرق، وأنشد ابن الأعرابي[19]:

أَمَا تَرَى الأرضَ قد أعطت زَهرتَها مخضرةً فاكتسى بالنَّوْرِ عَاريها[20]
وللسَّماءِ بُكاءٌ في جوانبها وللربيع ابتسامٌ في نواحيها

يريد بالابتسام ظهور النبات وطلوع النور عليها، وكذلك قولهم: ضحِك المزنُ بها ثم بكى، يريد بالمُزْن السحاب وبضحك النَّوْر الذي يظهر ببكائه المطر[21].

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّه مظهر بفضله ونعمه مع عدم الأشياء المذكورة في الخبر من القتل وعدم الدعاء والصلاة، كما هو بعد ذلك فلم يصح حمله على ذلك، ولأنه إن جاز تأويله على هذا جاز تأويل قوله «إنكم ترون ربكم» على معنى ترون بعطفه بكم وثوابه ورحمته.

وقد أجمعنا ومثبتوا الصفات على فساد هذا التأويل كذلك هاهنا، ولأنَّ الضحك إذا أُضيفَ إلى الذات لم يُعقل منه ما قالوه من إظهار الفضل والنعمة ولهذا إذا قيل: ضحك الأميرُ، لا يُعقل منه ما قالوه، كذلك في صفاته سبحانه، ولأنَّ في الخبر ما يسقط هذا وهو قوله «يتجلى ضاحكاً حتى تبدو أضراسه ولهواته» وهذه الصفة تختص الذات دون ما ذكروه من النعم والفضل.

---

(١٨) في اللسان (٢٥٥٨/٤) والضحك أيضا: طلع النخلِ حين ينشق، وقال ثعلب: هو ما في جوف الطلعة، وضحكت النخلة وأضحكت، أخرجت الضَّحك.

(١٩) هو محمد بن زياد أبوعبدالله مولى بني هاشم، يعرف بابن الأعرابي، صاحب اللغة، كان أحد العالمين بها، والمشار إليهم في معرفتها، كثير الحفظ لها، روى عنه ابواسحاق ابراهيم الحربي، وثعلب، وأبوعكرمة الضبي، وأبوشعيب الحراني، وكان ثقة، مات سنة ٢٣١ هـ. من كتبه: «النوادر»، «الأنواء».
(تاريخ بغداد (٢٨٢/٥ ـ ٢٨٥)، الفهرست (٦٩)، البلغة (ص ١٩٦)).

(٢٠) في «مشكل الحديث» لابن فورك: وقد أعطتك زهرتها، بدل: أعطت وفي الأصل هنا: بالنور عاريها، وفي «المشكل» عاليها.

(٢١) انظر هذه التأويلات الباطلة في «مشكل الحديث» لابن فورك (ص ٤٩ ـ ٥١) و«الأسماء والصفات» للبيهقي (ص ٤٧٣) فقد حكاه عن أبي الحسن بن مهدي الطبري.

فإن قيل: لا يخلوا إما أنْ تقولون يضحكُ في وقتٍ دون وقت، أو يستديم الضحك، فإن قلتم يضحكُ في حالٍ دون حال، جعلتم ذاته محلاً للحوادث، وإنْ قُلتم يستديم ذلك أَضَفْتُم صِفَةً منكرة، لأنَّه يقال لمن كثر ضَحِكُهُ: فُلانٌ ضُحَكَة هزأة(٢٢).

قيل: نقول فيه ما تقولون في الغضب والرضا والكراهة، مع جواز هذا التقسيم وعلى أنَّه لا يمتنع أنْ يكون صفة ذاتٍ يُظْهرها في وقتٍ، كما يُظهر ذاته في وقتٍ دون وقت، ولا يُفضي ذلك إلى ما قالوه لأنَّ من كَثُر ضحكه سُمِّي ضُحكة إذا كان ضحكه من الأشر والبَطَر، وهذا مُستحيلٌ في صفاته سبحانه.

فأما قوله« لن نعدم من ربِّ يضحك خيراً» فذلك لأنَّ الضحك يدلُّ على الرِّضا، والرضا يدل على العفو والمغفرة، وقد ذكر ابن قتيبة هذا التأويل في كتاب «اللفظ»(٢٣) وأجاب عنه بأنَّه إنْ كان في الضحك الذي فَرَّوا منه تشبيهٌ بالإنسان، فإن في هذا تشبيهاً بهذه المعاني.

---

(٢٢) في اللسان (٢٥٥٧/٤): الضُّحكة: الرجل الكثير الضحك يُعاب عليه.

(٢٣) يقول ابن قتيبة في كتابه «الاختلاف في اللفظ والردُّ على الجهمية والمشبهة» (ص ٣٩): وقالوا في الضحك وهو مثل قول العرب: ضحكت الأرض بالنبات، إذا طلع فيها ضروب الزهر، وضحكت الطلعة إذا انفتق كافورها عن بياضها، وضحك المزن إذا لمع فيه البرق، وليس من هذه شيء إلا وللضحك فيه معنى حدث، فإذا كان الضحك الذي فَرُّوا منه تشبيه بالإنسان، فإن في هذا تشبيها بهذه المعاني.

«حديث آخر»

٢١٤ ـ ناه أبوالقسم قال نا علي بن ابراهيم بن موسى نا موسى بن عبيدالله بن يحيى المقري نا عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي نا أبوأسامة قال نا هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن عمرو قال: خلق الله الملائكة من نُور الذراعين والصدر(١).

وناه من طريق آخر بهذا اللفظ.

اعلم أن الكلام في هذا الخبر في فصلين: أحدهما في إثبات الذراعين والصدر، والثاني في خلق الملائكة من نوره.

أما الفصل الأول: فإنه غير ممتنع حمل الخبر على ظاهره في إثبات الذراعين

---

(١) أخرجه عبدالله في «السنة» (٢/٤٧٥) وعنه ابن مندة في «الرد على الجهمية» (٧٨) عن أحمد بن حنبل به وهو أثر موقوف على عبدالله بن عمرو، وقد كان يحدث عن أهل الكتاب، فلعل هذا منها، وأعلّ بتدليس هشام بن عروة.
وأخرجه ابن منده في كتابه السابق (٧٧) عن صدقة بن سابق قال قرأت على محمد بن اسحاق حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن عمرو وقال: سُمعته يقول: خلق الله الملائكة ثم قال: ليكن منكم ألف ألفين، فيكونون، فإن في الملائكة لخلقاً هم أصغر من الذباب. وقال غيره وزاد فيه: وخلقهم من نور الذراعين والصدر.
صدقة بن سابق كوفي، ذكره ابن أبي حاتم (٤/٤٣٤) ولم يحك فيه شيئاً. وأخرجه البيهقي في «الأسماء» (ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣) عن يحيى بن أيوب أن ابن جريج حدثه عن رجل عن عروة بن الزبير أنه سأل عبدالله بن عمرو بن العاص: أي الخلق أعظم؟ قال الملائكة، قال: من ماذا خلقت؟ قال: من نور الذراعين والصدر، قال: فبسط ذراعين فقال: كونوا ألفي ألفين، فقال ابن أيوب فقلت لابن جريج: ما ألفا ألفين؟ قال: مالا تحصى كثرته.
قال البيهقي عقبه: هذا موقوف على عبدالله بن عمرو، راويه رجل غير مسمى، فهو منقطع، وقد بلغني أن ابن عيينة رواه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن عمرو.
فإن صح ذلك، فعبدالله بن عمرو قد كان ينظر في كتب الأوائل، فهالا يرفعه إلى النبي عليه السلام يحتمل أن يكون مما رآه فيها وقع بيده من تلك الكتب ا هـ.
والثابت في خلق الملائكة هو ما رواه الإمام أحمد (٦/١٦٨) ومسلم في صحيحه (٤/٢٢٩٤) عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلقت الملائكة من نور، وخلق الجانّ من مارجٍ من نار، وخُلق آدم مما وُصف لكم».
فاثبات المصنف الصفة بحديث الباب لا يسلم له.

والصَّدر إذ ليس في ذلك ما يُحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، لأنا لا نُثبت ذراعين وصدراً هي جوارح وأبعاض، بل نُثبت ذلك صفة كما أثبتنا اليدين والوجه والعين والسمع والبصر، وإن لم نعقل معناه.

فإن قيل: عبدالله بن عمرو لم يرفعه إلى النبي ﷺ وإنما هو موقوف عليه فلا يلزم الأخذ به.

قيل: إثبات الصفات لا يؤخذ إلا توقيفاً لأن لا مجال للعقل والقياس فيها، فإذا رُوي عن بعض الصحابة فيه قول علم أنهم قالوه توقيفا.

فإن قيل: فقد قيل إنَّ عبدالله بن عمرو أصاب وسقين يوم اليرموك، وكان فيها من كتب الأوائل مثل «دانيال»[٢] وغيره، فكانوا يقولون له إذا حدثهم: حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ ولا تحدثنا من وسقيك يوم اليرموك فيحتمل أن يكون هذا القول من جملة تلك الكتب فلا يجب قبوله، وكذلك كان وهب بن منبه يقول: إنما ضل من ضل بالتأويل، ويرون في كتب «دانيال» أنه لما علا إلى السماء السابعة فإنتهوا إلى العرش رأى شخصاً ذا وفْرة فتأول أهل التشبيه على أن ذلك ربهم وإنما ذلك ابراهيم[٣].

قيل: هذا غلط لوجوه: أحدهما أنه لا يجوز أن يظن به ذلك لأن فيه إلباس في شرعنا، وهو أنه يروي لهم ما يظنوه شرعاً لنا، ويكون شرعاً لغيرنا، ويجب أن نُنزه الصحابة عن ذلك.

والثاني: إنَّ شرعنا وشرع غيرنا سواء في الصفات، لأن صفاته لا تختلف باختلاف الشرائع.

فإن قيل: يحتمل أن يكون ذلك صدراً وذراعين لبعض خلقه لأنه ذكر الذراعين والصدر مطلقاً، وقد وجد في النجوم ما يسمى ذراعين وصدراً وتكون الفائدة في ذلك التنبيه على ما في قدرته من المخلوقات وإنشاء المخترعات[٤].

(٢) دانيال قيل أنه من أنبياء بني اسرائيل، وأن الصحابة وجدوا جسده في بيت مال «الهرمزان» عند فتحهم «تُستَر»، أنظر «البداية والنهاية» (٢/ ٤٠ ـ ٤٢).
(٣) «مشكل الحديث» لابن فورك (ص ٥٢).

قيل: هذا غلط لأنه ذكر الذراعين والصدر بالألف واللام، والألف واللام يدخلان للعهد أو للجنس وليس يمكن حمله على الجنس لأنه يقتضي كل ذراع وكل صدر، وليس ها هنا معهود من الخلق يشار إليه فلم يبق إلا أن يحمل عليه سبحانه، لأنه أعرف المعارف، يبين صحة هذا أنه لما أراد تخصيص بعض الملائكة بفضيلة أو حكم عرَّفه باسمه نحو قوله تعالى ﴿**من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال**﴾ (البقرة: ٩٨) وقوله تعالى ﴿**نزل به الروح الأمين**﴾ (الشعراء: ١٩٣) ونحو ذلك، ولأن حمله على بعض خلقه يُسقط فائدة التخصيص بالملائكة فلما خصَّ الملائكة بالذكر، علم أنه قَصَد تشريفهم وإذا حُمل على بعض خلقه لم يكن لهم مزية.

وأما الفصل الثاني: وهو خلق الملائكة من نوره فليس على ظاهره ومعناه خلقها بنوره تشريفاً لهم كما خلق آدم بيده تشريفاً له على غيره من خلقه، وإنما لم يجز حمله على ظاهره، لأن ذلك يُحيل صفاته ويخرجها عما تستحقه، لأن نور ذاته قديم والقديم لا يتبعض فيكون بعضه مخلوقاً كسائر صفاته(٥)، وهذا ظاهر كلام أحمد، وذلك أنه قال في قوله تعالى ﴿**وروح منه**﴾ (النساء: ١٧١) يقول: من أمره، وتفسير «روح الله» أنها روح الله خلقها كما يقال: سماء الله وأرض الله(٦)، فلم يحمل الكلام على ظاهره في الروح بل تأوله لأن في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته كذلك هاهنا.

---

(٤) المصدر السابق، و «الأسماء والصفات» للبيهقي (ص ٣٤٣).

(٥) قد سبق بيان أن الرواية الصحيحة هي: «خلقت الملائكة من نور» فلا يرد عليها ما ذكره المصنف رحمه الله.

(٦) هذا هو الصواب في تفسير الآية، وهو أن معنى (روح منه) أي من خلقه ومن عنده كقوله تعالى ﴿**وسخر لكم مافي السماوات والأرض جميعا منه**﴾ الجاثية: ١٣، وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف كما أضيفت الناقة والبيت في قوله (هذه ناقة الله) وفي قوله (وطهر بيتي).
وليست «من» للتبعيض كما تقوله النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة. (انظر تفسير ابن كثير (١/ ٥٩٠)).

«حديث آخر»

٢١٥ ـ ناه أبوالقسم بـاسناده عن أبي هـريرة عن النبي ﷺ أنـه قال: «إنَّ الله عـز وجل يقول: ابن آدم مَرِضْتُ فلم تَعُدْني قـال: يا رب كيف وأنت رب العـالمين! قال: مَرِضَ عبدي فلو عُدْتَه لوجـدتني عنده» وفي لفظٍ آخـر «يقول الله عـزّ وجلّ استـطعمتك فلم تـطعمني، قال فيقـول: يا رب كيف استـطعمتني فلم أُطْعمـكَ وأنتَ ربُّ العـالمين؟ قـال فيقولـه: أَمَا عَلِمْتَ أنَّ عبـدي فُلانـاً استـطعمـك فلم تُطعمه، أما علمت لو كنت أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم اسْتسْقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيـك وأنت ربُّ العالمـين؟ فيقول: أَمَـا عَلمت أنَّك لو كنت أَسْقَيْتَهُ لوجدت ذلك عندي»[١].

٢١٦ ـ وفي لفظ آخـــر «اسْتَقْرَضْتُ عبـدي فلم يُقــرضني، وشَتَمَني ولم ينبغي أن يشتمني، قال يقولُ: وادهراه وأنا الدهر»[٢].

اعلم أنَّ هـذا الخبر قـد اقترن بـه تفسير من النبي ﷺ في بعضـه، فَـوَجَبَ الرجوع إلى تفسيره، وذلك أن فَسَّر قوله: مرضت واستطعمت واستسقيت، عـلى أنَّه إشارةٌ إلى مرضِ وليّه واستسقائه واستطعامه، وأضافَ ذلـك إلى نفسه إكـراماً لوليه ورفعةً لقدره، وهذه طريقة مُعتادة في الخـطاب يُخبرُ السَّيـدُ عن نَفسِهِ ويُـريد عَبده إكراماً له وتعظيماً، وعلى هذا يُحمـل قولـه ﴿إن الذين يؤذون الله ورسـوله﴾ (الأحزاب: ٥٧)، معناه: أولياءُ الله ورُسله، وكذلـك قولـه تعالى ﴿فلما آسفـونا انتقمنا منهم﴾ (الزخرف: ٥٥)، أي آسفُوا أولياءنا والنَّاصرين لديننا، لاستحالة أن يُؤْذَى الله ويُحارب[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٩٠/٤) عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة مرفوعا به، مع اختلاف في اللفظ.

(٢) اسنـاده ضعيـف، رواه أحمـد (٣٠٠/٢، ٥٠٦) والحـاكم (٤٥٣/٢) عن محمـد بن اسحـاق عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعا به.
قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي !
قلت: لكن فيه عنعنة بن اسحاق.

(٣) وبمثله قال البيهقي في الأسماء (ص ٢٢٠ ـ ٢٢١).
قـال ابن جريـر (٣٢/٢١) في قـولـه تعـالى ﴿ان الـذين يؤذون الله ورسـولـه لعنهم الله في الـدنيـا =

وأمَّا قوله «لو عُدْته لـوجَدْتني عنـده» معناه، وجـدت رحمتي وفضلي وثـوابي وكرامتي في عيادتك له.

٢١٧ ـ يُبّين صحة هذا ما حدثناه أبوالقسم باسنـاده عن أبي هريـرة عن النبي ﷺ «أنا عند ظنِّ عَبْدي، وأَنَا معـه، إنْ تَقَرَّبَ إليَّ ذراعـاً تَقَرَّبَ الله إليـه بَاعـاً، ومن جاء يمشي أَقْبَلَ الله إليه بالخير يُهرول»(٤) فَبـيَّنَ في هذا الحـديث أنَّ قُربـه من عبده بـالثواب، كـذلـك هـاهنـا(٥)، وعـلى هـذا يتـأول قـولـه ﴿ووَجَـدَ الله عِنْـدَه﴾ (النور: ٣٩) معناه وجد عقابه وحسابه(٦).

٢١٨ ـ وقد فَسَّر أحمد قوله لموسى عليه السـلام ﴿إنَّني مَعَكُما﴾ (طـه: ٤٦) يقول:

= والآخرة﴾: إن الذين يؤذون ربهم بمعصيتهم إياه وركوبهم ما حرم عليهم آهـ.
وبنحوه قال ابن كثير (٣/٥١٧)، وقال البغـوي (٥/٢٧٦): وقيل معنى (يؤذون الله) يلحـدون في أسماءه وصفاته. فالصواب إمرار النص على ظاهره.

(٤) كذا الحديث في الأصل وفيه اختصار.
وقد أخرجه الإمام أحمد (٢/٢٥١، ٤١٣) والبخاري (١٣/٣٨٤) ومسلم (٤/٢٠٦١) من طـرق عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكـرني في ملاءٍ، ذكرته في ملاءٍ خيرٌ منهم، وإن تقرَّب مني شبراً، تقـرَّبت إليه ذراعـاً، وإن تقرَّب إلي ذراعـاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».
وأخـرجـه أحمـد (٢/٥١٦، ٥١٧، ٥٢٤، ٥٣٤ ـ ٥٣٥) ومسلم (٤/٢١٠٢) عن زيـد بن اسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا بنحوه.
وله طرق أخرى عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأنس يطول ذكرها.

(٥) قال ابن حبان في صحيحه (٢/٩١): ومن تقرب إلى الباري جل وعـلا بقدر شـبر من الطاعـات، كان وجود الرأفة والرحمة من الرب منه له أقرب بذراع، ومن تقرب إلى مولاه جل وعـلا بقدر ذراع من الطاعات، كانت المغفرة منـه أقرب ببـاع، ومن أتى في أنواع الـطاعات بـالسرعة كـالمشي، أتته أنواع الوسائل ووجود الرأفة والرحمة والمغفرة بالسرعة كالهرولة، والله أعلى وأجلّ ا هـ.

(٦) قال ابن جرير رحمه الله (١٨/١١٥) في تفسير الآية: حتى إذا هلك (يعني الكافر) وصار إلى الحاجة إلى عمله، الذي كان يرى أنه نافعه عند الله، لم يجده ينفعه شيئاً، لأنـه كان عمله عـلى كفر بـالله، ووجد الله هذا الكافر عند هلاكه بالمرصاد، فَوَفَّاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملهـا في الدنيـا، وجازاه بها جزاءه الذي يستحقه عليها منه.

في الدفع عنكما، وقوله ﴿إنَّ الله مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠) في الدفع، وقوله ﴿والله مع الصابرين﴾ (البقرة: ٢٤٩)، في النَّصر لهم على عدوهم، وقولـه تعالى ﴿كَلاّ إنَّ معي ربي سيهدين﴾ (الشعراء: ٦٢) يقول في العون على فرعون[٧].

---

(٧) اشتملت هذه الآيات على ذكر مَعيَّة الله تعالى، وهي تنقسم إلى قسمين: معية عامة، ومعية خاصة. أما المعية العامة فدليلها قوله تعالى ﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السَّماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ الحديد: ٤، وقوله تعالى ﴿ما يكون من نجوى ثلاثةٍ إلا هو رابعهم ولا خمسةٍ إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾ المجادلة: ٧.
وأما المعيّة الخاصة فقد ساق المصنف بعض الآيات التي تدلُّ عليها.

«حَدِيثٌ آخــر»

٢١٩ ــ ناه أبوالقسم باسناده عن عبدالله بن عمر أنَّ أتَاهُ رجلٌ فقـال كيف سمعت رسـول الله ﷺ يقـول في النَّجـوي؟ قـال سمعت رســول الله ﷺ يقـول: «يُؤْتى بالمؤْمن يوم القيامة فيُدْنيه الله تعـالى منه فَيَضَـعُ كَنفَه عليـه حتى يستره من النَّـاس فيقول: عبدي أتعرفُ ذنب كذا وكذا أتعرف كذا وكذا مرتين، فيقول: نعم حتى إذا قَرَّرَه بذُنُوبه كُلها، ورأى نفسه أنَّه قد هلك، قـال: فإني قـد سترتهـا عليك في الدنيا، وأنا أَغْفرها لك اليوم» وقد ذكره البخاري ومسلم في الصحيحين[١].

اعلم أنَّ الكـلام في هذا الخـبر في فصلين: أحدهمـا في الدُّنـو، والثـاني في وَضْع كنَفَهَ عليه.

فأما قوله «يُدني عبده» فغير مُمتنع حمله على ظاهره، وأنَّه دُنو من ذاته.

٢٢٠ ـ وقد أخذ أحمد بظاهره في رواية أبي الحرث وقد سأله ما معنى قول النبي ﷺ «إن الله يُدْني العبدَ يوم القيامة فيضع عليه كنفه» كما قال ونقول به.

فقد نص أحمد على الأخذ بظاهره من غير تأويل، وإنما قال ذلك لأنَّـه ليس في حمله على ذلك ما يُحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه، لأنَّا لا نصفه بـالإنتقال من مكانٍ إلى مكان، وعلى هذا يُحمل قوله تعالى ﴿**ثم دنا فتدلَّى فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾ (النجم: ٨ ـ ٩) وأنَّ المراد بالدنو دنوه من الذات.

فـإن قيل في حمله عـلى ذلك مـا يُفضي إلى إحالـة صفاتـه وإخـراجهـا عـما تستحقه، لأنه تستحيل المساحة والمسافة وبعد المكان والنهاية عليه سبحانه.

---

(١) سبق تخريجه.

قيل: هذا غلط لما بينّا، وهو أنّا لا نَصِفُه بالإنتقال من مكان إلى مكان، حتى يجيء منه ما ذكرت، وإنما تلك صفة راجعة إلى العبد، ولأنَّ هذا لا يقتضي كونه في مكان، كما أنَّ إثباته مُستوياً على العرش لم يوجب كونه في مكان، وكذلك رؤيته سبحانه لا تُوجب كونه في مكان، كذلك الدنو منه لا يوجب كونه على مسافة.

فإن قيل: فيجب حمله على أنّه يُقرِّبه من رحمته وأَمَانِه وتّعطفه ولُطفه، وهذا شائعٌ في اللغة، لأنَّه يقال: فلاّن قريب من فلان، والمراد به المنزلة وعُلُو الدَّرجة[٢].

قيل: هذا غلطٌ لوجهين: أحدهما: أنه راحمٌ له ومتعطف عليه وآمن له، مع عدم الدُّنو كما هو بعد الدنو، فلا يصح حَمْلُه على مالا يفيد.

والثاني: إنْ جَازَ هذا، جاز لقائلٍ أن يقول في قوله «ترون ربكم» معناه تعطُّفه ورحمته وثوابه.

الفصل الثاني: قوله «يضع عليه كَنَفَه حتى يستره من الناس» فلا نعلم معنى الكنف ما هو فنمرُّ الخبر على ظاهره.

فإن قيل: يحمل ذلك على القرب من المنزلة والدرجة، لأنه يُقال: أنا في كنفِ فلان، وفلان في كنفي يريد به تعطفه وتوفره[٣].

---

(٢) كذا قال ابن فورك في «مشكل الحديث» (ص ٥٦).
وكذا أوّله النووي في شرح مسلم (١٧/ ٨٧) فقد قال: والمراد بالدنو هنا دنو كرامة وإحسان، لا دنو مسافة، والله تعالى منزه عن المسافة وقربها.
والحافظ في الفتح (١٠/ ٤٨٨).
وسيأتي ما يردُّ هذا في كلام ابن القيم.

(٣) انظر «مشكل الحديث» لابن فورك (ص ٥٧).
وقال النووي في «شرح مسلم» (١٨/ ٨٧): أما كنفه فبنون مفتوحة، وهو ستره وعفوه.
وبنحوه قال الحافظ في الفتح (١٠/ ٤٨٨).

قيل هذا غلط لما تقدم، وهو أنَّه متعطف متوفر عليه قبل ذلك، ولأنَّ هـذا يوجب تأويل حديث الرؤية على ذلك.

فأما قوله ﴿ونحنُ أقْـربُ إليه مِن حَبْـلِ الوَريـد﴾ (ق ؛ ١٦)، فالمـراد به علمه، لأنَّه قد تقدم ذكر العلم في أول الآية بقـوله تعـالى ﴿ولقد خَلَقنـا الإنسانَ ونعلمُ ما تُوَسوس به نَفْسُه﴾ (ق : ١٦) فوجب حمل ذلك على العلم[٤].

---

(٤) قال ابن القيم رحمه الله : وأما قوله تعالى ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تـوسوس بـه نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ فهذه الآية لها شأن، وقد اختلف فيها السلف والخلف على قولين :
فقالت طائفة : (نحن أقرب اليه) بالعلم والقدرة والإحاطة، وعلى هذا فيكون المراد قربـه سبحانـه بنفسه، وهو نفوذ قدرته ومشيئته فيه، وإحاطة علمه به.
والقول الثاني : إن المراد قرب ملائكته منه، وأضاف ذلك إلى نفسه بصيغة ضمير الجمع على عـادة العـظماء في إضافـة أفعـال عبيـدهـا إليهـا بـأوامـرهم ومـراسيمهم، فيقـول الملك : نحن قتلنـاهم وهزمناهم، قال تعالى ﴿فإذا قرأناه فاتبع قُرآنـه﴾ وجبرائيـل هو الـذي يقرؤه عـلى رسول الله ﷺ، وقال ﴿فلم تقتلوهمْ ولكن الله قتلهم﴾ فأضاف قتل المشركين يوم بـدر إليه، ومـلائكته هم الـذين باشروه إذ هو بأمره.
وهذا القول هو أصح من الأول لوجوه :
أحدها : أنه سبحانه قيَّد القرب في الآية بالظرف وهو قوله ﴿إذ يتلقى المتلقِّيان﴾ فالعامل في الظرف ما فيه قوله ﴿ونحن أقرب إليه﴾ من معنى الفعل، ولو كان المراد قربه سبحانه بنفسه لم يتقيد ذلـك بـوقت تلقي الملكين، ولا كـان في ذكر التقييـد فائـدة؛ فإن علمـه سبحانـه وقدرتـه ومشيئته عـامة التعلق.
الثاني : أن الآية تكون قد تضمنت علمه وكتابه ملائكته لعمل العبد، وهذا نظير قوله ﴿أم يحسبون أنَّا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾.
الثالث : إن قرب الرب تعالى إنما ورد خاصًّا لا عاماً، وهو نوعان : قربه من داعيـه بالإجـابة، ومن مطيعه بالإنابة، ولم يجيء القرب كما جاءت المعية خاصة وعامـة، فليس في القرآن ولا في السنـة أنَّ الله قريب من كل أحد، وأنه قريب من الكافر والفاجر، وإنما جاء خاصاً كقوله تعالى ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قـريب﴾ فهذا قـريب من داعيه وسـائله به، وقـال تعالى ﴿إن رحمـة الله قريب من المحسنين﴾.
ثم قال : والذي عندي أن الرحمة لما كانت من صفات الله تعالى، وصفاته قائمة بذاتـه، فإذا كـانت قريبةً من المحسنين، فهو قريب سبحانه منهم قَطْعاً، وقد بينَّا أنه سبحانه قريب من أهل الإحسـان ومن أهل سؤاله باجابته.
ويوضح ذلك أن الإحسان يقتضي قـرب العبد من ربـه، فيقرب ربـه منه اليـه باحسـانه، فـإنه من تقرب منه شبراً يتقرب منه ذراعاً، ومن تقرب منه ذراعاً تقرب منه باعـاً، فهو قـريب من المحسنين =

٢٢١ ـ وقد قال أحمد في قوله تعالى ﴿ما يكونُ مِن نَجْوَى ثلاثةٍ إلا هو رابعُهُم﴾ (المجادلة: ٧) هي علمه لأنَّه افتتح الآية بالعلم فقال ﴿أَلَمْ تَرَ أنَّ الله يَعلمُ﴾ وختمه بالعلم، فقال ﴿إنَّ الله بكلِّ شيء عليم﴾[٥].

وأما قوله تعالى ﴿ثم دنى فَتَدَلَّى فكان قاب قوسين﴾ (النجم: ٨ ـ ٩) فظاهره يقتضي دُنُوَاً من الذات لأن القصد بذلك كرامته.

٢٢٢ ـ وقد روى ابن بطة باسناده عن ابن عباس في قوله (قاب قوسين) قال: مقدار قوسين[٦].

٢٢٣ ـ وحكى أبوبكر الخلال عن عبدالله حدثني هناد بن السري قال نا أبوالأحوص عن عطاء بن السائب عن ميسرة في قول الله تعالى لموسى عليه السلام ﴿وقرَّبناهُ نَجيًّا﴾ (مريم: ٥٢) قال: أُدْني حتى سمع صريف القلم في الألواح[٧].

= بذاته ورحمته قرباً ليس له نظير، وهو مع ذلك فوق سمواته على عرشه، كما أنه سبحانه يقرب من عباده في آخر الليل وهو فوق عرشه، ويدنو من أهل عرفة عشية عرفة، وهو على عرشه، فإن علوه على عرشه من لوازم ذاته، فلا يكون قط إلا عالياً، ولا يكون فوقه شيء البتة، كما قال أعلم الخلق «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء» وهو سبحانه قريب في علوه، عالٍ في قربه، كما في الحديث الصحيح عن أبي موسى الأشعري قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر فارتفعت أصواتنا بالتكبير، فقال: «أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصّم ولا غائباً، إنَّ الذي تدعونه سميع قريب، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» اهـ (من مختصر الصواعق ٢/٢٦٧ ـ ٢٧١ باختصار، وانظر شرح حديث النزول لشيخه ابن تيمية (ص ١٢٤ ـ ١٤٣)).

(٥) روى حنبل بن اسحاق في كتاب «السنة» نحوه، كما في «شرح حديث النزول» (ص ١٢٧) وهو في مجموع الفتاوي لابن تيمية (٥/٤٩٦)).

(٦) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٦٤٥) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٧) أخرجه هناد في الزهد (١/١١٨) عن أبي الأحوص به. ميسرة هو أبوصالح مولى كنده كوفي، لم يوثقه الا ابن حبان، وقال الحافظ في التقريب: مقبول.
وأخرجه أيضا (١/١١٩) عن أسباط عن عطاء به.
وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦/٧٠) حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء به، ابن حميد هو محمد الرازي ضعيف.
وعزاه السيوطي في الدر (٥/٥١٥) إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

٢٢٤ ـ قال أبوبكر عبدالعزيز في تعاليق أبي اسحق عنه قوله: حتى سمع صرير القلم على النون والراء وما أشبهه، قال ومن روى صريف القلم يقول على الكاف وما أشبه ذلك، لأنَّ صريفه في رجوعه إلى وراء وصريره في مجيئه إلى بين يديه.

وأما قوله «من قرب شِبْراً قربت منه ذراعاً» فالمراد به التقريب من رحمته وكرامته، لأنَّه روى ذلك مُفسراً في بعض ألفاظ الحديث، رواه أبوهريرة عن النبي ﷺ قال: «من جاء يمشي أقبل الله إليه بالخير يُهرول»(٨) فقد ورد التفسير من النبي ﷺ في ذلك، فلهذا قضينا بالمطلق منه على المقيد، والكلام على هذا الخبر يأتي مستوفى.

---

(٨) لم أجد هذه الرواية.

[اثبات صفة العلو لربنا تبارك وتعالى]

«حـــديثٌ آخــر»

٢٢٥ ـ ناه أبوالقسم عبدالعزيز بإسناده عن معاوية بن الحكم قال: كانت لي جارية ترعى غنماً في قبل أُحُدٍ والجوَّانيَّة، فاطَّلعتها ذات يوم فإذا الذيبُ قد ذَهَبَ بشاةٍ من غنمها، وإني رجل من بني آدم آسف كما يـأْسَفُون لكني غضبت فصككتُها صكَّة، فأتيتُ النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فعظَّم ذلك عليَّ، فقلت يا رسول الله: ألا أُعْتِقُها، قال: «ائتني بها»، فأتيته بها، فقال لها «أين الله» قالت: في السَّماء، قال: «فمن أنا» قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»[(١)].

اعلم أنَّ الكلام في هذا الخبر في فصلين: أحدهما: في جواز السؤال عنه سبحانه بأين هو، وجواز الإخبار عنه بأنَّه في السماء.

والثاني قوله «اعتقها فإنها مؤمنة».

أما الفصل الأول فظاهر الخبر يقتضي جواز السؤال عنه، وجواز الإخبار عنه بأنه في السماء، لأنَّ النبي ﷺ قال لها «أين الله» فلولا أنَّ السؤال عنه جائز لم يسأل وأجابته بأنه في السماء وأقرَّها على ذلك، فلولا أنَّه يجوز الإخبار عنه سبحانه بذلك، لم يُقرها عليه.

٢٢٦ ـ ونظير هذا الحديث ما رواه أبورزين قال قلت: يا رسول الله أين كان ربُّنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: «في عماء»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٥/٤٤٧ ـ ٤٤٨) ومسلم (١/٣٨١ ـ ٣٨٢) عن اسماعيل بن ابراهيم عن حجّاج بن أبي عثمان الصواف عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السُّلمي وأوله: بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله ! . . .» الحديث.

(٢) يأتي تخريجه والكلام عليه.

فأجاز السؤال وأجاب عنه.

٢٢٧ ــ وقد أطلق أحمد القول بذلك فيما خَرَّجه في «الرد على الجهمية» فقال: قد أخبرنا أنه في السَّماء فقال **﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾** (تبارك: ١٦ ـ ١٧) وقال عزّ وجل **﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾** (فاطر: ١٠) وقال **﴿إني متوفيك ورافعك إليَّ﴾** (آل عمران: ٥٥) وقال **﴿بل رفعه الله إليه﴾** (النساء: ١٥٨) وقال **﴿يخافون ربَّهم من فوقهم﴾** وقال **﴿ذي المعارج﴾** (المعارج: ٣) وقال **﴿وهو القاهر فوق عباده﴾** (الأنعام: ١٨، ٦١) فقد أخبر الله سبحانه أنَّه في السَّماء، وهو الله على العرش.

فقد أطلق أحمد القول بذلك، واحتج بهذه الآيات على جواز القول به، وسنعيد الكلام في موضع آخر إن شاء الله[1]، ولأنه ليس في ذلك ما يُحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، وذلك أنَّا لا نقول هو في السماء على وجه الإحاطة، بل نطلق ذلك كما أطلقنا جواز رؤيته، لا على وجه الإحاطة وإن لم يكن ذلك معقولاً في الشاهد، وكما قالوا في قوله **﴿على العرش﴾** معناه: عال عليه، ولم يُوجب ذلك كونه في جهةٍ وإنْ كُنَّا نعلم أنَّ العُلْو غير السفل.

فإن قيل: لا يجوز السؤال عنه بأين هو لأنه ليس في جهة، وإنما يصح السؤال عمَّن هو في جهة، ولا يصح الجواب عنه بأنه في السماء، لأن في حقيقته[2] للظَّرف والوعاء ولا يجوز وصفه بذلك.

قيل: هذا غلطٌ لأنَّه لا يمتنع جواز السؤال عنه، ولا يُفضي إلى الجهة، وجواز الجواب عنه بأنه في السماء[3]، لا يُفضي إلى الوعاء كما جاز إطلاق القول بأنه عالٍ على العرش ولم يُفْض إلى الجهة، وإنْ كُنّا نعلم أنَّ العلو غير السفل، وكذلك جاز القول برؤيته لا في جهة وإنْ لم يكن مرئياً في الشاهد إلا في جهة،

---

(١) في الأصل: إنشاء الله.

(٢) في الأصل: في حقيقة، وهو خطأ.

(٣) في الأصل: بأنه في السماء ولا يفضي، والواو زائدة.

كذلك ها هنا، وكذلك الحركة في الجسم، وإنْ لم تكن حالة فيه.

فإن قيل: هـذه اللفظة قـد تستعمل في السؤال عن المكـان فيقال: هـو في البيت أم في المسجد؟ وتستعمل في الإستعلام عن المنزلـة فيقال: أين فـلان منك ومن الأمير؟ وقد تستعمل في الإستعلام للفرق بين الـرُّتْبتين فيقـولون: أين فـلان من فلان، يعني بذلك، في الرّتبة والمنزلة فيحتمل أن يكون قوله أين الله استعلاماً لمنزلته وقدره عندها، وفي قبلها، وأشارت أنه في الَّسـماء، أي رفيع الشـأن عظيم المقدار، على معنى قوله القائل إذا أراد أن يخـبر عن منزلـة رجل: منـزلة فـلان في السماء، أي هو رفيع الشأن(٣).

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّ الحقيقة في هذه اللفظة أنها استفهام عن المكـان دون المنزلة والرتبة، وإنمَّا تُستعمل في ذلك على طـريق المجاز فكـان حملها عـلى الحقيقة أولى.

وجوابٌ آخر: وهو أنَّه لو كان استفهاماً عن المنزلة لأنْكر عليها جـوابها بمـا يرجع إلى غير ما سألها، فلمَّا لم يُنكر ذلك امتنع صحة هذا التأويل.

وجـوابٌ آخر: وهـو أن الأَمـة كـانت من الـطغـام(٤)، ولا يُضـاف إليهـا المعرفة بحمل المكان على الرِّفعة وعُلو المنزلة.

فـإن قيل: فـإذا لم يكن سؤالاً عن المنزلـة لم يَبْقَ إلا أنَّه سؤالٌ عن المكـان، وأنتم لا تُثْبِتُون ذلك.

قيـل: بل هـو سؤالٌ عن كونـه في السَّماء لا عـلى وجه الحلول. فـإن قيل: يحتمـل أن يكون قـولها في السـماء معناه: فـوقهـا، كـما قـال تعـالى **﴿فسيحـوا في الأرض﴾** (التوبة: ٢) معناه عليها، وكذلك قـوله تعـالى **﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾** (طه: ٧١) معناه عليها يُبَينِّ صحة هـذا قولـه تعالى **﴿يخَـافُون ربهم من فوقهم﴾** (الأنعام: ١٨، ٦١) فـوَصَفَ نفسه بـذلك وقـوله **﴿وهـو القاهـر فوق**

---

(٣) انظر «مشكل الحديث» لإبن فورك (ص ٥٨).
(٤) الطَغَام هم أراذل الناس وأوغادهم (اللسان ٤/٢٦٧٧).

عباده﴾ (الأنعام: ١٨، ٦١) فدلَّ على أنَّه فوق السماء وفوق ما خلق(٥).

قيل: هذا غلطٌ لوجوه أحدها: أنَّ هذا يُسقط فائدة التخصيص بالسَّماء، لأنَّه فوق الأشياء كلها فلا معنى لتخصيصه بالسماء، إذا كان المراد به الفوق.

الثاني: أنَّه إنْ جاز أن يُطْلق القول بأنَّه فوقَ السماء فوق العرش، ولا يُفضي إلى الجهة وإنْ كنا نعلم أنَّ الفوق ضد السفلَ جاز إطلاق القول بأنه في السماء ولا يفضي إلى الجهة.

الثالث: إنما يجب الإمتناع من ذلك لو كُنا نقول ذلك على وجه الحد والظَّرف، فأمَّا ونحن نمتنع من ذلك لم يمتنع إطلاق ذلك عليه.

فإن قيل: إن جاز أن تُطلقوا هذا القول، وأنه في السماء لا على وجه الإحاطة والجهة، فأطلقوا القول في الأرض وفي كل مكان، لا على وجه الإحاطة والجهة، كما أطلقه النَّجَّار(٦) وجماعة من المعتزلة، بمعنى أنه مُدَبِّرٌ فيها وعالمٌ بها، كقولهم: فلانٌ في نبا(٧) داره، معناه: مدبر لها.

---

(٥) هذا الوجه صحيح، فإن «في» تأتي في اللغة بمعنى «على».

قال ابن عبدالبر رحمه الله في التمهيد (٧/ ١٣٠): وأما قوله تعالى **﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم﴾** تبارك: ١٦، فمعناه من على السماء يعني: العرش، وقد يكون في بمعنى على، ألا ترى إلى قوله تعالى **﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾** التوبة: ٧٢ أي: على الأرض، وكذلك قوله **﴿ولأصلبنكم فى جذوع النخل﴾** طه: ٧١، وهذا كله يعضده قوله تعالى **﴿تعرج الملائكة والروح اليه﴾** المعارج: ٤، وما كان مثله مما تلونا من الآيات في هذا الباب ا هـ.

(٦) هو الحسين بن محمد بن عبدالله النجَّار الرازي، أبوعبدالله، رأس الفرقة «النجّارية» من المعتزلة، وإليه نسبتها، وهو من متكلمي «المجبرة» وله مع النّظام عدة مناظرات، وأكثر المعتزلة في الري وجهاتها من «النّجارية»، وهم يوافقون أهل السنة في مسألة القضاء والقدر، واكتساب العباد، وفي الوعد والوعيد، وإمامه أبي بكر، ويوافقون المعتزلة في نفي الصفات، وخلق القرآن وفي الرؤية قبحهم الله.

له كتب منها «البدل» في الكلام، و«المخلوق»، و«الأرجاء» وغيرها.

(أنظر الفهرست (ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥)، مقالات الاسلاميين (ص ٢٨٣ ـ ٢٨٥)، الملل والنحل (١/ ٨٨ ـ ٩٠)، الاعلام (٢/ ٢٥٣)).

(٧) النَّبْوُ العُلُوُّ والارتفاع، وقد نبا، والنَّبْوَة والنَّباوةُ والنَّبِيُّ: ما ارتفع من الأرض، قاله ابن سيده (اللسان ٦/ ٤٣٣٣).

قيل: هذا غلط لأننا لا نُطلق من ذلك إلا ما ورد به السَّمْعُ، والسمع وَرَدَ باطلاق ذلك في السماء وعلى العرش، ولم يرد في غير ذلك.

فإن قيل: قد ورد القرآن بذلك قال تعالى ﴿**وهو الله في السموات وفي الأرض**﴾ (الأنعام: ٣) وقال تعالى ﴿**ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم**﴾ (المجادلة: ٧).

قيل: في هذه الآيات ما دل على أنَّه ليس المراد به الذَّات، لأنَّه قال ﴿**وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم**﴾ فأخبر أنه يعلم سِرَّنَا وجَهرنا الواقعين في السموات والأرض، إذ هي مَحَالُّ السِّرِّ والجهر، ولهذا لا يجوز الوقف على قوله ﴿**وهو الله في السموات وفي الأرض**﴾ وإنما الوقف على قوله ﴿**وهُو الله في السموات**﴾[8]، وكذلك قوله ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم**﴾ معناه علمه بسرنا وجهرنا.

فإن قيل: فيجب أن تحمل قوله ﴿**وهو الله في السَّموات**﴾ على العلم كما حملت قوله ﴿**وفي الأرض**﴾ على العلم.

قيل: الآية هكذا تقتضي أنَّ المراد بها علمه ما في السموات وفي الأرض، ونحن لسنا نمنع أنْ يكون علمه مافي السموات وفي الأرض، لأنَّ في الآية قرينة

---

(٨) قال ابن كثير (٢/١٢٣): اختلف مفسرو هذه الآية على أقوال بعد اتفاقهم على إنكار قول الجهمية القائلين ـ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ـ بأنه في كل مكان، حيث حملوا الآية على ذلك.
فالأصح من الأقوال أنه المدعو الله في السموات وفي الأرض، أي يعبده ويوحده ويقرُّ له بالإلهية من في السموات ومن في الأرض، ويسمونه الله، ويدعونه رغباً ورهباً، إلا من كفر من الجن والإنس.
وهذه الآية ـ على هذا القول ـ كقوله تعالى ﴿**وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله**﴾ أي هو إله من في السماء وإله من في الأرض، وعلى هذا فيكون قوله ﴿**يعلم سركم وجهركم**﴾ خبراً أو حالاً.
والقول الثاني: أن المراد أنه الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض من سر وجهر، فيكون قوله (يعلم) متعلقاً بقوله ﴿**في السموات وفي الأرض**﴾ تقديره: وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض ويعلم ما تكسبون.
والقول الثالث: أن قوله ﴿**وهو الله في السموات**﴾ وقف تام، ثم استأنف الخبر فقال ﴿**وفي الأرض يعلم سركم وجهركم**﴾ وهذا اختيار ابن جرير أ هـ.

دلَّتْ على العلم، وغيرها من الآيات والأخبار مُطْلقة ليس فيها ما دلَّ على العلم، فحملناها على ظاهرها، على وجه لا يفضي إلى الحدِّ والجهة.

٢٢٨ ــ وقد روى أبوطالب محمد بن محمد بن غيلان في جملة حديثه عن الشافعي باسناده عن عبدالله بن الحسين المصيصي قال: دخلت طَرْسُوس، فقيل لي هاهنا امرأة قد رأت الجنَّ الذين وَفِدُوا إلى النبي ﷺ، فأتيتُها فإذا هي امرأة مستلقية على قفاها، فقلت: رأيت أحداً من الجنِّ الذين وفدوا إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم، حدثني عبدالله[1] سمحج قال قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: «على حوت من نور يتلجلج في النور»[9] وذكر بقية الخبر وهو وإنْ كان غريباً، فإنه يَعْضُدُه ما تقدم من الأخبار.

ورأيت في كتاب أبي موسى النحوي المعروف «بالحامض»[10] عن ثعلب

---

(١) في الأصل: عبدالله بن سمحج، وهو خطأ.

(٩) ضعيف، أخرجه أبوبكر الشافعي في الغيلانيات (ورقة ٧٥ ب) حدثني الفضل بن الحسن أبوالفضل الأهوازي حدثني عبدالله بن الحسين المصيصي قال؛ دخلت طرسوس . . . فذكره، وسمى المرأة: منوس.
وبقية الحديث: قال قلت لها: أسمعت منه شيئا غير هذا؟ قالت: نعم حدثني عبدالله سمحج قال سمعت النبي ﷺ يقول: «ما من ميت يُقرأ عنده سورة «يسٓ» الا مات ريَّاناً، وأدخل قبره ريانا، وحُشر يوم القيامة ريانا. قال قلت لها: أسمعت منه شيئاً غير هذا؟ قالت: نعم، حدثني عبدالله سمحج قال سمعت النبي ﷺ يقول: «ما من رجل يصلي صلاة الضحى ثم تركها، إلا عُرج بها إلى الله فقالت: إن فلاناً حفظني فاحفظه، وإن فلاناً ضيعني فضيعه».
قلت: وفي اسناده عبدالله بن الحسين بن جابر البغدادي، سكن المصيصة، قال ابن حبان في «المجروحين» (٢/٤٦): يقلب الأخبار ويسرقها، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد ا هـ.
والحديث عزاه الحافظ في «الإصابة» (٢/٧٨) إلى الدارقطني في الأفراد والشيرازي في الألقاب والطبراني في الكبير.

(١٠) هو سليمان بن محمد بن أحمد النحوي البغدادي أبوموسى، المعروف بالحامض، من العلماء باللغة والشعر، من تلاميذ ثعلب، وهو المقدم من أصحابه، كان ضيق الصدر سيء الخلق فلقب بالحامض.
له عدة تصانيف منها: كتاب «خلق الإنسان»، وكتاب «السبق والنضال»، كتاب «النبات» وغيرها. توفي سنة ٣٠٥ هـ.
(تاريخ بغداد (٩/٦١)، وفيات الأعيان (٢/٤٠٦)، نزهة الألباء (١٨١ ـ ١٨٢) الاعلام (٣/١٣٢)).

أنه قال قولهم: في السماء بيته، كقولك مقصده ورجاء ثوابه وإجابته، وهذا يُسقط فائدة التخصيص بالسماء، لأن رجاء ثوابه وإجابته يرجى في كل حال.

«حـــديثٌ آخـــر»

٢٢٩ ــ ناه أبوالقسم باسناده عن أبي رزين قال قلت يا رسـول الله: أين كان ربُّنـا قبـل أن يخلق السَّموات والأرض؟ قـال: كان في عـماء ما فـوقه هـواء و ما تحتـه هواء، ثم خَلَق العرش على الماء»[11].

٢٣٠ ــ وروى أبوبكر النجـاد باسنـاده عن أبي رزين قال قلت: يـا رسول الله أين كان ربنا قبل يخلق خلقه؟ قال: «كان في عـماء ما تحتـه هواء ثم خلقَ عـرشه عـلى الماء». ورواه أبوعبـدالله بن بطة بـاسناده عن أبي رزين قـال قلت: يا رسـول الله أين كان ربُّنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «على عماء، تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء».

قـال أبوعبيـد: قولـه «في عماء» العـماء في كلام العـرب السحـاب[1] قـال الأصمعي وغيره: وهو ممدود، قال: وإنما تأولنـا هذا الحـديث على كـلام العرب المعقول عنهم[2] ولا ندري كيف كان ذلك العَماء وما مبلغه.

---

(١) في غريب الحديث: السحاب الأبيض.
(٢) في الأصل: عنه وهو خطأ، والتصويب من غريب الحديث.

(١١) ضعيف، أخـرجـه الـطيـالسي (١٠٩٣) وأحمـد (٤/١١، ١٢) وابنــه عبــدالله في «السنــة» (١/٢٤٥ ـ ٢٤٦) وابن أبي عـاصم في «السنـة» (١/٢٧١ ـ ٢٧٢) وابن أبي شيبـة في «العـرش» (٧ ـ بتحقيقي) والـترمـذي (٥/٢٨٨) وابن مـاجـة (١/٦٤ ـ ٦٥) والبيهـقي في «الأسـماء» (ص ٣٧٦ ـ ٤٠٧) عن حمـاد بن سلمة عن يعلى بن عـطاء عن وكيـع بن حـدس عن أبي رزين العقيلي به.
وفيه: وكيع بن حدس، ويقال: عدس، قال ابن القطان مجهول وقال الذهبي: لا يعـرف، تفرد عنه يعلى بن عطاء.

قال: وأمّا العمى في البصر فإنه مقْصُور، وليس هو من معنى(٣) الحديث في شيء.

اعلم أنَّ هذا الحديث يدلّ على جواز إطلاق السؤال عنه سبحانه بأين هو، ويدلُّ على جواز الإخبار عنه بأنه كان في عَمَاءَ، لا على وجه الإحاطة والجهة كما أجزنا رؤيته لا على وجه الجهة.

فإن قيل: قوله «في عماء» يحتمل أن يكون فوق عماء.

قيل هذا غلط، لما بينّا من فساد هذا السؤال في الخبر الذي قبله.

ورأيت في كتاب أبي موسى النحوي المعروف بالحامض رواية السوسنجردي(١٣) قلت لأبي العباس في مسئلة النبي ﷺ أين كان ربنا، أليس في المكان قال: فيما يستفهم الجاهل وبأي شيء يسئل إذا أراد علم شيء جهله لابد من هذا، ويكون الجواب على حسب ذلك، ألا ترى قوله «كان في عماء» وفي عما، فالممدود هو الغيم الرقيق والمقصود أي كان في عماء علينا لا ندري.

وهذا من ثعلب دلالة على جواز السؤال عنه بالأينية وإن كانت للمكان.

---

(٣) في الغريب: هذا الحديث.

(١٢) غريب الحديث (٢/٨ - ٩).

(١٣) هو أحمد بن عبدالله بن الخضر بن مسرور أبوالحسين المعدل، المعروف بابن السوسنجردي (وقع في الأصل بالزاي وهو خطأ)، سمع أباعمرو بن السماك والنجاد وغيرهما، قال الخطيب: كان ثقة مأمونا دينا مستورا حسن الاعتقاد، شديدا في السنة، وسمعت من يذكر عنه أنه اجتاز يوما في سوق الكرخ، فسمع سبّ بعض الصحابة، فجعل على نفسه أن لا يمشي قط في الكرخ، مات سنة ٤٠٢ هـ. (تاريخ بغداد (٤/٢٣٧)، طبقات الحنابلة (٢/١٦٨ - ١٦٩)).

«حديـــث آخـــر»

٢٣١ ــ ذكره ابن فُورك ولم يقع لي طريقه عن أنس بن مالك قال: كان جبريل عند النبي ﷺ فأتاه ملك فقال: أين تركت ربنا؟ قال: في سبـع أرضين، فجـاءه آخر فقال: أين تركت ربنا؟ قال: في سبـع سموات، فجـاءه آخر فسـأله مثـل ذلك، فقال في المشرق وآخر فسأله: أين تركت ربنا؟ قال في المغرب[١٤].

فإن صح هذا الخبر حمل على أن علمه بسرنا وجهرنا الواقعين في السمـوات والأرض والمشرق والمغرب، وإنما وجب حمل هذا الخبر على هذا لما تقـدم من نصّ القرآن والأخبار الصحاح أنه في السماء مستوي على عرشه بائن من خلقه.

(١٤) «مشكل الحديث» (ص ٦٠) ولم أقف عليه مسنداً.

[إثباتُ صِفَة الفَرَح لربِّنا جلَّ شأنه]

«حديثٌ آخر»

٢٣٢ ـ ناه أبوالقسم باسناده عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لله عزّ وجل أشدُ فرحاً بتوبة عبده من أحدكم يَسقطُ على بعيره وقد أضلَّه بأرض فلاة»(١).

٢٣٣ ـ أخبرناه أيضاً بإسناده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «الله جل اسمه أشدُّ استبشاراً بتوبة أحدكم، من أحدكم بضالَّته بفلاةٍ من الأرض، عليها سِقَاؤه ومتاعه وما يصلحه»(٢).

٢٣٤ ـ وناه بإسناده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «لا يُوَطِّن رجلٌ مسلم المساجد للصلاة وللذكر، إلا تَبَشْبَشَ(١) الله به حين يخرج من بيته، كما يَتَبَشْبَشُ أهل الغائب بغائبهم»(٣). اعلم أنَّ الكلام في الفرح والاستبشار قريبٌ من

---

(١) في الأصل: استبشر وفي الموضع الثاني يستبشر، وهو مخالف لنص الحديث عند جميع من أخرجه.

---

(١) أخرجه البخاري (١١/١٠٣) ومسلم (٤/٢١٠٥) عن همام حدثنا قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال فذكره. وأخرجه مسلم (٤/٢١٠٤ ـ ٢١٠٥) بسياق أطول عن عكرمة بن عمار حدثنا اسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة حدثنا أنس بن مالك مرفوعا به.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ.
وإنما أخرجه مسلم (٤/٢١٠٢) عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ «لله أشدُّ فرحا بتوبة أحدكم، من أحدكم بضالَّتِهِ إذا وجدها».
وله عنده طريق آخر فقد أخرجه (٤/٢٠١٢) عن معمر عن همام عن أبي هريرة مرفوعا بمعناه.

(٣) حديث صحيح، أخرجه الطيالسي (٢٣٣٤) وأحمد (٢/٣٢٨) وابن ماجة (١/٢٦٢) وابن خزيمة في صحيحه (٢/٣٧٩) وابن حبان (٣/٦٧) (٤/٢١) والحاكم (١/٢١٣) من طرقٍ عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة مرفوعا به، وزادوا في آخره: إذا قدم عليهم.
قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
وقال البوصيري في الزوائد (١/٢٨١): هذا اسناد صحيح.

=

الكلام في الحديث الذي تقدَّم في الضحك، والقول فيه كالقول في ذلك(٤).

وقد حكينا كلام أحمد في ذلك، والأخذ بظاهر الحديث من غير تفسير كذلك هاهنا، إذ ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، لأنَّا لا نثبت فرحاً هو السرور لأنه يقتضي جواز الشهوة والحاجة عليه، ومن قوله تعالى ﴿**حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها**﴾ (يونس: ٢٢) أي سَرُّوا بها، ولا نثبت أيضاً فرحاً هو البطر والأشر لأنهما لا يليقان بالله عز وجل ومنه قوله تعالى ﴿**ولا تَفْرَحُوا بما آتاكم**﴾ (الحديد: ٢٣) وقوله ﴿**إنَّ الله لا يُحب الفرحين**﴾ (القصص: ٧٦) وقوله ﴿**إنه لفرح فخور**﴾ (هود: ١٠) يعني بذلك فَرَحَ البَطَر والأَشَر، بل نُثبت ذلك صفة، كما أثبتنا صِفَة الوجه واليدين والسمع والبصر، وإنْ لم نَعْقِل معناه، ولا يجب أنْ يُسْتَوحش من إطلاق مثل هذا اللفظ إذا ورد به سمع، كما لم يستوحش من إطلاق ذلك في غيره من الصفات.

فإن قيل: معنى الفرح ها هنا معنى الرضا ومن قوله تعالى ﴿**كل حزب بما لديهم فرحون**﴾ (المؤمنون: ٥٣) أي: راضون، لأنَّ من سُرَّ بالشيء فقد رَضِيَه، ويقول هو فرح به بمعنى هو راضٍ به فيكون معناه: أنَّ من وَفَّقَه الله للتوبة من معاصيه، فقد رضي أن يكون مُثَاباً على الخير مقبولا منه الطاعة والعبادة(٥).

= قلت: وهو كما قالوا.

وقد رواه الليث بن سعد عن المقبري عن أبي عبيدة عن سعيد بن يسار به، فزاد أباعبيدة في الإسناد.

رواه أحمد (٢/٤٥٣) والدارمي في «النقض» (ص ٢٠٣) والبيهقي في «الأسماء» (ص ٤٧٨ ـ ٤٧٩)، وذكره الحاكم تعليقاً (١/٢١٣).

وأخرجه ابن قتيبة في «غريب الحديث» (١/٤١٤) عن ابن وهب عن رجل عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعا به. وفيه رجل لم يسم.

(٤) وهو الصواب، أن تثبت الصفة كما جاءت، ولا تفسر بلوازمها كما سيأتي النقل عن ابن فورك وغيره.

(٥) انظر «مشكل الحديث» لابن فورك (ص ٦٤).

ونقل البيهقي في الأسماء (ص ٤٧٧) عن الخطابي نحوه، ونقله عن أبي الحسن علي بن محمد الطبري (ص ٤٧٧ ـ ٤٧٨) ونقل نحوه الحافظ في الفتح (١١/١٠٦) عن الخطابي وابن أبي حمزة والقرطبي في «المفهم».

قيل: هذا غلطٌ لأن هذا القائل عنده أنَّ الرضا بمعنى الإرادة، وإرادة الله سبحانه لا تختص ما ذكر في الخبر من التوبة، لأنَّ ضد التوبة مما كان عليه قبل ذلك، كان الله مُريداً له، على أنه لا يمتنع أن يكون معنى ذلك ما قالوه وكذلك القول في البَشْبَشَة، لأنَّ معناه يُقارب معنى الفرح، والعرب تقول: رأيتُ لفلان بَشَاشَةً وهشاشةً وفرحاً، ويقولون: فلانٌ هشٌ بشٌ فرحٌ، إذا كان منطلقاً[(٦)]، فيجوز إطلاق ذلك كما جاز إطلاق الفرح.

وقد ذكر ابن قتيبة هذا الحديث في كتاب «الغريب» وقال قوله «يبشبش» من البشاشة وهو يتفعَّل[(٧)].

فحمل الخبر على ظاهره ولم يتأوله.

---

(٦) الصحاح (٣/ ٩٩٦)، وفيه: قال يعقوب يقال: لقيته فَتَبَشْبَش بي، وأصله تَبَشَّشَ، فأبدلوا من الشين الوسطى فاء الفعل، كما قالوا: تجفجف.

(٧) «غريب الحديث» (١/ ٤١٤)، وفي الأصل: تفعل، والتصويب من الغريب.

[إثبات صفة العجب لربنا تبارك وتعالى]

«حَديــثٌ آخــر»

٢٣٥ ــ رواه أبوعبدالله بن بطة باسناده عن أبي هريـرة عن النبي ﷺ قال: «عجب الله عزَّ وجلَّ من قومٍ جيء بهم في السَّلاسل حتى يُدخلهم الجنة»(١).

٢٣٦ ــ وروواه بإسناده عن ابن مسعـود قال قـال رسول الله ﷺ: «عجب ربّنـا من رجلين: رجُـلٌ ثَارَ عن وِطـائـه ولحـافـه من بـين حِبِه وأهله إلى صـلاتـه، طلب ماعندي، ورجلٌ غزا في سبيـل الله فانهزم أصحـابه، فعَلِمَ مـا عليه في الإنهزام، وماله في الرُّجُوع، فَرَجَعَ حتى هُرِيق دمه، فيقول الله لملائكته: انْظُروا إلى عبـدي رَجَعَ رغبةً فيما عندي، وشفقةً من عذابي، حتى هُرِيق دمه»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٤٥٧) والبخاري (٦/١٤٥) عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريـرة مرفـوعا به.

وتابعه حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عند أحمد (٢/٣٠٢، ٤٠٦) وأبي داود (٣/١٢٧).

وله طريق آخر عند أحمد (٢/٤٤٨) فقد رواه عن كامل أبوالعلاء سمعت أباصالـح عن أبي هريـرة مرفوعا به.

وسنـده حسن، كامـل هو ابن العـلاء، وثقة ابن معـين ويعقـوب بن شيبـة وقـال النسـائي: ليس بالقوي، وقال في موضع آخر: ليس به بأس، وقال الحافظ: صدوق يخطىء.

(٢) صحيح، أخرجه أحمد (١/٤١٦) (٣٩٤٩ ـ طبعة شاكـر) وأبوداود (٣/٤٢ ـ ٤٣) (القسم الثـاني من الحـــديث فقط) وابن أبي عـاصم في «السنـــة» (١/٢٤٩) والـدارمي في «النقض» (ص ٢٠٢) وابن حبـان (٤/١١٤ ـ ١١٥) والطبراني في الكبـير (١٠/٢٢١ / ١٠٣٨٣) وأبونعيم في «الحليـة» (٤/١٦٧) والحـاكم (٢/١١٢) (القسم الثاني منـه) وكذا البيهقي في السنن (٩/٤٦)، وأخـرجـه بتـمامـه في مـوضـع آخـر (٩/ ١٦٤) وفي الأسـماء (ص ٤٧٢) والبغـوي في «شرح السنـة» (٤/٤٢ ـ ٤٣) كلهم عن حماد بن سلمة أخبرنا عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعـود مرفوعا به.

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وذكـره الهيثمي في المجمع (٢/٢٥٥) وقـال: رواه أحمد وأبـويعـلى والـطبراني في الكبـير، واسنـاده حسن.

وقال العلامة أحمد شاكر: اسناده صحيح.

قلت: لكن فيه عطاء بن السائب وقد اختلط، وحماد بن سلمة سمـع منه قبـل الاختلاط، وبعـده قاله العقيلي، وإنما قال الشيخ أحمد شاكـر: صحيح، لكـونه يـرجح أن حمـاد سمع من عـطاء قبل =

٢٣٧ ــ ومن ذلك قول النبي ﷺ: «عَجب رَبُّكَ من شابٍ ليست له صبوة»(٣).

اعلم أنَّ الكلام في هذا الحديث، كالكلام في الذي قبله، وأنَّه لا يمتنع إطلاق ذلك عليه، وحمله على ظاهره إذ ليس في ذلك ما يُحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، لأنَّا لا نُثبت عَجبا هو تعظيم لأمرٍ دَهَمَة استعظمه لم يكن عالماً به، لأنه مما لا يليق بصفاته، بل نُثبت ذلك صفة كما أثبتنا غيرها من صفاته(٤).

= الإختلاط فقط، انظر تعليقه على الحديث (٣٩٥١) من المسند.
لكن له طريق آخر عن ابن مسعود موقوفا يتقوى به.
أخرجه عبدالرزاق (١٠/١٨٥).
والطبراني في الكبير (٩/١٥٩/ ٨٧٩٨) عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة عن ابن مسعود قال: رجلان يضحك الله اليهما: رجل تحته فرس من أمثل خيل أصحابه، فلقيهم العدو فانهزموا وثبت الآخر، إن قُتل قتل شهيداً، فذلك يضحك الله اليه، ورجل قام من الليل لا يعلم به أحد فاسبغ الوضوء وصلى على محمد ﷺ، وحمد الله، واستفتح القراءة، فيضحك الله اليه يقول: انظروا إلى عبدي لا يراه أحد غيري». اللفظ للطبراني قال الهيثمي في المجمع (٢/٢٥٥): وفيه أبوعبيدة ولم يسمع من أبيه.
وأخرجه عبدالرزاق (١٠/١٨٥ ـ ١٨٦) عن سعيد الجريري عن أبي العلاء بن عبدالله بن الشخير عن أبي ذر قال: ثلاثة يستبشر الله اليهم: رجل قام من الليل وترك فراشه ودفاءه، ثم قام يتوضأ فأحسن الوضوء، ثم قام إلى الصلاة فيقول لله للملائكة: ما حمل عبدي على هذا؟ أو على ما صنع؟ فيقولون: أنت أعلم، فيقول: أنا أعلم ولكن أخبروني، فيقولون: خوفته شيئا فخافه، ورجّيته شيئا فرجاه، قال فيقول: فإني أشهدكم أني قد أمّنته مما خاف، وأعطيته ما رجا، ورجل كان في سرية فلقي العدو. . .» الحديث.
قلت: واسناده صحيح، الجريري وإن كان قد اختلط لكن سماع معمر منه قبل الاختلاط.

(٣) حسن، أخرجه (٤/١٥١) وأبو يعلى (٣/٢٨٨) والطبراني في الكبير (١٧/٣٠٩) والبيهقي في «الأسماء» (ص ٤٧٦) عن قتيبة بن سعيد عن ابن لهيعة عن أبي عشانة عن عقبة بن عامر مرفوعا به.
وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/٢٧٠) وقال: رواه أحمد وأبو يعلي والطبراني، وإسناده حسن.
قلت: وإسناده حسن، فابن لهيعة قد روى عنه قتيبة بن سعيد وحديثه عنه صحيح، ففي «شرح العلل» لابن رجب (ص ١٣٨): قال قتيبة قال أحمد: أحاديثك عن ابن لهيعة صحاح، قلت: لأنا كنا نكتب من كتاب عبدالله بن وهب ثم نسمعه من ابن لهيعة اهـ.
ورواية ابن وهب عنه صحيحة كما هو معلوم لأنه من العبادلة.
ورواه عن ابن لهيعة كامل بن طلحة وهشام بن عمار أخرجه ابن أبي عاصم (١/٢٥٠) (عن هشام وحده)و ابن عدي في «الكامل» (٤/١٤٦٥ ـ ١٤٦٦).

(٤) قلت: وهو الصواب الذي عليه سلف الأمة، أن تثبت الصفات كما جاءت دون تأويل.

فإن قيل: المراد به تعظيم ذلك وتكثيره عند أهله حثّاً على فعلها، وترغيباً في المبادرة اليها، ويحتمل أن يكون المراد به الرِّضا له والقبول، لأنَّ من أعجبه الشيء فقد رَضِيَه، ولا يصح أنْ يَعجب مما يُسخطه ويكرهه.

٢٣٨ ـ وقد أومىء أبوعبدالله بن بطة إلى هذا في كتاب «الإبانة» فقال: التعجب على ضربين: أحدهما المحبة بتعظيم قدر الطاعة، والسخط بتعظيم قدر الذنب، ومن ذلك قول النبي ﷺ «عجب ربك من شاب ليست له صبوة» أي أنَّ الله مُحِبٌ له راضٍ عنه والتعجب على معنى الاستنكار للشيء ويتعالى عن ذلك، لأنَّ الإستنكار هو الجاهلُ الذي لا يعرف فلما عرفه استنكره[1] وعجب منه.

قيل: الطريق الصحيح ما ذكرنا من حمله على ظاهره، وهو الأشبه بأصول أحمد في نظائره من الأخبار لما بينًا، وهو أنه ليس في ذلك ما يحيل صفاته، وما ذكروه من التأويل لا يصح، لأن الله تعالى راضٍ بذلك قبل وجود هذه الأفعال منهم، ومُعَظِّمٌ لها قبل وجودها، فرضاه وتعظيمه لا يختص ما ذكر في الأخبار، فلم يصح حملها عليه، لأنه حَمْلٌ على مالا يفيد.

فأما قوله «يقادون إلى الجنة بالسلاسل» فقيل فيه أنه يَكرهون الطاعة التي يصلُون بها إلى الجنة، من حيثُ تخالف أهوائهم وشهواتهم، وتكرهها نُفُوسهم من حيثُ تَشُقُّ عليهم، وتصدهم عن الراحات واللذات في الحال، لكنها سائقة لهم إلى الجنة. وهي دَارُ الراحات.

٢٣٩ ـ وقد قال أحمد في رواية الفضل بن زياد[5] وقد سأله عن قول النبي ﷺ «عجب ربكم من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل» قال: هو هذا السبي الذين

---

(١) هو في الأصل: استكبره وفي المواضع السابقة: الاستكبار، وهو خطأ.

(٥) هو أبوالعباس الفضل بن زياد القطان البغدادي، ذكره أبوبكر الخلال فقال: كان من المتقدمين عند أبي عبدالله، وكان أبوعبدالله يعرف قدره ويكرمه، وكان يصلي بأبي عبدالله، فوقع له عن أبي عبدالله مسائل كثيرة، وحدث عنه جماعة منهم: يعقوب بن سفيان الفسوي.
(تاريخ بغداد (١٢/٣٦٣)، طبقات الحنابلة (١/٢٥١ ـ ٢٥٣)).

يسبون فيدخلون في الإسلام، ونحو ذلك نقل أبوالحرث[٦].

٢٤٠ ــ فأمّا قـوله ﴿بـل عجبت ويسخرون﴾ (الصـافات: ١٢)، فقـد رُوي عن ابن مسعود كان يقرأ بضم التاء، وروي عن شريـح إنكار هـذه القراءة[٧]، فـإن

(٦) يؤيد هذا القول ما أخرجه البخاري في التفسير (٨/ ٢٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ آل عمران: ١١٠، قـال: خير النـاس للناس، تـأتون بهم في السـلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام.
قال ابن الجوزي: معناه أنهم أُسروا وقيدوا، فلما عرفوا صحة الإسلام دخلوا طوعاً فدخلوا الجنة، فكان الاكراه على الأسر والتقييد هو السبب الأول، وكأنه أُطلق على الاكراه التسلسل، ولما كان هو السبب في دخول الجنة أقام المسبب مقام السبب (الفتح ٦/ ١٤٥).

(٧) صحيح، أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣٠) وعنه البيهقي في «الأسماء» (ص ٤٧٥) عن أبي زكريا العنبري حـدثنا محمـد بن عبدالسـلام حدثنـا اسحاق بن ابـراهيم أنبأنـا جريـر عن الأعمش عن أبي وائـل شقيق بن سلمة قال: قرأ عبدالله رضي الله عنه ﴿بل عَجِبْتُ ويسخرون﴾، قال شريح: إن الله لا يعجب من شيء، إنما يعجب من لا يعلم، قال الأعمش فـذكرت لابـراهيم فقال: إن شريحاً كان يعجبه رأيه، إنَّ عبدالله كان أعلم من شريح، وكان عبدالله يقرأها (بَل عَجِبْتُ).
قـال الحاكم: صحيـح على شرط الشيخـين ولم يخرجـاه، ووافقه الـذهبي. قلت: وهو كـما قـالا، محمـد بن عبدالسـلام عن ابن بشار أبـو عبدالله النيسـابوري ثقـة، له تـرجمـة في تـذكـرة الحفـاظ (٢/ ٦٤٩). وأخرجه الفرّاء في «معاني القـرآن» (٢/ ٣٨٤) قال حـدثني مِندل بن عـلي العنزي عن الأعمش قال قال شقيق: قرأت شريح.. فذكر نحوه.
واسناده ضعيف لضعف مندل.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٨٢) إلى أبي عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.
وقال ابن جريـر في تفسيره (٢٣/ ٢٩): قـوله ﴿بـل عجبت ويسخرون﴾ اختلفت القـراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قـراء الكوفة ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ بضم التـاء، من عجبت بمعنى بل عـظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكاً وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون.
وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة (بل عجبتَ) بمعنى بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن والصواب من القول في ذلك أن يقـال إنهما قراءتـان مشهورتـان في قرّاء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.
فـإن قال قـائل: كيف يكـون مُصيباً القـارىء بهما مـع اختلاف معنييهـما؟ قيـل: إنهما وإنْ اختلف معنياهما فكل واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد ﷺ ما أعطاه الله من الفضل، وسخر منـه أهل الشرك بالله.
وقد عجب ربُّنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسخر المشركون مما قالوه ا هـ.
وللفراء كلام نفيس جـار على قـاعدة السلف في فهم صفـات الخالق سبحـانه فقـد قال في «معـاني القرآن» (٢/ ٣٨٤): و«العجب» وإن أُسند إلى الله، فليس معنـاه من الله كمعناه من العبـاد، ألا تـرى أنه قـال ﴿فيسخـرون منهم سخـر الله منهم﴾ وليس السُخْـرِيُّ من الله كمعنـاه من العبـاد، =

كانت صحيحة لم يمتنع حملها على ظاهرها، وأنَّ ذلك صفة لله تعالى، على ما ذكرنا في ظاهر الخبر.

فإن قيل: هذا خَرَجَ على طريق المجازاة على عجبهم، لَمَّا أخبر عنهم أنهم عجبوا من الحق لما جاءهم وقالوا هذا شيء عجاب، وهذا شيء عجيب كما قاله القائل:

فنجهل فوق جَهل الجَاهلينا(٨).

وكما قال تعالى ﴿**فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**﴾ (البقرة: ١٩٤) وقال ﴿**وجزاء سيئة سيئة مثلها**﴾ (الشورى: ٤٠)، فسمَّى الثاني باسمها.

قيل: إنما يكون هذا على طريق المجازاة إذا تقدم العجب منهم ولم يجر له ذكر في هذه السورة، وإنما جرى ذكره في سورة صٓ، فلا يخرج هذا مخرج المجازاة، ألا ترى أنَّ المواضع التي استشهدوا بها تقدم ذكر ذلك من جهتهم فخرج الإنكار من الله تعالى على طريق المجازاة.

فإن قيل: المراد به النبي ﷺ فأخبر عن نفسه، والمراد به النبي ﷺ كما قال «مَرِضْتُ فلم تعدني»، وكما قال ﴿**إنَّ الذين يُؤْذُونَ الله**﴾ (الأحزاب: ٥٧) معناه: أولياءه.

قيل: هناك قد دلَّ الدليل على أنَّ هناك مُضمر محذوف، وليس هاهنا ما دل على ذلك، فوجب التمسك بحقيقة اللفظ وهو الإضافة إلى نفسه، وعلى أنَّ في الآية ما يدل على أنَّ ذلك راجع إليه سبحانه لأنَّه عَطَفَه على نفسه بقوله تعالى ﴿**فاستفتهم أهم أشد خلقا أمن خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب**﴾

= وكذلك قوله ﴿**الله يستهزىء بهم**﴾ ليس ذلك من الله كمعناه من العباد، ففي ذا بيان لكسر قول شريح، وإن كان جائزاً لأن المفسرين قالوا: بل عجبت يا محمد ويسخرون هم، فهذا وجه النصب.

(٨) عجز بيت من معلقة عمرو بن كلثوم صدره:
ألا لا يَجْهَلن أحدٌ علينا.
(انظر شرح المعلقات السبع لأبي عبدالله الحسين بن أحمد الزوزني ص ١٠٢).

(الصافات: ١١)، وهذا كله راجع إليه سبحانه ثم عطفه فقال ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ فكان ذلك راجعاً إليه.

«حــديث آخـــر»

٢٤١ ــ ناه أبوالقسم باسناده عن أُبيّ بن كعب قال «لا تَسُبُّوا الرِّيح فإنها من نَفَس الرحمن جلَّ اسمه» وفي لفظ آخر «فإنها من نفس الله جلّ اسمه، فإذا رأيتموها فقولوا: اللهم إنا نسئلك من خيرها وخير ما فيها وخير ما أُرْسِلتْ به، ونعُوذُ بالله من شرها وشر ما فيها وشرِّ ما أُرسلت به»(١).

٢٤٢ ــ وروى ابن بطة في بعض مُكاتباته إلى بعض أصدقائه جواب مسائل سأله عنها باسناده عن جابر قال قال رسول الله ﷺ: «إذا رَأَيتم الريح فَلاَ تَسُبُّوها، فإنها من نفس الرحمن، تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، فسلُوا الله من خيرها

---

(١) حديث صحيح، أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٣٦) والحاكم (٢/٢٧٢) والبيهقي في «الأسماء» (ص ٤٦٣) عن جرير عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن ذر بن عبدالله عن سعيد بن عبدالرحمن بن أبزى عن أبيه عن أُبي موقوفا عليه.
قلت: حبيب مدلس وقد عنعنه، والحديث اختلف في رفعه ووقفه.
فقد خالف محمد بن فضيل جريراً فرواه بهذا الطريق مرفوعاً.
أخرجه أحمد (٥/١٢٣) والترمذي (٤/٥٢١) (وقع في طبعة شاكر: عن زر بدل ذر وهو خطأ) والنسائي في «عمل اليوم» (٩٣٤) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص ٩٣).
قال الترمذي: حسن صحيح.
وأخرجه النسائي في «عمل اليوم» (٩٣٧) عن سهل بن حماد عن شعبة عن حبيب به مرفوعا، وسنده جيد، شعبة يتثبت عن المدلسين.
وأخرجه باسنادين (٩٣٨، ٩٣٩) عن ابن أبي عدي وابن شميل كلاهما عن شعبة عن حبيب به موقوفا.
وأخرجه البخاري في الأدب (٧١٩) وعبدالله في «زوائده على المسند» (٥/١٢٣) عن اسباط عن الأعمش عن حبيب عن سعيد به موقوفا وعن عبدالله مرفوعا.
لكن للحديث شاهد يقويه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه مسلم (٢/٦١٦) والنسائي في «عمل اليوم» (٩٤٠) والبيهقي في سننه (٣/٣٦٠) عن عبدالله بن وهب سمعت ابن جريج يحدثنا عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به....».

واستعيذوا بالله من شَرِّهـا»(٢).

اعلم أنَّ شيخنا أبا عبـدالله ذكر هـذا الحديث في كتـابه، وامتنـع أن يكون على ظاهره في أنَّ الريح صفةٌ ترجع إلى الذات، والأمر على ما قاله، ويكون معناه أنَّ الرحي مما يُفَرِّج الله عزّ وجلّ بها عن المكروب والمغموم، فيكـون معنى النفس معنى «التنفيس» وذلـك معروف في قـولهم: نَفَّسْتُ عن فلان، أي فَـرَّجْت عنه، وكلمت زيـداً في التَّنفيس عن غريمـه، ويقال نفَّس الله عن فـلان كربـة أي فـرَّج عنـه(٣)، وروي في الخبر «من نفَّس عن مكـروبٍ كُربـة نَفَّس الله عنه كـربة يـوم القيـامة»(٤)، وروى في الخـبر أنَّ الله فَرَّجَ عن نبيِّـه بالـريح يـوم الأحـزاب فقـال سبحانه ﴿**فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها**﴾ (الأحزاب: ٩).

وإنما وجب حمل هذا الخبر على هذا ولم يجب تأويل غـيره من الأخبار، لأنَّـه قد روي في الخبر ما يدل على ذلك، وذلك أنَّه قال «فإذا رأيتموها فقولوا اللهم إنَّا نسئلك من خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، ونعوذ بك من شرِّهـا وشرِّ ما فيهـا وشرِّ ما أرسلت بـه» وهذا يقتضي أنَّ فيهـا شرٌّ وأنها مرسلة، وهـذه صفـات المحدثات.

٢٤٣ ـ ونا أبوالقسم باسناده عن أبي هريرة قـال قال رسـول الله ﷺ: «إنَّ الريـح من رَوْحِ الله يبعثها بالرَّحمة ويبعثها بالعذاب فلا تَسُبُوها وسلوا الله خيرها وعـوذوا بالله من شرِّها»(٥).

---

(٢) لم أقف عليه من حديث جابر، ويأتي نحوه من حديث أبي هريرة.

(٣) أنظر الصحاح (٣/٩٨٥) واللسان (٦/٤٥٠٢).

(٤) أخرجه أحمد (٢/٢٥٢) ومسلم (٤/٢٠٧٤) والترمذي (٥/١٩٥ ـ ١٩٦) وابن ماجة (١/٨٢) عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «من نَفَّس عن مؤمن كُربـة من كُرَب الدنيـا، نفس الله عنه كـربة من كُـرب يوم القيـامة، ومن يسَّر عـلى مُعْسِر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، . . .» الحديث.

(٥) صحيح أخرجه أحمد (٢/٢٦٧ ـ ٢٦٨) وأبوداود (٥/٣٢٨ ـ ٣٢٩) عن عبدالـرزاق عن معمر عن الزهري حدثني ثابت بن قيس عن أبي هـريرة قـال: أخذت النـاس ريح بـطريق مكة، وعمـر بن الخطاب حاج، فاشتدت عليهم، فقال عمر لمن حـوله: من يحـدثنا عن الـريح؟ فلم يـرجعوا إليـه شيئـاً، فبلغني الذي سـأل عنه عمـر من ذلـك، فـاستحثثت راحلتي حتى أدركتـه فقلت: يـا أمـير =

وقوله «فإنها من روح الله» يدل على صحة التأويل، وأنه يُروح بها عن المكروب(٦).

وقوله: «يبعثها بالرحمة وبالعذاب» صريحٌ في أنها مخلوقة مأمورة بالرحمة تارة وبالعذاب أخرى، وهذا دليلٌ على صحة التأويل.

= المؤمنين أخبرت أنك سألت عن الريح، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكره.

قلت: اسناده صحيح، رجاله ثقات، ثابت هو الزرقي ثقة، وقد حسَّن الحديث النووي في الأذكار (ص ١٦٢) فقصَّر. وتابع الأوزاعي معمراً، رواه أحمد (٢/٤٠٩) والنسائي في عمل «اليوم والليلة» (٩٣٢) وابن ماجة (٢/١٢٢٨) وابن حبان (٧/٤٩٣).

وتابعه يونس، أخرجه أحمد (٢/٥١٨)، وزياد بن سعد الخراساني أخرجه النسائي في «عمل اليوم» (٩٣١).

(٦) قال النووي في الأذكار (ص ١٦٢): «من روح الله» هو بفتح الراء، قال العلماء: أي من رحمة الله بعباده.

ونقل البيهقي في «الأسماء» (ص ٤٦٣) عن أبي منصور الأزهري قال: قوله ﷺ «الريح من نفس الرحمن» أي: من تنفيس الله تعالى بها عن المكروبين.

قلت: وقال ابن قتيبة في «الاختلاف في اللفظ» (ص ٢٩) في قوله تعالى ﴿**وأيدهم بروح منه**﴾ المجادلة: ٢٢، أي: برحمة، وكذا قوله تعالى ﴿**فَرُوحٌ وريحان**﴾ أي: فرحمة ورزق، على قراءة من قرأها بالضم. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى (٩/٢٩٠ - ٢٩١):

وقال النبي ﷺ: «الريح من روح الله» أي من الروح التي خلقها الله، فاضافة الروح إلى الله إضافة ملك، لا إضافة وصف، إذ ما يضاف إلى الله إنْ كان عيناً قائمةً بنفسها فهو ملك له، وإن كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به فهو صفة لله.

فالأول كقوله ﴿**ناقة الله وسقياها**﴾ وقوله ﴿**فأرسلنا اليها روحنا**﴾ وهو جبريل ﴿**فتمثل لها بشراً سويا قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا**﴾، وقال ﴿**ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا**﴾، وقال عن آدم ﴿**فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**﴾.

والثاني كقولنا: علم الله وكلام الله وقدرة الله وحياة الله وأمر الله، لكن قد يعبر بلفظ المصدر عن المفعول به فيسمي المعلوم علماً، والمقدور قدرة، والمأمور به أمراً، والمخلوق بالكلمة كلمة فيكون ذلك مخلوقاً، كقوله ﴿**أتى أمر الله فلا تستعجلوه**﴾، وقوله ﴿**إنا نبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة**﴾ وقوله ﴿**إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه**﴾ اهـ.

«حديثٌ آخر في هذا المعنى»

٢٤٤ ـ من حـديث أبي الحسـين وأبي القسم بن بشران عن دعلج عن ابن خـزيمـة باسناده عن النبي ﷺ قال وهو مُولٍ[١] ظهره إلى اليمن: «إني أجـد نفس الرحمن في هاهنا»[٧].

٢٤٥ ـ وروى ابن بطة في مكاتبته إلى بعض أصدقـائه بـاسناده عن أبي هـريرة عن النبي ﷺ أنّـه قال: «الإيمـانُ يمان والحكمـة يمـانيـة، وأجـدُ نفس ربكم من قبـل اليمن»[٨] ومعناه ما تقـدم في الحديث الـذي قبله، وهو أني أجـد تفريـج الله عني

(١) في الأصل: مولي، وهو خطأ.

(٧) صحيح، أخرجه أحمد (٤/١٠٤) والطبراني في الكبير (٧/٥٢/٦٣٥٨) عن الحكم بن نافع حـدثنا اسماعيل بن عياش عن ابراهيم بن سليمان الأفطس عن الوليد بن عبدالرحمن الجـرشي عن جبير بن نفير أن سلمة بن نفيل السكوني قال: دنوت من رسول الله ﷺ حتى كادت ركبتـاي تمسان فخـذه، فقلت: يا رسول الله تُـرِكت الخيل وأُلقي السـلاح، وزعم أقوام أن لا قتـال، فقال: «كـذبوا الآن جاء القتال، لا تـزال من أمتي أمةٌ قـائمة عـلى الحق، ظاهـرةً على النـاس، يزيـغ الله قلوب قومٍ، قاتلوهم لينالـوا منهم، وقال وهـو مول ظهـره إلى اليمن: «إني أجدُ نفس الـرحمن من ههنا، ولقـد أوحي إليَّ مَكْفُوتٌ غير مُلَبَّثٍ، وتتبعوني أفناداً، والخيـل معقود في نـواصيها الخـير إلى يوم القيـامة، وأهلهـا معانـون عليها» واللفظ للطبراني، وليس عنـد أحمد «وقـال وهو مـول ظهره. . إلى قـولـه: أفنـادا»، وزاد أحمد «ألا إن عقـر دار المؤمنين الشـام والخيل معقـود. . دون قولـه «وأهلها معـانون عليهـا»، وسقط من اسناد الـطبراني: ابراهيم بن سليـمان». قلت: واسناده حسن، رجـاله ثقـات سوى ابن عياش فإنه صدوق وروايته هنا عن أهل بلده، فابن سليمان دمشقي.
ولم يتفـرد بـه ابن عيـاش بـل تـابعـه عبـدالله بن سـالم الحمصي وهــو ثقـة، أخـرجـه الـطبراني (٧/٥٢/٦٣٥٨) والبيهقي في «الأسـماء» (ص ٤٦٢ ـ ٤٦٣). ووقع عنـد الـطبراني: عبـدالله بن صالح، وهو خطأ.
وللحديث شاهد من حديث النواس بن سمعان رواه أبويعلي ـ كما في المطالب العـالية (٤/٣٣٦) ـ وضعفه البوصيري لتدليس الوليد بن مسلم.

(٨) اسناده حسن، رواه أحمد (٢/٥٤١) والدارمي في «النقض» (ص ١٥١) معلقاً عن حريز بن عثمان عن شبيب أبي روح أن أعرابياً أتى أباهريرة فقال: يا أباهريرة! حدثنا عن النبي ﷺ فذكر الحديث فقال: قال النبي ﷺ: «إلا أن الإيمان. . . فذكره.
وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/٥٥ ـ ٥٦) وقـال: رواه أحمد ورجـاله الصحيـح غير شبيب، وهـو ثقة.
وقال شيخه العراقي في تخريج الأحياء (١/١٠٤): رجاله ثقات. =

وتنفيسه عنِ كربي بِنُصرته إيّاي من قبل أهل اليمن، وذلك لمّا نصره المهاجرون والأنصار نفّس الله عن نبيه ما كان فيه من أذى المشركين، وقتَلَهُم الله على أيدي المهاجرين من أهل اليمن والأنصار، وكان ﷺ كثيراً ما كان يمدح أهل اليمن، فروي عنه أنه قال «الإيمان يمان والحكمة يمانية»(٩) وإنما وجب حمله على ذلك لما تقدم في الحديث الذي قبله وأنَّ فيه ما دلَّ على أنَّ النفس مخلوقةٌ، لأنه أضافه إلى الريح، والريح مخلوقة من جهة أنها مأمورة بالرحمة والعذاب، فوجب حملُ هذا المطلق على ذلك.

٢٤٦ ـ ورأيت في بعض مكاتبات ابن بطة إلى بعض أصدقائه وقد ذكر هذين الخبرين حديث جابر «إذا رأيتم الريح فلا تسبوها» وحديث أبي هريرة «أجد نفس ربكم» وحكى كلام ابن قتيبة في ذلك فقال: أنت في نفس من أمرك أي في سعة، وقوله «مِن نفس الرحمن» معناه أنها يُفَرِّج بها الكرب ويُذْهب بها الجدب يقال: اللهم نَفِّس عني أيَّ: فرِّج عني، وذكر كلاماً طويلاً(١٠).

= وفيه نظر، فإن فيه عصام بن خالد الحمصي، قال النسائي فيه: ليس به بأس وقال الحافظ: صدوق.

تنبيه: وقع عند أحمد والدارمي: جرير وهو خطأ، والصواب حريز بن عثمان فإنه الذي يروي عن شبيب، ويروي عنه عصام.

(٩) أخرجه البخاري (٦/٥٢٦) ومسلم (١/٧٢ ـ ٧٣) عن شعيب عن الزهري أخبرني أبوسلمة بن عبدالرحمن أن أباهريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الفخر والخيلاء في الفدَّادين أهل الوَبَر، والسكينة في أهل الغنم، والإيمان يمان والحكمة يمانية».
وأخرجه البخاري (٨/٩٩) ومسلم (١/٧٢) عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً وأرقُّ أفئدةً، الفقه يمان والحكمة يمانية».
وله طرق وألفاظ أخرى انظر البخاري (٨/٩٨، ٩٩) مسلم (١/٧١، ٧٢، ٧٣).

(١٠) لم أجد كلام ابن قتيبة في «غريب الحديث»، وفي «تأويل مختلف الحديث» (ص ١٤٣) يقول: قالوا رويتم عن النبي ﷺ أنه قال «لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن» وينبغي أن تكون الريح عندكم غير مخلوقة، لأنه لا يكون من الرحمن جل وعز شيء مخلوق.
قال: ونحن نقول: إنه لم يرد بالنَّفس ما ذهبوا اليه، وإنما أراد أن الريح من فرَج الرحمن عز وجل ورَوْحه، يقال: اللهم نفِّس عني الأذى، وقد فرج الله عن نبيه ﷺ بالريح يوم الأحزاب، وقال تعالى ﴿فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها﴾.
وكذلك قوله «إني لأجد نفس ربكم من قِبَل اليمن»، وهذا من الكناية لأن معنى هذا أنه قال كنت في شدةٍ وكرب وغم من أهل مكة، ففرَّج الله عني بالأنصار، يعني أنه يجد الفرج من =

ثم قال ابن بطة بعده: ومما يشهد لصحة هذا التأويل، وأنَّ الريح من نفس ربكم إنما أراد بالنفس: الفرج والروح، ما سمعت أبابكر بن الأنباري يقول إنما سُمِّيت الريح ريحاً لأنَّ الغالب عليها في هبوبها المجيء بالروح والراحة، وانقطاع هبوبها يكسب الكرب والغم والأذى، فهي مأخوذةٌ[1] من الروح وأصلها روح فصارت الواوُ ياءً لسُكُونها وانكسار ما قبلها.

ثم قال: فهذا ما قاله أهل العلم بتأويل الكتاب والسنة وكلام العرب في تأويل الريح، ومعنى النَّفس بها، وفي كتاب الله تعالى ما دلَّ على أنها بمعنى الفرج من الغم، والنَّفَس من الكرب، أنَّ الغم والضيق يكونان بركودها، قوله جلَّ وعزَّ ﴿**حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها**﴾ (يونس: ٢٢) وقوله ﴿**وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته**﴾ (الأعراف: ٥٧) وقوله: ﴿**إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره**﴾ (الشورى: ٣٣).

٢٤٧ ــ وفي معنى ذلك حديث آخر رواه ابن فورك ولم يقع لي طريقه أنه قال «هذا نفس ربي أجده بين كتفي أتتكم الساعة»[11] معناه هذا فرج الله عني صرف به غمومي وهمومي وكشف عن قلبي وسُري عن فؤادي ما كان يجده ﷺ في مستقبل أوقاته، من زوائد روح اليقين والألطاف، فسمَّى ذلك نفس الرَّب، لأنَّه هو الذي نَفَّس به عنه، والإضافة على طريق الملك، والموجب لحمله على ذلك ما تقدم في الخبر الأول، وقد بيَّنا أنَّ فيه ما دلَّ عليه.

---

(١) كتب في الهامش: في الأصل مأخوذ بدون تاء.

= الأنصار ـ وهم من اليمن ـ فالريح من فرج الله تعالى وروحه كما كان الأنصار من فرج الله تعالى. وقد بينت هذا في كتاب «غريب الحديث» بأكثر من هذا أ هـ.

قلت: ولم أجده في المطبوع في مظنته والله أعلم. وانظر الكلام على الأحاديث السابقة في «النهاية» لابن الأثير (٥/٩٣ ـ ٩٤).

(١١) مشكل الحديث لابن فورك (ص ٦٩)، ولم أقف على اسناده.

[إثبات صفة النزول لربنا تبارك وتعالى]

«حديث آخر»

٢٤٨ ـ رواه الثقات من طُرقٍ مختلفة، وألفاظ مختلفة، حدثناه أبو القسم باسناده عن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ قال: «ينزلُ الله عزَّ وجلَّ ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفرُ لكل نفس إلا إنسان في قلبه شحناء أو مشرك بالله جل اسمه»(١).

٢٤٩ ـ وروى معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ: «يطَّلع الله إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لهم إلا المشرك أو مُشاحن»(٢).

٢٥٠ ـ وروت عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله جل اسمه يطلع ليلة النِّصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عَدد شَعر غنم كلب»(٣).

---

(١) حديث صحيح بمجموع طرقه، ذكر المصنف منها طريقين أما حديث أبي بكر، فرواه البزار (٢/٤٣٥ ـ زوائد) وابن أبي عاصم (١/٢٢٢) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٣٦) والدارقطني في «النزول» (ص ١٥٥ ـ ١٥٧) واللالكائي (٢/٤٣٨ ـ ٤٣٩) عن عمرو بن الحارث عن عبدالملك بن عبدالملك عن مصعب بن أبي ذئب عن القاسم بن محمد عن أبيه أو عن عمه عن جده أبي بكر مرفوعا به.

قال الذهبي في الميزان (٢/٦٥٩): قال البخاري: في حديثه نظر، يريد حديث عمرو بن الحارث عن عبدالملك أنه حدثه عن المصعب بن أبي ذئب.. وساق الحديث. قلت: يتقوى الحديث بما بعده.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/٢٢٤) وابن حبان في صحيحه (٧/٤٧٠) والطبراني في الكبير (٢٠/١٠٨ ـ ١٠٩) والأوسط ـ كما في المجمع (٨/٦٥) ـ والدارقطني في «النزول» (ص ١٥٨) عن الأوزاعي وابن ثوبان عن مكحول عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل مرفوعا به.

ورجاله ثقات ـ كما قال الهيثمي في المجمع ـ لكن مكحولاً كثير الإرسال، وقد عنعن.
وانظر كتاب «العرش» بتحقيقي (ص ٩٣ ـ ٩٤).

(٣) أخرجه أحمد (٦/٢٣٨) والترمذي (٣/١٠٧) وابن ماجة (١/٤٤٤) والدارقطني في الصفات (ص ١٦٩ ـ ١٧٠) واللالكائي (٢/٤٤٨) عن الحجاج بن أرطأة عن يحيى بن أبي كثير عن عروة عن عائشة قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلةً، فخرجت فإذا هو بالبقيع، فقال: «أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قلت: يا رسول الله إني ظننت أنك أتيت بعض نسائك، فقال: «إن الله عز وجل ينزل . . . فذكره. =

٢٥١ ــ وروى أبوسعيد وأبوهريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الله يُمهل حتى إذا ذهب ثُلث الليل هبط عزَّ وجلَّ، فقال: هل من داعٍ يستجاب له، هل من سائلٍ يُعطى سُؤله، هل من مُستغفر من ذنب»(٤).

٢٥٢ ــ وروى أبوهريرة قال سمعت رسول الله ﷺ: «إذا ذهب شطر الليل الأول ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر فأغفر له هل من سائلٍ فأعطيه، هل من تائب فأتوب عليه، حتى ينشق الفجر»(٥).

٢٥٣ ــ وحدثنا أبو القسم بإسناده عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ [إن الله](١) يُمهل حتى إذا ذهب شطر الليل نزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مُستغفرٍ يُغفر له، هل من داعٍ يستجاب له، هل من تائب فأتوب عليه، حتى

---

(١) سقطت من الأصل.

= قال الترمذي: حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الحجاج، وسمعت محمداً يضعف هذا الحديث، وقال: يحيى بن أبي كثير لم يسمع من عروة، والحجاج بن أرطأة لم يسمع من يحيى بن أبي كثير. قلت: فيه إذاً انقطاع في موضعين.
وله اسناد آخر، أخرجه الدارقطني في «الصفات» (ص ١٧٠ ـ ١٧٢) عن سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كانت ليلة النصف من شعبان ليلتي، وبات رسول الله ﷺ عندي فلما كان في جوف الليل فقدته.. الحديث مطولا.
وفيه: سليمان بن أبي كريمة، ضعفه أبوحاتم، وقال ابن عدي: عامة أحاديثه مناكير (الميزان ٢/٢٢١).
وأخرجه الدارقطني (ص ١٧٢) عن محمد بن عباد أنا حاتم بن اسماعيل عن مضر بن كثير عن يحيى بن سعيد عن عروة عن عائشة بنحو الحديث السابق.
حاتم بن اسماعيل هو المدني يروي عن يحيى بن سعيد، ومضر لم أجد له ترجمة.

(٤) أخرجه أحمد (٢/٣٨٣) (٣/٣٤، ٤٣، ٩٤) ومسلم (١/٥٢٣) وابن ماجة (١/٤٣٥) وابن حبان (٢/١٣٧) من طرق عن أبي اسحاق عن الأغرابي مسلم يرويه عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا قال رسول الله ﷺ فذكره.

(٥) أخرجه البخاري (٣/٢٩) (١١/١٢٨ ـ ١٢٩) ومسلم (١/٥٢١) عن ابن شهاب عن أبي عبدالله الأغر وأبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة مرفوعا به.
وأخرجه البخاري (١٣/٤٦٤) عن ابن شهاب عن أبي عبدالله الأغر عن أبي هريرة مرفوعا به.
وأخرجه مسلم (١/٥٢٢) عن أبي صالح وأبوسلمة بن عبدالرحمن وسعيد بن مرجانة عن أبي هريرة مرفوعا به، وألفاظها متقاربة.

ينشق الفجر ثم يرتفع»(٦).

٢٥٤ ـ وقرىء على أبي الفرج أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن بن المسلمة المعدل في داره وأنا حاضرٌ أسمع قال أنا أبوعبدالله الحسين بن أحمد بن ابراهيم الجواليقي قال نا محمد بن عثمان بن أبي سويد الزارع القرشي قال نا عبدالرحمن بن المبارك قال نا الفضيل بن سليمان النميري قال نا موسى بن عقبة عن اسحق(١) بن يحيى بن الوليد عن عُبادة بن الصامت قال قال رسول الله ﷺ «ينزل الله تبارك وتعالى كُلَّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: هل من سائل فيعطى سُؤله، هل من مُستغفر فيغفر له، هل من عانٍ فيُفَكَّ عانيه، قال فيكون

---

(٢) في الأصل: عن أبي اسحاق، وهو خطأ والتصويب من التهذيب وغيره.

(٦) صحيح، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢١٩) والدارقطني في النزول (ص ١٣٨ ـ ١٣٩) عن محمد بن عبدالله الخزاعي حدثنا مالك بن سُعير حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد.
وعن أبي اسحاق عن الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد.
وعن حبيب بن أبي ثابت عن الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ فذكره.
واسناده حسن، مالك بن سعير (وقع عند ابن أبي عاصم والدارقطني: سعيد وهو خطأ) هو ابن الخمس التميمي، قال أبوزرعة وأبوحاتم: صدوق، وكذا الدارقطني وقال أبوداود ضعيف، وقال الحافظ: لا بأس به، ومحمد بن عبدالله الخزاعي وهو أبوالحسن الصنعاني المقدسي الخلنجي، قال النسائي: كتبت عنه ببيت المقدس، صدوق.
ولم ينفرد به، بل تابعه مؤمل بن اهاب، أخرجه الأجري في «الشريعة» (ص ٣٠٩) ومؤمل صدوق له أوهام، قاله الحافظ.
وأخرجه الدارقطني في «الصفات» (ص ١٣٣) عن يونس بن أبي اسحاق عن أبيه عن الأغر أبي مسلم قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنهما شهدا على النبي ﷺ أنه قال: «إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل يهبط إلى هذه السماء، ثم أمر بأبواب السماء ففتحت، ثم قال: هل من سائل فأعطيه، هل من داع فأجيبه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من مستغيث أغيثه، هل من مضطر أكشف عنه ضره، فلا يزال كذلك، حتى يطلع الفجر في كل ليلة من الدنيا، ثم يصعد إلى السماء».
وفيه يونس بن أبي اسحاق وهو السبيعي، صدوق يهم قليلا، لكن سماعه من أبيه بعد الاختلاط، قاله أبوزرعة (انظر شرح علل الترمذي لابن رجب ص ٣٧٤)، لكنه يتقوى بما سبق.

كذلك، حتى يُصَلِّي الصُّبح ثم يعلو ربنا تبارك وتعالى على كرسيه»(٧).

٢٥٥ - وروى أبوبكر أحمد بن اسحق الصبغي عن جابر بن عبدالله أنَّ رسول الله ﷺ قال «ما من أيام أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض»(٨).

---

(٧) اسناده ضعيف، أخرجه الآجري في «الشريعة» (ص ٣١٢ - ٣١٣) والطبراني في الكبير والأوسط - كما في المجمع (١٠/١٥٤) - عن موسى بن عقبة عن اسحاق بن يحيى عن عبادة بن الصامت مرفوعا به.

قلت: فيه انقطاع وجهالة.

قال البخاري عن اسحاق بن يحيى: لم يلق عبادة (التهذيب (١/٢٥٦)).

ولم يرو عنه سوى موسى بن عقبة، ولذا قال الحافظ: مجهول الحال.

وقد أعلّه الهيثمي بالإنقطاع فقط!

وله شاهد من حديث جابر، أخرجه الدارقطني في «الصفات» (ص ٩٦ - ٩٧) من طريق محمد بن اسماعيل الجعفري حدثنا عبدالله بن سلمة بن أسلم عن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن جابر بن عبدالله الأنصاري مرفوعا بنحوه.

واسناده ضعيف جدا، عبدالله بن سلمة (وقع في المطبوعة: مسلمة) هو المزني، سئل أبوزرعة عنه فقال: منكر الحديث (الجرح ٥/٧٠). ومحمد بن اسماعيل الجعفري، قال ابن أبي حاتم سألت عنه أبي فقال: منكر الحديث (الجرح ٧/١٨٩).

(٨) صحيح، أخرجه البزار (٢/٢٨ - ٢٩ - زوائد) وأبويعلى (٤/٦٩ - ٧٠) وابن حبان في «صحيحه» (٦/٦٢).

عن محمد بن مروان العقيلي عن هشام الدستوائي عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام أفضلُ عند الله من أيام عشر ذي الحجة»، قال فقال رجل: يا رسول الله! هي أفضل أم عدتهن جهاداً في سبيل الله؟ فقال: «هي أفضل من عدتهن جهاداً في سبيل الله، إلا عَفيراً يُعفر وجهه في التراب، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، فيقول: انظروا عبادي شعثاً غبراً ضاحين جاؤوا من كل فج عميق، لم يروا رحمتي ولم يروا عذابي، فلم أر يوماً أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة».

ذكره الهيثمي في المجمع (٣/٢٥٣) وقال: رواه أبويعلى وفيه: محمد بن مروان العقيلي وثّقه ابن معين وابن حبان وفيه بعض كلام، وبقية رجاله رجال الصحيح، ورواه البزار إلا أنه قال: أفضل أيام الدنيا أيام العشر ا هـ. وقال في موضع آخر (٤/١٧): وقد تقدم بطوله، رواه البزار واسناده حسن، ورجاله ثقات. قلت: أما محمد بن مروان، فقد قال فيه أبوداود: صدوق وقال مرة: ثقة، وقال الحافظ: صدوق له أوهام، والحديث فيه أيضا عنعنة أبي الزبير عن جابر.

ولم يتفرد به هشام، فقد تابعه أيوب السختياني.

أخرجه البزار (٢/٢٨ - زوائد) من طريق عاصم بن هلال عن أيوب عن أبي الزبير عن جابر به. =

٢٥٦ ـ وروي عن ابن عباس أنه قرأ هذه الآية: ﴿ويوم تشقَّقُ السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا﴾ (الفرقان: ٢٥) قال: ينزل أهل السماء الدنيا وهم أكثر من أهل الأرض من الجنّ والإنس فيقول أهل الأرض: أفيكم ربّنا؟ فيقولون: لا ـ وذكر الحديث ـ ثم يأتي الربُّ في الكروبيين وهم أكثر أهل السموات السبع والأرضين»(٩).

اعلم أنَّ هذا حديث صحيحٌ يجب الأخذ بظاهره من غير تأويل، ولا يجب أن يُستوحش من إطلاق مثل ذلك.

= وعاصم هو البارقي ضعفه ابن معين، وقال النسائي ليس بالقوي، وقال أبوداود: ليس به بأس وقال الحافظ: فيه لين.

وتابعه (أي هشاما) مرزوق أبوبكر، أخرجه البزار (٢/ ٢٩ ـ زوائد) وابن خزيمة في «صحيحه» (٤/ ٢٦٣). وقال ابن خزيمة: أنا أبرأ من عهدة مرزوق. ومرزوق هو الباهلي (وقع في المطبوعة من البزار: مرزوق بن أبي بكر، وهو خطأ) صدوق.

ويشهد لشطر الحديث الأول، ما أخرجه البخاري (٢/ ٤٥٧) والطيالسي (٢٦٣١) وأبوداود (٢/ ٨١٥) والترمذي (٣/ ١٢١) وابن ماجة (١/ ٥٥٠) عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «ما العمل في أيام العشر أفضل من العمل في هذه» قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء».

أما شطره الثاني فيشهد له حديث عائشة في مسلم (٢/ ٩٨٢ ـ ٩٨٣) مرفوعا: «ما من يوم أكثر من ين يعتق الله فيه عبدا من النار، من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء».

وحديث أبي هريرة، انظر التعليق على كتاب «العرش» (ص ٩١).

(٩) ضعيف، أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩/ ٥ ـ ٦).

عن حجاج عن مبارك بن فضالة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران أنه سمع ابن عباس يقول: إن هذه السماء إذا انشقت نزل من الملائكة أكثر من الجن والإنس..»..

وفيه علتان: ضعف ابن جدعان، وتدليس ابن فضالة، ولم يتفرد به، فقد تابعه حماد بن سلمة.

أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٣١٥ ـ ٣١٦) ـ مطولاً، وقال ابن كثير: فمداره على علي بن زيد بن جدعان وفيه ضعف في سياقاته غالباً، وفيها نكارة شديدة اهـ..

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٤٨) إلى عبد بن حميد وابن أبي الدنيا في «الأهوال» وابن المنذر والحاكم.

وقد نص أحمد عليه في رواية ابن منصور وقد سأله: «ينزل ربنا تبارك وتعالى ليلة حين يبقى ثلث [الليل](١) الآخر إلى السماء الدنيا» أليس تقول بهذا الحديث؟ قال أحمد: صحيح.

٢٥٨ ـ وقال أحمد بن الحسين بن حسان(١٠) قيل لأبي عبدالله «إنَّ الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة» قال» نعم، قيل له: وفي شعبان كما جاء الأثر؟ قال: نعم.

٢٥٩ ـ وقال يوسف بن موسى(١١) قيل لأبي عبدالله: إنَّ الله ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء من غير وصف؟ قال: نعم.

٢٦٠ ـ وقال حنبل قلت لأبي عبدالله: ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا؟ قال: نعم، قلت: نزوله بعلمه أم بماذا؟ فقال: اسكت عن هذا وغضب وقال: مَالَك ولهذا! امض الحديث على ماروي.

والوجه في ذلك أنه ليس في الأخذ بظاهره ما يُحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه، لأنَّا لا نحمله على نزول انتقال كما قال: ﴿**وأنزلنا من السماء ماء طهورا**﴾ (الفرقان: ٤٨) ولا على أن يخلوا(٢) منه مكان ويشغل مكان، لأنَّ هذا من صفات الأجسام، بل نطلق القول فيه كما أطلقناه في قوله ﴿**إنَّا أنزلناه قرآنا**﴾ (يوسف: ٢) وليس يمتنع إطلاق ذلك، وإنْ لم يكن معقولاً في الشاهد، كما

---

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

(١٠) لم يزد صاحب طبقات الحنابلة على هذا الاسم وقال: من أهل سُرَّ من رأى، صحب إمامنا أحمد، وروى عنه أشياء.
(طبقات الحنابلة (١/ ٣٩)).

(١١) هو يوسف العطار الحربي، كان ينزل في مربعة الخرسي، وروى عن أحمد بن حنبل مسائل كثيرة، روى عنه أبوبكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال وأثنى عليه ثناءً حسناً، وقال: كان يوسف هذا يهودياً أسلم على يدي أبي عبدالله وهو حدث، فحسن إسلامه ولزم العلم، وأكثر من الكتاب، ورحل في طلب العلم.
(تاريخ بغداد (١٤/ ٣٠٨)، طبقات الحنابلة (١/ ٤٢٠ ـ ٤٢١)).

وصفناه بالحياة وأنَّه حي بحياة، ولم نصفه بالحركة والإنتقال والتحول، وإنْ كنا نعلم في الشاهد أن الحي لا ينفك عن الحركة والإنتقال والتحول، وكذلك قد وُصف أمره بالمجيء فقال ﴿حتى إذا جاء أمرنا﴾ (هود: ٤٠) ولم يوجب ذلك انتقال في الموضعين، وكذلك جاء الليل وجاء النهار وجاءت الحمى، وإن لم يُوجب ذلك انتقال، وكما أطلقنا القول بالاستواء وحمله بعضهم على العلو، ولم يوجب ذلك حدوثه في جهة العلو بعد أنَّ لم يكن، وإنْ كان حقيقة، «ثُمَّ» في اللغة للتراخي، ولا أوجب له الجهة، وإن كان العلو غير السفل كذلك هاهنا.

٢٦١ ــ وقد قال أحمد في رسالته إلى مسدد: إنَّ الله عزّ وجل ينزل في كل ليلة إلى السماء الدنيا ولا يخلوا من العرش[١٣].

فقد صرح أحمد بالقول إنَّ العرش لا يخلوا منه، وهكذا القول عندنا في قوله ﴿وجاء ربك والملك﴾ (الفجر: ٢٢) والمراد به مجيء ذاته لا على وجه الانتقال.

وكذلك قوله ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾ (البقرة: ٢١٠) المراد به مجيء ذاته لا على وجه الانتقال.

وقد حكينا كلام أحمد في ذلك في رواية أبي طالب وحنبل وكلام أبي اسحق في الكلام على قول النبي ﷺ «أتاني ربي في أحسن صورة»، وليس يمتنع أن نثبت له نزول ذات لا على وجه الانتقال لا يعقل معناه، وإنْ لم يعقل هذا في الشاهد، كما أثبتنا ذاتاً ويدين ووجهاً وعيناً لا يعقل معناه.

وقد عضد هذا الخبر القرآن، فذكر مقاتل[١٤] في تفسيره في قوله تعالى

---

(١٢) ذكرها اللالكائي (٢/٤٥٣) معلقة.

(١٣) لم أجده في الرسالة المذكورة في ترجمة «مسدد» من طبقات الحنابلة (١/٣٤١ ـ ٣٤٥).

(١٤) هو مقاتل بن سليمان البلخي، المفسر، أبوالحسن، روى عن مجاهد والضحاك وابن بريدة، وعنه حرمي بن عمارة وعلي بن الجعد وخلق. قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، وقال مقاتل بن حيان: ما وجدت علم مقاتل بن سليمان إلا كالبحر.
وقال الشافعي: الناس عيال في التفسير على مقاتل.
وقال وكيع: كان كذابا، وقال البخاري: قال سفيان بن عيينة: سمعت مقاتلا يقول: إن لم =

﴿فـإذا انشقت السماء﴾ (الـرحمن: ٣٧) بمعنى انفرجت، وهـو البياض الـذي في وسط السماء لنزول من فيها، يعني الرَّب والملائكة(١٥).

فإن قيل: المراد بقوله «ينزل الله تبـارك وتعالى» معنـاه ينزل من أفعـاله التي هي ترغيب لأهل الخير، وإقباله على أهل الأرض بالرحمة والاستعطاف، بالتذكير والتنبيه الذي يُلقى في قلوب أهل الخير حتى يستغفروه(١٦).

قيل: هذا غلطٌ لوجوه أحـدها: أنـه لم يكن غير مقبـل فأقبـل عليهم، بل

= يخـرج الدجـال سنة خمسـين ومئة فـاعلموا أني كـذاب. وقال البخـاري: سكتـوا عنـه، وقـال النسائي: كان مقاتل يكذب وعن يحيى قال: ليس حديثه بشيء.
وقال أبوحنيفة: أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال: إنه تعالى ليس بشيء، وأفرط مقاتـل - يعني في الإثبات - حتى جعله مثل خلقه. وقال ابن حبـان: كان يـأخذ من اليهـود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان يشبه الرب بالمخلوقات، وكان يكذب في التفسير.
وقال الذهبي: أجمعوا على تركه.
وقال الحافظ في التقريب: كذبوه وهجروه، ورمي بالتجسيم.
مات سنة نيف وخمسين ومئة.
(الميزان (٤/١٧٣ - ١٧٥)، التهذيب (١٠/٢٧٩ - ٢٨٥)، السير (٧/٢٠١ - ٢٠٢).

(١٥) قال ابن جرير في تفسيره (٢٧/٨٢): وقوله ﴿فاذا انشقت السماء فكـانت وردة كالـدهان﴾ يقـول تعالى ذكره: فإذا انشقت السماء وتفطرت - وذلك يوم القيامة فكان لونها لون البرذون الورد الأحمر ا هـ. وقال ابن كثير (٤/٢٧٥): أي تذوب كما يـذوب الدردري. والفضة في السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها، فتارة حمراء وصفـراء وزرقاء وخضراء، وذلـك من شدة الأمـر وهول يوم القيامة.

(١٦) انظر «مشكل الحديث» لابن فورك (ص ٧٤ - ٧٥).
وكذا تأوله أبوسليمان الخطابي - كـما في «الأسماء» للبيهقي (ص ٤٥٣) - ولم أجـده في المطبـوع من معالم السنن (٤/٣٣١ - ٣٣٢) في الكلام على حديث النزول.
وذكر هذا التأويل النووي في شرحه (٦/٣٧).
وأنكـر الحافظ عـلى من حمل الخـبر على ظـاهره فقـال: وقد اختلف في معنى النـزول على أقـوال: فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته، وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم؟ !
وذكر تأويل ابن العربي للحديث، ثم قال: والحاصل أنه تأوله بوجهين: إما بأن المعنى ينزل أمـره أو المَلَك بأمره.
وإما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه. (انظر الفتح (٣/٣٠ - ٣١)).
وهذه كلها تأويلات باطلة، والسلف أثبتوا نزولا حقيقا يليق بالله سبحانه من غير تمثيل أو تأويل.

كان مقبلاً قبل ذلك، يُبين صحة هذا قول النبي ﷺ «لا يزال الله مقبلاً على عبده في الصلاة»(١٧).

الثاني: أنه إن جاز تأويله على هذا، جاز تأويل قوله «ترون ربكم» على الرؤية إلى رحمته.

الثالث: أنَّ في الخبر ما يُسقط هذا وهو قوله «هل من سائل فيعطى سؤله

---

(١٧) اسناده ضعيف، أخرجه أحمد وابنه عبدالله (١٧٢/٥) وأبوداود (١/٥٦٠) والنسائي (٨/٣) والدارمي (١/٣٣١) والحاكم (١/٢٣٦) والبيهقي في «سننه» (٢/٢٨١، ٢٨٢) والبغوي في «شرح السنة» (٢٥٣/٣) عن يونس عن الزهري سمعت أبا الأحوص مولى بني ليث يحدث في مجلس ابن المسيب وابن المسيب جالس أنه سمع أباذر يقول قال رسول الله ﷺ فذكره، وتمامه: «فإذا صرف وجهه انصرف عنه».
قال المنذري في «مختصر السنن» (١/٤٢٩): وأخرجه النسائي، وأبوالأحوص هذا لا يعرف له اسم، وهو ملى بني ليث، وقيل: مولى بني غفار، ولم يرو عنه غير الزهري، قال يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال أبوأحمد الكرابيسي: ليس بالمتين عندهم اهـ.
قلت: وقال الحافظ في التقريب: مقبول.
وأغرب النووي فقال: هو فيه جهالة، لكن الحديث لم يضعفه أبوداود فهو حسن عنده! (نصب الراية ٢/٨٩).
وأخرجه البغوي (٢٥٣/٣) عن صالح بن أبي الأخضر عن الزهري به، وصالح ضعيف. لكن قد جاء في حديث يحيى عليه السلام الطويل «... وإن الله أمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته مالم يلتفت...»
أخرجه الطيالسي (١١٦١) وأحمد (٤/١٣٠، ٢٠٢) والترمذي (١٤٨/٥ - ١٤٩، ١٤٩) والنسائي في الكبرى - كما في التحفة (٣/٣) - وابن حبان في «صحيحه» (٨/٤٣ - ٤٤) والآجري في الشريعة (ص ٨) والحاكم (١/٤٢١ - ٤٢٢) عن ابان بن يزيد العطار (إلا أحمد فمن طريق موسى بن خلف أبوخلف) عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلاّم أن أباسلام حدثه أن الحارث الأشعري حدثه أن النبي ﷺ قال: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل لهن ويأمر بني اسرائيل أن يعملوا بهن..» الحديث.
قال الترمذي: حسن صحيح غريب.
قلت: ورجاله ثقات رجال مسلم، ويحيى بن أبي كثير مدلس لكنه قد صرح بالتحديث عند ابن حبان.
ولم يتفرد به بل تابعه معاوية بن سلام أخو زيد بن سلام، وهو ثقة.
أخرجه ابن خزيمة (٢/٦٤ - ٦٥) والحاكم (١/٢٣٦) والبيهقي (٢/٢٨٢).

هل من مستغفر فيغفر له» وهذه صفة تختص الذات، لا يصح وجودها من الرحمة والأفعال التي هي صفات قائمة بالذات.

فإن قيل: قوله «ينزل» معناه تنزل ملائكته بهذا النداء وبهذا الدعاء فيضاف ذلك إليه كما يقال: ضرب الأمير اللص، ونادى في البلد، ومعناه: أمر بذلك، وكذلك قوله «ينزل عشية عرفة» يُحمل على ملائكته وعلى نزول رحمته.(١٨).

قيل: هذا غلط لوجوه أحدها: أن في الخبر «ينزل ربنا عزّ وجل» وهذا لا يصح حمله على ملائكته، كما إذا قيل: نزل الملك ببلد كذا لا يُعْقَل منه نزول أصحابه.

الثاني: قد رُوي في بعض الألفاظ ما يُسقط هذا.

٢٦٢ ــ وهو ما حدثناه أبوالقسم باسناده عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ الله عز وجل ينزل في ثلاث ساعاتٍ يبقين من الليل فيفتح الذكر في الساعة الأولى، الذي لم تره عين فيمحوا الله ما يشاء ويُثبت، ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن، وهي داره وهي مسكنه التي لم ترها عين ولم يخطر على قلب بَشَر، وهي مسكنه لا يسكنها معه من بني آدم إلا ثلاث: النبيون والصديقون والشهداء، ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى السماء الدنيا وملائكته، فتنتفض فيقول: قومي بعزتي، ثم يطلع إلى عباده فيقول: هل من مستغفرٍ فأغفر له ألا من يسئلني فأعطيه، ألا من داعٍ فأجيبه، حتى تكون صلاة الفجر، ولذلك يقول الله ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ (الاسراء: ٧٨)(١٩).

---

(١٨) أنظر «مشكل الحديث» لابن فورك (ص ٧٥).

(١٩) ضعيف جدا، أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٦٥) والبزار (٤/١٩٢) ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في «العرش» (٨٦ ـ بتحقيقي) وابن جرير في تفسيره (١٥/٩٤)) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٣٥ ـ ١٣٦) والدارقطني في «النزول» (ص ١٥١ ـ ١٥٢) واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٢/٤٤٢) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/٣٨) عن الليث بن سعد عن زيادة بن محمد عن محمد بن كعب عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء مرفوعا به.
قلت: وعلته: زيادة بن محمد الأنصاري، قال أبوحاتم والبخاري والنسائي: منكر الحديث، وأورد الذهبي في الميزان (٢/٩٨) الحديث ثم قال: فهذه ألفاظ منكرة لم يأت بها غير «زيادة».

وهذا يُسقط التأويل، لأنه قال «ينزل في الساعة الثالثة إلى سماء الدنيا وملائكته»، فأثبت نزول ذاته ونزول ملائكته.

فإن قيل: يحتمل قوله «ينزل وملائكته» معناه ينزل بملائكته.

قيل: هذا غلط لأن حقيقة الواو للعطف والجمع، ولأنه قال في الخبر «ألا من يسئلني فأعطيه ألا من داعٍ فأجيبه» وهذا القول لا يكون لملك.

الثالث: أنه إنْ جاز تأويل هذا على نزول ملائكته، جاز تأويل قوله «ترون ربكم» على رؤية ملائكته.

٢٦٣ ــ وجواب آخر جيد وهو ما رواه ابراهيم بن الجنيد الختلي في كتاب «العظمة» باسناده عن أنس أنَّ النبي ﷺ قال: «إنَّ الله جل اسمه إذا أراد أن ينزل نزل بذاته»[٢٠].

فإن قيل: فقد روي بضم الياء «يُنزل الله» وإذا كان كذلك، صح التأويل بأنه ينزل من أفعاله التي هي ترغيب لأهل الخير واستعطاف لأهل العطف.

قيل: هذا غلط لأنه لا يُحفظ هذا عن أحد من أصحاب الحديث أنه روى ذلك بالضم فلا يجوز دعوى ذلك، والذي يُبين بطلان ذلك قوله «ألا من يسئلني فأعطيه ألا من داعٍ فأجيبه» وهذه صفة تختص بها الذات دون الأفعال، وما هذه الزيادة ألا تحريف المبطلين لأخبار الصفات.

فإن قيل: يحمل قوله «ثم يعلوا» المراد به ملائكته.

قيل: هذا غلط لأنه قال في الخبر «ثم يعلوا على كرسيه» وليس هذه صفة للملائكة لأن الكرسي مضاف إليه، وكذلك قوله «ثم يرتفع» لا يصح حمله على الملائكة لأن هاء الكناية ترجع إلى المذكور.

فإن قيل: أليس قد قال تعالى ﴿فطمسنا على أعينهم﴾ (القمر: ٣٧) وكان طمس الأعين من الملائكة بأمر الله، فلا يمتنع أن يكون تنزُّل الملائكة بأمر الله،

(٢٠) لم أجده بهذا اللفظ.ـ

وكذلك قوله ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ (الذاريات: ٤٧) وقال ﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه﴾ (الأعراف: ١٣٧) وقوله تعالى ﴿فدمدم عليهم ربهم﴾ (الشمس: ١٤) كل ذلك المراد به فعل يظهر منه كذلك ها هنا.

قيل: هذا غلطٌ، لأن تلك الآيات لم يقترن بها ما دل على أنَّ المراد به نفس الذات فالأمر فيها محتمل، فحمل على أفعاله، وأما هاهنا ففي سياق الخبر ما دلَّ على أنَّ المراد به الذات من الوجه الذي ذكرناه.

فأما قوله في حديث أبي سعيد وأبي هريرة «إذا ذهب ثلث الليل هبط» فالقول فيه كالقول في الرواية المشهورة «ينزل» وأنَّ ذلك إخبارٌ عن هبوط الذات ونزولها. وأما قوله في حديث أبي الدرداء «ينزل في الساعة الثانية جنة عدن وهي داره ومسكنه لا يسكنها معه إلا النبيون والصديقون والشهداء» فإنه غير ممتنع حمله على ظاهره، وأنه يجوز إطلاق القول بأنَّ جنة عدن داره ومسكنه، لا على وجه الحد والجهة، كما أطلقنا القول بالاستواء على العرش، لا على وجه الجهة، وقد دلَّ على صحته هذا الإطلاق قوله تعالى ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ (تبارك: ١٦) فاخبر أنه في السماء ولا يمتنع أيضاً جواز إطلاق القول بأنَّ الأنبياء والشهداء والصديقين سكان معه.

٢٦٤ ــ ويشهد لذلك قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ (الاسراء: ٧٩) حدثنا أبوالقسم باسناده عن ابن عمر عن النبي ﷺ فى قول ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ (الاسراء: ٧٩) قال: يُجلسه معه على السرير(٢١).

وأما قوله في حديث أبي الدرداء(١) «يمحو الله ما يشاء ويثبت» فليس ذلك على معنى تغيير حكم قد استقر، لكن على معنى تجديد كراماته ونعمه، ويأتي الكلام على هذا مستوفى في قوله تعالى ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ (الرعد: ٣٩) وهو مذكور في حديث النبي ﷺ «من سرَّه أن يمدَّ الله في عُمره، ويُوسع عليه في

(١) في الأصل: أبي ذر وهو خطأ، وكذا في الموضع الثاني.

(٢١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٣٢٦، ٣٢٨) إلى ابن مردويه والديلمي.

رزقه، فِليتَّق الله وليَصِل رَحِمَه»[22].

وأما قوله في حديث أبي الدرداء «وينزل في الساعة الثالث وملائكته» فغير ممتنع حمله على ظاهره، ويشهد له قوله تعالى **﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾** (الفجر: ٢٢) وقوله **﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾** (البقرة: ٢١) وقد امتنع قوم من اطلاق ذلك وقالوا قوله «جنة عدن داره ومسكنه» معناه: دار كرامته ومثوبته، وهذا غلط لوجهين أحدهما: أنَّ جنة عدن لا تختص بكرامته ومثوبته[1] لأن سائر الجنان كذلك.

والثاني: أنه إنْ جاز تأويله على هذا جاز تأويل الإستواء على العرش، على كرامته ومثوبته وتأولوا قوله «لا يسكنها معه إلا الأنبياء والشهداء على أنه معهم بالنّصرة والكرامة، وهذا غلط، لأنَّ ذلك يُسقط فائدة التخصيص بجنة عدن، لأنه ناصرهم في غيرها، ولأنَّ لفظة السُّكنى لا تستعمل في النصرة.

٢٦٥ ــ وقد ذكر أبوبكر النقاش[23] في كتاب «الرسالة» في قوله **﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾** (الفجر: ٢٢): لو كان الجائي غيره لكان الجائي غير الملك، وحُكي عن اسحق بن راهويه أنه قال سألني رجل من الجهمية أنه قال: إذا نزل إلى السماء الدنيا يخلوا منه العرش؟ قال فقلت: يقدر أن ينزل ولا يخلوا منه العرش؟ قال فسكت، قال فقلت: إنْ قُلتَ يقدر خُصمتَ، وإن قلت لا يقدر كفرت، ولأن تكون مخصوماً خير من أن يكون كافرا.

قال اسحق: وسألني رجل عن نزول الرب وما توهم الرجل عند ذلك، فقلت: ما توهم عند قوله **﴿يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾** (البقرة: ٢١٠) وقوله **﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾** (الفجر: ٢٢) فيكون توهمك عند النزول مثل توهمك **﴿وجاء ربك﴾**.

٢٦٦ ــ وقد ذكر أبوبكر عبدالعزيز من أصحابنا في كتاب «التفسير» في قوله تعالى

---

(١) في هامش الأصل: في الأصل ومثبوته وفي التي تليها والصواب مثوبته اً هـ.

(٢٢) يأتي تخريجه والكلام عليه.

(٢٣) تقدمت ترجمته.

﴿هل ينظرون إلا ين يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾ (البقرة: ٢١٠) وقوله ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (الفجر: ٢٢) وقوله ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك﴾ (الأنعام: ١٥٨) فقال: اختلف في صفة إتيان الرب في قوله (إلا أن يأتيهم الله) فقال بعضهم لا صفة لذلك غير الذي وصف به نفسه من المجيء والإتيان والنزول، وغير جائز تكلف القول في ذلك لأحد، إلا بخبر من الله أو من رسوله، فأما القول في صفات الله وأسمائه، فغير جائز لأحد من جهة الاستخراج إلا بما ذكرنا.

وقال آخرون: إتيان جلّ ذكره نظير ما يُعرف من مجيء الجائي من موضع إلى موضع، انتقاله من مكان إلى مكان.

وقال آخرون: معنى قوله ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾ (البقرة: ٢١٠) معناه: أمر الله، كما يقال: قد خشينا أن يأتينا بنو أمية، يُراد به حكمهم.

وقال آخرون: معنى ذلك هل ينظرون إلا أن يأتيهم ثوابه وحسابه وعقابه. كما قال ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ (سبأ: ٣٣) وكما يقال: قطع الوالي اللص أو ضربه، وإنما قطعه أعوانه. وغلَّب أبوبكر الوجه الأول، وروى في ذلك باسناده عن ابن عباس أنَّ النبي ﷺ قال: «إنَّ من الغمام طاقات يأتي الله فيها محفوفاً وذلك قوله ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر﴾ (البقرة: ٢١٠)[٢٤].

٢٦٧ ــ وروى بإسناده حديثاً طويلاً ذكرت بعضه عن أبي هريرة قال قال

---

(٢٤) اسناده «ضعيف» أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢/ ١٩١) حدثنا محمد بن حميد حدثنا ابراهيم بن المختار عن ابن جريج عن زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا به.
قلت: اسناده ضعيف، لضعف زمعة بن صالح وابن المختار وابن حميد. وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٥٨٠) للديلمي.
وعزاه إلى عبد بن حميد وأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم من حديث ابن عباس موقوفا بنحوه.

رسول الله ﷺ: «توقفون موقفاً واحداً يوم القيامة مقدار سبعين عاماً لا ينظر إليكم، ولا يقضى بينكم قد حُصر عليكم فتبكون حتى ينقطع الدمع، ثم تدمعون دماً وتبكون حتى بلغ ذلك منكم الأذقان، ويلجمكم فتضجُّون، ثم تقولون: من يشفع لنا إلى ربنا حتى يأتوني فإذا جاؤني خرجت حتى آتي الفحص»، قال أبوهريرة يا رسول الله ما الفحص؟ قال: «قدام العرش فأخر ساجداً» وذكر الخبر إلى أن قال «فيقول: قد شفَّعتك، فأنصرف حتى أقف مع الناس، فبينا نحن وقوف سمعنا حِسًّاً من السماء شديداً فهالنا، فنزل أهل السَّماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجن والإنس حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض لنورهم، فقلنا: أفيكم ربنا؟ فقالوا: لا وهو آت» وذكر الخبر إلى أن قال «ثم ينزل أهل السموات على قدر ذلك من التضعيف حتى نزل الجبار تعالى ذكره في ظُللٍ من الغمام والملائكة ولهم زجل من تسبيحهم فينزل ربنا تبارك وتعالى يحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة، أقدامهم على تخوم الأرض السفلى، والسموات إلى حجزهم، والعرش على مناكبهم، فوضع الله عز وجل عرشه حيث شاء من الأرض، ثم ينادي نداءا يسمع الخلاق»[٢٥] وذكر الخبر.

قال أبوبكر وبمثل ذلك روي الخبر عن جماعة من الصحابة والتابعين، ويؤكد صحة هذا وأنَّ المراد بالإتيان والمجيء الذات قوله تعالى ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك**﴾ (الأنعام: ١٥٨) فلما قصد إتيان الآيات صرح بذكرها.

---

(٢٥) اسناده ضعيف، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢/١٩٢) حدثنا أبوكريب حدثنا عبدالرحمن بن محمد المحاربي عن اسماعيل بن رافع المدني عن يزيد بن أبي زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ فذكره مطولا.
قلت: فيه جهالة الأنصاري، وضعف يزيد بن أبي زياد واسماعيل بن رافع المدني (وقع عند ابن جرير: المديني، والتصويب من التهذيب وغيره).

[بيان أنَّ الله تعالىٰ حِجَابه النُّور أو النَّار]

«حَديـــثٌ آخـــر»

٢٦٨ـ حدثنا أبو القسم بإسناده عن أبي عبيدة عن أبي موسىٰ قال: قامَ فينا رسولُ الله ﷺ بأربع كلماتٍ قال: «**إنَّ الله لا يَنَام ولا ينبغي أنْ ينام، يَخْفض القِسْط ويَرفعه، يُرفَعُ إليه عَمَلُ النَّهارِ قبل اللَّيل، وعَمَلُ الليلِ قبل النَّهار، حِجابُه النَّارُ، لو كَشَفَها أَحْرَقت سُبُحَاتُ وَجْهه كل شيءٍ أدركه بَصَرُهُ**».

وفي لفظٍ آخر: «**حجابُهُ النُّورُ لو كَشَفَها لأَحْرَقت سُبُحاتُ وَجْهِه كل شيءٍ أدْركه بَصَرُه**».

وفي لفظٍ آخر: «**حِجَابه النُّورُ لو كَشَفَه أحرقت سُبُحاتُ وَجْهِهِ ما انتهىٰ إليه بَصَرُهُ من خَلقه**»[1].

---

(١) حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٤٠٥) ومسلم في الإيمان (١/١٦١ ـ ١٦٢) وابن ماجه (١/ ٧٠) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٩، ٧٥) والآجرّي في «الشريعة» (ص٣٠٤) من طريق أبي معاوية الضرير حدثنا الأعمش عن عمرو بن مُرَّة عن أبي عبيدة به.

وعند مسلم الراويتان معاً: «حجابه النور» و«حجابه النار».

وأخرجه مسلم (١/ ١٦٢) والدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (ص٥٣، ٦١) وفي «النقض علي المريسي» (ص١٧٢) والبيهقي في «الأسماء» (ص١٨٠) عن جرير عن الأعمش به.

وقد تابع شعبةُ الأعمش عند مسلم (١/ ١٦٢).

وتابعه سفيان.

أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (١٩ ـ ٢٠) والآجري في «الشريعة» (ص٢٩٠ ـ ٢٩١) والبيهقي في «الأسماء» (ص١٨٠) عن سفيان عن عمرو بن مرة به.

والمسعودي عند البيهقي في الأسماء (ص١٨٠ ـ ١٨١).

٢٦٩ـ وحدثنا أبو القسم بإسناده عن سهل بن سعد قال رسول الله ﷺ: «**دُون الله سَبعون ألف حجابٍ من نُور وظُلمة، وما تَسمعُ نَفْسٌ شيئاً من حسِّ تلك الحُجُبِ إلا زَهَقَتْ نفسها**»[٢].

٢٧٠ـ وذكر أبو بكر أحمد بن إسحق الصِّبغي[٣] أخباراً أُخر في هذا المعنىٰ في

(٢) ضعيف، أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٧٨٨) وأبو يعلىٰ ـ كما في المجمع (١/ ٧٩) ـ والطبراني في الكبير (٦/ ١٤٨/ ٥٨٠٢) والبيهقي في «الأسماء» (ص٤٠٢) وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١١٦) عن مكي بن إبراهيم ثنا موسىٰ بن عبيدة الربذي عن عمر بن الحكم عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وعن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنهما به.

قال البيهقي: تفرد به موسىٰ بن عبيدة، وهو عند أهل العلم بالحديث ضعيف.

وبذلك أعلَّه الهيثمي في المجمع (١/ ٧٩).

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٦٤) إلىٰ العقيلي وذكره بسنده في «اللآلىء المصنوعة» (١/ ١٤)، ولم أجده في مطبوعة الدكتور!!

ورواه الدارقطني في الأفراد ـ كما في «اللآلىء المصنوعة» (١/ ١٤) ـ وعنه ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١١٦) بسياقٍ أطول وفي سنده: حبيب بن أبي حبيب زريق الحنفي أبو محمد المصري كما في تهذيب الكمال (١/ ٢٢٧) فإنه يروىٰ عن هشام بن سعد وعنه محمد بن يوسف ابن أبي معمر، قال أحمد: كان يكذب، وقال أبو داود: كان من أكذب الناس.

وليس هو أخو حمزة الزيات كما قال السيوطي!

(٣) هو الإمام العلامة المفتي المحدث، شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب النيسابوري الشافعي المعروف بالصِّبْغي مولده ٢٥٨هـ، سمع من إسماعيل بن قتيبة والحارث ابن أبي أُسامة وغيرهما، حدث عنه أبو علي الحافظ وأبو أحمد الحاكم وأبو بكر الإسماعيلي وأبو عبدالله الحاكم، وجمع وصنف وبرع في الفقه، وتميَّز في علم الحديث.

قال الحاكم سمعت أبا الفضل بن إبراهيم يقول: كان أبو بكر بن إسحاق يخلف إمام الأئمة ابن خزيمة في الفتوىٰ بضع عشرة سنة في الجامع وغيره.

وقال الحاكم: ومن تصانيفه كتاب «الأسماء والصفات» و«الإيمان» و«القدر» و«الخلفاء الأربعة» و«الرؤية» و«الأحكام»، و«الإمامة». =

كتاب الأسماء والصفات فروىٰ عن عبدالرحمن بن سمرة عن النبي ﷺ قال: **«رأيتُ البارحة عَجَباً، رأيت من أُمتي رجلاً جاثياً علىٰ رُكبيته بينه وبين الرَّب حجابٌ، فأخذ بيده فأدخله علىٰ الله تعالىٰ ذكره»**(٤).

٢٧١ـ وذكر حديثُ صُهيب أنَّ النبي ﷺ قرأ: **﴿للذين أَحْسَنُوا الحُسنىٰ وَزِيادة﴾** وذكر الحديث وقال فيه: **«فيكشف لهم عن الحجاب فينظرون إليه»**(٥).

٢٧٢ـ وذكر حديث عُمر أنَّ النبي ﷺ قال: **«إنَّ موسىٰ قال: يا رب أَرني أَبَانا آدم»** وذكر الحديث فقال فيه: **«فقال آدم من أنت؟ قال: موسىٰ، فقال: أَنت الذي كلَّمك الله مِنْ وراءِ الحجابِ، لم يَجعل بَينك وبَينه رسولاً مِنْ خَلقه»**(٦).

= وفاته في شعبان ٣٤٢هـ.

تنبيه: تصحَّفَ في الكتاب إلىٰ «الضبعي» وكذا في العبر والشذرات وطبقات الشافعية، والصواب «الصِّبغي» نسبةً إلىٰ بيع الصبغ، كما في الأنساب واللباب وغيرهما، وكذا ضبطه الذهبي في المشتبه (٢/ ٤٠٧).

(الأنساب (٨/٣٣ ـ ٣٤)، العبر (٢/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩)، السير (١٥/ ٤٨٣ ـ ٤٨٩) طبقات الشافعية (٢/ ٨١ ـ ٨٢)).

(٤) لم أجده!

(٥) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٤/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) (٦/ ١٥ ـ ١٦) ومسلم في الإيمان (١/ ١٦٣) والترمذي (٤/ ٢٥٥٢) والنسائي في الكبرىٰ ـ كما في التحفة (٤/ ١٩٨) ـ وابن ماجه (١/ ١٨٧) عن حماد وبن سلمة عن ثابت البناني عن عبدالرحمن بن أبي ليلىٰ عن صهيب مرفوعاً: **«إذا دَخَل أهل الجنةِ الجنةَ قال: يقول الله تبارك وتعالىٰ: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبَيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتُنَجِّنا من النَّار؟ قال: فيكشِفُ الحِجَابَ فما أُعطوا شيئاً أَحَبَّ إليهم من النَّظر إلىٰ ربهم عزَّ وجلَّ، ثم تلا هذه الآية: ﴿للذين أَحْسَنُوا الحُسْنَىٰ وزِيَادةٌ﴾»**.

لفظ الإمام مسلم.

(٦) حديث صحيح، أخرجه بهذا اللفظ أبو داود (٥/ ٤٧٠٢) ومن طريقه البيهقي في «الأسماء» =

٢٧٣ـ وذكر حديث عبدالله بن عمرو قال سمعت رسول الله ﷺ وذكر وصيته نوح ابنه فقال: «**أنهاكَ عن الكِبْر والشِّرك، فإنَّ الله يحتجب عنهما**»(٧).

= (ص١٩٣ ـ ١٩٤) وابن أبي عاصم (١٣٧، ٦٠١) وأبو عوانة ـ كما في الفتح (١١/ ٥٠٦) وأبو يعلىٰ (١/ ٢٠٩) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٤٣ ـ ١٤٤) والدارمي «في الرد علىٰ الجهمية (ص١٤٠) وأحمد النجاد في «الرد علىٰ من يقول القرآن مخلوق» (٣٠) والآجري (ص١٧٩ ـ ١٨٠) عن ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ موسىٰ قال: يا ربِّ، أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنَّة. . .**» الحديث.

وإسناده حسن من أجل هشام بن سعد المدني وهو من رجال مسلم، صدوق له أوهام، وحسَّن حديثه الذهبي كما في الكاشف.

والحديث في الصحيحين من رواية أبي هريرة من طرق عنه، انظر البخاري (٦/ ٤٤١) (٨/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥) (١١/ ٥٠٥) (١٣/ ٤٧٧) ومسلم في القدر (٤/٢٠٤٢ ـ ٢٠٤٤) والترمذي (٤/ ٢١٣٤) والنسائي في الكبرىٰ ـ كما في التحفة (١٠/ ١٢٧ ـ ٢١٤) ـ وابن ماجه (١/ ٨٠).

قال ابن عبدالبر: هذا الحديث ثابت بالاتفاق رواه عن أبي هريرة جماعةٌ من التابعين، وروي عن النبي ﷺ من وجوهٍ أخر من رواية الأئمة الثقات الأثبات.

قال الحافظ: وقع لنا من طريق عشرة عن أبي هريرة، ثم ذكرها، انظر الفتح (١١/ ٥٠٦).

(٧) إسناده صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ١٦٩ ـ ١٧٠، ٢٢٥) والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٨) والحاكم (١/ ٤٨ ـ ٤٩) والبيهقي في «الأسماء» (ص١٠٣):

عن الصقعب بن زهير عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبدالله بن عمرو قال: كنا عند رسول الله ﷺ فجاء رجل من أهل البادية عليه جُبَّةٌ سيجان مَزْرُورة بالدِّيباج، فقال: «ألا إنَّ صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس ـ قال يريد: يضع كل فارس ابن فارس ـ ويرفع كل راعٍ ابن راع، قال: فأخذ رسول الله ﷺ بمجامع جُبَّته وقال: «**ألا أرىٰ عليك لباسَ مَنْ لا يَعقل!**» ثم قال: «إنَّ نبي الله نوحاً ﷺ لَمَّا حضرته الوفاةُ قال لابنه:

٢٧٤ـ وذكر حديث عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ لله ديكاً يُجاوِزُ رَأْسه كذا، والحجاب السَّبْعين، ورِجْلاه قد جَاوَزَتا السَّبْع الأرضين»[٨].

= إني قاصٌّ عليك الوصية، آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين، آمرك: بلا إله إلا الله، فإن السَّموات السَّبع والأرضين السبع لو وُضعتْ في كَفَّةٍ، ووضعت لا إله إلا الله في كَفَّةٍ رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أنَّ السَّمواتِ السَّبع والأرضين السبع كنَّ حَلَقَةً مُبهمةً قَصَمتهنَّ لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده فإنها صلاةُ كُلِّ شيء، وبها يُرْزَقُ الخَلْقُ، وأنهاك عن الشِّرك والكِبْر» قال قلت أو قيل: يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه، فما الكبر؟ قال: أنْ يكون لأحدنا نعلان حَسَنَتان لهما شراكان حَسَنان؟ قال: «لا» قال: هو أنْ يكون لأحدنا حُلَّة يلبسها؟ قال: «لا»، قال: «الكبر هو أنْ يكون لأحدنا دابة يركبها؟ قال: «لا» قال: أفهو أن يكون لأحدنا أصحابٌ يجلسون إليه؟ قال: «لا» قيل: يا رسول الله فما الكِبْر؟ قال: «**سَفَهُ الحقِّ، وغَمْصُ الناس**».

قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجا للصقعب بن زهير، فإنه ثقة قليل الحديث، ووافقه الذهبي وزاد: ورواه ابن عجلان عن زيد بن أسلم مرسلاً.

وذكره الهيثمي في المجمع (٤/ ٢٢٠) ثم قال: رواه كله أحمد والطبراني بنحوه ثم قال: ورجال أحمد ثقات.

وهو كما قالوا.

وليس في هذه الرواية (رواية ابن عمرو) ذكر الحجاب، وإنما ورد ذلك في رواية ابن عمر.

أخرجها البزار (٤/ ٣٠٦٩) عن أبي معاوية الضرير عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: «ألا أخبركم بوصية نوحٍ ابنه؟...» الحديث، وفيه: «وأنهاك عن اثنتين: الشرك والكبر فإنهما تحجبان عن الله».

ذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٨٤) وقال: وفيه محمد بن إسحاق وهو مدلس، وهو ثقة، وبقية رجاله رجال الصحيح.

والحديث يعتضد بما قبله.

(٨) فيه جهالة، أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٥٢٣) عن حرب بن سريج حدثتنا زينب بنت يزيد العتكية قالت: كنا عند عائشة رضي الله عنها فجاء رهطٌ من أهل الشام فيهم =

اعلم أنه غير مُمتنع إطلاق حجاب هو نور من دون الله، لا علىٰ وجه الإحاطة والحدِّ والمحاذاة، كما أجزنا رؤيته سبحانه لا علىٰ وجه الإحاطة به والجهة والمقابلة، وإنْ كُنَّا لا نجد في الشاهد مرئياً إلا في جهة المقابلة، وكما جاز إطلاق وصفه بالاستواء علىٰ العرش لا علىٰ وجه الجهة والحد والانتقال، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إذ وُقِفُوا علىٰ رَبِّهِم﴾ [الأنعام: ٣٠]. فأثبت الوقوف عليه لا في جهة ويعضد ذلك قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكلِّمه الله إلا وَحْياً أو مِن وَرَآء حِجَابٍ﴾ [الشورىٰ: ٥١]. فوصف نفسه بالحجاب كذلك ها هنا.

فأما قوله: «كل شيء أدركه بصره من خلقه» معناه: أنَّ نور وجهه يحرق ما يدركه من خلقه.

٢٧٥ـ وقد ذكر أبو عبدالله بن بطة في كتاب «الإبانة» قال أبو بكر عبدالعزيز قال: أبو بكر أحمد بن هرون قال سألت ثعلباً عن قول النبي ﷺ: «لأَحرقت سُبُحات وَجهه» فقال: السُّبحات ـ يعني من ابن آدم ـ الموضع الذي يَسْجد عليه[9].

فإن قيل: الحجاب راجعٌ إلىٰ الخَلْق لأنهم هم المحجوبون عنه بحجابٍ يخلقه

= شهر بن حوشب، فذكروا الصلاة ومواقيتها، فقالت: إني أحبّ أن أتخذ ديكاً، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ لله تبارك وتعالىٰ ديكاً رجلاه تحت سبع أرضين، ورأسه قد جَاوز سبع سماوات، يَسْقع في إبان الصلوات، فلا يبقىٰ ديكٌ من ديكة الأرض إلا أجابه» فلا أحب أن يعدم بيتي أن اتخذ الديك.

زينب العتكية لم أجد لها ترجمة، وليس فيه ذكر الحجاب.

وأورده السيوطي في «اللآلىء المصنوعة» (١/ ٦١) عن أبي الشيخ.

(٩) لم أجده في المطبوع من كتاب «الإبانة» وهو يحوي المجلد الأول من الكتاب الأصلي.

وسيذكر المصنف أحاديثاً وآثاراً أخرىٰ، ولعلها في الباقي من الكتاب الذي لم يطبع.

وفي لسان العرب (٣/ ١٩١٦): ويقال السُّبُحاتُ مواضع السجود.

ولم يعزه لأحد.

فيهم، وهو عدمُ الإِدْراكِ في أبصارهم، ولا يجوز أنْ يكون الله سبحانه مُحتجباً ولا محجوباً بحجاب لأنَّ ما سُتِر بالحجاب، فالحجاب أكبر منه ويكون متناهياً محاذياً جائزاً عليه المماسة، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا إنهم عَنْ رَبِّهم يَومئذٍ لمحجوبون﴾ [المطففين: ١٥]. فجعل الكفار مَحْجوبين عن رؤيته لما خُلِق فيه من الحجاب ويبين هذا أنه لم يُضف الحجاب إلىٰ الله تعالىٰ بل أطلق ذكر الحجاب.

ويبين صحة هذا ما رَوىٰ علي كرم الله وجهه، رواه عطاء بن السائب عن عبدالرحمن بن أبي ليلىٰ عن علي أنه مَرَّ بقَصَّابٍ وهو يقول: لا والذي احتجب بسبعة أطباق، فقال علي رضي الله عنه: «ويحك يا قصاب إنَّ الله لا يحتجب عن خلقه» وفي لفظ آخرٍ «إنَّ الله لا يحتجب عن خلقه بشيء ولكن حَجَب خلقه عنه»[١٠].

قيل: هذا غَلَطٌ، لما بيّنا أننا نُثبت حجاباً لا يُفضي إلىٰ التناهي والمحاذاة والمُماسَّة، كما أثبتنا رؤيته لا علىٰ وجه التناهي والمحاذاة.

وقوله: «لم يُضف الحجاب إليه» غلطٌ لأن في حديث أبي موسىٰ: «حجابه النور» وهذا صريح في الإضافة.

وأما قوله: ﴿كَلَّا إنهم عن رَبِّهم يَومئذٍ لمحجوبون﴾ [المطففين: ١٥]. فلسنا نمنع أنْ يكون الخلق في حجابٍ عن ربهم، ولا نمنع إنْ يكون دونه حجاب من نور لوُرود الشرع بذلك، فليس في الآية ما ينفي ذلك.

وأما ما رُوي عن علي فإنما أنكر علىٰ القصاب حجاباً معقولاً، لأنَّ القصاب قال: احتجب بالسموات، فرجع الإنكار إلىٰ ذلك، ونحن لا نصف الحجاب بذلك.

وعلىٰ أنه يعارض قول عليٍّ ما ذكره أحمد بن سليمان النَّجاد بإسناده عن عبدالله ابن عمرو بن العاصي أنه قال: «والذي نفسي بيده إنَّ دون الله يوم القيامة سَبعون

---

(١٠) لم أجده.

ألفَ حجاب إن منها حجابٌ من ظُلمةٍ ما ينفذها شيءٌ، وإن منها لحجاب من نُورٍ ما يستطيعه شيءٌ، وإن منها حجاباً لا يَسمعها أَحَدٌ لا يَربط الله علىٰ قلبه إلا انْخَلَعَ فُؤاده»[11].

فإنْ قيل: قوله في حديث ابن سمرة: «بينه وبين الرب حجاب» المراد به حجاب العبد من رحمة الرب، يعني أنَّه كان ممنوعاً من الرحمة، وقوله: «**أدخله علىٰ ربي**» معناه: في رحمة ربي.

قيل: من سبق في علمه أنه يرحمه لم يجعل بينه وبين رحمته حجاب، وكذلك من سبق في علمه عذابه لا يجعل بينه وبين العذاب حجاب.

وأما تأويلهم الدخول، علىٰ الدخول في الرحمة فلا يصح كما لم يصح تأويل قوله: «**ترون ربكم**» علىٰ رؤية رحمته.

فإن قيل: قوله: «**لو كَشَفها عن وجهه**» معناه: لو كشف رحمته عن النار لأحرقت سُبُحات وجهه أي أحرقت محاسن وجه المحجوب عنه بالنار، فالهاء عائدةٌ علىٰ المحجوب لا إلىٰ الله تعالىٰ.

قيل: قد بَيَّنا أنَّ السُّبُحات صفة لوجهه سبحانه، وأنَّ الإحراق يكون لجميع ما يدركه نوره[12].

---

(١١) موقوف صحيح، أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٢٧٣) حدثنا الوليد حدثنا إسماعيل بن عبدالله حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا ابن أبي حازم حدثنا أبو حازم عن عمر بن الحكم ابن ثوبان عن عبدالله موقوفاً بنحوه.

ورجاله ثقات، سوىٰ عمر بن الحكم فإنه تابعي صدوق، والوليد هو ابن أبان الأصبهاني، ثقة.

وأورده السيوطي في «اللآلىء المصنوعة» (١/ ١٥ ـ ١٦) عن أبي الشيخ.

(١٢) وقد حكىٰ عثمان بن سعيد الدارمي نحواً من هذه التأويلات وردَّ عليها، في كتابه «النقض =

فإن قيل: لا يصحُّ أنْ يكون المحدث ولا القديم محجوباً بشيءٍ من سَوَاتر الأجسام المغطية المكتنفة المحيطة، وإنما يقال لهذه الأجسام الساترة أنها حجابٌ عن رؤية المحدث لما رآه، من أجل أنَّ المنع من الرؤية يحدث عنده فيسمىٰ باسم ما يحدث عنده، وعلىٰ هذا ما نقوله إنَّ الباريء سبحانه لا نراه في الدنيا لأنَّه في حجابٍ علىٰ طريق المجاز، وإنما المانع من رؤيته[1] ما يحدثه من المنع، وإنَّما كان كذلك لأنَّ المانع من معرفة الشيء ورؤيته ومعاينته ما يمنع من وجود معرفته ومعاينته[2] وما يمنع من ذلك فهو الذي يضاد وجوده، وذلك لا يصح إلا في العَرَضين المُتَضادين المتعاقبين، ولا يصح أنْ يكون الجسم منها ولا مانعاً من عرض أصلاً لأنه لا يصح أنْ يكون بين العَرَضين والجسم تنافٍ وتضاد[13].

قيل: هذا لا يمنع من إطلاق اسم الحجاب علىٰ القديم سبحانه كما لا يمنع من إطلاقه علىٰ غيره، وإن كان هذا المعنىٰ الذي ذكروه موجوداً فيه.

٢٧٦ـ وقد روىٰ في معنىٰ هذا حديث أبي القسم بن بشران بإسناده عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ وَلاَّهُ الله مِنْ أمرِ النَّاسِ شيئاً فاحْتَجَب عن حَاجتِهم وخَلَّتهم وَفاقِتهم احتَجَب الله يومَ القيامةِ عن حاجَتِه وخلتِه وَفاقتِه»**[14].

---

(١) في الأصل: رؤية، ولا يتناسب مع الجملة.

(٢)

= علىٰ المريسي» (١٦٩ ـ ١٧٣) فراجعه فإنه نفيس.

(١٣) انظر «مشكل الحديث» لابن فورك (ص١٢٤ ـ ١٢٥). وكذا تأوله الحافظ في الفتح (١١/ ٤٠٥) علىٰ أنَّه يحتجب بأمر معنوي يتعلق بقدرته!

(١٤) حديث صحيح، أخرجه أبو داود (٣/ ٢٩٤٨) والترمذي (٣/ ٦١١) ـ ولم يسق لفظه ـ وحميد بن زنجويه في «الأموال» (١/ ٦٤) والحاكم (٤/ ٩٣ ـ ٩٤) والبيهقي (١٠/ ١٠١ ـ ١٠٢) وعلَّقه البغوي (١٠/ ٧٠ ـ ٧١) عن يزيد بن أبي مريم أن القاسم بن مخيمرة =

....

= أخبره أنَّ أبا مريم الأزدي قال: دخلت علىٰ معاوية فقال: ما أنعَمَنا بك أبا فلان؟ وهي كلمة تقولها العرب، فقلت: حديثاً سمعتُه أخبرك به، سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكره، قال: فجعل (أي معاوية) رجلًا علىٰ حوائج الناس.

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وإسناده شامي صحيح، ووافقه الذهبي.

وهو كما قالا، أبو مريم الأزدي صحابي، اختلف في إسمه، ذكره الحافظ في الإصابة (٤/ ١٧٩) وذكر حديثه هذا، والقاسم بن مخيمرة ثقة فاضل، ويزيد بن أبي مريم وثَّقه ابن معين ودحيم وأبو حاتم وقال أبو زرعة: لا بأس به.

* وله طريق أخرىٰ:

أخرجها أحمد (٤/ ٢٣١) والترمذي (٣/ ٦١٠) والحاكم (٤/ ٩٤) عن علي بن الحكم حدثني أبو الحسن قال عمرو بن مُرَّة لمعاوية: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من إمامٍ يُغلق بابه دون ذوي الحاجة، والخَلَّة والمسكنة، إلا أَغْلَقَ الله أبوابَ السَّماء دُونَ خلَّته وحاجته ومسكنته**» فجعل معاوية رجلًا علىٰ حوائج الناس.

قال الترمذي: حديث عمرو بن مرة حديث غريب.

وقال الحاكم: صحيح ووافقه الذهبي.

لكن فيه: أبو الحسن وهو الجزري قال ابن المديني: مجهول ولا أدري سمع من عمرو ابن مرة أم لا؟

ونقل في التهذيب عن الحكم أنه قال: أبو الحسن هذا اسمه عبدالحميد بن عبدالرحمن ثقه مأمون (١٢/ ٧٣).

والحديث يتقوىٰ بما قبله.

وللحديث شاهد من حديث معاذ، أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩) مرفوعاً بنحوه.

وفيه شريك القاضي، وحديثه حسن في المتابعات.

وذكره الهيثمي في المجمع (٥/ ٢١٠) وقال: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات.

[إثباتُ رؤية المؤمنين لربِّهم جلَّ وعزَّ في الآخرة]

«حديـــثٌ آخـــر»(1)

٢٧٧- روي من طرق مختلفة وألفاظ مختلفة، أبو القسم بإسناده عن جرير بن عبدالله البجلي قال: خَرَجَ علينا رسول الله ليلة البدر فنظر إلىٰ القمر فقال: «**تَرَوْنَ ربكم يومَ القِيامَةِ كما تَنظرونَ إلىٰ هذا القَمَر لا تضامُّون في رؤيته**»(1).

٢٧٨- وروىٰ أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم سَتَرَوْن رَبَّكم**» قالوا: يا رسول الله نَرىٰ ربنا؟، قال فقال: «**هل تضارُّون في رؤية الشَّمس نصف النهار؟**» قالوا: لا، قال: «**فَتُضَارُّونَ في رؤية القَمَر ليلة البَدْرِ؟**» قالوا: لا، قال: «**فإنَّكم لا تُضَارُّونَ في رؤْيته إلا كما تُضَارُّون في ذلك**»(2).

---

(1) كتب بمحاذاة العنوان: بلغ مقابلة.

---

(1) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٠) والبخاري (٢/ ٣٣، ٥٢) (٨/ ٥٩٧) (١٣/ ٤١٩) ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (١/ ٤٣٩ - ٤٤٠) عن إسماعيل بن أبي خالد حدثنا قيس بن أبي حازم قال: سمعت جرير يقول فذكره وتمامه: «فإنْ استطعتم أن لا تُغْلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» يعني العصر والفجر، ثم قرأ جرير: ﴿**وسبّح بحمد ربِّك قبل طُلُوعِ الشَّمسِ وقبلَ غُرُوبها**﴾ [طه: ١٣].

(2) حديث صحيح مُطول، ذكر المصنف طرفاً منه، أخرجه أحمد (٣/١٦ - ١٧) والبخاري (٨/ ٢٤٩ - ٢٥٠) (١٣/ ٤٢٠ - ٤٢٢) ومسلم في الإيمان (١/ ١٦٧ - ١٧١) عن زيد ابن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً به.

٢٧٩- وروىٰ أبو هريرة قال قلنا: يا رسول الله هل نَرىٰ ربَّنا؟ قال: «**هل تُضَارُّون في رُؤية القَمر ليس دُونه سَحَابة؟**» قال قلنا: لا، قال: «**فهل تضارُّون برؤية الشمس ليستْ في سحابة؟**» قال قلنا: لا، قال: «**كذلك تَلْقَون ربَّكم**»(٣).

٢٨١- وروىٰ أبو عبدالله بن بطة في كتابه بإسناده عن أنس بن مالك قال: سُئِل رسول الله عن هذه الآية: ﴿**للذين أحْسَنُوا الحُسْنىٰ وزيادة**﴾ قال: «**الزِّيادة النَّظر إلىٰ وجْهِ الله الكريم**»(٤).

٢٨١- وروىٰ بإسناده عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أدنىٰ أهل الجنة منْزلة لَرَجل ينظرُ في ملكه أَلْفي سَنَةٍ يَرَىٰ أَقْصاه كما يرىٰ أدْنَاه، ينظر في أزواجِه وسرره وخدمه، وإنَّ أفْضَلُهم منزلة مَن ينظرُ في وجه الله عز وجل في كل يوم مرتين**»(٥).

---

(٣) حديث متفق علىٰ صحته، سبق تخريجه في الجزء الأول (ص١٥١) من هذا الكتاب.

(٤) ضعيف جداً من هذا الوجه، أخرجه الحسن بن عرفة في «جزءه» (٢٣) ومن طريقه ابن منده في «الرد علىٰ الجهمية» (ص٩٥ - ٩٦) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢/ ٤٥٦) والخطيب في تاريخه (٩/ ١٤٠):

عن سلم بن سالم عن نوح بن أبي مريم عن ثابت عن أنس قال: سُئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿**للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة**﴾ قال: «**للذين أَحْسنوا العمل في الدنيا الجنَّة، والزيادة النَّظرُ إلىٰ وجه الله الكريم جلَّ وعزَّ**».

وفيه ضعيفان: سلم بن سالم البلخي ضعفه ابن معين والنسائي وقال أحمد: ليس بذاك، ونوح بن أبي مريم أبو عصمة، قال البخاري: منكر الحديث، وقال مسلم وغيره: متروك، وقال الحاكم: وضع أبو عصمة حديث فضائل القرآن الطويل (الميزان).

والحديث عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٣٥٧) إلىٰ أبي الشيخ والدارقطني في الرؤية وابن مردويه وابن النجار.

ويغني عنه حديث صهيب المخرج قريباً.

(٥) إسناده ضعيف، أخرجه بهذا اللفظ أحمد(٢/ ١٣) وعنه عبدالله في «السنة» (١/ ٢٥١) =

٢٨٢ـ وروىٰ أيضاً بإسناده عن أبي موسىٰ الأشعري عن النبي ﷺ قال: «بينا هو يعلمهم شيئاً من أمْر دِينهم إذ شَخَصَتْ أبصارهم عنده فقال: «ما أَشْخَص

= وأبو يعلىٰ (١٠/ ٩٦ ـ ٩٧)واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٤٨٤، ٤٥٩) موقوفاً وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٨٧) وأبو الشيخ في العظمة (٦٠٤) وابن مندة في «الرد علىٰ الجهمية» (٩١) والحاكم (٢/ ٥٠٩):

عن عبدالملك بن أبجر عن ثوير بن أبي فاخته عن ابن عمر مرفوعاً به.

وأخرجه أحمد (٢/ ٦٤) وعنه عبدالله في «السنة» (٢/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) والترمذي (٤/ ٢٥٥٣) (٥/ ٣٣٣٠) وأبو يعلىٰ (١٠/ ٧٦ ـ ٧٧) وابن جرير في «تفسيره» (٢٩/ ١٢٠) والآجري في «الشريعة» (ص٢٦٩) والحاكم (٢/ ٥٠٩ ـ ٥١٠) والخطيب في «الموضع لأوهام الجمع والتفريق» (٢/ ١٤):

عن إسرائيل بن يونس حدثنا ثوير سمعت عبدالله بن عمر مرفوعاً بنحوه؛ وزاد: ثم تلا هذه الآية: ﴿وجوه يومئذٍ ناظرة إلىٰ ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣].

قال الحاكم: هذا حديث مُفَسَّر في الرد علىٰ المبتدعة، وثوير بن أبي فاخته وإن لم يخرجاه فلم يُنقم عليه غير التشيع.

وتعقَّبه الذهبي بقوله: بل هو واهي الحديث. وقال الترمذي: غريب.

وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤٠١) وعزاه لأبي يعلىٰ والطبراني وقال: وفي أسانيدهم ثوير بن أبي فاخته وهو مجمع علىٰ ضعفه.

قلت: قد ضعفه ابن معين وابن المديني، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن عدي: أثر الضعف بيِّنٌ علىٰ رواياته (الكامل ٢/ ٥٣٤).

وقد رواه عن مجاهد عن ابن عمر موقوفاً ويرفعه بعضهم:

أخرجه الترمذي (٤/ ص٦٨٨) (٥/ ص٤٣١) وابن جرير (٢٩/ ١٢٠) واللالكائي (٣/ ٤٨٤) وابن عدي (٢/ ٥٣٣).

وذكره العلامة الألباني حفظه الله في الضعيفة (١٩٨٥).

وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٣٥٠) إلىٰ ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر والدارقطني في الرؤية وابن مردويه والبيهقي.

أبصاركم عني؟» قالوا: نظرنا إلىٰ القمر، قال: «**فكيف بكم إذا رَأَيْتُم الله عزَّ وجل جهرة**»[٦].

٢٨٣ـ ورویٰ أيضاً بإسناده عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ أهْل الجنَّة يَرون ربَّهم تعالىٰ في كُلِّ يوم جُمعة في رمال الكافور، وأقربهم منه مَجْلساً أسرعهم إليه يوم الجُمعة، وأبكرهم غُدُواً**»[٧].

اعلم أنَّ هذه أخبارٌ صحاحٌ يجب الأخذُ بها، نَصَّ عليه أحمد في رواية أبي الحارث فقال: أحاديث الرؤية صحاح جياد. وكذلك قال في رواية المروذي لما سأل عن أحاديث الرؤية صِحَاحٌ جِيَاد.

وكذلك قال في رواية ابن منصور وقد قيل له: تقول بهذه الأحاديث التي تُروىٰ

---

(٦) في سنده جهالة، أخرجه عبدالله في «السنة» (٤٦٥) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٧٩ ـ ١٨٠) والدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (ص١٠١) والآجري في «الشريعة» (ص ٢٦٤) واللالكائي (٣/ ٤٩٨) عن أسلم العجلي عن أبي مراية قال: كان أبو موسىٰ يُعلِّمنا سُنَّتنا وأمر ديننا.. فذكر الحديث.

وقد اختلفوا في رفعه ووقفه، ورجَّح ابن خزيمة وقفه فقال: وذِكر هذا القول من قِبَل أبي موسىٰ لا عن النبي ﷺ.

وفي سنده: أبو مراية (وقع عند الآجري: أبو بردة، وهو تصحيف) ذكره الحافظ في «تعجيل المنفعة» (ص٥١٩) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، فهو مجهول الحال.

(٧) أخرجه الآجرِّي في «الشريعة» (ص٢٦٥) قال: حدثنا أبو بكر بن أبي داود حدثنا عمي محمد الأشعث حدثنا حسن بن حسن حدثني أبي حسن عن الحسن عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً به.

وأخرجه أبو عبدالله بن بطة بسنده كما سيذكره المصنف.

حسن بن حسن هو ابن حسن بن علي بن أبي طالب، قال ابن سعد: كان قليل الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحافظ: مقبول.

وله شاهد من حديث ابن مسعود موقوفاً سيذكره المصنف ويأتي الكلام عليه.

عن النبي ﷺ في الرؤية وتذهب إليها، وجمعها في كتاب وحدثنا بها.

وقال في رواية المروذي وحنبل وأبي داود: من قال إنَّ الله لا يُرىٰ في الآخرةِ فقد كفر.

فقد نصَّ علىٰ صحتها والأخذ بها وتكفير من ردَّها.

وقد رواه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري[٨].

فأما قوله: «**كما ترون القمر**» فلم يَقصد به إلا تحقيق رؤية العيان، لا تشبيه المرئي بالقمر في أنَّه محدود في جهة[٩]، وإنَّما معناه رؤيتكم لله يوم القيامة كرؤيتكم القمر ليلة البدر، أي كما لا تشكُّون ليلة البدر في رؤية القمر أنه البدر، ولا يتخالجكم فيه رَيْبٌ وظن، كذلك ترون الله عز وجل يوم القيامة معاينة يحصل معها اليقين.

وأما قوله: «**لا تَضَامُّون في رُؤيته**»[١٠] بالتَّشديد فقيل معناه: لا يَنْضم بعضكم إلىٰ بعض كما تَنْضَمُّون في رؤية الهلال رأس الشهر، بل تَرونه جهرةً من غير تكلفٍ لطلب رؤيته كما ترون البدر ـ وهو القمر ليلة الرابع عشر إذا عَايَنه المُعاين جهرةً لم يحتج إلىٰ تكلف في طلب رؤيته.

وأما قوله: «**لا تَضَامُون**» مُخَفَّف فالمراد به الضَّيم أي: لا يلحقكم فيه ضيم والضيم والضَّرر واحد في المعنىٰ. وأما قوله: «**لا تضارُّون**» أي لا يلحقكم ضَرَرٌ في رؤيته بتكلُّف طلبها كما يلحق المشقَّة والتَّعب في طلب ما يخفىٰ ويدق ويغمض[١١].

---

(٨) يعني حديثه المتقدم برقم (٢) من هذا الفصل.

(٩) قد سبق القول في نفي الجهة، وأنه لفظ يحتمل الحق والباطل. انظر (الجزء الأول/ ١٨٢).

(١٠) انظر النهاية في «غريب الحديث والأثر» (٣/ ١٠١) لابن الأثير وقال: ويجوز ضمُّ التاء وفتحها علىٰ تُفَاعِلون وتَتَفاعلون، وقال: الضَّيم: الظُّلم.

(١١) في النهاية (٣/ ٨٢) قال: يُروىٰ بالتشديد والتخفيف، فالتشديد بمعنىٰ: لا تتخالفون =

وكل ذلك تحقيق لرؤية المُعاينة، وأنها صِفَة تزيد علىٰ العلم.

فإنْ قيل: معناه رؤية العلم، وأنَّ المؤمنين يعرفون الله يوم القيامة ضرورة.

قيل: هذا غلط من قِبَلِ أنَّ الرؤية إذا كانت بمعنىٰ: العلم، تَعَدَّت إلىٰ مفعولين، وذلك كما يقول القائل: رأيتُ زيداً فقيهاً، أي علمته كذلك، فأمَّا إذا قال: رأيتُ زيداً مطلقاً، فلا يُفهم منه إلا رؤية البصر، وقد حَقَّق ذلك بما أكَّده من تشبيهه برؤية القمر ليلة البدر، وذلك رُؤية البصر لا رؤية علم.

وجواب آخر: وهو أنَّ النبي ﷺ بَشَّرَ المؤمنين من أصحابه بذلك، وهذا يُوجب أنْ يكون معنىٰ يختصون به، فأما العلم بالله فمشترك بين المؤمنين والكافرين في القيامة، فَيَبْطُل معنىٰ بشارته للمؤمنين بالرؤية.

وجـواب آخر: وهو أنَّ في رواية أبي موسىٰ: «ترون الله جهرة» وهذا يَرفَعُ الإشكال، لأنَّ الرؤية وإنْ كانت تستعمل في معنىٰ العلم، فإنها إذا قُرِنَت بلفظ الجَهر لم تحتمل العلم، ومن ذلك قولهم: ﴿**أَرِنا الله جَهْرَةً**﴾ [النساء: ١٥٣]. يعني عياناً(١٢) وكذلك في حديث ابن عمر: «**وإن أفضلهم مَنْ ينظر في وجه ربه في كلِّ يوم مرتين**» وهذا يمنع أنْ يكون المراد به العلم.

= ولا تتجادلون في صحة النظر إليه، لوضوحه وظُهوره.

ونقل عن الجوهري قوله: يقال أَضَرني فلان: إذا دنا مني دُنُوّاً شديداً.

ثم قال: فأراد بالمضارَّة: الاجتماع والازدحام عند النظر إليه.

وأما بالتخفيف فهو من الضير لُغة في الضُّر، والمعنىٰ فيه كالأول.

وقال الجوهري في الصحاح (٢/ ٧٢١): وبعضهم يقول: لا تَضَارُّون بفتح التاء أي: لا تَضَامُّون.

(١٢) وهو ما جاء وصرحاً به في رواية جرير عند البخاري (١٣/ ٤١٩) ولفظه: «**إنَّكم سترون ربكم عَيَاناً**».

فأما ما روي في حديث ابن عباس: «**إنَّ أهل الجنَّة يرون ربَّهم تعالىٰ في كلِّ يوم جمعة في رمال الكَافُور، فأقْربهم منه مجلساً أسرعهم إليه يوم الجُمعة، وأبْكرهم غُدُواً**» فإنَّ أبا عبدالله بن بطة رواه عن أبي عمر عبيدالله بن مسح العَطَّار وأبي يوسف يعقوب بن يوسف ومحمد بن الحسين قالوا: نا أبو بكر عبدالله بن سليمان أبي داود السجستاني قال: نا عمي محمد بن الأشعث قال: نا ابن حسن قال: حدثني أبي حسن عن الحسن عن عبدالله بن عباس عن النبي ﷺ(١٣).

٢٨٥ـ ونا أبو القسم بلفظٍ آخر موقوفاً علىٰ ابن مسعود فقال نا أبو القسم عبيدالله ابن أحمد بن علي المقري نا محمد بن مخلد نا إسحق بن إبراهيم البغوي نا وكيع عن المسعودي عن المنهال عن أبي عبيدة عن عبدالله قال: «إنَّ الله يَبْدُوا لأهل الجنَّة علىٰ كثيبٍ من كَافُور فيكونون منه في القُرْبِ علىٰ قدر تسرعهم إلىٰ الجُمَع»(١٤).

---

(١٣) تقدم الكلام عليه برقم (٧) من هذا الفصل.

(١٤) أخرجه عبدالله في «السنة» (٤٧٦) والطبراني في الكبير (٩/ ٢٣٨/ ٩١٦٩) عن المسعودي به، ولفظه: «**سارعوا إلىٰ الجُمع، فإنَّ الله عز وجل يَبرُز إلىٰ أهل الجنَّة في كلِّ جمعةٍ في كثيب من كافور، فيكونوا في القُرْب علىٰ قدر تَسَارعهم إلىٰ الجمعة، فَيُحدث الله عزَّ وجلَّ لهم من الكرامة شيئاً لم يكونوا رأوه قبل ذلك، ثم يرجعون إلىٰ أهليهم فيحدثونهم بما أحدث الله لهم**» ثم دخل عبدالله المسجد، فإذا هو برجلين يوم الجمعة قد سبقاه، فقال عبدالله: رجلان وأنا الثالث إن شاء الله أن يبارك في الثالث.

ذكره الهيثمي في المجمع (٢/ ١٧٨) وقال: وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه.

قلت: وهو ما ذهب إليه أبو حاتم الرازي كما في جامع التحصيل (ص٢٤٩) والترمذي كما في السنن (٢/ ٣٦٦). وقال الذهبي في العلو (٦٠): موقوف حسن. ولعله للطريق الآتي.

* وله طريق أخرىٰ:

فقد أخرجه ابن ماجة (١٠٩٤) وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٢٠) عن عبدالمجيد بن عبدالعزيز عن معمر عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال: خرجت مع عبدالله إلىٰ الجمعة، فوجد ثلاثة وقد سبقوه فقال: رابع أربعة، وما رابعُ أربعةٍ ببعيد، إني سمعت =

فإن قيل: هذا تفرد به المنهال بن عمرو وهو ضعيف.

قيل: هذا لا يصح لأنَّ أبا عبدالله بن بطة قد روىٰ أصل الحديث عن النبي ﷺ من غير طريق المنهال بن عمرو، وعلىٰ أنَّ المنهال ابن عمر الأسدي كوفي ثقة، وله تفسير أكْثر فيه الرواية عن سعيد بن جبير، وأخرج عنه أحمد أحاديث في المسند، وأخرج عنه البخاري حديثين مُسندين(١٥).

وقد قيل: في قوله: «في كل يوم جمعة» معناه يرونه علىٰ مقادير أَوْقَاتِ الدنيا وأيامها، كقوله تعالىٰ: ﴿لَهُمْ رِزْقُهُم فيها بُكْرَةً وعَشِياً﴾ [مريم: ٦٢]. وذلك علىٰ التقدير بأيام الدُّنيا وأوقاتها، لأنَّ ليس هناك غَدوة وعشية وجُمعة(١٦).

وأمَّا قوله: «في رمال الكافور» فلا يمتنع إطلاق ذلك عليه سبحانه، لا علىٰ وجه

= رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ النَّاسَ يَجلسون من الله يوم القيامة علىٰ قَدْرِ رَوَاحهم إلىٰ الجُمُعات، الأول والثاني والثالث» ثم قال: «رابعُ أربعةٍ، وما رابع أربعةٍ ببعيد».

وسنده حسن، رجاله ثقات، سوىٰ عبدالمجيد وقد وثقه الجمهور: أحمد وابن معين وأبو داود والنسائي، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، وقال الحافظ: صدوق يخطىء وكان مُرجئاً.

وبنحوه قال البوصيري في الزوائد.

(١٥) ذكره الحافظ في «هدي الساري مقدمة فتح الباري» (ص٤٦٤) فيمن ضُعِّفَ بأمرٍ مردود كالتحامل أو التعنت أو عدم الاعتماد علىٰ المضعف لكونه من غير أهل النقد ولكونه قليل الخبرة بحديث من تكلم فيه أو بحاله أو لتأخر عصره ونحو ذلك، فقال:

المنهال بن عمرو تكلم فيه بلا حجة.

(١٦) وكذا فسَّر الآية ابن جرير رحمه الله في تفسيره (١٦/ ٧٧).

وساق بسنده عن عامر بن يساف عن يحيىٰ قال: كانت العرب في زمانهم من وجد منهم عشاءاً وغداءً فذاك الناعم في أنفسهم، فأنزل الله: ﴿ولهم رِزْقُهم فيها بُكرةً وعشياً﴾ قدر ما بين غدائكم في الدنيا إلىٰ عشائكم.

يحيىٰ هو ابن أبي كثير الثقة الثبت، وعامر بن يساف قال أبو حاتم: صالح (الجرح (٦/ ٣٢٩)). فالإسناد حسن.

الانتقال وهذا نظير قوله تعالىٰ: ﴿وَجَاء رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]. وقوله: ﴿هل ينظرون إلا أنْ يأتيهُم الله في ظُلَلٍ من الغَمَام﴾ [البقرة: ٢١]. وقد سبق الكلام في ذلك(١٧).

وأمَّا قوله: «أقْرَبهم منه مجلساً» فلا يمتنع حمله علىٰ ظاهره في القُرْبِ من الذات، وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ دَنا فتدلَّىٰ فكان قابَ قوسينِ أو أدْنىٰ﴾ [النجم: ٨ - ٩]. وكذلك قول النبي ﷺ: «يؤتىٰ بالعبدِ يوم القيامة فَيُدْنيه الله فيضع كنفه عليه» وقد بينا فيما تقدم أنَّ ذلك علىٰ ظاهره في الدُّنو من الذَّات، وهذا الخبر محمول علىٰ ذلك.

فإن قيل: يحملُ القُرب علىٰ القربِ من الثَّواب والكرامة والرحمة.

قيل: هذا لا يصح لوجهين: أحدهما أنَّ رحمتَه وكرامتَه وثوابَه سابقٌ لرؤيتهم له.

والثاني: أنه إنْ جازَ تأويله علىٰ هذا جازَ تأويل قوله: «ترون ربكم» علىٰ التَّعَطُّفِ والرحمة والكرامة، وقد اتفقنا ومثبتوا الصِّفَات علىٰ فساد هذا التأويل، كذلك ها هنا.

فأمَّا قوله: ﴿ونَحْنُ أَقْربُ إليه مِنْ حَبْل الوَرِيد﴾ [قٓ: ١٦]. فالمراد به علمه لأنَّه قد تقدم ذِكْر العلم في أولِ الآية بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنسانَ ونَعْلَمُ ما تُوسْوِسُ به نفْسُهُ﴾ فوجبَ حمله علىٰ العلم(١٨).

٢٨٦- وقد قال أحمد في قوله: ﴿ما يكونُ من نجوىٰ ثلثةٍ إلا هُو رَابِعُهم﴾ [المجادلة: ٧]. علمه لأنه افتتح الآية بالعلم بقوله: ﴿أَلَمْ تَر أنَّ الله يَعْلَمُ ما في السَّموات﴾ وختم بالعلم بقوله: ﴿إن الله بِكُلِّ شيءٍ عليم﴾.

وأما قوله: «من قرب شبراً قربت منه ذراعاً» فإنَّ تَقَرُّب العبدُ إليه بالأعمال الصالحة، وأمَّا تقربه إلىٰ عبده فبالثواب والرحمة والكرامة، لأنه رُوي ذلك مفسراً في

---

(١٧) انظر الجزء الأول (ص١٣٠، ٢٥٥).

(١٨) قد سبق الكلام في تفسير الآية، وأن المراد: قرب ملائكته، انظر (الجزء الأول/ ٢٢٩).

بعض ألفاظِ الحديث، وقد ذكرناه في الكلام علىٰ قوله: «**يُدني عبده حتىٰ يضع عليه كنفه**»، وذكرناه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**ومن جاء يمشي أقْبَل الله إليه بالخير يُهرول**»[19]. فقد نصَّ علىٰ أنَّ إقباله عليه بالخير فدل علىٰ ذلك.

وفي هذا الفصل حكايتين ذكرهما أبو بكر أحمد بن محمد الخلال في «سُننه»:

٢٨٧ـ أحدهما: قال سمعت أبا سعيد الفقيه المصيصي الحسن بن علي بن عمر قال: قال أبو صفوان: رأيت المتوكل في النَّوم وبين يديه نارٌ مُؤجِجةٌ عظيمةٌ فقلت: يا أمير المؤمنين لمن هذه؟ قال: لإبني المنتصر لأنَّه قتلني، وتدري لم قتلني؟ لأنِّي حدَّثته أنَّ الله يُرىٰ في الآخرة.

قال أبو سعيد فقال: إبراهيم الحربي: هذه رُؤيا حق، وذلك أنَّ المتوكل كَتَب حديث حماد بن سلمة عن يعلىٰ بن عطاء عن وكيع بن حُدُس في الرؤية بيده عن عبدالله الأعلىٰ وقال: لا أكتبه إلا بيدي.

٢٨٨ـ والحكاية الأُخرىٰ: قال: أنا أبو بكر المروذي قال سمعت القواريري يقول: رأيتُ أحمدَ بن حنبل في النَّوم فقال: المؤمنُون ينتظرون أنْ يرون ربَّهم، فأمَّا الكفار فلا يجوز أنْ يرون الله تعالىٰ.

٢٨٩ـ وحكىٰ ابن فورك[20] عن أبي بكر خزيمة أنَّ ذكر في كتاب «التوحيد» أنَّ من الكفار مَنْ يَرَىٰ الله يوم القيامة رؤيةَ امتحان قبل أنْ يُوضع الجِّسْر بين ظهراني جهنم[21].

---

(١٩) انظر (الجزء الأول/ ٢٢٧ ـ ٢٣١).

(٢٠) «مشكل الحديث» (ص١٨٦ ـ ١٨٧).

(٢١) قال ابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٧٦) بعد أن ذكر حديثا أبي هريرة وأبي سعيد في «الرؤية»: في هذه الأخبار دلالة علىٰ أنَّ قوله: ﴿**كلا إنهم عن ربِّهم يومئذٍ لمحجُوبُون**﴾

. . . .

= إنما أراد الكفار الذين كانوا يكذبون بيوم الدين بضمائرهم فينكرون ذلك بألسنتهم، دون المنافقين الذين كانوا يكذبون بضمائرهم ويقرون بألسنتهم يوم الدين رياءً وسُمعة، ألا تسمع إلىٰ قوله عز وجل: **﴿ألا يَظُنُّ أولئكَ أنَّهم مبعوثُونَ ليوم عظيم﴾** إلىٰ قوله: **﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذبينَ الذين يُكَذِّبُونَ بيوم الدين﴾** [المطففين: ٤ ـ ١١]. أي المكذبون بيوم الدين، ألا ترىٰ أن النبي ﷺ قد أعلم أنَّ منافقي هذه الأمة يرون الله حين يأتيهم في صورته التي يعرفون، هذا في خبر أبي هريرة، وفي خبر أبي سعيد: «**فيكشف عن ساق فيخرون سجداً أجمعون**» وفيه ما دلَّ علىٰ أنَّ المنافقون يرونه للاختبار والامتحان فيريدون السجود فلا يقدرون عليه، وفي خبر أبي سعيد: «**فلا يبقىٰ من كان يعبد صنماً ولا وثناً ولا صورةً إلا ذهبوا حتىٰ يتساقطون في النار**» فالله سبحانه وتعالىٰ يحتجب عن هؤلاء الذين يتساقطون في النار ويبقىٰ من كان يعبد الله وحده من برٍ وفاجر ومنافق وبقايا أهل الكتاب.

إلىٰ أن قال: وأما المنافقون فإنما كانوا يكذبون بذلك بقلوبهم ويُقرون بألسنتهم رياءً وسمعة فقد يتراءىٰ لهم رؤية امتحان واختبار، وليكون حجبه إياهم بعد ذلك عن رؤيته حسرةً وندامة إذْ لم يصدقوا به بقلوبهم وضمائرهم، وبوعده ووعيده، وما أمر به ونهىٰ عنه، وبيوم الحسرة والندامة. وفي حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة: «**قال فيلقىٰ العبد فيقول: أي فُل ألم أكرمك**» إلىٰ قوله: «**فاليوم أنساك كما نسيتني**» فاللقاء الذي في هذا الخبر غير التراءي، لأنَّ الله عز وجل يتراءىٰ لمن قال له هذا القول، وهذا الكلام الذي يكلم به الرب جلَّ ذكره عبده الكافر يوم القيامة كلامٌ من وراء الحجاب من غير نظر الكافر إلىٰ حالته في الوقت الذي يكلم به ربه عزَّ وجلَّ» اهـ. المراد من كلامه.

وقد علَّق الهراس رحمه الله علىٰ كلامه، فقال عند ذكره لقوله تعالىٰ: **﴿كلا إنهم من ربهم يومئذٍ لمحجوبون﴾**: الحق أن الآية عامة في جميع الكفار والمنافقين، وذلك بعد أن يدخلوا النار، وأما في عَرَصات القيامة فيرونه جميعاً.

وقال: وكيف يُعقل لقاء بغير رؤية! وقد ذكر هنا أنه يلقاه ويكلِّمه، والكلام غير اللقاء، واللقاء هو المواجهة. اهـ. وانظر تعليقه (ص١٥٠).

وهذه المسألة ـ وهي هل يرىٰ الكافر ربه ـ مسألة اختلف فيها علماء السلف رحمهم الله =

=

تعالىٰ، والصواب فيها أن الكافر يرىٰ ربه لا علىٰ جهة التكريم، وإنما لمناقشة الحساب ثم يُحجب عن الرؤية.

وقد قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في سؤال وجه له عن لقاء الله تعالىٰ فأجاب: «الحمد لله، أما «اللقاء» فقد فسَّره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة، بعد السلوك والسير، وقالوا: إنَّ لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالىٰ، واحتجوا بآيات «اللقاء» علىٰ من أنكر رؤية الله في الآخرة من الجهمية كالمعتزلة وغيرهم.

وجعلوا اللقاء يتضمن معنيين: أحدهما: السير إلىٰ المَلِك، والثاني: معاينته كما قال: **﴿يا أيها الإنسانُ إنَّك كادحٌ إلىٰ ربِّك كَدْحاً فَمُلاقيه﴾** فذكر أنَّه يكدح إلىٰ الله فيلاقيه، والكدح إليه يتضمن السلوك والسير إليه، واللقاء يعقبهما.

وأمَّا المعاينة من غير مسيرٍ إليه ـ كمعاينة الشمْس والقمر ـ فلا يسمىٰ لقاء، وقد يراد باللقاء الوصول إلىٰ الشيء، والوصول إلىٰ الشيء بحسبه.

ومن دليل ذلك أن الله تعالىٰ قد قال: **﴿إذا لقيتم فِئَةً فاثْبُتُوا﴾** و**﴿إذا لقيتم الذين كفروا زَحْفاً فلا تُولُّوهم الأدْبار﴾** وقال: **﴿وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خَلَوا إلىٰ شياطينهم قالوا إنا معكم﴾** الآية.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تَتَمنوا لقاءَ العدو واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا**».

ويستعمل اللقاء في لقاء العدو، ولقاء الولي، ولقاء المحبوب، ولقاء المكروه.

وقد جاء في الكتاب والسنة ألفاظ من نحو «لقاء الله» كقوله: **﴿ولقد جئتمونا فُرَادَىٰ كما خَلَقناكم أول مرة﴾** وقوله: **﴿ولو تَرَىٰ إذ وُقِفُوا علىٰ ربِّهم قال أليس هذا بالحقِّ قالوا بلىٰ وربِّنا﴾** وقوله: **﴿وعُرِضُوا علىٰ ربِّك صفاً لقد جئتُمونا كما خلقناكم أول مرة﴾** وقوله: **﴿إنَّ ربَّك لبالمرصاد﴾** وقوله: **﴿إذا جاءَه لم يجده شيئاً وَوَجَدَ الله عنده فوَفَّاه حسابه﴾** . . وقوله: **﴿إنَّ إلىٰ ربِّك الرجعىٰ﴾** . . .

لكن يلزم هؤلاء «مسألة» تكلم الناس فيها، وهي أنَّ القرآن قد أخبر أنَّه يلقاه الكفار ويلقاه المؤمنون كما قال: **﴿يا أيها الإنسانُ إنَّك كادحٌ إلىٰ ربك كدحاً فملاقيه * فأما من**

= أوتي كتابه بيمينه فسوف يُحاسَبُ حِساباً يسيراً * وينقلبُ إلىٰ أهله مسروراً * وأمّا من أوتي كتابه وراءَ ظهره * فسوف يَدْعو ثُبُوراً * ويَصْلىٰ سَعيراً﴾.

وقد تنازع الناس في الكفار هل يرون ربهم مرةً ثم يحتجب عنهم؟ أم لا يرونه بحال تمسكاً بظاهر قوله: ﴿كلا إنهم عن ربِّهم يومئذٍ لمحجوبون﴾ ولأنَّ الرؤية أعظم الكرامة والنعيم، والكفار لا حظَّ لهم في ذلك.

وقالت طوائف من أهل الحديث والتصوف: بل يرونه ثم يحتجب، كما دلَّ علىٰ ذلك الأحاديث الصحيحة التي في الصحيح وغيره، من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وغيرهما مع موافقة ظاهر القرآن، قالوا: وقوله: ﴿لمحجوبون﴾ يشعر بأنَّهم عاينوا ثم حُجبوا، ودليل ذلك قوله: ﴿إنَّهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون﴾ فعُلم أنَّ الحجب كان يومئذٍ، فيشعر بأنه يختص بذلك اليوم، وذلك إنَّما هو في الحجب بعد الرؤية، فأما المنع الدائم من الرؤية فلا يزال في الدنيا والآخرة.

قالوا: ورؤية الكفار ليست كرامة ولا نعيماً، إذ «اللقاء» ينقسم إلىٰ لقاء علىٰ وجه الإكرام، ولقاء علىٰ وجه العذاب، فهكذا الرؤية التي يتضمنها اللقاء.

ومما احتجوا به حديث أبي هريرة: قالوا: يا رسول الله! هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ قال: **«هل تُضَارُّون في رؤية الشمس ليست في سحابة؟»** قالوا: لا، قال: **«والذي نفسي بيده لا تُضَارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما»** قال: **«فيلقىٰ العبد فيقول: أي فُلْ! ألم أكرمك وأُسودك وأزوجك وأُسخِّر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلىٰ يا رب، قال فيقول: فظننت أنَّك مُلاقيَّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساكَ كما نسيتني، ثم قال: يلقىٰ الثاني فيقول له مثل ذلك فيقول: أي ربِّ آمنتُ بك وبكتابك وبرسلك، وصلَّيت وصمتُ وتصدَّقت ويثني بخيرٍ ما استطاع، فيقول: ههنا إذاً، قال: ثم يقال الآن نبعثُ شاهدنا عليك، ويتفكَّر في نفسه مَنْ ذَا الذي يشهدُ عليَّ؟ فيختم علىٰ فيه ويقال لفخذه انطقي، فتنطقُ فخِذُه ولحمه وعظامه بما كان يعمل فذلك المنافق ليعذر من نفسه، وذلك الذي يسخط عليه...»**.

ثم ذكر بعد كلام له في الردِّ علىٰ المعتزلة وأشباههم الذين ينكرون لقاء الله تعالىٰ ورؤيته =

= بالكلية، بعض الأدلة التي تُبين أيضاً أن لقاء الله تعالىٰ غير الجزاء مثل: قوله ﷺ في الحديث: «. . **وقولك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق**. . .» ففي الحديث فَرَّق بين لقائه وبين الجنة والنار، والجنة والنار تتضمن جزاء المطيعين والعصاة، فعُلِم أن لقاءه ليس هو لقاء الجنة والنار.

وقوله ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ إلا سيكلِّمه الله ليس بينه وبينه حاجبٌ ولا ترجُمان**. .».

ومنها: أنه لو أُريد بـ «لقاء الله» بعض المخلوقات ـ إما جزاءً وإمَّا غير جزاء ـ لكان ذلك واقعاً في الدنيا والآخرة، فكان العبد لا يزال ملاقياً لربه، ولما علم المسلمون بالاضطرار من دين الإسلام أنَّ لقاء الله لا يكون إلا بعد الموت، عُلِمَ بطلان أنَّ «اللقاء» لقاء بعض المخلوقات.

ومعلومٌ أن الله قد جَازَىٰ خلقاً علىٰ أعمالهم في الدنيا بخير وشر، كما جازىٰ قوم نوحٍ وعاد وثمود وفرعون، وكما جازىٰ الأنبياء وأتباعهم، ولم يقلْ مسلمٌ إن لقاء هذه الأمور في الدنيا لقاء الله.

ومنها: أن قوله: ﴿**هو الذي يُصلِّي عليكم، وملائكتُه ليُخرجكم من الظُّلمات إلىٰ النُّور وكان بالمؤمنين رحيماً * تحيتُهم يوم يَلْقونه سلامٌ وأعدَّ لهم أجراً كريماً**﴾.

فلو كان «اللقاء» هو لقاء جزائه لكان هو لقاء الأجر الكريم الذي أعدَّ لهم، وإذا أخبر بأنهم يلقون ذلك لم يَحسن بعد ذلك الإخبار بإعداده، إذْ الإعداد مقصوده الوصول، فكيف يخبر بالوسيلة بعد حصول المقصود؟ لا سيما وقد قَرَن اللقاء بالتحية، وذلك لا يكون إلا في اللقاء المعروف، لا في حصول شيءٍ من النعيم المخلوق.

ومنها: أن قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه، ومَنْ كَرِهَ لقاءَ الله كره الله لقاءه**» أخبر فيه أن الله يحب لقاء عبد ويكره لقاء عبد، وهذا يمتنع حمله علىٰ الجزاء، لأنَّ الله لا يكره جزاء أحد، ولأن الجزاء لا يلقاه الله، ولأنه إنْ جاز أن يلقىٰ بعض المخلوق كالجزاء أو غيره جاز أنْ يلقىٰ العبد، فالمحذور الذي يُذكر في لقاء العبد موجود في لقائه سائر المخلوقات، فهذا تعطيل النص، وإما أن يقال: بل هو لاق لبعضها، فيتناقض قول الجهمي ويَبطل. =

وأنكر ابن فُورك هذه المقالة وقال: هي مُحدثة لأنَّ مِنَ النَّاس مَن مُنعَ الرؤية، وقال لا يراه مُؤمنٌ ولا كافر، وهم المعتزلة، ومنهم من قال يَرَاه المؤمنون دون الكافرين، ومنهم من قال ـ وهو ابن سالم[22] ـ يراه جميع الكفار وكان مذهباً[23] مرغوباً عند مُبدعاً فيه عند علماء العراق والحجاز.

وقد احتج بن خزيمة لقوله بما تقدم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**يجْمَعُ الله النَّاس فيقول من كانَ يعبد شيئاً فَلْيتَّبعه، فيتبع من كان يعبد القمر، ومن كان يعبدُ الشَّمس، ومن كان يعبدُ الطَّواغِيت، وتبقىٰ هذه الأُمة فيها مِنَافِقُوها فيَأتيهم الله عزَّ وجلَّ في غير الصُّورة التي يعرفون فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون نَعُوذُ بالله منك، هذا مكاننا حتىٰ يأتي ربُّنا، فيقولون أنت ربنا فيتبعونه**».

والجواب: أنَّه ليس في هذا ما يدلُّ علىٰ الرؤية، وإنَّما فيه أنَّه يخاطِبهُم وقد يجوز أنْ يُخاطِب الخلق من غير أنْ يروه.

= قال: ودلائل بطلان هذا القول لا تكاد تحصىٰ اهـ. من مجموع الفتاوي (٦/ ٤٦١ ـ ٤٧٥) باختصار.

وقد حكىٰ ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٢٥١) في «وعيد مُنكري الرؤية» إجماع أهل اللغة علىٰ أنَّ «اللقاء»: المعاينة بالأبصار.

أما ابن حزم فقد قال إنَّ الكفار يرون الله تعالىٰ في الآخرة بقلوبهم! انظر الفصل (٣/ ٤).

وانظر شرح الطحاوية (٢١٣).

(٢٢) كذا في الأصل، وفي مطبوعة «مشكل الحديث» ص(١٨٧): ابن سلم البصري.

ولم أعرفه، وهجم القلعجي في تعليقه علىٰ «مشكل الحديث» فجعله سلم العلوي!! وترجم له مع أنه أثبته ابن سلم!! فلا أدري علىٰ أي شيءٍ اعتمد في قوله هذا؟!

(٢٣) في المطبوعة من «مشكل الحديث»: وكان مذهبه مزهوداً فيه عند العلماء، مرغوباً عنه مبتدعاً فيه عند علماء العراق والحجاز.

«حَديـــثُ آخَـــرُ»

٢٩٠ـ رواه أبو عبدالله بن بطة بإسناده عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما مِنْكم مِنْ أحدٍ إلا سَيَخْلوا الله به يوم القيامة، ليسَ بَيْنه وبَيْنه حِجابٌ أو تَرْجُمانٌ»**(1).

اعلم أنَّ هذا الخَبَر في معنىٰ الذي قبله من القُرب منه، لأنَّ الخلوَ عبارةٌ عن

---

(1) حديث صحيح، أخرجه ابن خزيمة (١٥٠) فقال: حدثنا علي بن سلمة اللَّبَقي حفظاً ثنا زيد بن الحباب ثنا حسين بن واقد عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما منكم من أحد إلا وسيكلِّمه ربُّه ليس. . . . »**.

وإسناده حسن، رجاله رجال مسلم سوىٰ علي بن سلمة القرشي وهو صدوق.

* ويشهد لـه حديث عدي بن حاتم المخرج في البخاري في مواضع منها (١١/ ٤٠٠) (١٣/ ٤٧٤) ومسلم (٢/ ٧٠٣ ـ ٧٠٤) قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه تَرجُمان، فينظر أيمن منه فلا يرىٰ إلا ما قَدَّم، وينظر أشأم منه فلا يرىٰ إلا ما قدَّم، وينظر بين يديه فلا يرىٰ إلا النار تِلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشقِّ تمرةٍ»** لفظ مسلم.

* ولحديث بريدة طريق ضعيفة:

فقد أخرجه عبدالله في «السنة» (٤٦٩) عن أبي خالد القرشي نا بشير بن المهاجر عن عبدالله (وقع عبيدالله وهو خطأ) بن بريدة عن أبيه مرفوعاً به.

وفي سنده: بشير بن المهاجر الكوفي الغنوي، صدوق لين الحديث رمي بالأرجاء، وأبو خالد القرشي هو عمرو بن خالد، متروك.

وتابعه عبدالعزيز بن أبان وهو متروك أيضاً، عند البزار (٤/ ٣٤٤٠ ـ زوائد).

واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤).

وقد أعله الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٤٦) بعبدالعزيز بن أبان.

القُرب، ولهذا إذا قيل: خلا الوزير بالخليفة، المراد به القُرب، وقد بينًا جواز إطلاق الدُّنو والقرب من الذات، كذلك لا يمتنع جواز الخَلْوة لأنَّ معناهما واحد.

٢٩١ـ وقد نصَّ أحمد علىٰ الأخذِ بظاهر الحديث في رواية حنبل فقال: لا نُزيل عنه صفة من صفاتٍ ذاته بشَنَاعةٍ شُنِّعَتْ، ووصف به نفسه، من كلام ونزولٍ وخَلْوةٍ بعبده يوم القيامة، ووضعه كنفه عليه.

فإنْ قيل: يحمل ذلك علىٰ أنَّه يُفْرده يوم القيامة بكلامٍ لا يسمعه غيره بل يختص بسماعه المكلم، لأنَّ معنىٰ ذلك في كلام العرب الانفراد، ومن قولهم: خَلاَ فُلان بعمله وخَلا فلان بنفسه، معناه: الإنفراد، وكذلك ها هنا.

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّه إذا جازَ حَمْله علىٰ الإنفراد بالكلام جاز حمله علىٰ الإنفراد بالقُرب، إذ معناهما يرجعُ إلىٰ الكرامة والمنزلة.



«حديـــثٌ آخـــر»

٢٩٢ـ حدثنا أبو القسم بإسناده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لَمَّا خلق الله تعالىٰ آدم نَفَخ فيه الرِّوح عَطَس فقال: الحمد لله، فحمد الله بإذن الله، فقال له ربه يرحمك رَبُّكَ يا آدم، ثم قال: اذهبْ إلىٰ أولئك الملائكة إلىٰ ملأ منهم جُلُوساً فقُل: السَّلام عليكم فقال: السَّلام عليكم، فقالوا: السَّلام عليك ورحمة الله، ثم رَجَع إلىٰ ربِّه فقال: هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم، ثم قال له ويَدَاه مَقْبوضَتان: يا آدم اخْتَر أيَّها شئت قال: اخْتَرتُ يمينَ رَبِّي وكلْتا يَديَه يمينٌ مُباركة»(١).

أمَّا قوله: «نفخ فيه الروح» فقد أطلق ذكر الرُّوح ها هنا وقد أضافها إلىٰ نفسه في القرآن فقال: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعُوا به ساجدين﴾ [الحجر: ٢٩]. فمعنىٰ إضافته إليه من طريق المُلْك والفِعل، وأضافه(١) إلىٰ نفسه لتشريف شأنه والرفعة من حاله، كما خَصَّ بعض البيوت بالإضافة إلىٰ نفسه.

٢٩٣ـ وقد نصَّ أحمد علىٰ معنىٰ هذا فيما خرَّجه في «الرد علىٰ الزنادقة والجهمية» فقال: وأما قوله جل ثناؤه: ﴿ورُوحٌ منه﴾ [النساء: ١٧١] يقول: مِنْ أمره(٢)، كما

---

(١) في الأصل: أضافة.

---

(١) حديث صحيح، تقدم تخرجه في (الجزء الأول/ ١٧٤).
ونضيف إلىٰ مصادر تخريجه: «السنة» لابن أبي عاصم (٢٠٦، ٥٩٦) وابن سعد (١/ ٢٧ ـ ٢٨) وابن حبان (٢٠٨٢ ـ زوائد) والحاكم (١/ ٦٤) (٢/ ٣٢٥) من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) في المطبوعة من «الرد علىٰ الزنادقة»: من أمره كان الروح فيه.

قال: ﴿وسَخَّر لكم ما في السَّموات وَمَا في الأرض جميعاً مِنه﴾ [الجاثية: ١٣].

أي: من أمره، وتفسير روح الله إنما معناها أنها روحٌ[٣] خلقها الله، كما يقال عبدالله وسماء الله وأرض الله[٤].

---

(٣) في المطبوعة: أنها روح بكلمةٍ من الله خلقها الله..

(٤) «الرد على الزنادقة والجهمية» (ص٤٠) من طبعة الدار السلفية بالكويت، وهي مصورة عن طبعة مصرية طبعت سنة ١٣٩٩هـ، كتب في آخرها: كتبه لنفسه محمد بن محمد بن علي ابن أحمد المقدسي الحنبلي ثالث من شهر ذي الحجة الحرام سنة إحدى وعشرين وثمانمائة.

وهذا الكتاب ـ أعني الرد على الزنادقة ـ جاء في «سير أعلام النبلاء» للذهبي أنه موضوع على الإمام أحمد! فقد قال في (١١/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧) بعد أنْ ذكر رسالته إلى عبيدالله بن يحيى ابن خاقان: فهذه الرسالة إسنادها كالشمس، فانظر إلى هذه النَّفَس النَّوراني، لا كرسالة الإصطخري، ولا كالردِّ على الجهمية الموضوع على أبي عبدالله!! فإن الرجل كان تقياً ورعاً لا يتفوَّه بمثل ذلك، ولعله قاله، وكذلك رسالة المسيء في الصلاة باطلة، وما ثبت عنه أصلاً، وفرعاً ففيه كفاية».

وأما في ترجمة الإمام أحمد من «تاريخ الإسلام» للذهبي المطبوعة بتحقيق أحمد شاكر رحمه الله فاقتصر على ذكر رسالة الإصطخري فقال: وأما غيرها من الرسائل المنسوبة إليه كرسالة الإصطخري، ففيها نظر والله أعلم. (انظر ص١٢٤).

وقد نقل عن هذه الرسالة (الرد على الزنادقة) المصنف في أكثر من موضع في كتابنا هذا مصححاً نسبتها للإمام أحمد، وكذا من بعده من العلماء ـ الحنابلة وغيرهم ـ كأبي الوفاء بن عقيل والبيهقي وابن تيمية في مواضع كثيرة من كتبه (انظر مثلاً «درء تعارض العقل النقل»: (١/ ١٨، ٤٤، ٢٢١، ٢٤٩) (٢/ ٧٥، ٢٩١ ـ ٣٠١) وغيرها).

وابن القيم في مواضع كثيرة أيضاً، من ذلك قوله في «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٢٤١): «قال الإمام أحمد في كتابه الذي خرَّجه في الرد على الزنادقة والجهمية، وذكره الخلال في الجامع والقاضي أبو يعلى وسائر أصحاب أحمد».

فثبتت نسبة الكتاب للإمام أحمد، ولا عبرة بمن طعن فيه من الجهمية المعاصرين وأتباعهم كالكوثري في تعليقه على كتاب «الاختلاف في اللفظ» وقد أفسد الكتاب بتعليقه الآثم، وزعم =

وأما قوله: «**رحمك ربك**» حين عطس آدم عليه السلام، فإنَّه يفيد مخاطبته له من غير واسطة ولا ترجمان، تشريفاً له وتعظيماً علىٰ غيره من المكلمين.

وأما قوله: «**ثم رجع إلىٰ ربِّه فقال هذه تحيتك**» ظاهرة يقتضي رُجُوعاً إلىٰ المكان، وقد حمله بعضهم علىٰ الرجوع إلىٰ الخطاب والمسائلة، وليس في حمله علىٰ المكان ما يُحير الصِّفات.

وأما قوله: «**اخترت يمين ربي**» فقد تقدم الكلام فيه، وقلنا لا يمتنع إطلاق صفة اليمين عليه كما جاز إطلاق اليدين(٥).



= في (ص٤٦) أنَّ الكتاب أُذيعت نسبته في القرن الرابع برواية مجهولة!!

وهذا كلام مردود، فإن الكتاب لم يزل مشهوراً بين أصحاب الإمام أحمد كما سبق في كلام ابن القيم، والكتاب المشهور، الغني بشهرته لا يحتاج في صحة نسبته إلىٰ اعتبار حال رجال الإسناد مِنَّا إلىٰ مصنفه، كما قال خاتمة الحفَّاظ ابن حجر العسقلاني في «النكت علىٰ كتاب ابن الصلاح» (١/ ٢٧١) المطبوع بتحقيق شيخنا الفاضل ربيع بن هادي حفظه الله تعالىٰ.

* أما رسالة الإصطخري وهو أحمد بن جعفر من يعقوب الفارسي، فقد ذكرها القاضي أبو الحسين في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٤ ـ ٣٦) وذكر فيها مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر و«رسالة الصلاة» قد طبعت هي ورسالة «الرد علىٰ الزنادقة» بتحقيق محمد حامد الفقي.

(٤) انظر (الجزء الأول/ ١٦٨) وما بعدها.

«حَديـــثٌ آخـــر»

٢٩٤ـ ذكره ابن فورك ولم يقع لي طريقه عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**إن الله يَطْوي المظالم يوم القيامة**[١] **فيجعلها تحتَ قَدَمَيه إلا مَا كَان من أَجْر الأجير، وعَقْر البَهيمة، وفض الخاتم**»[٢].

اعلم أنَّا قد بَينَّا جواز إطلاق اسم «القدم» في صفته، لا علىٰ وَجه الجارحة والبعض والعضو، كما جاز إطلاق اليدين والوجه، وَبينَّا ذلك فيما تَقدَّم، وتكلَّمنا علىٰ تأويل من تأوَّل القَدم علىٰ وجوه، والمراد بهذا الخبر تَعريفنا مَراتب الأعمال، وأنَّ منها إلىٰ العَفْو عنه أقرب من غيره، وهذا المتعارف في استعمال اللُّغة في الشيًّء الذي لا تنافس ولا يطالب به قد جعلته تحت قدمي، إذا أراد الإعراضَ عنه.

٢٩٥ ـ ومثل هذا ما روي عن النبي ﷺ لما فَتَح مكة قَامَ علىٰ بَاب الكعبة فقال: «**كلُّ دَمٍ كانَ في الجَاهِليَّة قَدْ جَعَلْتُه تحت قدمي**»[٣] علىٰ معنىٰ: قد أعرضت [عن]

---

(١) كذا في «مشكل الحديث».

(٢) «مشكل الحديث» (ص٨٩) قال: روىٰ معاوية بن صالح عن راشد بن سعد أن رسول الله ﷺ.. فذكره.

وقد أخرجه ابن منده في «الرد علىٰ الجهمية» (١٤) قال أخبرنا أحمد بن سليمان بن حذلم ثنا أبو زرعة ثنا أبو صالح ثنا معاوية بن صالح عن راشد بن سعد مرفوعاً به.

وهذا سند مرسل، فراشد بن سعد هو المقرائي من ثقات التابعين.

(٣) إسناده ضعيف، أخرجه أحمد (٢/ ١١، ٣٦) وأبو داود (٤/ ٤٥٤٩) ولم يسق لفظه والنسائي (٨/ ٤٢) وابن ماجة (٢٦٢٨) والدارقطني (٣/ ١٠٥) عن علي بن زيد بن جدعان عن القاسم بن ربيعة (وتارة يقول ابن جدعان: ابن محمد) عن ابن عمر قال: إن رسول الله ﷺ قام يوم فتح مكة وهو علىٰ دَرَجِ الكعبة فحمد الله وأثنىٰ عليه فقال: «الحمد لله الذي =

المنافسة فيه، والمطالبة به.

فإن قيل: هذا تمثيلٌ[1] بالأمر الذي يُوطَأُ بالقَدَم إذا أراد ستره والإعراض عنه،

(١) في الأصل: تمثيلاً، وهو خطأ لغة.

= **صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا إنَّ قتيل الخطأ قتيل السَّوط والعصا: فيه مائةٌ من الإبل منها أربعون خَلِفَةً في بطونها أولادُها، ألا إنَّ كلَّ مأْثُرةٍ كانت في الجاهلية ودمٍ، تحت قدمي هاتين، إلا ما كان من سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا إني قد أمضيتُهما لأهلهما كما كانا».**

وأخرجه أحمد (٢/ ١٠٣) عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يعقوب السدوسي عن ابن عمر.

قال ابن القطان في كتابه: وهو حديث لا يصح لضعف علي بن زيد، نقله الزيلعي.

قلت: قد ضعفه أحمد وابن معين والنسائي وقال أبو زرعة: ليس بقوي وكذا أبو حاتم وزاد: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال ابن خزيمة: لا أحتج به لسوء حفظه.

ويدلك على هذا اضطرابه في هذا الإسناد كما سبق.

لكن الحديث مروي بطريق صحيحة، فقد أخرجه أبو داود (٤/ ٤٥٤٧) والنسائي (٨/ ٤١) وابن ماجه (٢٦٢٧) وابن حبان (١٥٢٦ ـ زوائد) والبيهقي (٨/ ٦٨).

عن حماد بن زيد عن خالد الحذاء عن القاسم بن ربيعة عن عقبة بن أوس عن عبدالله ابن عمرو أن رسول الله ﷺ خطب يوم الفتح بمكة فكبَّر ثلاثاً ثم قال: «**لا إله إلا الله وحده صدق وعده**. . .» فذكر نحوه.

قال ابن القطان في كتابه: هو حديث صحيح من رواية عبدالله بن عمرو بن العاص، ولا يضره الاختلاف الذي وقع فيه، وعقبة بن أوس تابعي ثقة اهـ.

يشير إلى الاختلاف الذي وقع في سنده، فقد رواه عقبة فقال: عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، ورواه أيوب عن القاسم بن ربيعة عن ابن عمرو فأسقط عقبة بن أوس وغير ذلك وهو اختلاف لا يضر.

وللتوسع انظر: نصب الراية (٤/ ٣٣١ ـ ٣٣٢) للزيلعي وإرواء الغليل (٧/ ٢٥٥ ـ ٢٥٨) للعلامة الألباني وقد أفاض في الكلام عليه.

قيل: اجعله تحت قدمك تمثيلاً.

قيل: لا يجب حمله علىٰ ذلك إذ ليس في حمله علىٰ ظاهره ما يُحيل صفاته من الوجه الذي بيَّنا.

* * *

[إثباتُ صفة «الكفِّ» للرحْمَنِ جَلَّ شأنه]

«حَديـــثٌ آخـــر»

٢٩٦ـ أبو القسم بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يَقْبَلُ الصَّدَقَاتَ، ولا يَقْبَل مِنْها إلا الطَّيِّب فَيَأْخُذها بِيَمينِهِ فيُرَبِّيها كما يُرَبِّي أحَدُكم فَلُوَّه أو فَصيلَه»[1].

---

(١) إسناده حسن، أخرجه بلفظ مقارب الترمذي (٣/ ٦٦٢):

عن عبَّاد بن منصور حدثنا القاسم بن محمد قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه، فيُربِّيها لأحدِكم كما يُربي أحدُكم مُهرَه، حتىٰ إنَّ اللقمةَ لتصيرُ مثلَ أُحُد**» وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿**ألم يَعْلموا أنَّ الله هو يقبلُ التوبةَ عن عبادِهِ ويأخُذُ الصَّدقات**﴾ و﴿**يَمْحَقُ الله الرِّبا ويُرْبي الصَّدقات**﴾.

قال أبو عيسىٰ: حديث حسن صحيح.

وقد روي عن عائشة عن النبي ﷺ نحو هذا.

قلت: وإسناده حسن، عباد بن منصور صدوق وكان يدلس، لكنه قد صرَّح هنا.

وصححه المنذري في الترغيب (٢/ ٣).

وحديث عائشة رواه ابن حبان في صحيحه (٨١٩ ـ زوائد) والطبراني، وقال الهيثمي (٣/ ١١١): رجاله رجال الصحيح.

* وله طريق أخرىٰ رواها البزار (١/ ٩٣١ ـ زوائد) وقال الهيثمي (٣/ ١١٢): ورجاله ثقات.

ويشهد للحديث ما بعده.

* فائدة: قال الترمذي عقب تخريجه لهذا الحديث: وقد قال غيرُ واحدٍ من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهُ هذا من الروايات، من الصِّفات، ونزول الربِّ تباركَ وتعالىٰ كلَّ ليلةٍ إلىٰ السماء الدنيا، قالوا: قد تُثبت الروايات في هذا ويُؤْمَنُ بها ولا يُتوهَّمُ، ولا يقال: كيف؟ =

وفي لفظ آخر قال: «مَنْ تَصَدَّقَ بِتَمْرةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، ثُمَّ وَضَعَهَا في مَوْضِعِها أَخَذَها الله بِيَمِينِهِ فَلَمْ يَزَلْ يُرَبِّيها كما يُرَبِّي أَحَدُكُم فَلُوَّهُ حَتَّىٰ تكونَ مِثْلَ الجَبَل أو أَفْضَل»[٢].

= هكذا رُوي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبدالله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمرُّوها بلا كيف، وهكذا قولُ أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهميةُ فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيه.

وقد ذكر الله عز وجل في غير موضع من كتابه: اليدَ والسَّمعَ والبصرَ، فتأوَّلت الجهمية هذه الآيات ففسَّروها علىٰ غير ما فسَّرَ أهلُ العلم، وقالوا: إنَّ الله لم يخْلُق آدمَ بيده، وقالوا: إن معنىٰ اليد ههنا القُوة.

وقال إسحاق بن إبراهيم: إنما يكون التَّشبيه إذا قال: يدٌ كيدٍ، أو مثلَ يدٍ، أو سمعٌ كسَمعٍ أو مثل سمعٍ، فإذا قال: سمعٌ كسمعٍ أو مثل سمعٍ فهذا التشبيه.

وأما إذا قال كما قال الله تعالىٰ: يدٌ وسمعٌ وبَصرٌ، ولا يقول كيفَ، ولا يقولُ مثل سمعٍ ولا كسمعٍ، فهذا لا يكون تشبيهاً، وهو كما قال الله تعالىٰ في كتابه: **﴿ليس كمثله شيء وهو السَّميعُ البصير﴾** اهـ كلامه رحمه الله تعالىٰ.

وهو كلام نفيس، جارٍ علىٰ قانون السلف رحمهم الله تعالىٰ، من إمرار آيات الصفات وأحاديثها، وإثبات معانيها، وعدم التعرض لها بالتكييف أو التشبيه أو التأويل والتحريف.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٣٣١) والبخاري تعليقاً (٣/ ٢٧٨) (١٣/ ٤١٥) عن عبدالله بن دينار عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة به ولفظه مقارب للفظ السابق.

ورواه البخاري في الموضعين السابقين موصولاً، ومسلم في الزكاة (٢/ ٧٠٢) من طرقٍ عن أبي صالح عن أبي هريرة به.

ورواه مسلم (٢/ ٧٠٢) والترمذي (٣/ ٦٦١) والنسائي (٥/ ٥٧ ـ ٥٨) وابن خزيمة في التوحيد (ص٦١، ٦٣) عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن سعيد بن يسار به، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: **«ما تصدَّق أحدٌ بصَدقةٍ من طيِّبٍ، ولا يقبل الله إلا الطيِّبَ، إلا أخذها الرحمن بيمينه وإنْ كانت تمرةً، فتربُو في كَفِّ الرحمنِ، حتىٰ تكون أعظم من الجبل، كما يُربِّي أحدكم فَلُوَّه أو فَصيله»**. =

وفي لفظٍ آخر: «إنَّ الله يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ بيَمينِهِ، ولا يَقْبَلُ منها إلا مَا كَانَ طيِّباً، وإنَّ الله لَيُرَبِّي لأَحَدِكُم صَدَقَته كما يُرَبِّي أَحَدُكُم مَهْرَهُ أو فَصِيلَه حَتَّىٰ يُوافىٰ بها يوم القيامةِ وهي أعْظَم من أُحُد»[٣].

٢٩٧ـ وفي حديث آخر رواه ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «تَصَدَّقُوا فإنَّ أحَدَكم يُعْطي اللُّقْمة أو الشيَّء فَيَقَع في يد الله تعالىٰ قبلَ أنْ تَقَعَ في يَدي السَّائل ثُمَّ تَلَىٰ هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَعْلموا أنَّ الله هُو يَقْبَلُ التَّوبة عَنْ عبَادِهِ ويَأْخُذُ الصَّدقاتِ﴾ [التوبة: ١٠٤]. فيُرَبِّيها كما يُرَبِّي أحدكُم مَهْرَهُ أو فَصِيله فيُوفِّيها إيَّاهُ يومَ القيامة»[٤].

= وللحديث طرق أخرىٰ عن أبي هريرة انظر «التوحيد» لابن خزيمة (ص٥٩ ـ ٦٣).

معنىٰ: فتربو أي: تزيد، كما قال تعالىٰ: ﴿وما آتيتم من رباً ليربُو في أموالِ الناس فلا يَرْبُو عند الله﴾.

فلوه أو فصيلة: الفلو المهر سُمِّي بذلك لأنه فُلِي عن أمه، أي: فصل وعزل، والفصيل ولد الناقة إذا فصل من إرضاع أمه.

(٣) انظر ما سبق.

(٤) ذكره بهذا اللفظ دون الآية، الديلمي في «الفردوس بمأثور الخطاب» (٢/ ٥٢).

وأخرج الطبراني في «الكبير» (١١/ ٣٢٠/ ١٢١٥٠) قال حدثنا محمد بن أبان الأصبهاني ثنا الحسين بن محمد بن شيبة الواسطي ثنا يزيد بن هارون أنا شريك عن يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس رفعه قال: «ما نقصت صدقةٌ من مالٍ قط، وما مدَّ عبدٌ بصدقةٍ إلا أُلقيتْ في يد الله قبل أن تقع في يدِّ السائل، ولا فتح عبدٌ بابَ مسألةٍ له عنها غنىٰ إلا فتح الله عليه بابَ فقر».

ذكره الهيثمي في المجمع (٣/ ١١٠) وقال: وفيه من لم أعرفه!

قلت: وفيه ضعيفان يزيد بن أبي زياد وهو القرشي الهاشمي، وشريك القاضي، ولا أدري لِمَ لم يُعل الحديث بهما؟!

* وله شاهد من حديث ابن مسعود موقوفاً، أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص٢٢٧ ـ ٢٢٨) ومن طريقه الطبراني في الكبير (٩/ ١٠٩/ ٨٥٧١) واللالكائي (٣/ ٤٢٠) عن سفيان عن =

اعلم أنَّه غيرُ ممتنع حملُ الخَبَر علىٰ ظاهره، إذ ليس فيه ما يُحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحق، لأنَّا لا نُثْبِتْ «كفَّاً»[٥] هُو جارحة ولا بَعض، بل نُطلق كفاً هو صفةٌ كما أطلقنا يدين ووجهاً وعيناً وسمعاً وبصراً وذاتاً، كذلك لا يمتنع إطلاق ذلك في الكَفِّ، ويكون فائدة الخبر الترغيب والحث في الصَّدقة وأنَّها مما يَجِبُ أنْ يُقصد بها الطَّيب من المال لحصولها في كَفِّ الرحمنِ، وأنه لا يقبل منا إلا الطَّيب.

فإن قيل: معنىٰ الكفِّ ها هنا: المُلكُ والسُّلطان، فيكون تقديره يقع في ملكه وسلطانه، قال الأخْطَل[٦]:

أَعَاذِلَ إنَّ النَّفْسَ في كَفِّ مَالِكٍ
إذا ما دَعَا يوماً أجَابَتْ به الرسلا

وكان عمر رضي الله عنه يُنشد كثيراً هذين البيتين:

= عبدالله بن السائب عن عبدالله بن قتادة المحاربي عن عبدالله قال: ما تصدق رجلٌ بصدقة إلا وقعت في يد الرب قبل أن تقع في يد السائل وهو يضعها في يد السائل، قال وهو في القرآن فقرأ عبدالله: ﴿**ألم يعلموا أنَّ الله هو يَقبلُ التوبة عن عبادة ويأخذ الصدقات**﴾.

وأخرجه الدارمي في النقض (ص٣٦) عن شعبة عن عبدالله بن السائب به.

وذكره الهيثمي في المجمع (٣/ ١١١) وقال: وفيه عبدالله بن قتادة المحاربي ولم يضعفه أحد، وبقية رجاله ثقات.

(٥) كذا قال! ولم يسق فيما تقدم اللفظ الذي فيه لفظ «الكف»، وهو ثابت كما سبق في رواية مسلم وغيره «. . **فَتَربُو في كَفِّ الرَّحمن**».

(٦) هو الأخطل التغلبي النصراني، واسمه غياث بن غوث بن الصلت.

قيل للفرزدق: من أشعر الناس؟ قال: كفاكَ بي إذا افتخرت، وبجرير إذا هجا، وبابن النصرانية إذا امتدح.

وقد حصَّل أموالاً جزيله من بني أمية.

ومات قبل الفرزدق بسنوات.

انظر: المؤتلف والمختلف (ص٢١)، الشعر والشعراء (٣٩٣)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٨٩).

هَوِّن عليكَ فإنَّ الأُمورَ
بكفِّ الإلٰهِ مَقادِيرها
فليس بآتِيكَ مَنْهيُّهَا
ولا قَاصِرٌ عنكَ مَأمُورُها[٧]

وهذا مستعمل في كلامهم: فلان في كفي، يُريدون بذلك يُجْري عليه أمري، وربما قيل المراد بالكف: الأثرُ والنِّعمة، ومعناه تقع منكم بنعمةٍ من الله وتوفيقه إياكم لفعلها، ومنه قول ذي الإصبع[٨]:

زَمَانٌ به لله كفٌّ كريمة
علينا ونعماً لهن بَشير

أرادَ بذلك نعمة ظاهرة لله عز وجل فيه[٩].

---

(٧) أخرجه البيهقي في «الأسماء» (ص٣٣٢) عن حماد بن عمرو الأسدي عن حماد بن ثلج عن ابن مسعود قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيراً ما يخطب كان يقول على المنبر، فذكر البيتين وفيه: خفض عليك، بدل: هون عليك.
وفيه: حماد بن ثلج لم أجد له ترجمة!

(٨) هو ذو الإصبع العَدواني واسمه حرثان بن حارثة بن محرث، ويقال: الحارث بن ثعلبة بن ضرب، وقيل له: ذو الإصبع، لأنَّ أفعىٰ ضربت إبهام رجله فقطعها، وهو أحد حكماء الشعراء، عمر دهراً، وهو القائل:

يا عمرو إلا تَدَع شتمي ومَنقصتي
أضربك حيثُ تقول الهَامَة اسْقُوني

انظر «المؤتلف والمختلف» لأبي القاسم الآمدي (١١٨).

(٩) كذا تأوله ابن فورك في «مشكل الحديث» (ص٩١ ـ ٩٢).
وتأوله ابن الأثير في «النهاية» (١٨٩ ـ ١٩٠) بالقبول للصدقة! قال: «هو كناية عن محل قبول الصدقة! فكأن المتصدق قد وضع صدقته في محل القَبُول والإثابة، وإلا فلا كف لله =

قيل: هذا غلطٌ، لأنه ليس شيءٌ من الأشياءِ خارجٌ عن ملكه وسُلطانه ومن نفىٰ ذلك كفر، وكذلك جميع الطَّاعات تقع بنعمةٍ من الله وتوفيقه، وإذا كان كذلك، فلا فائدة في تخصيص الصَّدقة بالنِّعمة وغيرها من الطاعات من جُملة نِعَمِه، وكذلك لا فائدة في تخصيص الصَّدقة بالمُلْكِ والسُّلطان وغيرها في ملكه وسلطانه، فوجب حمل الخبر علىٰ ظاهره، وما قاله الشاعر فهو علىٰ طريق المجاز، لأنَّ الحقيقة في هذه التَّسمية خِلافُ ذلك، ولا يَجوز إضافة الـمَجَازِ إلىٰ صفات الله، لأنَّ المجاز لا حَقيقة له.

فإن قيل: كيف يصح حمله علىٰ ظاهره، والصَّدقة من جُملة المُحْدَثات، والمحدثات لا تلاقي القديم!.

قيل: كما صَحَّ حمل قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدِي﴾ [صٓ: ٧٥]. علىٰ ظاهره وإنْ كان آدم من جملة المُحدثات، كذلك ها هنا لا يمتنع حمل[1] ذلك علىٰ ظاهره علىٰ وجه لا يقتضي الملاقاة[10] كما قلنا في خلق آدم.

٢٩٨ ـ وفي معنىٰ هذا الحديث ما ناه أبو القسم نا محمد بن عبدالرحمن بن العباس البزاز نا عبيد الله بن عبدالرحمن السكري نا أحمد بن يوسف بن خلد التغلبي

---

(١) في الأصل: حمله، وليس بمستقيم.

= ولا جارحة! تعالىٰ الله عما يقول المشبهون عُلواً كبيراً!».

وبنحوه قال المازري في كتابه «المعلم بفوائد مسلم» (٢/ ٢٥) ونقله النووي في شرحه (٧/ ٩٨) ونقله عن عياض أيضاً.

كذا قالوا!! والحديث النبوي قد نطق بإثبات الكف للرحمن جلَّ شأنه، فتأويلهم باطل لا مستند له من الحديث ولا غيره.

وقد ردَّ عليهم المصنف ها هنا، وانظر ما تقدم في إثبات اليمين في (الجزء الأول/ ١٦٨).

(١٠) قوله: «علىٰ وجه لا يقتضي الملاقاة» سبق القول فيه، وأنَّه نفي لم يأت به نص، وأن الصواب خلافه. انظر (الجزء الأول/ ص٢٠٦ ـ ٢٠٨).

نا صفوان بن صالح نا الوليد بن مسلم قال حدثني أبو بكر بن عبدالله بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما مِنْ دَمْعَةٍ تَقَعُ من عَين يَتيم إلا وَقَعت في كَفِّ الرحمن، وذلك أنْ لا يظلمه ولا يُؤذيه في غير حق»**[11].

* * *

(١١) لم أجد من خرَّجه.

وإسناده هنا: مرسل ضعيف، فإن ضمرة بن حبيب وهو الزبيدي أبو عتبة الحمصي، ثقة من أواسط التابعين تقريباً، وأبو بكر بن عبدالله بن أبي مريم الغساني الشامي، ضعيف وكان قد سُرق بيته فاختلط، قاله الحافظ.

[إثباتُ صِفَةُ الأَصابع للرَّحْمَنِ سُبحانه]

«حديــــثٌ آخـــــر»

٢٩٩ ـ حدثنا أبو القسم بإسناده عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يُكْثِر أنْ يقول: «**يَا مُقلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبي علىٰ دينك**» قالوا يا رسول الله: آمنَّا بكَ وبما جِئْتَ بهِ فَهَل تخافُ علينا؟ قال: «**إنَّ القُلُوب بين أُصْبُعَينِ مِنْ أَصابعِ الله عزَّ وجلَّ يُقَلِّبُها**».

وفي لفظٍ آخر: «**إنَّ القُلُوب بيدِ الله يقلبها**»[1].

---

(١) حديث صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (٥٥) وفي المصنف (١٠/ ٢٠٩) وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٢٥) وأحمد (٣/ ١١٢، ٢٥٧) والترمذي (٤/ ٢١٤٠) والآجري في «الشريعة» (ص٣١٧) وابن منده في «الرد علىٰ الجهمية» (٦٩) والحاكم (١/ ٥٢٦) من طرق عن الأعمش عن أبي سفيان عن أنس بن مالك به.

قال الترمذي: حديث حسن، وهكذا روىٰ غيرُ واحد عن الأعمش عن أبي سفيان عن أنس، وروىٰ بعضهم: عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ وحديث أبي سفيان عن أنس أصح.

قلت: وإسناده حسن، أبو سفيان اسمه طلحة بن نافع أبو سفيان الواسطي، ليس به بأس، قاله جماعة.

ورواه الأعمش عن يزيد الرقاشي عن أنس.

أخرجه ابن ماجة (٣٨٣٤) والطبراني في «الدعاء» (٣/ ١٢٦١) والآجري (ص٣١٧)، ويزيد ضعيف.

ورواه البخاري في الأدب المفرد (٦٨٣) من طريق أبي الأحوص عن الأعمش عن أبي سفيان ويزيد (كذا جمع بينهما) به. =

٣٠٠ ـ وناه بإسناده عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ قَلْبِ ابن آدم إلا بَيْنَ أُصْبُعَين مِنْ أَصَابِعِ الرَّحمن عزَّ وجلَّ، فإذا شَاءَ أن يُقِيمَه أقَامَه، وإذا شاءَ أن يُزيغَه أزَاغه»(٢).

٣٠١ ـ وناه لفظاً بإسناده عن أم سلمة زوج النبي قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «يَا مُقَلِّب القُلوب ثَبِّت قَلْبي علىٰ دينك» قالت: قلت: يا رسول الله! وَتَخافُ علىٰ قَلبك وقد عَصَمه الله بالوَحي؟ قال: «إنَّ قَلْبَ ابنَ آدم بينَ أُصْبُعَينِ مِنْ أَصَابع الله عزَّ وجلَّ ـ السَّبابة والتي تليها ـ فإذا أراد الله تعالىٰ أنْ يُزيغَ قلبَ عبدٍ أزاغه، وإذا أراد أنْ يُثَبِّتَه ثَبَّته».

حدَّثناه عن أبي بكر عبدالعزيز في الإجازة نا علي بن محمد بن أحمد الواعظ نا أبو

= وأخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٢٦١/ ٧٥٩) عن إسْماعيل بن عمرو البجلي عن قيس ابن الربيع عن الأعمش عن ثابت عن أنس مرفوعاً (الدعاء فقط) وفي سنده ضعيفان إسماعيل وقيس.

وروایة الأعمش عن أبي سفيان عن جابر يأتي الكلام عليها.

(٢) صحيح لغيره، أخرجه أحمد (٦/ ٩١) عن حماد بن زيد عن المعلي بن زياد وهشام ويونس عن الحسن أن عائشة قالت: دعوات كان رسول الله ﷺ يكثر يدعو بها: «يا مقلِّبَ القلوب ثبت قلبي علىٰ دينك، قالت. . . .» ولفظه مقارب لما ذكره المصنف.

وفي سماع الحسن عن عائشة رضي الله عنها نظر، وقد عنعن.

* وله إسناد آخر عن عائشة:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٢١٠) وأحمد (٦/ ٢٥٠ ـ ٢٥١) والدارمي في النقض (ص٦١) وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٢٤، ٢٣٣) والآجري في «الشريعة» (ص٣١٧) والطبراني في «الدعاء» (٣/ ١٢٥٩) مختصراً عن علي بن زيد بن جدعان عن أم محمد القرشية عن عائشة به.

وعلي بن زيد ضعيف، وأم محمد وهي امرأة أبيه مجهولة الحال.

ويشهد للحديث ما قبله وما بعده.

الزِّنْبَاع رَوْحُ بن الفرج نا عيسىٰ بن يونس نا ضمرة عن ابن شَوْذَب عن أيوب عن أبي قلابة عن أم سلمة(٣).

٣٠٢ ـ وناه بإسناده عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنَّه سمع رسول الله يقول:

---

(٣) لم أجد من خرَّجه بهذا السند، وفيه أبو قلابة وكان يرسل كثيراً وفي سماعه من أم سلمة نظر.

* وله طريق أخرىٰ عن أم سلمة.

فقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٢٠٩ ـ ٢١٠) وأحمد (٦/ ٣١٥) وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٢٣، ٢٣٢) والترمذي (٥/ ٣٥٢٢) وقال: حسن، والطبراني في «الدعاء» (٣/ ١٢٥٧) وفي الكبير (٢٣/ ٣٣٤) كلهم عن معاذ بن معاذ عن أبي كعب صاحب الحرير (سوىٰ الطبراني فعن مسلم بن إبراهيم عن أبي كعب) ثنا شهر بن حوشب قال: قلت لأم سلمة: ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟ قالت: أكثر دعائه **يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي علىٰ دينك، ثم قال: يا أم سلمة! إنه ليس من آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، ما شاء أقام، وما شاء أزاغ»**.

وأخرجه أحمد (٦/ ٢٩٤، ٣٠١ ـ ٣٠٢) والدارمي في النقض (ص٦٢) والطبراني في «الدعاء» (٣/ ١٢٥٨) وفي الكبير (٢٣/ ٢٣٨) عن عبدالحميد بن بهرام ثنا شهر بن حوشب بنحوه، وفيه زيادة: «فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة أنه هو الوهاب» وللطبراني في الكبير زيادة أخرىٰ.

وأخرجه ابن خزيمة (ص٨١) عن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي حسين المكي عن شهر به.

وأخرجه الآجري في «الشريعة» (ص٣١٦) وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٤٥) عن مقاتل بن حيان عن شهر به، وفيه عنعنة بقية.

* وله طريق ثالثة: فقد أخرجه الآجري (ص٣١٦) عن سالم الخياط عن الحسن عن أمه قالت: سمعت أم سلمة بنحوه.

وليس عندهم قول أم سلمة: «وتخاف علىٰ قلبك وقد عصمه الله بالوحي» ولا زيادة «السَّبابة والتي تليها».

ويشهد للحديث ما قبله وما بعده.

«إنَّ قُلُوبَ بني آدمَ كُلَّها بينَ أُصْبُعَينِ مِنْ أَصَابعِ الرَّحمنِ عَزَّ وجَلَّ كَقَلْبٍ واحدٍ، يُصرفه[1] كيف يشاء» وقال رسول الله ﷺ: «اللهم مُصرِّفَ القُلوبِ اصْرِفْ قُلُوبَنا إلىٰ طاعتك»[4].

٣٠٣ ـ وناه أبو القسم قال: أبو القسم عبدالله بن إبراهيم بن محمد القاضي[5] نا أحمد بن الحسن الرازي نا مقدام بن داود نا عبدالله بن محمد بن المغيرة نا سفيان عن الأعْمَش عن أبي سُفيان عن جابر بن عبدالله قال: كانَ رسول الله ﷺ يُكْثِرُ أنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبَ ثَبِّتْ قُلُوبَنا علىٰ دينكَ» فقال له بعضُ أصحابه: أَتَخافُ علينا وقد آمنَّا بكَ، وبما جئت به؟ فقال: «إنَّ القُلُوبَ بين أُصْبُعَينِ من [أصابع][2] الله يُقَلِّبها هكذا وهكذا، يُقلِّبُ أُصْبُعيه»[6].

(١) في الأصل: يصرف، والتصويب من مصادر الحديث.

(٢) سقطت من الأصل.

---

(٤) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ١٦٨) ومسلم في القدر (٤/ ٢٠٤٥) وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٢٢، ٢٣١) والآجري في «الشريعة» (ص٣١٦) والطبراني في «الدعاء» (٣/ ١٢٦٠) والبيهقي في «الأسماء» (ص٣٤٠) كلهم عن عبدالله بن يزيد المقرىء حدثنا حَيْوَة أخبرني أبو هانيء، أنه سمع أبا عبدالرحمن الحُبُلي أنه سمع عبدالله بن عمرو بن العاص فذكره.

وعند مسلم «صَرِّفْ قلوبنا».

وتابع ابن المقرىء ابنُ المبارك، رواه الدارمي في «النقض» (ص٦١).

(٥) في الأصل: الفامي، وهو خطأ وصوابه: القاضي، وهو: أبو القاسم عبدالله بن إبراهيم بن محمد بن تميم، ترجم له الخطيب في تاريخه وقال: خرّج له أبو حفص بن شاهين فوائد، وكان يروي عن: . . وأبي العباس أحمد بن الحسن بن إسحاق الرازي، حدثنا عنه أحمد بن محمد العتيقي وعبدالعزيز بن علي الأزجي، وكان صدوقاً.

(٦) صحيح لغيره، أخرجه الترمذي (٤/ ٤٤٩) تعليقاً والحاكم (٢/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩) (وقد سقط من أصول المستدرك وأضيف من التلخيص كما قاله مصحح الكتاب) ورواه الحاكم موصولاً =

٣٠٤ ـ ونا أبو القسم بإسناده عنْ النَّواس بن سَمْعان الكلابي أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ قَلْبٍ إلا وَهُو بينَ أُصْبُعَينِ مِنْ أَصَابعِ ربِّ العَالمين جلَّ اسمه، إذا شاء أنْ يُقيمَه أقَامه، وإذا شاء أنْ يُزيغَه أَزَاغَه**» قال رسول الله يقول: «**يا مُقَلِّب القُلوب ثَبِّتْ قُلُوبَنَا علىٰ دينك**» قال: «**والميزانُ بيدِ الرَّحْمن جلَّ اسمه، يَرْفَعُ أقْواماً، ويَضَعُ آخرين إلىٰ يوم القيامة**»[٧].

= عن الثوري عنه، كما في النكت الظراف للحافظ. (٢/ ٢٠١)).

ورواه الجورقاني في «الأباطيل» (١/ ٤٥) عن محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر به وزاد: قال سفيان بإصبعيه: هكذا وقلَّب إصبعيه، وأرانا عباس بالسبابة والوسطىٰ.

قال الترمذي: وروىٰ بعضهم: عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ وحديث أبي سفيان عن أنس أصح.

وأشار الحاكم إلىٰ أنه علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

وقال الجورقاني: هذا حديث صحيح رجاله كلهم أثبات.

ويشهد للحديث ما قبله.

(٧) إسناده صحيح، أخرجه أحمد (٤/ ١٨٢) وابن ماجه (١٩٩) وابن حبان (٢٤١٩ ـ زوائد) والدارمي في النقض (ص٦٢) وابن أبي عاصم في «السنة» (٢١٩، ٢٣٠، ٥٥٢) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٨٠) والآجري في «الشريعة» (ص٣١٧ ـ ٣١٨) وابن منده «في الرد علىٰ الجهمية» (٦٨) والطبراني في «الدعاء» (٣/ ١٢٦٢) والحاكم (١/ ٥٢٥) (٢/ ٢٨٩) (٤/ ٣٢١) والبيهقي في «الأسماء» (ص٣٤٠ ـ ٣٤١) وفي «الاعتقاد» (ص١٥٢) من طرق عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر عن بسر بن عبيدالله عن أبي إدريس الخولاني قال: سمعت النواس بن سمعان قال سمعت رسول الله ﷺ فذكره.

قال الحاكم في الموضع الثاني أنه صحيح علىٰ شرطها، ووافقه الذهبي، وأما في الموضعين الآخرين فقال: علىٰ شرط مسلم.

والصواب الأول فإن رجاله ثقات رجال الشيخين.

والحديث رواه: سبرة بن الفاكِه: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢٢٠، ٥٥٠، =

اعلم أنه غير ممتنع حمل الخبر علىٰ ظاهره في إثبات الأصابع والسَّبَّابة والتي تليها علىٰ ما رُوي في حديث جابر، إذْ ليس في حمله علىٰ ظاهرِهِ ما يُحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، لما بينًّا في الخبر الذي قبله، لأنَّا لا نُثْبت أَصَابِعاً هي جارحة ولا أَبْعاضاً، وإنَّما نطلق ذلك كما أطلقنا تَسْمية اليَدَين والوَجه والعَين وغير ذلك، ويكون المقْصود بالخبر الفَزَع من الله سبحانه والمسارعة إلىٰ الطَّاعات والخوف من سُوءِ المنقلب[٨].

=

٥٥١) (ووقع في المطبوعة: بن الفاكهة وهو خطأ) وهو صحابي أسدي.

وأبو هريرة: أخرجه ابن أبي عاصم (٢٢٩) والدارمي في النقض (ص٦٢) مختصراً.

ونعيم بن همار: أخرجه ابن أبي عاصم (٢٢١، ٥٥٣).

وعاصم بن كليب عن أبيه عن جده: أخرجه الترمذي (٥/ ٣٥٨٧) والطبراني في «الدعاء» (٣/ ١٢٦٣) وفي الكبير (٧/ ٣١٣/ ٧٢٣٢) من طريقين عنه، وانظر الإصابة (٢/ ١٥٩).

وأبو ذر: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (ص٨١ ـ ٨٢) بسياق مطول عن شرحبيل ابن الحكم عن عامر بن نائل عن كثير بن مرة عن أبي ذر، قال ابن خزيمة بعده: أنا أبرأ من عهدة: شرحبيل ابن الحكم وعامر بن نائل، وقد أغنانا الله ـ فله الحمد كثيراً ـ عن الاحتجاج في هذا الباب بأمثالهما اهـ.

ولم يزد الحافظ في اللسان (٣/ ١٤٢) في ترجمة شرحبيل علىٰ نقل كلام ابن خزيمة.

(٨) ما سبق من الأحاديث النبوية صحيحة وصريحة في إثبات صفة «الأصابع» لربِّنا جلَّ شأنه، وليس في ذلك غضاضة علىٰ المسلم ـ كما يحاول المعطلة أن يشنعوا ـ لأنَّه يُثبت ما أثبته أعلم الخلق بربه، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيهٌ ولا تمثيل.

قال أبو بكر بن خزيمة رحمه الله في «التوحيد» (ص٧٩ ـ ٨٠): باب إثبات الأصابع لله عز وجل من سُنَّة النبي ﷺ قيلاً له، لا حِكايةً عن غيره، كما زعم بعض أهل الجهل والعناد أن خبر ابن مسعود ليس هو من قول النبي ﷺ تصديقاً لليهودي اهـ.

يريد أن المعطلة ردوا الاحتجاج بخبر الحَبر اليهودي ـ الذي سيذكره المصنف بعد.

بدعوىٰ أنه صدر عن اليهودي لا عن النبي ﷺ ـ وسيأتي الردُّ علىٰ هذه الشبهة ـ فما عساهم أن يقولوا عن كلامه الصريح هنا ﷺ في إثبات الأصابع؟!

هذا ما سيذكره المصنف الآن عنهم من التأويلات والتحريفات.

فإن قيل: يُحتمل أنْ يكون المرادُ بالأصابع المُلْك والقُدرة، ويكون فائدته أنَّ قُلوبهم في قبضته جارية علىٰ قدرته، وذكر النبي ﷺ هذا علىٰ طريق المثل، كما يقال: ما فلان إلا في يدي وخنصري، ويريد بذلك أنَّه عليه مُسَلَّطٌ، وأنَّه لا يتعذر عليه ما يريده منه، ويحتمل أن الأُصْبُعَين ها هنا بمعنىٰ النِّعمتين، وقد تقول العرب: لفلانٍ علىٰ فلان أصبع حَسَنٌ، إذا أَنعم عليه نِعْمةَ حسنة ومنه قول الشاعر:

ضَعِيفُ العَصا بَادِي العُرُوق تَرَىٰ له
عليه إذا مَا أَجْدَبَ النَّاسُ إصْبَعَا[9]

أي إذا ما وقع الناس في الجَدْبِ والقحْط له عليه أثَرٌ حَسن، ويحتمل أنْ يكون معناه بين أَثرين من آثار الله عزَّ وجلَّ وفعلين من أفعاله[10].

قيل: هذا غلطٌ لوجوه:

أحدها: أنَّ حَمْله علىٰ المُلك والقُدرة والنِّعم والآثار، يُسقط فائدة التخصيص بالقَلب، لأنَّ جميع الأشياء هذا حكمها، وأنها في ملكه وبنعمه وبآثاره.

الثاني: أنَّ في الخبر ما يُسْقِط هذا، وهو قوله: «**بين السَّبابة والتي تليها وأشار بيده هكذا وهكذا**» وهذا يَمنع من صحة التأويل.

الثالث: أنَّه لو كان المراد به النِّعمتين، لكان القلبُ مَحْفوظاً بها ولم يَحتج إلىٰ الدعاء، ولَمَّا دَعَا بالتَّثْبيت، لم يصح حمله علىٰ النعمتين، وهذا الثالث جواب ابن

---

(٩) ذكره ابن منظور في اللسان (٤/ ٢٣٩٥) ولم يعزه لأحد، إنما قال: «قال الراعي يصفُ راعياً.. فذكره، لكن فيه: عليها إذا ما أجدب..» ـ وكذا هو في مختلف الحديث لابن قتيبة (ص١٤١) ـ، ثم شرحه فقال: «ضعيف العصا أي: حاذِق الرعية لا يضرب ضرباً شديداً، يصفه بحسن قيامه علىٰ إبله في الجَدْب، وصَبَعَ به وعليه يصْبَع صَبْعاً: أشار نحوه بإصبعه واغتابه، أو أراده بشرٍّ، والآخر غافل لا يشعر».

(١٠) انظر «مشكل الحديث» لابن فورك (ص٩٢ ـ ٩٤).

ونقل البيهقي في «الأسماء» (ص٣٤١) نحوه عن أبي حاتم الخطيب.

قتيبة لأنَّه إذا كان بين نعمتين كان مَحْفوظاً بتلك النِّعمتين(١١).

وأما قول الشاعر فهو علىٰ طريق المجاز، فلا يَجوز استعماله في صفات الله تعالىٰ لأنَّه لا حقيقة للمجاز.

وأمَّا قوله: «**والميزان بيد الرحمن يَرفَعُ أقواماً ويَضَعُ آخرين**» فلا يمتنع إضافة ذلك إليه، كما لم يمتنع إضافة الخَلْقِ لآدم بيده، ونظير هذا قول النبي ﷺ: «**كَتَبَ التَّوارة بيدِه، وخَلَقَ جَنَّة عَدْنٍ بيده**»(١٢).

وليس لقائل أنْ يَقولَ: إنَّا أَثْبَتنا خلق آدم بيده من طريقٍ مقْطُوعٍ عليه، وهو القرآن، لأنَّ خبر الواحد إذا تَلَقَّتْه الأُمة بالقَبُول صار في حكم المقطوع عليه، وليس لهم أنْ يَقُولوا إنَّ ذلك قُصِدَ به فضيلة آدم، وهذا المعنىٰ معدوم ها هنا، لأنَّ في ذلك تفضيلاً لبعض خلقِه علىٰ بعض، تشريفاً لهم وتكريماً وقد قال تعالىٰ: ﴿**ولَقَد كَرَّمْنا بَني آدمَ**﴾ [الإسراء: ٧٠].

«حَديــثٌ آخَــرُ في الإصْبَــع»

٣٠٥ـ ناه أبو القسم بإسناده عن عبدالله قال: أَتَىٰ النبي ﷺ رجلٌ من اليهود

---

(١١) «تأويل مختلف الحديث» ص(١٤١).

وقد أثبت هذه الصفة رحمه الله تعالىٰ فقال بعد ذلك: فإنْ قال لنا: ما الإصْبَع عندك ههنا؟ قلنا: هو مثل قوله في الحديث الآخر: «يَحملُ الأرضَ علىٰ إصْبَع وكذا علىٰ إصبعين» ولا يجوز أن تكون الإصْبَع ههنا نَعمة، وكقوله تعالىٰ: ﴿**وما قَدَروا الله حَقَّ قدره والأرض جميعاً قبضته يومَ القيامةِ والسموات مَطْويات بيمينه**﴾.

ولم يجز ذلك.

ولا نقول: إصْبعٌ كأصابعنا، ولا يدٌ كأيدينا، ولا قبضةٌ كقبضاتنا، لأنَّ كلَّ شيءٍ منه عزَّ وجلَّ لا يُشْبه شيئاً منا اهـ.

وهو كلام جيد جار علىٰ منهج السلف رحمهم الله تعالىٰ.

(١٢) يأتي تخريجه والكلام عليه.

فقال: يا أبا القاسم! أَبَلَغَكَ أَنَّ الله يَحملُ السَّمواتِ علىٰ إصْبَعٍ، والأَرْضِينَ علىٰ إصْبَع، والشَّجَرَ علىٰ إصْبَعٍ، والخَلَائِق علىٰ إصْبَع، ثم يقول: أَنَا المَلكُ، قال: فرأيتُ رسول الله ﷺ ضَحِكَ حتىٰ بَدَتْ نَواجِذُهُ فأنزل الله عَزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا قَدروا الله حقَّ قَدْره﴾ [الزمر: ٦٧][١٣].

وفي لفظٍ آخر قال: «إنَّ الله يُمْسك السَّموات علىٰ إصْبع والأَرْضين علىٰ إصْبع والجبالَ والشَّجر علىٰ إصْبع والخلائق علىٰ إصْبع، ثم يقول: أنا الملكُ، فضحك رسول الله حتىٰ بَدَتْ نَواجِذَهُ ثم قَرَأ: ﴿وَما قَدرُوا الله حقَّ قَدْره والأرضُ جميعاً قَبْضتُه يومَ القيامة﴾ [الزمر: ٦٧]. إلىٰ آخر الآية[١٤].

---

(١٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٤٨) ولم يسق لفظه وكذا عبدالله في السنة (٤٩١)، وابن أبي عاصم (٥٤٣) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٧٦) وابن منده في «الرد علىٰ الجهمية» (٦٢) والبيهقي في «الأسماء» (ص٣٣٣):

من طرق عن أبي معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله بهذا اللفظ.

وأخرجه البخاري (١٣/ ٤٣٨) وابن أبي عاصم (٥٤٤) وابن خزيمة (ص٧٧) عن أبي عوانة عن الأعمش به.

وأخرجه مسلم (٤/ ٢١٤٨) وابن خزيمة (ص٧٦) والبيهقي في الأسماء (ص٣٣٤) عن جرير عن الأعمش به.

وأخرجه مسلم (٤/ ٢١٤٨) عن عيسىٰ بن يونس عن الأعمش به.

وأخرجه البخاري (١٣/ ٣٩٣) ومسلم والبيهقي في الأسماء (ص٣٣٤) عن عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن الأعمش به.

(١٤) أخرجه البخاري (٨/ ٥٥٠ ـ ٥٥١) ومسلم في صفات المنافقين (٤/ ٢١٤٧) وابن أبي عاصم (٥٤١) وعبدالله في «السنة» (٤٩٠) وابن خزيمة في التوحيد (ص٧٨) والآجري في «الشريعة» (ص٣١٨، ٣١٩) وابن منده في «الرد» (٦٤) والبيهقي في «الأسماء» (ص٣٣٤) من طرق عن منصور بن المعتمر عن إبراهيم عن عَبيدة السَّلماني عن عبدالله مرفوعاً به، لكن فيه بعد قوله: «**والجبال والشجر علىٰ إصبع**»: «**والماء والثرىٰ علىٰ إصبع**. .» ولعلها سقطت من الناسخ. =

وفي لفظ آخر: «قال يَا محمد! إذا كان يومُ القيامة وضع ربُّك جلَّ اسمه السَّماء علىٰ هذهِ، والأرضَ علىٰ هذِهِ، والجبال علىٰ هذِهِ، والماءَ، والثَّرىٰ علىٰ هَذِهِ، وسائَر الخَلْقِ علىٰ هَذِهِ، ثم هَزَّهُنَّ فقال: أين الملوك؟ لي الملك اليوم، قال فضحك رسول الله ﷺ»[15].

= وأخرجه البخاري (١٣/ ٣٩٣) وابن أبي عاصم (٥٤٢) وعبدالله في «السنة» (٤٨٨) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٧٧) والآجري في «الشريعة» (ص٣١٩) وابن منده في «الرد» (٦٣):

عن يحيىٰ بن سعيد ثنا سفيان بن سعيد حدثني منصور وسليمان الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة به.

وقد عدَّ ابن خزيمة رواية الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة خطأً من يحيىٰ بن سعيد فقال: الجواد قد يعثر في بعض الأوقات، وَهِمَ يحيىٰ بن سعيد في إسناد خبر الأعمش - مع حفظه وإتقانه وعلمه بالأخبار - فقال: عن عبيدة عن عبدالله، وإنما هو عن علقمة، وأما خبر منصور فهو عن إبراهيم عن عَبيدة عن عبدالله.

والإسنادان ثابتان صحيحان: منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبدالله.

والأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله.

غير مستنكر لإبراهيم النخعي - مع علمه وطول مجالسته أصحاب ابن مسعود - أنْ يروي خبراً عن جماعة من أصحاب ابن مسعود عنه اهـ كلامه.

وقد رواه الآجري في «الشريعة» (ص٣١٩) عن الضحاك بن مخلد عن سفيان عن منصور فقط عن إبراهيم عن عبيدة به.

وهي متابعة ليحيىٰ بن سعيد عن الضحاك.

وممن رواه عن علقمة: خيثمة بن عبدالرحمن.

أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٤/ ١٨) والبيهقي في «الأسماء» (ص٣٣٥) عن أحمد ابن المفضل ثنا إسباط بن نصر عن منصور عن خيثمة به.

تنبيه: وقع عند البيهقي: أحمد بن الفضل الغنوي، وأظنه تحريف لأحمد بن المفضل الحفري القرشي، وهو شيعي صدوق روىٰ عن أسباط بن نصر له ترجمة في التهذيب والجرح (٢/ ٧٧). أما الأول فلم أجد له ترجمة.

(١٥) انظر تخريجه في الذي بعده.

وفي لفظٍ آخر: رواه أبو بكر الخلال بإسناده عن ابن عباس: قال مَرَّ يهوديٌّ برسول الله ﷺ وهو جالسٌ قال: كيف تقول يا أبا القاسم يَومَ يَجعلُ اللهُ السَّماء علىٰ ذِه وأشار بالسَّبَّاحَةِ، والأرضَ علىٰ ذِه، والجبال علىٰ ذِه، وسَائرَ الخَلْقِ علىٰ ذِه، وجعل يشير بأصَابعه قال: فأنْزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا الله﴾ [الزمر: ٦٧] الآية[16].

---

(١٦) صحيح لغيره، أخرجه الترمذي (٥/ ٣٢٤٠) وابن أبي عاصم (٥٤٥) وابن جرير (٢٤/ ١٨) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٧٨) وابن منده في «الرد علىٰ الجهمية» (٦٥) من طرقٍ عن محمد بن الصلت حدثنا أبو كُدَينة عن عطاء بن السائب عن أبي الضحىٰ عن ابن عباس قال: مرَّ يهودي بالنبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «حدثنا» فقال: كيف تقول يا أبا القاسم. . . الحديث.

وعند الترمذي: وأشار أبو جعفر محمد بن الصلت بخنصره أولاً، ثم تابع حتىٰ بلغ الإبهام، فأنزل الله: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾.

قال الترمذي: حديث حسن غريب، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه، وأبو كدينة اسمه يحيىٰ بن المهلب.

قلت: قال عنه الذهبي ثقه، ومحمد بن الصلت صدوق يهم، لكن عطاء بن السائب صدوق كان قد اختلط.

وأخرجه أحمد (١/ ٢٥١) وعنه ابنه عبدالله في «السنة» (٤٩٤، ١١١٣) عن حسين ابن حسن نا أبو كدينة به.

وفيه: حسين الأشقر، ضعيف.

وأخرجه أيضاً عبدالله (٤٩٣) فقال حدثني عبدالله بن عمر نا عمران بن عيينة عن عطاء به ولفظه: مرَّ يهودي علىٰ النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «يا يهودي خَوِّفنا» فقال: «يا أبا القاسم! كيف بيومٍ تكون الأرض علىٰ هذه، والسموات علىٰ هذه، والماء علىٰ هذه، والخلق علىٰ هذه يعني أصابعه، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾».

ولفظه مقارب للفظ الذي ساقه المصنف قبل هذا الحديث.

وأخرجه ابن منده في «الرد علىٰ الجهمية» (٦٦) عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب =

إعلم أنَّه غيرُ ممتنعٍ حَملُ الخبر علىٰ ظاهِره، وأنَّ الإِصْبَعَ صفةٌ ترجع إلىٰ الذات، وأنَّه تجوز الإشارة فيها بيده.

٣٠٦ـ نص عليه أحمد في رواية أبي طالب: سئل أبو عبدالله عن حديث الحَبر «يضع السَّموات علىٰ إصْبَع، والأرضين علىٰ إصْبَع، والجبالَ علىٰ إصْبع» يقول إلا شَارَ بيده هكذا، أي يشير، فقال أبو عبدالله: رأيت يحيىٰ يحدث بهذا الحديث ويضع إصْبَعاً إصْبعاً، ووضع أبو عبدالله الإبهام علىٰ إصْبَعه الرابعة من أسْفل إلىٰ فوق علىٰ رأسِ كل إصْبَع[١٧].

فقد نصَّ علىٰ ذلك.

٣٠٧ـ وذكر هبة بن منصور الطبري[١٨] في كتاب «السُّنَّة» فقال: سمعت أبا محمد

= عن أبي السائب وعن أبي الضحىٰ عن مسروق قال: قال رسول الله ﷺ ليهودي: «**أذكر عظمة الربِّ جل وعز**» فقال: السموات علىٰ هذه يعني الخنصر، والأرض علىٰ هذه يعني البنصر، والجبال علىٰ هذه يعني الوسطىٰ، والماء علىٰ هذه يعني السبابة وسائر الخلق علىٰ هذه يعني الإبهام، فأنزل الله: ﴿**وما قدروا الله حقَّ قدره**﴾.

وهذا مرسل.

وعزاه الحافظ في الفتح (١٣/ ٣٩٧) للهروي، والسيوطي في «الدر» (٧/ ٢٤٨) لعبد ابن حميد وابن مردويه.

(١٧) ذكره عبدالله في «السنة» (٤٨٩) عن أبيه.

ورواه أبو بكر الخلال في كتاب «السُّنة» عن أبي بكر المروذي عن أحمد، كما في الفتح (١٣/ ٣٩٧) وقال: رأيت أبا عبدالله يشير بإصبع إصبع.

(١٨) هو الإمام الحافظ المجوِّد المفتي أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطَّبريُّ الرازي الشافعي اللالكائي، مفيدُ بغداد في وقته.

سمع عيسىٰ بن علي الوزير وأبا طاهر المخلِّص وعِدَّة، وروىٰ عنه: أبو بكر الخطيب وابنه محمد بن هبة الله وعده.

قال الخطيب: كان يفهم ويحفظ وصنف كتاباً في «السُّنَّة» وعاجلته المنية، خرج إلىٰ =

الحسن بن عثمان بن جابر قال سمعت أبا نصر أحمد بن يعقوب بن زاذان قال: بَلَغني أنَّ أحمد بن حنبل قَرَأ عليه رجلٌ **﴿وما قَدرُوا الله حقَّ قَدْره والأرْضُ جميعاً قَبْضتُه يوم القيامة والسَّموات مَطْويات بيَمنِه﴾** [الزمر: ٦٧] ثم أوْمىٰ بيده فقال له أحمد: قطعها الله وَحَرِدَ وقام[١٩].

وهذا محمولٌ علىٰ أنَّه قَصَدَ التشبيه، والموضعُ الذي أجازَه إذا لم يقصد ذلك، والوجه فيه: أنَّه ليس في حمله علىٰ ذلك ما يُغَيِّر صفاته ولا يخرجها عما تستحقه، لما بَيَنَّا في الحديث الذي قبله وهو أنَّ إثباتَ الأصَابع كإثبات اليدين والوجه.

فإن قيل: المرادُ به إصْبَع بعض خَلْقٍ يخلقه، قالوا لأنَّ النبي ﷺ لم يقل في الخبر علىٰ إصْبَعه، بل أطلق ذلك فيحل عليه[٢٠].

قيل: هذا غلطٌ لوجهين: أحدهما: أنَّ في الخبر يُسقط ذلك وهو قوله: «**وسائر الخلْق علىٰ هذه**» فاقتضىٰ ذلك أنَّه لم يبق مَخلوقٌ إلا وهو علىٰ الإصْبَع، فلو كان المرادُ به إصْبَع بعض خلقه لخَرَج بعضُ الخلق عن أن يكون علىٰ الإصبع، وهذا خلاف الخبر.

الثاني: أنَّ المفسرين قالوا: إنَّما يكون ذلك عند فَناءِ خلقه وإماتتهم، فلا يكون له مُجيبٌ غير نفسه **﴿لله الواحد القهار﴾** [غافر: ١٦]. فدلَّ بهذا علىٰ أنَّه لم يَبْقَ

= الدِّينور فأدركه أجله بها في شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربع مئة.

قلت: وكتابه في السنة هو المطبوع باسم: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» بتحقيق د. أحمد سعد حمدان، نشر دار طيبة ـ الرياض.

ترجمته في (تاريخ بغداد (١٤/ ٧٠ ـ ٧١) السير (١٧/ ٤١٩ ـ ٤٢٠) شذرات الذهب (٣/ ٢١١)).

(١٩) شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٤٣٢)، وحَرَدَ: أي ترك الجالسين وتحوَّل عنهم (اللسان).

(٢٠) انظر «مشكل الحديث» لابن فورك (ص٩٥) فقد ذكر هذا التأويل الباطل.

هناك خَلقٌ يضع السَّموات علىٰ إصْبَعه.

فإن قيل: ففي الخبر ما يدلُّ علىٰ القدرة، وهو قوله: **﴿وما قَدَرُوا الله حقَّ قَدْرِهِ﴾** [الزمر: ٦٧][٢١].

قيل: معناه ما عَرَفوا الله حقَّ معرفته، وإذا كان هذا معناه، لم يكن المراد به القُدْرة، وهذا الحديث ذكره البخاري ومسلم في الصحيحين.

* * *

(٢١) ذكره في «مشكل الحديث» (ص٩٦).

[إثباتُ صِفَةُ القَبضِ والبَسط لربنا تعالىٰ]

«حَديـــثٌ آخـــر»[1]

٣٠٨ـ ناه أبو القسم بإسناده عن نافع عن ابن عمر قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فتلىٰ هذه الآية: ﴿والأرْضُ جَميعاً قَبْضَتُهُ يومَ القيامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]. قال رسول الله ﷺ: «**يأخُذُ الله عزَّ وجلَّ السَّموات والأَرْضينَ بيده ثم يقول: أنَا المَلِكُ، فما زال يَقُولها حَتَّىٰ رَجَفَ به المْنبر حتىٰ ظَنَّنا لَيَخِرُّ به المنبر من رجفانه**»[1].

---

(١) كتب بمحاذاته: بلغ مقابلة.

---

(١) حديث صحيح، رواه عن نافع أربعة:

١ـ عبيد الله بن عمر.

٢ـ مالك.

٣ـ عبدالله بن نافع.

٤ـ ابن شهاب الزهري.

* أما حديث عبيدالله عن نافع عن ابن عمر:

فأخرجه البخاري (١٣/ ٣٩٣) والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٨٩/ ١٣٣٩٨) واللالكائي (٣/ ٤١٨).

ولفظه: «**إنَّ الله يقبضُ يومَ القيامة الأرض، وتكون السَّماوات بيمينه، ثم يقول: أنا المَلِك**».

* وأما حديث مالك:

فأخرجه البخاري تعليقاً في الموضع السابق، وقال الحافظ في الفتح (١٣/ ٣٩٦): وصله الدارقطني في «غرائب مالك» وأبو القاسم اللالكائي في السنة.

وهو في المطبوع (٣/ ٤١٧). =

وفي لفظٍ آخر: «إنَّ ا لله عَزَّ وجلَّ إذا كان يوم القيامة جَمَعَ السَّموات والأَرْضين السَّبع في قبضته، ثم بَسَطَها، ثم يقول: أَنَا الله أَنَا الرحمنَ أَنَا المَلِكُ أنا القُدُّوسُ أنا السَّلام أنَا المؤمِنُ أَنَا المُهَيْمنُ أنَا العَزِيزُ أنَا الجَبَّارُ أنَا الـمُتَكَبر، أينَ الجبابرة»[2].

وفي لفظ آخر: قال: «يَطْوي الله تعالىٰ السَّموات يومَ القِيامة فَيَأْخذها بيده اليمنىٰ، ثم يقول: أنَا المَلَكُ أينَ الجَبَّارون وأين الـمُتكَبِرونَ ثم يَطوي الأرضين ثم يأْخذهنَّ بشماله فيقول: أنَا الملكُ أينَ الجبَّارون أين المتكبرون؟»[3].

وفي لفظ آخر: «يأْخُذُ الجبار تعالىٰ سَمٰواتِه وأَرْضِه» وجعل رسولُ الله يَقْبِضُ يديه ويَبْسُطُها ويقول: أَنَا المَلِكُ أين الجبَّارُون؟ أين المتكبرون؟»[4] ولفظ «الشمال»[1]

---

(١) في الأصل: السماك! وهو خطأ.

= * وأما حديث عبدالله بن نافع:

فأخرجه اللالكائي (٣/ ٤١٨ ـ ٤١٩).

* وأما حديث ابن شهاب:

فرواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٣١٩ ـ ٣٢٠) عن حيوة بن شريح عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن نافع به.

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٤٧) لأبي الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي في الأسماء (ولم أجده في مظنته فيه).

(٣) حديث صحيح، أخرجه مسلم (٤/ ٢١٤٨) وأبو داود (٥/ ٤٧٣٢) ومن طريقه البيهقي في «الأسماء» (ص٣٢٣) وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٤٧) وابن جرير في تفسيره (٢٤/ ١٩) عن أبي أسامة عن عمر بن حمزة عن سالم بن عبدالله أخبرني عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ فذكره.

وقد أعل الحديث بعمر بن حمزة لضعفه وتفرده بلفظه: «الشمال» لكن للحديث طرق صحيحة أخرىٰ، سيأتي ذكرها.

وانظر الكلام علىٰ لفظه «الشمال» في (الجزء الأول/ ١٧٨ ـ ١٧٩).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٤٨ ـ ٢١٤٩) وابن خزيمة في «التوحيد» (٧٢ ـ ٧٣) والبيهقي في =

قد ذكره مسلم في صحيحه.

= الأسماء (ص٣٣٩) عن سعيد بن منصور حدثنا يعقوب بن عبدالرحمن حدثني أبو حازم عن عبيدالله بن مِقْسَم أنه نظر إلىٰ عبدالله بن عمر كيف يحكي رسول الله ﷺ قال. . فذكره، وفي آخره: حتىٰ نظرت إلىٰ المنبر يتحرك من أسفل شيءٍ منه، حتىٰ إني لأقول: أساقطٌ هو برسول الله ﷺ.

وأخرجه مسلم وابن ماجه (١٩٨ ـ ٤٢٧٥) والدارمي في «النقض» (ص٣١)وابن جرير في تفسيره (٢٤/ ١٨) والبيهقي في الأسماء (ص٣٣٩ ـ ٣٤٠):

من طرقٍ عن عبدالعزيز بن أبي حازم حدثني أبي به.

وأخرجه أحمد (٢/ ٧٢، ٨٨) وابن أبي عاصم (٥٤٦) وابن خزيمة (ص٧٢) من ثلاثة طرقٍ عن حماد بن سلمة قال: أخبرنا إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن عبيد الله بن مقسم به.

وأخرجه ابن خزيمة (ص٧٣) عن يونس بن عبدالأعلىٰ ثنا ابن وهب أخبرني هشام بن سعيد عن عبيدالله بن مقسم به.

* ولأبي حازم شيخ آخر في هذا الحديث هو: عبيد بن عمير التابعي الكبير الثقة.

أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٤/ ١٨) حدثني أبو علقمة الفروي عبدالله بن محمد حدثني عبدالله بن نافع عن عبدالعزيز بن أبي حازم عن أبيه عن عبيد بن عمير عن ابن عمر به.

وإسناده حسن، عبدالله بن نافع هو ابن ثابت الزبيري أبو بكر المدني قال ابن معين: صدوق، وقال البزار وأحمد بن صالح: ثقة، وقال الحافظ: صدوق.

وأبو علقمة الفروي وثقه ابن معين والنسائي.

* وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري (٨/ ٥٥١) (١١/ ٣٧٢) (١٣/ ٣٦٧، ٣٩٣) ومسلم (٤/ ٢١٤٨) وأحمد (٢/ ٣٧٤) وابن ماجه (١٩٢) والدارمي (٢/ ٣٢٥) وابن أبي عاصم (٥٤٨، ٥٤٩) وابن جرير (٢٤/ ١٨ ـ ١٩) وابن خزيمة (ص٧١) والبيهقي في الأسماء (ص٣٢٣):

من طرق عن الزهري وله فيه شيخان: =

٣٠٩ـ ونا أبو محمد الحسن بن محمد بإسناده عن ربيعة الجُرَشي **«والسموات مَطْوِيَّاتٌ بيمينه»** قال: **«والأخرىٰ خَلْوٌ ليس فيها شيء»**[٥].

اعلم أنَّه غيرُ مستحيل إضافة «القَبْضِ والبَسْطِ» إلىٰ ذاته سبحانه، كما لم يستحل إضافة خَلق آدمَ بيده إلىٰ ذاته، والإستواء علىٰ عرشه، وقد عَضَدَ ذلك قوله تعالىٰ: **﴿والله يَقْبِضُ ويَبْسُطُ﴾** [البقرة: ٢٤٥]. فوصف نفسه بذلك.

فإن قيل: القبض والبَسط راجعٌ إلىٰ القُدرة والسُّلطان[٦].

قيل: هذا غلطٌ لما بينا فيما قبل وأنَّ جميعَ الأشياءِ في قُدرته وسُلطانه، فلا معنىٰ لتخصيص السماء والأرض بذلك، ولأنَّه قال: **«يأخذه بيده اليمنىٰ»** وفي لفظٍ آخر: **«بشماله»** وهذه صِفَةُ ذاتٍ لا تختص القدرة والسلطان.

=

١ـ سعيد بن المسيب.

٢ـ وأبو سلمة بن عبدالرحمن.

نقل ذلك ابن خزيمة عن محمد بن يحيىٰ وهو الذهلي.

(٥) إسناده حسن، أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٧) وعبدالله في السنة (١١٥٧) عن معاذ بن هشام ثني أبي عن قتادة ثنا النضر بن أنس عن ربيعة الجُرَشي (وقع فيه الجرسي وهو خطأ) قال: ويده الأخرىٰ خلو ليس فيها شيء.

وإسناده حسن.

ربيعة هذا هو ابن عمرو ويقال ابن الحارث ويقال ابن الغاز الجُرشي، مختلف في صحبته ووثقه الدارقطني.

وباقي رجاله ثقات، سوىٰ معاذ بن هشام فإنه صدوق ربما وهم.

وأعلَّه محقق السنة لعبدالله بالإنقطاع بين النضر وربيعة، ولا أدري علىٰ أي شيءٍ اعتمد في قوله هذا؟!

وقد راجعت ترجمتيهما في تهذيب الكمال فلم أر شيئاً يدل عليه؟

(٦) كذا تأولها ابن فورك في «مشكله» (ص٩٦ ـ ٩٧) والتأويل الذي سيذكره المصنف بعد.

ونقل البيهقي نحوه في الأسماء (ص٣٣١).

فإنْ قيل: يحتمل أنْ يكون قوله قبضها بمعنىٰ أفناها، كقول القائل: قبض الله روح فلانٍ إليه، أفْنَاها ثم بسطها أي ثم يُعيدها علىٰ الوجه الذي يُريد!

قيل: هذا غلطٌ لوجهين:

أحدهما: أنَّه قال يقبضها بيده، ولو كان المرادُ به الفَنَاء لم يعلقه باليد، لأنَّ فناء الأشياء لا يختص باليد.

٣١٠ـ الثاني: أنَّ أبا مُحمد الحسن بن محمد الخلَّال رَوىٰ فيما خَرَّجه من «أخْبار الصفات» بإسناده عن ابن عباس قال: «يَطْوي الله السَّموات السَّبْع بما فيها من الخَلِيقة، والأرضينَ السَّبع بما فيها مِنَ الخليقة بيمينه، فلا يرىٰ من عند الإبهام شَيئاً، ولا من الخُنْصر شيئاً، ويكون ذلك في كَفِّه بمنزلة الخَرْدَلة»[٧].

وهذا يمنع تأويلهم بالفناء لأنَّه أخبر أنها باقية في كفه.

فإن قيل: قوله: «بيمنيه» أي بقَسَمه كأنَّه أقْسَمَ بها.

---

(٧) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٤٨) دون جملة «فلا يرىٰ من عند الإبهام شيئاً ولا من الخنصر شيئاً» وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

وأخرج ابن جرير (٢٤/ ٢٧) وعبدالله في «السنة» (١٠٩٠) عن معاذ بن هشام ثنىٰ أبي عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: ما السَّموات السَّبع والأرضون السبع في يدِ الله إلا كخردلةٍ في يد أحدكم.

أبو الجوزاء هو أوس بن عبدالله الربعي وهو تابعي ثقة، أرسل عن عمر وعلي قاله ابن أبي حاتم، وسمع عبدالله بن عمرو، قاله البخاري في التاريخ (٢/ ١٦) وروىٰ بسنده عن عمرو ابن مالك النكري عنه قال: أقمت مع ابن عباس وعائشة اثنتي عشرة ليس من القرآن آية إلا سألتهم عنها. ثم قال: في إسناده نظر.

وعمرو بن مالك هو النُكري صدوق له أوهام.

فالإسناد حسن إن كان أبو الجوزاء سمعه من ابن عباس.

قيل: هذا غلطٌ لأنَّا لا نعلم أنَّه أقْسَمَ بها ولو كان لنُقل، ولأنَّه ليس ها هنا حرف القسم.

فإنْ قيل: فالذي يَدُلُّ علىٰ أنَّ المراد بالقبض الفناء قوله: «أنا الملك وأين الملوك» فيقول هو «الله الواحدُ القهَّار» قال المفسرون: إنَّما يكونُ ذلك عند فَنَاء خَلْقه وإمَاتَتِهم، فلا يكونُ له مجيبٌ غير نفسه «لله الواحد القهار».

قيل: ليس في ذلك ما يمنع قبضها بيده لأنَّه يحتمل أنْ يَقْبضها بيمينه، ثم يفنيها.

٣١١ـ وقد حمل أبو بكر عبدالعزيز قوله تعالىٰ: ﴿**والأَرْضُ جَميعاً قَبْضَتُهُ يَومَ القيامة والسَّموات مَطْوِيَّاتٌ بيمينه**﴾ [الزمر: ٦٧]. علىٰ ظاهره وأنَّ ذلك راجعٌ إلىٰ ذاته، ذكر ذلك في كتاب «التفسير» في الكلام علىٰ قوله: ﴿**والأَرْضُ جميعاً قبضَتُه يوم القيامة**﴾ [الزمر: ٦٧]. فقال: قد قال بعضُ أهل العربية في قوله: ﴿**والأرض جميعاً قبضَتُهُ يوم القيامةِ والسَّمواتُ مَطْويَّاتٌ بيمينه**﴾ [الزمر: ٦٧]. يقول: في قدرته واستشهد علىٰ ذلك بقوله: ﴿**أوْمَا مَلَكَتْ أيْمَانُهُم**﴾ [المؤمنون: ٧]. وليس المراد بالملك اليمين دون سائر الجسد، ولأنَّك تقول: هذا الشيء في قبضتك، أي في قدرتك، ثم أَجابَ عن ذلك بأنْ قال: مَا رُوي عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والتابعين يشهدُ علىٰ بُطلانِ هذا القول، وهو يُؤُلُ إلىٰ قول جَهْمٍ وذلك قوله تعالىٰ: ﴿**مَا مَنَعَكَ أنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدي**﴾ [صٓ: ٧٥].

وقول النبي ﷺ: «**فوضع يده بين كتفي**»(٨).
وقال ﷺ: «**فأقومَ عن يمينِ رَبِّي مَقَاماً لا يَقُومه غَيري**»(٩).

---

(٨) مرَّ في (الجزء الأول/ ص١٠٣).

(٩) إسناده ضعيف، وهو قطعة من حديث طويل في الشفاعة، أخرجه أحمد (١/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩) وابن جرير في تفسيره (١٥/ ٩٨ ـ ٩٩) والبزار (١/ ٣٤٧٨ ـ زوائد) والطبراني في الكبير (١٠/ ٨٠/ ١٠٠١٧): =

فقد احتج عليه بهذه الأشياء لإثبات اليمين والقبض بها.

٣١٢ـ ثم ذكر حديثاً بإسناده عن أبي أيوب الأنصاري قال أتىٰ النبي ﷺ حَبْرٌ من اليهود فقال: أرأيتَ إذ يقولُ الله في كتابه: ﴿**والأَرْضُ جميعاً قَبْضَتُهُ يَومَ القِيامَةِ والسَّمواتِ مَطْويَّاتٌ بيمينه**﴾ [الزمر: ٦٧]. فأين الخلق عند ذلك؟ فقال: «**هُمْ فيها كَرَقْمِ الكِتَاب**»[١٠].

= عن محمد بن الفضل السدوسي ثنا سعيد بن زيد ثنا علي بن الحكم البناني عن عثمان ابن عمير عن إبراهيم عن علقمة والأسود عن ابن مسعود قال: جاء ابنا ملبكة إلىٰ النبي ﷺ فقالا: إنَّ أُمنا كانت تكرم الزوج وتعطف علىٰ الولد، قال: وذكر الضيف، غير أنها كانت وَأَدَتْ في الجاهلية، قال: «**أُمكما في النار**» فأدبرا والشر يُرىٰ في وجوههما، فأمر بها فردًا فرجعا والسرور يرىٰ في وجوههما، رجيا أن يكون قد حدث شيء، فقال: «**أمي مع أمكما**» فقال: رجلٌ من المنافقين: وما يغني هذا عن أمه ونحن نطأ عقبيه، فقال رجل من الأنصار ـ ولم أر رجلًا قط أكثر سؤاً نه ـ: يا رسول الله! هل وعدك ربك فيها أو فيهما؟ قال: فظن أنه من شيء قد سمعه، فقال: «**ما سألته ربي وما أطمعني فيه، وإني لأقوم المقام المحمود يوم القيامة . . .**» الحديث.

ورواه الدارمي (٢/ ٣٢٥) مختصراً والطبراني (١٠/ ٨١/ ١٠٠١٨) والحاكم (٢/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥) عن الصعق بن حزن عن علي بن الحكم عن عثمان عن أبي وائل عن ابن مسعود به.

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وعثمان بن عمير هو أبو اليقظان.

فتعقبه الذهبي بقوله: لا والله! فعثمان ضعفه الدارقطني، والباقون ثقات.

وقال البزاز: وأحسب الصعق غلط في هذا الإسناد.

وذكر الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٦٢) وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني وفي أسانيدهم كلهم عثمان بن عمير وهو ضعيف.

وقد ضعفه أحمد، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث منكر الحديث، وقال الدارقطني: متروك.

(١٠) إسناده ضعيف، أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٩) فقال: حدثني محمد بن عون ثنا أبو المغيرة ثنا ابن أبي مريم ثنا سعيد بن ثوبان الكلاعي عن أبي أيوب الأنصاري به. =

«حَديـــثٌ آخـــر»

٣١٣ـ ناه أبو القسم قال: أبو بكر أحمد بن الحسن بن شاذان نا عبدالله بن محمد البغوي نا هُدْبة بن خالد نا حماد بن سلمة عن ثَابت عن أنس ابن مالك قال: قَرَأَ رسول الله ﷺ: ﴿فلمَّا تجلىٰ ربُّه لِلجَبلِ جَعَلهُ دَكّاً﴾ [الأعراف: ١٤٣]. قال: «وضَعَ إبْهامه علىٰ قريب مِنْ طَرَفِ أُنْملة خُنْصُرِهِ فَسَاخَ الجبلُ» قال حميد لثابت: تقول هذا! فرَفَعَ ثابتٌ يده فضربَ بها صَدْرَ حميد وقال: يَقوله رسولُ الله ﷺ ويقوله أنس وأنا أَكْتمه.

وفي لفظٍ آخر: قال فوضع رسول الله الإبهام علىٰ المِفْصَل من الخنصر فسَاخَ الجبلُ[1].

٣١٤ـ ونا أبو القسم، علي بن إبراهيم السكوني نا موسىٰ بن عبيد الله بن يحيىٰ المقري نا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي، معاذ بن معاذ، حماد بن سلمة، ثابت البناني عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ ربُّه لِلجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. قال: «هكذا» يعني أنَّه أَخْرَج طَرفَ الخنصر، قال أبي: أَرَاناه معاذ، فقال حُميد: ما تريدُ في هذا يا أبا مُحمد؟ قال فضَرَبَ صَدره ضربةً شديدةً، وقال: من أنت يا حميد وما أنت يا حميد، يحدثني به أنس بن مالك

=

وعزاه السيوطي في «الدر» (٧/ ٢٤٩) لابن جرير فقط.

وفيه: ابن أبي مريم وهو أبو بكر بن عبدالله، ضعفه أحمد وابن معين وأبو حاتم وأبو زرعة والنسائي والدارقطني وغيرهم.

وأبو المغيرة هو الخولاني عبدالقدوس بن الحجاج، ثقه.

(١) حديث صحيح، تقدم تخريجه في (الجزء الأول/ ص٧٣).

وما بعده أسانيد المصنف إليه.

عن النبي ﷺ تقول أنت ما تريد.

٣١٥ـ وأنا أبو محمد الحسن بن محمد قال: يحيىٰ بن علي المعمري من أصل كتابه[٢] قال نا محمد بن جعفر بن رميس[٣] قال نا علي بن إشكاب قال نا معاذ بن معاذ العنبري عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّه للجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. قال: «أَخْرَجَ أَوَّلَ مِفْصل من إصْبعه الخُنْصُر» قال علي بن إشكاب: ورأيتُ معاذ بن معاذ أخرج أول مفصل من إصْبعه الخنصر.

٣١٦ـ وذكره أبو الحسين بن السُّوْسَنْجِرْدي[٤] في «حديثه» بإسناده عن أنس قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فلمَّا تَجلَّىٰ رَبُّه للجبلِ جَعَلَه دَكا﴾ [الأعراف: ١٤٣]. قال: «وَضَعَ إبْهامه علىٰ قريب أَنْمُلةِ خُنْصُره» وفعل حماد هكذا وأرانا طَرَفَ الخُنصر، ووضع مَوضع المفصل فَسَاخَ الجبل.

اعلم أنَّ الكلام في هذا الخبر في فصلين: أحدهما إثبات التَّجلِّي، والثاني في

---

(٢) لعله: يحيىٰ بن علي بن يحيىٰ بن أبي معمر عبدالله بن سخبرة، وأبو معمر صاحب عبدالله ابن مسعود، ويكنىٰ أبا القاسم، ترجم له الخطيب في تاريخه (١٤/ ٢٣٨).

وقال: نزل بغداد وحدَّث بها عن عبدالله بن محمد البغوي ويحيىٰ بن صاعد. . . وحدثنا عنه: أبو محمد الخلال، وكان ثقه يشهد عند الحكام، ذكر لي الخلال أنه مات سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

(٣) في الأصل: ابن رييس، ولم أجد له ترجمة ولعله: ابن رميس وهو أبو بكر القصري، المترجم في «تاريخ بغداد» (٢/ ١٣٩) سمع أبا علقمة الفروي والحسن بن محمد بن الصباح وعثمان ابن سعيد من نوح المقرىء وجماعة من هذه الطبقة، روىٰ عنه أبو الحسن الدارقطني، مات سنة: ست وعشرين وثلاثمائة.

أما علي بن إشكاب فهو علي بن الحسين بن إبراهيم، ثقة.

(٤) هو أحمد بن عبدالله، مضت ترجمته في (الجزء الأول/ ص٢٣٩).

الخنصر.

فأمَّا التَّجلي فهو راجعٌ إلىٰ الذات وذلك غير ممتنعٍ ، كما لم يمتنع أنْ يتجلىٰ للمؤمنين يوم القيامة جَهْرة وعَيَاناً، وكذلك لا يمتنع أنْ يتجلىٰ للجبل جَهرةً وعياناً، وهو أنْ خلق في الجبل رُؤية حتىٰ رَأىٰ رَبَّه بأنْ أحياه وجعله عالماً رائياً، ثم دَكَّه بعد الرؤية، وجعله قِطَعاً علامةً لموسىٰ في أنَّه لا يراه في الدنيا.

٣١٧ـ وقد نا أبو القسم بإسناده عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لمَّا تَجَلَّىٰ الله جَلَّ اسمه للجبل طَارَتْ لعظمته ستَّة أجْبُل، فَوَقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكَّة، فوقع بالمدينة أُحُد وَورقان ورضوىٰ، ووقع بمكة ثبير وحِرَاء وثَور**»[٥].

فإن قيل: يُحمل التجلي علىٰ إظْهار الفعل والتدبير.

قيل: إن جَازَ تأويل الخَبَر علىٰ هذا جَازَ تأويل قوله: ﴿**ولمَّا جاء مُوسىٰ لميقاتِنَا وكَلَّمه رَبُّه**﴾ [الأعراف: ١٤٣] علىٰ مجيء بعض ملائكته وكلامه لموسىٰ دون الله، وكذلك قوله: «ترون ربكم» علىٰ رؤية أفعاله، وهذا لا يصح، كذلك ها هنا، وكذلك قوله: ﴿**وهُوَ الله في السَّمواتِ وفي الأرْضِ**﴾ [الأنعام: ٤]. كما حملته المعتزلة علىٰ ظاهره في الذات دون الأفعال.

ويحتمل أنْ يكون ظهور[١] سُبُحاته أوْجَبَ دَكَّه من غير أنْ يخلق فيه إدْراكاً، كما أنَّ النَّار إذا لاقت الجبل أوجب تقطيعه وإنْ لم يحصل فيه إدراك، كما قال: «**حجابه النُّور لو كشفها عن وجهه لأحرقت سُبُحات وجهه كل شيءٍ أدركه بَصَره**».

(١) في الأصل: ظهوره سبحانه، وهو خطأ.

(٥) ضعيف جداً، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ـ كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) ـ وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣١٤) عن معاوية بن عبدالكريم (وقع عند ابن كثير: ابن عبدالله وهو خطأ) عن الجلد بن أيوب عن معاوية بن قرة عن أنس مرفوعاً به.

قال ابن كثير: هذا حديث غريب بل منكر.

=

الفصل الثاني: في «الخُنْصُر»: وهو علىٰ ظاهره، إذ ليس في حمله علىٰ ذلك ما يُحيل صفاته، وأنَّ الخنصر كالإِصْبَع، والإِصبع كاليد، وقد جاز إطْلاقُ اليدين، كذلك ها هنا يجب أنْ يجوز لا علىٰ وجه التبعيض والعضو.

فإن قيل: هذا الحديث ضعيف، ذكره حماد عن ثابت، ولم يروه غيره عنه من أصحابه، وقال بعضهم إنَّ حماداً كانت له خَرْجَةٌ إلىٰ عبَّادَان، وإنَّ ابن أبي العوجاء الزنديق أدْخَلَ علىٰ أُصُوله ألفاظاً وأحاديثاً احتملها في آخر عمره، فرواها بغفلة ظهرت فيه[6].

قيل: هذا حديثٌ صحيحٌ رواه الأَثْبات منهم: أحمد وهو الـمُعَوَّل عليه في الجرح والتَّعديل، وحماد بن سلمة ممن أثنىٰ عليه أحمد، وأخرج عنه البخاري حديثاً مُسْنداً في الصَّحيح، ويجب أنْ لا يُلْتَفَتْ إلىٰ مثل هذا الكلام؛ لأنَّ القائل له يقصد بذلك ردَّ أحاديثَ الصِّفات، وقد قال الأئمة من العلماء: إنَّ أثبت الناس في ثابت البُنَاني حماد بن سلمة[7].

= قلت: وفيه: الجلد بن أيوب البصري، قال الذهبي في المغني (١/ ١٣٥) ضعفه إسحاق ابن راهوية، وقال أبو الحسن الدارقطني: متروك.

وعزاه السيوطي في «الدر» (٣/ ٥٤٥) لأبي الشيخ وابن مردويه.

(٦) ذكره ابن فورك في «مشكلة» (ص٩٨) بقوله: وقد قال بعضهم إن حماداً كانت له خرجه إلىٰ عباذان. . . .

(٧) قال أبو حاتم: أثبتُ أصحاب أنس: الزهري ثم قتادة ثم ثابت البناني، وقال أبو طالب قلت لأحمد بن حنبل: ثابت البناني أثبت أو قتادة؟ قال: ثابت ثبت في الحديث، من الثقات المأمونين، صحيح الحديث وكان يقص.

وقد اختبر حماد بن سلمة حفظه، فقد أخرج ابن أبي حاتم في الجرح بسنده عن حماد قال: يقول الناس: القصاص لا يحفظون فكنت أقلب علىٰ ثابت البناني حديثه ـ يعني أُجَرِّب حفظه ـ فكنت أقول لحديث ابن فلان: كيف حديث عبدالرحمن بن أبي ليلىٰ؟ فيقول: =

فإن قيل: المراد بالخنصر الشيء اليسير من آياته فَذَكر الخنصر وضرب المثل به، لا أنَّه جَعَل له خُنْصُر[8].

قيل: هذا غلطٌ، لأنه لو كان المراد ذلك؛ لم ينكره حميد، ولا أنكره عليه ثابت، ولا أحتجَّ عليه بأنَّ النبي ﷺ قاله، لأنَّ آيات الله لا تُنكر، فثبت أنَّ المراد بذلك صفةُ ذاتٍ.

وجوابٌ آخر: وهو أنَّه إنْ جاز حمل الخنصر علىٰ الشيء اليسير من آياته، جاز حمل التجلي للجبل علىٰ إظهار بعض آياته للجبل حتىٰ جعله دكاً، وكذلك جازَ حملُ قوله: ﴿**وَلَمَّا جاءَ مُوسَىٰ لِمِيقاتِنَا وَكَلَّمه رَبُّه**﴾ [الأعراف: ١٤٣]. علىٰ أنَّه أَمَرَ بعضَ مَلائكته بكلامه لا أنَّه كلمه بنفسه، وقد أجمعنا ومثبتوا الصفات علىٰ أنه تَجَلَّىٰ بذاته للجبل، وكَلَّم مُوسىٰ بنفسه، كذلك ها هنا يجب أنْ يُحمل الخنصر علىٰ أنها صفةٌ لذاته، كما وَجَبَ حمل اليد التي خلق بها آدم[1].

---

(١) كتب بمحاذاته: بلغ مقابلة.

= لا، حدثناه فلان، وأقول لحديث عبدالرحمن بن أبي ليلىٰ: كيف حديث فلان؟ فيقول: لا، حدثناه عبدالرحمن بن أبي ليلىٰ.

وقال الحافظ أبو بكر البرديجي: ثابت عن أنس صحيح من حديث شعبة والحمادين وسليمان بن المغيرة، فهؤلاء ثقات، ما لم يكن الحديث مضطرباً. (انظر الجرح (٢/ ٤٤٩) والتهذيب (٢/ ٢ ـ ٤)).

هذه هي بعض أقوال جهابذة هذا العلم ونقاده، وهي كافية في الردِّ علىٰ دعاوىٰ أهل الأهواء، الذين إذا لم يجدوا تأويلاً مستساغاً مقبولاً؛ لجأوا إلىٰ الطعن في المرويات!! ولو كان رواتها جبال الحفظ وأئمة المسلمين!! وقانا الله وإياكم شر فتنتهم وبلاءهم، وردَّ كيدهم في نحورهم.

(٨) ذكره ابن فورك (ص٩٨).

[إثبات السَّمع والبصر لله تعالىٰ]

«حَديــــثٌ آخـــر»

٣١٨ـ رواه أبو محمد الحسن بن محمد الخلال فيما خَرَّجه من «أخبار الصفات» بإسناده عن أبي هريرة: «أنَّ رسول الله ﷺ قرأ: ﴿إنَّه كَانَ سميعاً بصيراً﴾ فوضع إصْبَعه الدَّعَّاء وإبهامه علىٰ عينه وإذنه».

وفي لفظ آخر: «فوضعَ إبهامه علىٰ أُذُنِه والأُخْرىٰ علىٰ عينه». قال أبو محمد: هذا حديثٌ إسناده شرط مسلم يلزمه إخْراجُه في الصحيح، وهو حديثٌ ليس فيه علة[1].

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه أبو داود (٥/ ٤٧٢٨) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٤٢ ـ ٤٣) وعنه ابن حبان (١٧٣٢ ـ زوائد) والدارمي في «النقض» (ص٤٧) والبيهقي في «الأسماء» (ص١٧٩) واللالكائي (٣/ ٤١٠):

عن عبدالله بن يزيد المقرىء حدثنا حرملة بن عمران التُّجيبي حدثني أبو يونس سليم ابن جبير مولىٰ أبي هريرة قال: سمعت أبا هريرة فذكره.

قال ابن يونس (الراوي عن المقري عند أبي داود): قال المقرىء: يعني (أن الله سميع بصير) يعني أن لله سمعاً وبصراً.

قال أبو داود: وهذا ردٌّ علىٰ الجهمية.

وقال اللالكائي: إسناد صحيح علىٰ شرط مسلم يلزمه إخراجه.

وقال الحافظ في الفتح (١٣/ ٣٧٣) عنه: سند قوي علىٰ شرط مسلم.

وهو كما قالوا. والدَّعَّاء: إصبعه السَّبابة التي كان يدعو بها.

وللحديث شاهد من حديث عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول علىٰ المنبر: «إنَّ ربَّنا سميعٌ بصير» وأشار إلىٰ عينيه. =

اعلم أنَّه ليس المراد بالإشارة إلىٰ العُضو والجارحة التي لا مَدْحَ في إثباتها، لأنَّ القديم سبحانه يستحيل عليه ذلك، وإنَّما المراد بذلك تحقيق السَّمع والبصر الذي في إثباته المقصود أَنَّ الله عزَّ وجَلَّ يرىٰ المرئيات برؤيته، ويسمع المسموعات بسمعه، فأشار إلىٰ الأُذُنِ والعين تحقيقاً للسَّمع والبصر لأجل أنهما مَحل للسمع والبصر، وقد يُسمىٰ محل الشيء باسمه لما بينهما من المجاورة والقرب[٢].

ولأنَّ هذا الخبر أفاد أنَّ وصفه عزَّ وجلَّ بأنه سميعٌ بصير لا علىٰ معنىٰ وصفه بأنه «عليم»؛ كما ذهب إليه بعض أهلُ النظر، ولم يُثْبتوا لله عَزَّ وجلَّ في وصفنا له بأنه «سميع» معنىٰ خاصاً، وفائدةً زائدة علىٰ وصفنا له بأنَّه عليم، فأفاد بذلك تحقيق معنىٰ السمع والبصر، وأنَّه معنىٰ زائدٌ علىٰ العلم، إذْ لو كان معنىٰ ذلك العلم؛ لكان يُشير إلىٰ القلب الذي هو [محل][١] العلم، ليُنبه بذلك علىٰ معناه، فلما أشار إلىٰ العين والأُذن ـ وهما مَحلَّان للسمع والبصر ـ حقق الفَرْقَ بين السَّمع والبصر وبين العلم.

٣١٩ـ وفي معنىٰ هذا ما روىٰ أبو عبدالله بن بطة بإسناده عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الدَّجال أعْور، وإنَّ رَبَّكم ليسَ بأَعْور**»[٣].

---

(١) ساقطة من الأصل.

= عزاه الحافظ للبيهقي في الأسماء وقال: سنده حسن.

وعزاه السيوطي في «الدر» (٢/ ٥٧٣) لابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم.

(٢) قال نحو هذا الكلام البيهقي في «الأسماء» (ص١٧٩ ـ ١٨٠).

(٣) حديث صحيح، أخرجه البخاري (١٣/ ٩١، ٣٨٥) ومسلم في الفتن (٤/ ٢٢٤٨) عن شعبة عن قتادة قال: سمعت أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من نبيٍ إلا وقد أنذر أُمَّته الأعورَ الكذابَ، ألا إنَّه أعور، وإنَّ ربكم ليس بأعور، ومكتوبٌ بين عينيه: ك ف ر**».

ورواه أحمد (٣/ ٢٠١، ٢١١، ٢٢٨، ٢٤٩، ٢٥٠) ومسلم عن شعيب بن الحبحاب =

ومعناه تحقيق وصف الله تعالىٰ بأنَّه بصيرٌ، وأنَّه لا يصح عليه النَّقص والعمىٰ، ولم يرد بذلك إثبات الجارحة إذْ لا مَدْحَ في إثباتها، لأنَّ إثْبَاتها يُؤدي إلىٰ القول بحدثه.

٣٢٠ـ وفي معنىٰ ذلك ما روىٰ أبو موسىٰ قال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيُّها النَّاسُ إنَّكم لا تَدْعُونَ أصَمَّا**[١] **ولا غَائباً إنَّكم تَدْعونَ سَميعاً بصيراً**».

فنفىٰ النَّقْصَ عنه، وأثبت السمع والبصر.

٣٢١ـ وكذلك قول عائشة: «تبارَكَ الذي وَسِعَ سَمْعه كلَّ شيء»[٥].

وهذا الخبر دلالة علىٰ جواز الإشارة إلىٰ صفات نفسه عند ذكر صفات الله تعالىٰ، لا علىٰ طريق التشبيه ونظيره حديث الحَبْر وقوله: «يا أبا القاسم يوم يجعلُ السَّماء علىٰ ذه، وأشار بالسَّبَّاحَة، والأرضين علىٰ ذه».

---

(١) كُتب في هامش الأصل: لفظة «**إنكم**» ساقطة من الأصل، وقوله: «**أصماً**» كذا في الأصل.
قلت: قال الحافظ في الفتح (١/ ١٨٨): ووقع في بعض النسخ «**أصماً**» وكأنه لمناسبة «**غائباً**» وقوله: «**بصيراً**» ووقع في تلك الرواية «**قريباً**» ا.هـ.

= وحميد عن أنس مرفوعاً بنحوه.
وليس عند مسلم رواية حميد.

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ١٣٥) (٧/ ٤٧٠) (١١/ ١٨٧، ٢١٣ ـ ٢١٤، ٥٠٠) (١٣/ ٣٧٢) ومسلم في الذكر والدعاء (٤/ ٢٠٧٦ ـ ٢٠٧٨) من طرقٍ عن أبي عثمان النَّهدي عن أبي موسىٰ الأشعري قال: كنَّا مع النبي ﷺ في سفرٍ، فجعل النَّاسُ يجهرون بالتكبير فقال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس أرْبَعُوا علىٰ أنفسِكم إنكم ليس تدعون أصمَّ ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم**». قال: وأنا خلفه، وأنا أقول: لا حولَ ولا قوة إلا بالله، فقال: «**يا عبدالله بن قيس! ألا أدُلُّك علىٰ كَنزٍ من كنوز الجنَّة؟**» فقلت: بلىٰ يا رسول الله، قال: «**قُل: لا حَولَ ولا قوة إلا بالله**» لفظ مسلم.

(٥) صحيح، أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٤٦) والبخاري تعليقاً (١٣/ ٣٧٢) والنسائي (٦/ ١٦٨) =

«حَديـــثٌ آخــر»

٣٢٢ـ أَخْرَجَه أبو القسم عبدالعزيز قال: علي بن إبراهيم الموصلي نا أبو مزاحم موسىٰ بن عبيدالله المقري نا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: أبو المغيرة الخولاني قال نا الأوزاعي نا قال: حدثني يحيىٰ بن أبي كثير عن عكرمة قال: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا أراد أنْ يُخَوِّفَ عبَادَهُ أبْدىٰ عنْ بعضِهِ إلىٰ الأَرضِ ، فعندَ ذلك تَزَلْزَل، وإذا أَرادَ أنْ يُدمِّر علىٰ قومٍ تَجَلَّىٰ لها»(١).

= وابن ماجه (١٨٨، ٢٠٦٣) وابن أبي عاصم (٦٢٥) وابن جرير (٢٨/ ٥) والآجري في الشريعة (ص٢٩١) والحاكم (٢/ ٤٨١) والبيهقي في «الأسماء» (ص١٧٧) واللالكائي (٣/ ٤١٠) عن طرق عن الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة قالت: الحمدُ لله الذي وَسِعَ سمعه الأصوات: لقد جاءت المُجادِلةُ إلىٰ النبي ﷺ تُكلِّمه في ناحية البيت وما أسمع ما تقول، فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿قد سَمِعَ الله قَولَ التي تُجادِلك في زوجها﴾ [المجادلة: ١].

ولفظ المصنف هي رواية ابن ماجه والحاكم والآجري: «**تبارك الذي وَسِعَ سمعُه كلَّ شيء**».

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وقال الحافظ في الفتح (١٣/ ٣٧٤): وهذا أصح ما ورد في قصة المجادلة.

قال ابن خزيمة في التوحيد (ص٤٥) بعد أن ذكر معنىٰ الخبر: «فكذلك خَبَّر المؤمنين أنه سَمِعَ قول المجادلة، وتحاورَ النبي ﷺ والمجادلة، وخَبَّرت الصدِّيقةُ بنتُ الصِّديق رضي الله عنهما أنه يخفي عليها بعض كلام المجادلة مع قربها منها فسبَّحت خالقها الذي وسع سمعه الأصوات، وقالت: سبحان ـ (كذا) ـ من وسع سمعه الأصوات، فسمع الله جلَّ وعلا كلام المجادلة وهو فوق سبع سموات مُستوٍ علىٰ عرشه، وقد خَفِيَ بعض كلامها علىٰ من حَضَرها وقربَ منها».

(١) لم أقف عليه من حديث عكرمة.

ورواه ابن فورك عن يحيىٰ بن أبي كثير عن عكرمة عن ابن عباس: «إنَّ الله تبارك وتعالىٰ إذا أراد أنْ يُخوفَ أهلَ الأرض أبْدىٰ عن بعضه، وإذا أرادَ أنْ يُدمر عليهم تَجلىٰ لها»(٢).

أما قوله: «أبدىٰ عن بعضه» فهو علىٰ ظاهره، وأنَّه راجع إلىٰ الذات إذ ليس في حمله علىٰ ظاهره ما يُحيلُ صفاته، ولا يُخرجها عما تستحق.

فإن قيل: بل في حمله علىٰ ظاهره ما يحيل صفاته، لأنَّه يستحيل وَصْفه بالكُلِّ والبعض والجزء، فَوَجب حمله علىٰ إبداء بعض آياته وعلاماته تحذيراً ونذيراً.

قيل: لا يمتنع إطلاق هذه الصفة علىٰ وجه لا يفضي إلىٰ التجزئة والتبعيض، كما أطلقنا تسمية يد ووجه، لا علىٰ وجه التجزئة والبعض، وإنْ كُنَّا نعلم أنَّ اليدَ في الشاهد بعض من الجملة.

وجواب آخر: وهو أنَّه لو جاز أنْ يُحمل قوله: «أبدىٰ عن بعضه» علىٰ بعض آياته لوجب أنْ يُحمل قوله: «وإذا أرادَ أن يُدمر تجلىٰ لها» علىٰ جميع آياته، ومعلومٌ أنَّه لم يدمر قريةً بجميع آياته، لأنه قد أهْلك بلاداً، كل بلدٍ بغير ما أهلك به الآخر.

وأما قوله «تجلىٰ لها» فهو راجعٌ إلىٰ تَجَلِّي الذات، كما حملنا التجلي للجبل أنَّه تجلىٰ ذات حين تقطع الجبل، كذلك ها هنا.

فإن قيل: يحمل قوله «تجلىٰ لها» معناه آياته وأفعاله، لأنَّ معنىٰ التجلي هو: الظهور، ولهذ يقال: جَلَوْتُ السَّيفَ وجَلَوتُ العَرُوسَ، إذا أظْهَرْتَها وأبْرَزْتَها، ومنه قول القائل:

تجلىٰ لنا بالمشْرَفِيَّة والقَنَا.

---

(٢) «مشكل الحديث» (ص١٠١) وقد ذكره هكذا معلقاً عن يحيىٰ بن أبي كثير.

وذكره الديلمي في «الفردوس» (٩٦١)، وعزاه الهندي في كنز العمال (٢٩٨٥٧) إلىٰ الطبراني في «السُّنَّة» موقوفاً.

يعني: بالسيوف والرماح[3].

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّه إنْ جازَ تأويل الخبر علىٰ إظهار آياته، جاز تأويل تجليه للجبل علىٰ ظهور آياته، ولَمَّا حملوا ذلك علىٰ ظاهره، لم يمتنع أيضاً حمل هذا التجلي علىٰ ظاهره، إذ ليس في إضافة التجلي إليه ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه، لأنَّا نطلق ذلك من غير انتقالٍ، ولا فراغ مكان وشغل مكان آخر، وكذلك قوله: ﴿وجُوهٌ يَومئِذٍ نَاضِرَةٌ إلىٰ ربِّها ناظرةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. محمول علىٰ ظاهره في رؤية الذات لا الأفعال.



(٣) انظر هذا التأويل والذي قبله في «مشكل» ابن فورك (ص١٠١ ـ ١٠٢).

«حديـــثٌ آخـــر»

٣٢٣ـ ناه أبو القاسم بإسناده عن أبي الأَحْوص الجُشمي أنَّه قال: «رآني رسول الله ﷺ وعلي أطمارٌ فقال: «هل لك مِنْ مَالٍ؟» قال: قلت: نعم، قال: «مِنْ أي المال؟» قال قلت: قد آتاني الله مِنْ الشَّاء والإبل، قال: «فَلْتَر نِعْمةُ الله وكَرَامتُهُ عليك» قال النبي ﷺ: «هل تُنْتَجُ إبلك[1] وافيةً أذانُها؟» قال: وهل تُنتج إلا كذلك! ولم يكنْ أسْلَم يومئذٍ، قال: «فَلَعَلَّكَ تَأخُذُ مُوسَاكَ فتقطع أُذُنَ بعضِها، وتقول: هذه بُحُرٌ، وتَشُقُّ أُذُنَ الأُخْرىٰ فتقول: هذه صُرُمٌ» قال: نعم، قال: «فلا تَفْعَل فإنَّ كلَّ مَا آتاكَ الله حلٌّ، وإنَّ مُوسىٰ الله أَحَدُّ، وسَاعِدُ الله أَشَدُّ»[1].

---

(١) في الأصل: إبل، وهو خطأ.

---

(١) حديث صحيح، أخرجه بهذا اللفظ البغوي في «شرح السنة» (١٢/ ٤٧ ـ ٤٨).

عن عبدالرزاق عن معمر عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن أبيه به، وتمامه «قال: يا محمد! أرأيت إنْ مَررتُ برجلٍ فلم يَقْرِني ولم يُضِفْني، ثم مَرَّ بي بعد ذلك أَقْرِيه أم أَجْزيه؟ قال: «بل اقْرِه».

وأخرجه مختصراً أحمد (٣/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤) وأبو داود (٤٠٦٣) والترمذي (٤/ ٢٠٠٦) والنسائي (٨/ ١٩٦) من طرق عن أبي إسحاق به.

وقال الترمذي: حسن صحيح، وأبو الأحوص اسمه عوف بن مالك بن نَضْله الجشمي وهو تابعي ثقة، وقد صرّح أبو إسحاق بالسماع منه كما سيأتي.

وأخرجه الطبراني في الصغير (١/ ١٧٦) مختصراً عن حماد بن سلمة عن عبدالملك بن عمير عن أبي الأحوص به.

قال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٣٣): رجاله رجال الصحيح.

قوله: تُنتج إبلك: يقال نتجت الناقة: إذا ولدت فهو منتوجةٌ. قوله: «هذه بُحُر» من =

وفي لفظ آخر: «موسىٰ الله أَحَدُّ من مُوسَاك، وسَاعِدُ الله أشدُّ من ساعدك»[2].

اعلم أنَّه غيرُ ممتنعٍ حمل الخبر علىٰ ظاهره في إثباتِ «السَّاعِدِ» صفة لذاته، كما حملنا قوله تعالىٰ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ: ٧٥] علىٰ ظاهره، وأنها صِفَةُ ذاتٍ إذْ ليس في ذلك ما يُحيل صفاته، لأنَّا لا نحمله على ساعدٍ هو جارحة، بل صِفَةُ ذاتٍ لا نعقلها، كما أثْبتنا ذاتاً لا كالذوات.

فإن قيل: المراد بالسَّاعد ها هنا: القُوة، فعبَّر عنها بالساعد لأنَّه محل للقوة، وقد يعبر عن الشيء بمحله كما سَمَّت[1] العرب البصر: عيناً، والسمع: أذناً، كذلك تُسمىٰ القدرة ساعداً، ومنه يقال: جمعت هذا المال بقوة سَاعِدِي، ويرادُ به بالتَّدبير والقوة دون المباشرة بالساعد[3].

---

(١) في الأصل: سمعت، وهو خطأ ظاهر.

= البحيرة التي ذكرها الله عز وجل: ﴿ما جعل الله من بحيرة﴾ [المائدة: ١٠٣]. وهي الناقة كانت إذا نُتجت خمسة أبطن نظروا إلىٰ الخامس، فإن كان ذكراً نحروه فأكله الرجال والنساء، وإن كان أنثىٰ، بحروا أذنها، أي: شقوها فكانت حراماً علىٰ النساء: لحمها ولبنها وركوبها، فإذا ماتت حَلَّت للنساء.

والصُّرم جمع الصريم: وهو الذي صُرِمَ أذنه أي قطع.

فنهاه النبي ﷺ عما كان عليه أهل الجاهلية من قطع آذان الأنعام وتحريم بعضهن، وتحليل بعضهن علىٰ خلاف ما أمر الله سبحانه وتعالىٰ به. (البغوي).

(٢) صحيح، أخرجه أبو داود الطيالسي (١٣٠٣، ١٣٠٤) وأحمد (٣/ ٤٧٣) وابن منده في «الرد علىٰ الجهمية» (٥٥) والحاكم (٤/ ١٨١) والبيهقي في «الأسماء» (ص٣٤١ ـ ٣٤٢):

من طرق من شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت أبا الأحوص يحدث عن أبيه قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا قَشِفُ الهيئة. . .» الحديث.

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) انظر «مشكل» ابن فورك (ص١٠٣). =

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّه يُوجب حمل قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ: ٧٥] معناه بالقدرة.

فإن قيل: إنما لم نحمل اليد علىٰ القُدْرة لأنَّ في ذلك إبطالُ فضيلة آدم علىٰ إبليس، لأنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ: ٧٥]. علىٰ طريق التفضيل، وليس في حمل هذا الخبر علىٰ القُدرة إبطال فائدة(٤).

قيل: ما كان يَمتنع أن تحملون اليد علىٰ القدرة، وإنْ أفضىٰ إلىٰ إبطالِ فضيلة آدم كما حملتم قوله: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]. معناه: لذاتي، وتأولتم النَّفْس ها هنا علىٰ الذَّات، وإنْ أفضىٰ ذلك إلىٰ إبطال فائدة تخصيص موسىٰ بذلك، لأنَّ جميع الأنبياء اصطنعهم لذاته، ولَمَّا لم يَجُزْ تأويل اليدِ علىٰ القدرة؛ كذلك ها هنا.

وجوابٌ آخر: وهو أنَّه لو استحال إضافة اليد إليه، لم يجز إضافتها إليه، وإنْ أَفْضَىٰ إلىٰ إبطال فضيلة آدم، ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]. لما لم يجز حمل ذلك علىٰ الذات، حُمِلَ علىٰ الأمر وإنْ أفضىٰ إلىٰ إسقاط تخصيص عيسىٰ، لأنَّ غيرَ عيسىٰ مخلوقٌ بالأَمر، فَعُلم أنَّ إضافة اليَد إليه لا للمعنىٰ الذي ذكروه؛ وإنَّما ذلك لورود الشَّرع به، وهذا المعنىٰ موجودٌ في غيره.

وأما قوله: «ومُوساه أَحَدُّ من مُوساك» فقد قيل فيه: إنَّ هذا خَرَجَ علىٰ طريق التمثيل، لأنَّ «المُوسىٰ» لما كان آلةً للقطع، وكان المراد بالخبر أنَّ قَطْعَهُ أَسْرَع من قطعك، عَبَّر عن القَطع بالموسىٰ اعتباراً بعادة العرب، وأنَّها تُسمي الشيء باسم ما يُجاوره ويُقاربه(٥).

ولا بأس بذلك لأنَّ الله تعالىٰ يجوز في صفته ضرب المثل، قال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ

= ونقله البيهقي في «الأسماء» (ص٣٤٢) فقال: وقال بعض أهل النظر.

(٤) انظر «مشكل» ابن فورك (ص١٠٤).

(٥) انظر المصدرين السابقين.

الله مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً﴾ [النحل: ٧٥]. وقال: **﴿يا أيُّها النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فاسْتَمِعُوا لَهُ﴾** [الحج: ٧٣].

وإنما لم يجب حمل الموسىٰ علىٰ أنَّه صفة للذات كالساعد لأنَّ الموسىٰ آلةٌ، والآلاتُ لا تكونُ صفاتاً للذات، وليس كذلك السَّاعد، لأنَّه قد يكون مِنْ صفاتِ الذات بدليل كونه صِفَةً للذات في الشَّاهد، فإذا وَرَدَ الشرع بإضافته، لم يمتنع حمله علىٰ ظاهره، كما لم يمتنع حمل اليد والوجه علىٰ ظاهره.

* * *

[إثبات صفةُ «العَيْنَين» لربِّنا جلَّ شأنه]

«حَديـــثٌ آخَـــر»

٣٢٤ـ ناه أبو القسم بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «**إنَّ العَبْد إذا قَامَ في الصَّلاةِ فإنَّه بينَ عَيْنَي الرَّحْمَنَ جلَّ اسْمه، فإذَا التفَتَ قَالَ له الرَّبُّ جَلَّ اسْمه: يا ابن آدم إلىٰ مَنْ تَلْتَفِتُ؟ إلىٰ خيرٍ لك مني! أَقْبِلْ إليَّ أَنَا خَيرٌ لَكَ مِمَنْ تَلْتَفِتُ إليه**»(١).

اعلَم أنَّه غيرُ ممتنعٍ حملُ الخبر علىٰ ظاهره في إثبات «عينين» هما صِفتانِ زائدتان علىٰ البصر والرؤية، ليستا بجارحتين، والوجه في ذلك أنَّ الله تعالىٰ وَصَف نفسه بذلك بقوله تعالىٰ: ﴿**تَجْري بأعْيُنِنَا**﴾ [القمر: ١٤]. وقال تعالىٰ: ﴿**ولِتُصْنَعَ علىٰ عَيْني**﴾ [طه: ٣٩]. وقال: ﴿**واصْنَعِ الفُلكَ بأَعْيُنِنَا**﴾ [هود: ٣٧]. ﴿**واصبر لحُكْمِ رَبِّكَ فإنَّكَ بأَعْيُنِنَا**﴾ [الطور: ٤٨].

وقول النبي ﷺ: «**الدَّجَّال أعْور وإنَّ رَبكم ليس بأَعْور**»(٢).

---

(١) أخرجه البزار (١/ ٥٥٣ ـ زوائد) عن إبراهيم بن يزيد عن عطاء عن أبي هريرة مرفوعاً به، لكن فيه: «بين يدي الرحمن» بدل: «بين عيني الرحمن» قال البزار: رواه طلحة بن عمرو عن عطاء عن أبي هريرة موقوفاً.

وذكره الهيثمي في المجمع (٢/ ٨٠) وقال: رواه البزار وفيه إبراهيم بن يزيد الخوزي، وهو ضعيف.

ورواية طلحة بن عمرو عن عطاء لم أقف عليها.

(٢) تقدم تخريجه.

وهو دليل واضح علىٰ إثبات صفة العينين، فإن العور نقصٌ، وقد نفاه الرسول ﷺ عن =

٣٢٦- وروي: «أنَّ مَلِكاً كان في بني إسرائيل فَفُرِشَت له النساء فجعل يمشي علىٰ صدورهن، فبينما هو علىٰ صدر امرأة منهن إذْ رَفَعت رأسَها إلىٰ السَّماء فقالت: اللهم إنَّ هذا بعينك، فقال الله تعالىٰ: عليَّ تَمَرَّدْ يا أَرْضُ خُذِيه، قال: فَخَسَفت به الأرض والناسُ يَنظرون».

٣٢٧- وروىٰ عبدالله في كتاب «السُّنَّة» بإسناده عن ابن عباس: ﴿واصْنَعِ الفُلْكَ بأعْيُنِنا﴾ [هود: ٣٧]. قال: بعين الله عَزَّ وجَلَّ[٣].

= ربه تعالىٰ، وكل نفي في الكتاب والسنة فإنما هو لثبوت كمال ضده، كما هو مقررٌ في محله من كتب العقيدة.

وقد أثبت هذه الصفة أئمة من السلف، منهم: الدارمي عثمان بن سعيد، فقد قال في «النقض» (ص٤٨): «ففي تأويل قول رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله ليس بأعور**» **بيان أنه بصير ذو عينين خلاف الأعور**».

وقال ابن خزيمة في التوحيد (ص٤٢) بعد أن ذكر الآيات التي ساقها المصنف هنا: «فواجب علىٰ كلِّ مُؤمن أنْ يُثبت لخالقه وبارئه ما أثبتَ الخالق البارىء لنفسه من «العين»، وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالىٰ ما قد ثبتَّه في مُحكم تنزيله، ببيان النبي ﷺ الذي جعله الله مبيناً عنه عز وجل في قوله: ﴿**وأنْزلنا إليك الذِّكر لتُبيِّنَ للناس ما نُزِّل إليهم**﴾ فبيَّن النبي ﷺ أن لله «عينين» فكان بيانه موافقاً لبيان محكم التنزيل الذي هو مسطورٌ بين الدّفتين، مقروءٌ في المحاريب والكتاتيب».

ثم ذكر حديث أبي هريرة الذي ساقه المصنف في الفصل قبل السابق (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات) وحديث الدَّجّال.

(٣) لم أجده في المطبوع.

وقد أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٢/ ٢١) والبيهقي في «الأسماء» (ص٣١٣) عن حجاج بن محمد عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿**واصْنَعِ الفلكَ بأعيننا**﴾ قال: بعين الله تبارك وتعالىٰ.

وسنده فيه ضعف، من أجل عطاء بن أبي مسلم الخراساني.

. . . .

= وعزاه السيوطي في «الدر» (٤/ ٤١٨) إلىٰ ابن أبي حاتم وأبي الشيخ، وفيه قال: بعين الله ووحيه.

وقد فسَّر ابن جرير الآية كذلك فقال: «وقوله ﴿بأعيننا﴾ يقول: بعين الله ووحيه كما يأمرك» ولم يذكر غيره.

وليس تفسير من فسَّر الآية ﴿بأعيننا﴾ بمرأىٰ منَّا، وبحفظنا وكلاءتنا بغلط، بل هو تفسير صحيح، فقد فسَّره كذلك البغوي في تفسيره (٣/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) نقلاً عن ابن عباس وابن كثير (٢/ ٤٤٤)، ولا يخالف ذلك القول بأن لله تعالىٰ «عيناً» فهذه الآية والآيات السابقة نصٌ في إثباتها، إذْ لو لم تكن لله عين لَمَا وصف نفسه بذلك، وقد صرَّح لنبيه عليه السلام أنه يحفظه بعينه.

وللدارمي رحمه الله في «النقض» كلامٌ جيد هنا، فقال في (ص١٩٠ ـ ١٩١): «فيقال لهذا المعارض: أما ما ادعيت أن قوماً يزعمون أن لله عيناً، فإنَّا نقوله، لأنَّ الله تعالىٰ قاله، ورسوله قاله، وأما جارح كجارح العين من الإنسان علىٰ التركيب، فهذا كذبٌ ادَّعيته علينا عمداً! لما أنك تعلم أن أحداً لا يقوله، غير أنك لا تألُو ما شَنَّعت؛ ليكون أنجع لضلالك في قلوب الجهال، والكذب لا يصلح منه جدٌّ ولا هزل، فمن أي الناس سمعت أنه قال: جارحٌ مركب؟ فأشر إليه، فإن قائله كافر! فكم تقرر قولك جسم مركب، وأعضاء وجوارح وأجزاء، كأنك تُهوِّل بهذا التشنيع علينا، أن نكفَّ عن وَصْفِ الله بما وصف به نفسه في كتابه وما وصفه به الرسول!!

ونحن وإن لم نصف الله بجسمٍ كأجسام المخلوقين، ولا بعضو ولا بجارحة، لكنَّا نصفه بما يغيظك من هذه الصفات التي أنت ودعاتك لها منكرون، فنقول: إنه الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ذو الوجه الكريم، والسمع السميع، والبصر البصير، نور السموات والأرض. . .

ثم قال: وأما تفسيرك عن ابن عباس فمعناه الذي ادَّعينا، لا ما ادعيت أنت، يقول: بحفظنا وكلاءتنا بأعيننا، لأنه لا يجوز في كلام العرب أن يوصف أحد بالكلاءةِ إلا وذلك من ذوي الأعين، فإنْ جهلت فسمِّ لنا شيئاً من غير ذوي الأعين يوصف بالكلاءة، وإنما أصل الكلاءة من أجل النظر، وقد يكون الرجل كالئاً من غير نظر، ولكنه لا يخلو أن يكون من ذوي الأعين، وكذلك قولك: عين الله عليك، فافهم!».

فإن قيل: قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]. أيْ، بمرأىً مني وبمشهدٍ مني، وقيل فيه: بحفظي وكلائتي، وكذلك قوله: ﴿واصْنَعِ الفُلكَ بأَعْيننا﴾ [هود: ٣٧]. أي بحفْظِنا وكلائتنا.

وقيل: بمرآىً ومشاهدةٍ منَّا، وكذلك قوله: ﴿فاصْبر لحُكم ربِّك فإنَّك بأَعْيُننا﴾ [الطور: ٤٨]. وكذلك قوله: ﴿تَجرِي بأَعْيُننا﴾ [القمر: ١٤].

وقيل: المراد به أعينُ الماء التي أَخرجها من الأرض، وكذلك قول النبي ﷺ في المُصلِّي: «بين عيني الرحمن» أي: بحفظه وكلائته، ومعناه: أنَّ الله حافظٌ للمصلي، ألا ترىٰ أنَّه قال: أنا خيرٌ لك ممن تلتفت إليه.

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّ الله تعالىٰ كان رائياً له ومُشَاهِداً له قبل جريان الفُلك، وقبل طَرْحِه في اليَمِّ، وكذلك كان حافِظاً وكالِئاً قبل وجود الجَرَيان وطرحه في اليم بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُم باللَّيلِ والنَّهارِ مِنَ الرحْمَن﴾ [الأنبياء: ٤٢]. فتبيَّنَ أنَّ كلائته لنا بالليل والنهار.

* * *

«حَديـــثٌ آخَـــر»

٣٢٨ـ ناه أبو القسم بإسناده عن ابن عمر أنَّ النبي ﷺ رأىٰ نُخَامةً في قِبْلة المسجد وهو يُصلي فلما انصرف أَخَذَ عُوداً فأتاها فحكَّها ثم قال: «**يَا أيُّها النَّاسُ إنَّ أَحَدَكُم إذا كان في صَلاتِهِ فإنَّه يُوَاجِهُ رَبَّه جَلَّ اسْمُهُ، فلا يَتَنَخَّمَنَ أحَدٌ في قِبْلَتِهِ ولا عَنْ يَمينِهِ**»[1].

٣٢٩ـ وفي لفظٍ آخرٍ: رواه أنس عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ العبْد إذا قَامَ يُصلِّي فإنَّما يُنَاجِي رَبَّه جَلَّ اسْمُهُ فيما بَينه وبينَ القِبْلَةِ**»[2].

٣٣٠ـ وفي لفظٍ آخر: رواه ابن عمر عن النبي ﷺ: «**إنَّ أَحَدَكُم إذا صلَّىٰ فإنَّ الله قبلَ وجْههِ**».

وفي لفظٍ آخر: «**إنَّ الله قِبَلَ وجْهِ أَحَدِكم إذا كان في الصلاة**»[3].

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ «فإنه يواجه ربه» وأقرب الألفاظ إليه ما أخرجه أحمد (٢/ ٣٤) ثنا عبدالرزاق ثنا عبدالعزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر قال: صلَّىٰ رسول الله ﷺ في المسجد فرأىٰ في القبلة نخامة، فلما قضىٰ صلاته قال: «**إنَّ أحدكم إذا صلىٰ في المسجد فإنه يُناجي ربَّه، وإنَّ الله تبارك وتعالىٰ يستقبله بوجهه، فلا يتنخمنَّ أحدُكم في القبلة ولا عن يمينه**» ثم دعا بعودٍ فحكَّه ثم دعا بخَلُوقٍ فخضبه» وأخرجه البخاري (٢/ ٢٣٥) تعليقاً.

وإسناده صحيح، وسيأتي مزيد من تخريجه من حديث ابن عمر بنحوه.

(٢) أخرجه البخاري في الصّلاة (١/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨، ٥١٠، ٥١١، ٥١٣) (٣/ ٨٤) ومسلم في المساجد (١/ ٣٩٠) عن قتادة وحميد عن أنس مرفوعاً به، واللفظ تقريباً للبخاري في الموضع الأول، وتمامه: «فلا يبزقنَّ أحدُكم قِبَلَ قِبلته، ولكن عن يساره أو تحت قدميه» ثم أخذ طرفَ رِدائه فبصق فيه، ثم ردَّ بعضه علىٰ بعض فقال: «**أو يفعل هكذا**».

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٧٢) والبخاري (٢/ ٢٣٥) ومسلم (١/ ٣٨٨) ولم يسق لفظه وابن ماجه =

٣٣١ـ وفي حديث آخر: رواه أبو ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَزَالُ الله جلَّ اسْمُهُ مُقبِلاً علىٰ العَبْدِ ما لم يَلْتَفِتْ، فإذا التَفَتَ انصرفَ عنه**».

وفي لفظ آخرٍ قال: «**إذا لينصرف**[1] **وجهه عنه**».

وفي لفظ آخر قال: «**إذا التَفَتَ أَعْرَضَ عنه**»[4].

اعلم أنَّ الكلام في فصلين:

أحدهما: قوله: «إنَّ الله قبل وجهه ومواجهه».

والثاني: في الإِعْرَاض.

أما الأول فغير ممتنعٍ حَمْلُه علىٰ ظاهره، إذْ ليس في ذلك ما يُحيل صفاته، لأنَّ ذلك لا يوجب الجهة في حَقِّه، كما لم يُوجب الجهة في القول بجواز رؤيته في الآخرة،

---

(١) كذا في الأصل! ولعله: «**فإذا صرف وجهه انصرف عنه**» وهي رواية أحمد.

= (٧٦٣) عن الليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً ولفظه: «**إنَّ أحدكم إذا كان في الصلاة فإنَّ الله قِبَلَ وجهه، فلا يَتَخَمنَّ أحدٌ قبل وجهه في الصلاة**».

وأخرجه البخاري (١/ ٥٠٩) ومسلم (١/ ٣٨٨) عن مالك بن نافع عن ابن عمر مرفوعاً ولفظه: «**إذا كان أحدُكم يصلي فلا يَبصُقْ قبل وجهه، فإنَّ الله قِبَلَ وجهه إذا صلىٰ**».

وأخرجه أحمد (٢/ ٦، ١٤١) والبخاري (٣/ ٨٤) ومسلم (١/ ٣٨٨) ولم يسق لفظه والدارمي في سننه (١/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥) عن أيوب عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً بنحوه.

وأخرجه البخاري (١٠/ ٥١٧) عن جُويرية عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً ولفظه: «**إنَّ أحدَكم إذا كان في الصلاة فإنَّ الله حِيَالَ وجههِ، فلا يتنخمنَّ حِيال وجهه في الصلاة**».

وأخرجه أحمد (٢/ ٢٩، ٥٣) ومسلم (١/ ٣٨٨) ولم يسق لفظه عن عبيدالله عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً به.

وأخرجه أحمد (٢/ ٩٩) عن ليث بن أبي سليم عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً به.

(٤) سبق تخريجه والكلام عليه في (الجزء الأول/ ٢٦٣).

وإنْ كُنَّا نعلم في الشاهد أنَّ المَرْئِي لا يكون إلا في جهة كذلك ها هنا، وفي هذا إسقاطٌ لقولهم أنَّ وَصفه بذلك يُفضي إلىٰ الجِهَةِ والمحاذاة والمقابلة، لأنَّه لا يُفضي إلىٰ ذلك، كما لم يُفض هذا القول إلىٰ القول بجواز رؤيته، وفي القول بالإستِواء علىٰ العرش[٥].

فإن قيل: معناه ثوابُ الله يَنْزل علىٰ هذا المصلي قِبَلَ وجهه وكرامته، ومثله قول النبي ﷺ: «**يجيء القُرْآنُ بينَ يَدَي صَاحِبِه يومَ القِيامة**»[٦].

---

(٥) نفي الجهة من الألفاظ المحتملة التي تحتمل الحق والباطل، وقد سبق الكلام علىٰ ذلك في (الجزء الأول/ ص١٨٢).

والحديث حقٌّ علىٰ ظاهره، وأنه سبحانه فوق العرش وهو قِبَلَ وجه المصلي، فإن الإنسان لو أنَّه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر، لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضاً قبل وجهه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر الحديث وحديث أبي رزين المشهور، قال: «ومن المعلوم أن من توجه إلىٰ القمر وخاطبه ـ إذا قدر أن يخاطبه ـ لا يتوجَّه إليه إلا بوجهه مع كونه فوقه، فهو مستقبلٌ له بوجهه مع كونه فوقه، ومِنَ الممتنع في الفطرة أن يستدبره ويخاطبه مع قصدِه التامِّ له، وإن كان ذلك ممكناً، وإنما يفعل ذلك من ليس مقصوده مخاطبته، كما يفعل من ليس مقصوده التوجه إلىٰ شخصٍ بخطاب، فيعرض عنه بوجهه ويخاطب غيره ليسمع هو الخطاب، فأما مع زوال المانع فإنما يتوجه إليه.

فكذلك العبد إلىٰ قام إلىٰ الصلاة، فإنه يستقبل ربَّه وهو فوقه، فيدعوه من تلقائه لا من يمينه ولا من شماله، ويَدعوه من العلو لا من السفل، كما إذا قُدِّر أنه يخاطب القمر.

وقد ثبت في الصحيحين أنه قال: «**لينتهين أقوامٌ عن رفع أبصارهم في الصَّلاة أو لا ترجع إليهم أبصارهم**» واتفق العلماء علىٰ أن رفعَ المصلي بصره إلىٰ السماء منهيٌّ عنه، فهذا مما جاءت به الشريعة تكميلاً للفطرة، لأنَّ الداعي السائل الذي يُؤمر بالخشوع ـ وهو الذُّل والسكوت ـ لا يناسب حاله أن ينظر إلىٰ ناحيةِ مَنْ يدعوه ويسأله، بل يناسب حاله الإطراق وغض بصره أمامه». انظر مجموع الفتاوي (٦/ ٥٧٦ ـ ٥٧٨) (٥/ ١٠٧).

(٦) حديث صحيح، وقد ذكره المصنف بالمعنىٰ، أخرجه الترمذي (٥/ ٢٩١٥) وابن خزيمة ـ =

أي يجيء ثوابه، ويحتمل أنْ يكون ذلك علىٰ معنىٰ الترغيب في إدْمانِ الخشوعِ وإحضارِ القلبِ حين يشغله ذلك عن غيره[7].

قيل: هَذا غلطٌ لأنَّ ثوابَ الله تعالىٰ وكرامته لا تَختصُّ بالمصلي، ولا يختص تلقاء وجهه، لأنَّها عامة قَبل الصَّلاةِ وبعدها، وأمامه ووراه، وقد قال تعالىٰ: ﴿**وإنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لا تُحْصُوهَا**﴾ [إبراهيم: ٣٤].

= كما في الترغيب (٢/ ٣٥٠) ـ ومن طريقة الحاكم (١/ ٥٥٢) عن عبدالصمد بن عبدالوارث أخبرنا شعبة عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**يجيءُ القرآنُ يومَ القيامة فيقول: يا ربِّ حَلِّهِ، فيَلْبَسُ تاجَ الكرامة، ثم يقول: يا ربِّ زِدْهُ، فيلبس حُلَّةَ الكرامة، ثم يقول: يا ربِّ ارضَ عنه، فيرضىٰ عنه، فيقال له: اقْرأْ وارقَ وتُزَاد بكل آيةٍ حسنةً**».

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وعبدالصمد تابعه محمد بن جعفر:

أخرجه الترمذي بعد الحديث السابق موقوفاً علىٰ أبي هريرة، وقال: وهذا أصحُّ من حديث عبدالصمد عن شعبة.

قلت: وذلك لأن عبدالصمد وإنْ كان ثقة في شعبة، لكن محمد بن جعفر المدني البصري المعروف «بغندر» أوثق وأتقن منه في شعبة، قال الحافظ في تهذيب التهذيب: محمد بن جعفر المعروف بغندر صاحب الكرابيس، روىٰ عن شعبة فأكثر، وجالسه نحواً من عشرين سنة وكان ربيبه، وقال العجلي: بصري ثقة، وكان من أثبت الناس في حديث شعبة، وقال ابن المبارك: إذا اختلف الناس في حديث شعبة فكتاب غندر حَكَمٌ بينهم. (انظر تحفة الأحوذي ٨/ ٢٢٨).

والحديث وإن كان موقوفاً فله حكم الرفع، فمثله لا يقال بالرأي، والله أعلم.

(٧) انظر «مشكل» ابن فورك (ص١٠٧).

الفصـل الثانـي:

قوله: «**لا يَزالُ الله مُقْبلاً علىٰ عَبدِهِ مَا لم يَلْتفت، فإذا التَفَتَ أعْرَضَ عنه**» فلا يمتنع حمله علىٰ ظاهره، وأنَّ ذاته مُقْبلةٌ عليه، إذْ ليس في حمله علىٰ ذلك ما يحيل صفاته، لأنَّا لا نثبتُ إقْبال انتقال، ولا إعْراضاً بمعنىٰ الانْصِراف عن ذلك، كما حَمَلْنا تجلِّيه للجبل علىٰ ظاهره، ولم يُوجب ذلك حمله علىٰ انتقال.

فإن قيل: هذا محمولٌ علىٰ أنَّه لا يزال خيره مُقْبلاً عليه، كما يقول القائل: إنَّ الأمير أَقْبَلَ علىٰ فلان وقَرَّبه، أي انصرف خيره وثوابه، كما يقال: صرف الأمير وجهه عن فلان، إذا قَطَعَ خيره عنه، ولم يحسن إليه.

ويحتمل أنْ يكونَ معناه: لا يزال توفيق الله للعبد ما لم يُعرض، فإذا أَعرضَ أعرض عنه، يعني قطع التوفيق واللطف، وهو معنىٰ قوله: ﴿**ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ الله قُلُوبَهُم**﴾ [التوبة: ١٢٧]. معناه: لَمَّا صَرَفَ الله قلوبهم عن الخير بقطع التوفيق واللطف، انْصَرَفت قلوبهم عن الخير[٨].

قيل: هذا غَلَطٌ، لما بَيَّنَّا وهو أنَّ ثوابه لا يختص بالمصَلِّي، وكذلك قَطْعُ الثَّواب لا يختص بمن التفتَ في صلاته، لأنَّ غير المُلْتَفِت ـ من الغائب ـ في صلاته يقطع ثوابه، فيجب أنْ لا يكون لهذا التخصيص فائدة إلا ما ذكرنا.

(٨) المصدر السابق (ص١٠٨ ـ ١٠٩).

«حَديــــثٌ آخَـــر»

٣٣٢ـ ناه أبو القسم بإسناده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«ثَلاَثَةٌ لا يَنْظُرُ الله إليهم يَومَ القِيامَةِ: الإِمَامُ الكَذَّابُ، والشَّيخُ الزاني، والعَائِلُ المزهي»**[1].

٣٣٣ـ وفي حديث آخر: عن أُسامة عن النبي ﷺ قال: **«ثَلاثَةٌ لا ينظر الله إليهم يَومَ القِيامَةِ: عاقّاً لِوالديه ومُدْمِناً خَمْراً، ومَنَّاناً بما أَعْطَىٰ»**[2].

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٤٣٣) وعنه ابنه عبدالله في «السنة» (١٠٦٣) والنسائي (٥/ ٨٦):

عن يحيىٰ بن سعيد عن ابن عجلان قال: سمعت أبي يحدث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ. . فذكره.

وإسناده حسن، من أجل عجلان المدني وابنه.

وأخرجه مسلم (١/ ١٠٢ ـ ١٠٣) والنسائي في الكبرىٰ ـ كما في التحفة (١٠/ ٨٤) ـ والبيهقي في «الأسماء» (ص٢٢٣) عن الأعمش عن أبي حازم عن أبي هريرة مرفوعاً ولفظه: **«ثلاثة لا يكلمُهُم الله يوم القيامة ولا يزكِّيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذابٌ أليم: شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كذَّاب، وعائلٌ مُسْتكبِرٌ»**.

وأخرجه أحمد (٢/ ٤٨٠) عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً بمثل لفظ مسلم.

ومعنىٰ المزهي ـ ووقع عند أحمد والباقي ـ المزهو: هو المُختال المتكبر.

(٢) لم أقف عليه من حديث أسامة.

وقد صح نحوه من حديث ابن عمر:

أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (ص٣٦٤) وابن حبان (٥٦ ـ زوائد) عن ابن وهب قال أخبرني عمر بن محمد عن عبدالله بن يسار أنه سمع سالم بن عبدالله يقول: قال عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاقُّ لوالديه، ومُدْمنُ** =

٣٣٤ـ وفي حديث آخر: عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ مِنَ الخُيَلاءِ فإنَّ الله لا يَنظرُ إليه يَومَ القيامة»[٣].

= خمرٍ، والمنَّان بما أعطىٰ».

وأخرجه ابن خزيمة (ص٣٦٣ ـ ٣٦٤) والحاكم (٤/ ١٤٦ ـ ١٤٧) عن سليمان بن بلال عن عبدالله بن يسار به.

وأخرجه أحمد (٢/ ١٣٤) والنسائي (٥/ ٨٠ ـ ٨١) من طريقين عن عمر بن محمد عن عبدالله بن يسار به وفيه زيادة وهذا لفظه: «ثلاثةٌ لا ينظرُ الله عزَّ وجل إليهم يوم القيامة: العاقُّ لوالديه، والمرأةُ المترجِّلة، والدَّيُّوث، وثلاثةٌ لا يدخلون الجنة: العاقُّ لوالديه، والمدمنُ علىٰ الخمر، والمنَّان بما أعطىٰ».

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وفيه: عبدالله بن يسار وهو المكي الأعرج، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحافظ: مقبول.

لكن للحديث شواهد منها: حديث عبدالله بن عمرو، أخرجه أحمد (٢/ ٢٠١، ٢٠٣) والدارمي (٢/ ١١٢) والنسائي (٨/ ٣١٨) وابن خزيمة في التوحيد (ص٣٦٥ ـ ٣٦٦) وابن حبان (١٣٨٢، ١٣٨٣ ـ زوائد) والطحاوي في «المشكل» (١/ ٣٩٥) عن سالم بن أبي الجعد عن جابان عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً: «لا يدخل الجنة: منان، ولا عاق والديه، ولا مدمن خمر، ولا ولد زنية».

وقد أعله ابن خزيمة بجهالة جابان وبإسقاطه نبيط من هذا الإسناد (وهو مذكور في الإسناد عند النسائي).

وقد توسَّع في الكلام علىٰ الحديث الشيخ الألباني حفظه الله في السلسلة (٦٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٥٢) ومسلم (٣/ ١٦٥١):

عن مالك عن نافع وعبدالله بن دينار وزيد بن أسلم كلهم يُخْبره عن ابن عمر مرفوعاً به.

وأخرجه البخاري (٧/ ١٩) (١٠/ ٢٥٤، ٤٧٨) عن موسىٰ بن عقبة عن نافع به.

وله طرق أخرىٰ عن نافع وعن ابن عمر، انظر البخاري (١٠/ ٢٥٨) ومسلم (٣/ ١٦٥١ ـ ١٦٥٣).

وله شاهد من حديث أبي هريرة، انظر المصادر السابقة.

٣٣٥ـ وفي حديثٍ آخر: عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا ينظر الله تعالىٰ إلىٰ امْرَأةٍ لا تَعرف حَقَّ زوجها، ولا تستغني عنه»**(٤).

٣٣٦ـ وفي حديثٍ آخر: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يَنظر**

---

(٤) حديث صحيح، رواه النسائي في «عشرة النساء» (الكبرىٰ) ـ كما في التحفة (٦/ ٣٠٠) ـ عن سرَّار بن مُجشِّر بن قبيصة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً به.

سرَّار ثقة، وباقي رجاله ثقات.

ولم يتفرد به، بل تابعه ابن المبارك عند البزار (١٤٦٠ ـ زوائد).

ولم يتفرد به سعيد بن أبي عروبة، بل تابعه همام عند البزار، وعمران القطان (وهو صدوق يهم) عند ابن عدي (٦/ ٢١٤٤)، وعمر بن إبراهيم العبدي عند الحاكم (٢/ ١٩٠) (٤/ ١٧٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وعمر العبدي صدوق ينفرد عن قتادة بأشياء، لكنه قد تُوبع هنا.

ورواه النسائي في الكبرىٰ ـ كما في التحفة (٦/ ٢٨٥) ـ عن الخليل بن عمر بن إبراهيم عن أبيه عن قتادة به.

ورواه الحاكم (٤/ ١٧٤) عن العباس بن يزيد البحراني عن معاذ بن هشام ثنا شعبة عن قتادة عن سعيد عن ابن عمرو مرفوعاً.

ثم قال: صحيح علىٰ شرط الشيخين إنْ حَفِظَه العباس، فإني سمعت أبا علي يقول: المحفوظ من حديث شعبة ما حدَّثناه أبو بكر محمد بن إسحاق ثنا أبو موسىٰ ثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة (به مرسلاً).

ووافقه الذهبي فقال: والمحفوظ حديث غندر عنه موقوفاً.

وكذا رواه النسائي في الكبرىٰ ـ كما في التحفة (٦/ ٣٠٠) ـ عن عمرو بن علي عن يحيىٰ عن شعبة موقوفاً.

قلت: غندر من أثبت الناس في شعبة وقد لازمه عشرين سنة، كما تقدم قريباً، لكن الحديث قد ثبت مرفوعاً كما سبق.

الله إلىٰ رَجلٍ أَتَىٰ رَجُلاً أو امرأةً في دُبُرِها»[٥].

---

(٥) حديث صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) والترمذي (٣/ ١١٦٥) والنسائي في الكبرىٰ ـ كما في التحفة (٥/ ٢١٠) وابن الجارود في «المنتقىٰ» (٧٢٩) وابن حبان في صحيحه (١٣٠٢، ١٣٠٣ ـ زوائد) وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١١٣٠) وابن حزم في «المحلىٰ» (١٠/ ٦٩ ـ ٧٠):

عن أبي خالد الأحمر عن الضحاك بن عثمان عن مخرمة بن سليمان عن كريب عن ابن عباس مرفوعاً به.

قال الترمذي: حسن غريب.

وصححه ابن حزم.

ورجاله ثقات رجال الشيخين، سوىٰ الضحاك بن عثمان وهو ابن عبدالله الأسدي الحزامي فمن رجال مسلم، وثَّقه الجمهور، وقال أبو حاتم: يكتب حديث ولا يحتج به وهو صدوق، وقال: أبو زرعة: ليس بالقوي، وقال الحافظ: صدوق يهم.

والحديث رواه النسائي في الكبرىٰ ـ كما في التحفة (٥/ ٢١٠) ـ عن هناد عن وكيع عن الضحاك موقوفاً.

وقال الحافظ في «التلخيص» (٣/ ١٨١): وهو أصح عندهم من المرفوع.

ورواه ابن عدي (٣/ ١١٠٩) عن سليمان اليمامي عن ابن أبي كثير عن طاووس عن ابن عباس مرفوعاً به، وسليمان ضعفه غير واحد.

والحديث ولو كان موقوفاً، فإن له حكم الرفع، لأن مثله لا يقال بالرأي، كما أن له شاهداً من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٢٥٣) وأحمد (٢/ ٢٧٢، ٣٤٤) وعبدالله في السنة (١٠٦٤) وأبو داود (٢/ ٢١٦٢) والنسائي في الكبرىٰ ـ كما في التحفة (٩/ ٣١٢ ـ ٣١٣) ـ وابن ملبة (١٩٢٣) من طرق عن سهيل بن أبي صالح عن الحارث بن مُخَلَّد عن أبي هريرة به، وفي بعض طرق الحديث لفظه: **«ملعونٌ مَنْ أتىٰ امرأته في دبرها»**.

والحارث هو الزرقي الأنصاري، قال البزار: ليس بمشهور، وقال ابن القطان: مجهول الحال، وذكره ابن حبان في الثقات.

٣٣٧ـ وفي حديث آخر: عن ابن عباس: «**لا ينظر الله إلىٰ مسدل**»(٦).

٣٣٨ـ وفي حديث آخر: عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «**إنَّ الله تعالىٰ لا يَنْظُرُ إلىٰ مُسْبِلٍ إزاره**»(٧).

٣٣٩ـ وفي حديثٍ آخر: عن أبي أُمَامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثَةٌ لا ينظر الله عَزَّ وَجَلَّ إليهم يَومَ القِيامة ولا يُزكّيهم ولَهُم عَذابٌ أليم: عاق وَالِدَيه، ومدمناً خمراً، ومُكذِّباً بقَدرِ الله تعالىٰ**»(٨).

---

(٦) لم أقف عليه!

(٧) إسناده صحيح، أخرجه أحمد (١/ ٣٢٢) والنسائي في «المجتبي» (٨/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨) وفي الكبرىٰ ـ كما في التحفة (٤/ ٣٩١) ـ وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٩٢):
من طرقٍ عن أشعث بن أبي الشعثاء المحاربي قال سمعت سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً به، وفيه: «مسبل الإزار».
وسنده صحيح، أشعث ثقة.
وله شاهد من حديث أبي هريرة وزاد «يوم القيامة».
أخرجه أحمد (٢/ ٣١٨) وهو من صحيفة همام عنه.
وأخرجه مسلم (٣/ ١٦٥٣) عن محمد بن زياد قال: سمعت أبا هريرة ورأىٰ رجلاً يجرُّ إزاره، فجعل يضربُ الأرضَ برجله ـ وهو أميرٌ علىٰ البحرين ـ وهو يقول: جاء الأمير، جاء الأمير، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله لا ينظر إلىٰ مَنْ يجرُّ إزاره بَطَراً**».

(٨) حسن لغيره، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٢٣) والطبراني في الكبير (٨/ ١١٩/ ٧٥٤٧):
عن دحيم ثنا محمد بن شعيب عن عمر بن يزيد عن أبي سلام عن أبي أُمامة مرفوعاً، لكن لفظه: «**ثلاثةٌ لا يَقبلُ الله لهم صَرْفاً ولا عَدْلاً: عاقٌّ، ومنَّان، ومكذِّبٌ بالقَدَر**».
ذكره المنذري في الترغيب (٣/ ٣٢٨) وقال: رواه ابن أبي عاصم في السنة بإسناد حسن.
ورواه الطبراني (٨/ ٢٤١/ ٧٩٣٩) عن يزيد بن زريع عن بشر بن نمير عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً بلفظ: «**أربعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة...**» فذكرهم وزاد: «**مدمن خمر**». =

اعلم أنَّ الكلام في هذا الخبر مَبنيٌّ علىٰ أصلٍ وهو أنَّه يجوز أنْ يُوصف الله تعالىٰ بالنَّظَرِ الذي هو رؤية، كما يجوز وصفه بأنَّه رأي بصيرة.

وذكر ابنُ فُورك في كتاب «تأويل الأخبار» أنَّه لا يجوز وَصْفُه بأنَّه نَاظِر نَظَراً هو رؤية، قال: «لأنَّه لا يجوز أنْ يُثبت له صفةً إلا ما وَصَفَ بها نفسه، أو وصفه رسوله»[9].

ولو تأمَّل لَعَلِمَ أنَّ هذه صِفَةٌ قد وَصَفَ بها نفسه، ووصفه بها رسوله، قال الله تعالىٰ: **﴿عَسَىٰ رَبُّكُم أنْ يُهلك عَدُكُم وَيَسْتَخْلِفَكُم في الأَرضِ فَيَنْظُر كَيفَ تَعْلمُون﴾** [الأعراف: ١٢٩]. فوصف نفسه بالنظر.

٣٤٠ـ وروىٰ أبو القسم بإسناده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله عَزَّ وجَلَّ لا يَنْظُرُ إلىٰ صُوَرَكُم وأَمْوالِكُم، ولكن إنَّما يَنْظُر إلىٰ أعْمالِكُم وقُلُوبِكُم**».

وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم[10].

= وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٠٦): رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما بشر بن نمير وهو متروك، وفي الآخر عمر بن يزيد وهو ضعيف.

قلت: أما عمر بن يزيد وهو النَّصري، فقد ترجم له ابن أبي حاتم (٦/ ١٤٢) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

وذكره ابن حبان في المجروحين (٢/ ٨٨ ـ ٨٩) وقال: كان ممن يَقْلب الأسانيد ويرفع المراسيل، لا يجوز الاحتجاج به علىٰ الإطلاق، وإن اعتبر بها يوافق الثقات فلا ضير.

وقال الذهبي في الميزان (٣/ ٢٣١): وقد يعتبر به.

(٩) «مشكل» ابن فورك بنحوه، وقال: «وقد ورد الكتاب بأنه راءٍ بصير، وأنه يرىٰ ويبصر، ولم يردْ بأنه ينظر!! فلذلك لا يوصف بالنظر علىٰ معنىٰ الرؤية، ويوصف بالنظر علىٰ معنىٰ التَّعطُّفِ والرحمة!!».

ولك أن تعجبَ من هذا التحكم الذي لا يستند إلىٰ دليل لا من شرع ولا عقل!! وقد أجاد المصنف في الرد عليه.

(١٠) مسلم (٤/ ١٩٨٧) عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة مرفوعاً به. =

فأخبر أنَّه نَاظِرٌ إلىٰ الأعمال والقلوب.

٣٤١ـ وروىٰ أبو بكر النَّجاد بإسناده عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كان أوَّلَ لَيلةٍ مِنْ شَهر رَمَضان؛ نَظَرَ الله إليهم، ومَنْ نَظَرَ إليه لم يُعَذِّبه»**[11].

= وأخرجه من هذا الوجه الإمام أحمد (٢/ ٢٨٥، ٥٣٩) وابن ماجه (٤١٤٣).

وأخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٦ ـ ١٩٨٧) عن أسامة بن زيد أنه سمع أبا سعيد مولىٰ عبدالله بن عامر بن كُريز يقول سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ فذكره مطولاً وفيه: **«إنَّ الله لا ينظُرُ إلىٰ أجسادِكم ولا إلىٰ صُوَركم، ولكن ينظرُ إلىٰ قلوبكم»** وأشار بأصابعه إلىٰ صدره.

(١١) إسناده ضعيف، أخرجه البيهقي في «فضائل الأوقات» (٣٦) عن الهيثم بن الحواري عن زيد العمي عن أبي بصرة قال: سمعت جابر بن عبدالله يقول: قال رسول الله ﷺ: **«أُعْطِيتْ أمتي في شهر رمضان خمساً لم يُعطهن نبيٌّ قبلي، أما واحدةٌ: فإنَّه إذا كان أول ليلةٍ من شهر رمضان نَظَر الله عز وجل إليهم، ومَنْ نَظَر الله إليه لم يعذبه أبداً، وأما الثانية: فإن خَلُوف أفواههم حين يُمْسُون أطيبُ عند الله من ريح المسك، وأما الثالثة: فإن الملائكة تستغفر لهم في كلِّ يومٍ وليلة، وأما الرابعة: فإنَّ الله عز وجل يأمر جنَّته فيقول لها: استعدِّي وتزيَّني لعبادي، أوشك أنْ يستريحوا من تعب الدنيا إلىٰ داري وكرامتي، وأما الخامسةُ: فإنه إذا كان آخرُ ليلةٍ غُفر لهم جميعاً، فقال رجل من القوم: أهي ليلة القدر؟ فقال: لا، ألم تر إلىٰ العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وُفُّوا أُجورهم»**.

ذكره المنذري في الترغيب (٢/ ٩٢) وقال: رواه البيهقي وإسناده مقارب أصلح مما قبله.

وفيه: زيد العمِّي وهو ابن الحواري، ضعيف.

وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٤٤٥): إلىٰ البيهقي (أي في الشعب) والأصبهاني في الترغيب.

ثم رأيته فيهما من الطريق نفسه، وهو في الأول برقم (٣٦٠٣) وفي الثاني برقم (١٨٢٠).

والحديث الذي ذكره المنذري قبله، هو حديث أبي هريرة مرفوعاً: «أُعْطِيتْ أُمتي في =

٣٤٢ـ وروىٰ أبو بكر في كتاب «الشَّافي» بإسناده عن وَاثِلَة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ لله عزَّ وجَلَّ في كُلِّ يَومٍ ثَلاثمائة وسِتِّينَ نَظرةً ليسَ لصاحبِ الشاه[1] فيها نَصِيب»**[12].

فقد نطق الكتاب والسُّنة بإثبات هذه الصفة، وغير ممتنعٍ حمل ما رواه واثلة علىٰ ظاهره، لا علىٰ وجه التكرار، كما جازَ وَصفه تعالىٰ بأنَّ له تِسْعَةً وتسعين اسماً لا علىٰ وجه التحديد، وكما جاز وصفه بالعُلُو لا في جهة، وكذلك جواز النظر إليه لا في جهة، وإنْ كُنَّا نعلم أنَّ العلو ضد السفل، والنَّظَر لا يصح في الشَّاهد إلا في جهةٍ، كذلك ها هنا.

وكما جاز وصفه بالذَّات، وإن كان حقيقة الذَّات في الشاهد هو الجسم المؤلف، وكذلك جاز وصفه بالسَّمع والبصر والوجه وغير ذلك، ولا نقول إنها جميعه ولا بعضه، وإنْ كانت في الشاهد أنها بعض الذات، كذلك لا يمتنع وصفه بالعَدَدِ وإنْ لم يتعدد، ولا يصح تأويله علىٰ ما يُحدثه في كلِّ حالٍ من تغيير الأحوال لوجهين:

أحدهما: أنَّ ما يُحدثه لا يختص بتسْعةٍ وتسعين رحمة.

والثاني: أنَّ هذه الأشياء تصدر عن القُدْرةِ لا عن النظر.

فَعُلِم أنَّ المراد بالخبر إثبات صفة ترجع إلىٰ النظر الذي هو الرؤية، لا علىٰ وجه

(١) كُتب في هامش الأصل: صاحب الشاه فُسِّرَ بلاعب الشطرنج.

= **شهر رمضان خمسَ خصالٍ لم تُعط أمة قبلهم: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة..»** الحديث.

أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٢) والبزار (١/ ٩٦٣ - زوائد) والطحاوي في «المشكل» (٤/ ١٤٢) والبيهقي في «فضائل الأوقات» (٣٥) وفي الشعب (٣٦٠٢). وفيه: هشام بن أبي هشام، قال البزار: ليس هو بالقوي في الحديث، وضعفه ابن معين وأبو حاتم وغيرهما.

(١٢) ذكره الديلمي في «الفردوس» (٧١٠).

التكرار لاستحالة التكرار في صفات ذاته، لأنَّ تكرارها يُفضي إلىٰ حدثها[١٣].

---

(١٣) هذا القول غير صحيح، فمن المعلوم من الكتاب والسنة أن الله تعالىٰ لم يزل ولا يزال يفعل ما يشاء متىٰ شاء، قال تعالىٰ: ﴿**قال كذلك الله يفعلُ ما يشاء**﴾ [آل عمران: ٤٠]. وقال تعالىٰ: ﴿**ولكنَّ الله يفعلُ ما يريد**﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقال سبحانه: ﴿**ذو العرش المجيد فَعَّالٌ لما يريد**﴾ [البروج: ١٥ ـ ١٦]. وقال تعالىٰ: ﴿**قُل لو كان البحرُ مِداداً لكلماتِ ربي لنفد البحرُ قبلَ أن تنفَد كلماتُ ربي ولو جئنا بمثلِهِ مَدَداً**﴾ [الكهف: ١٠٩].

ودوام الفعل من الكمال، فإن الفعل إذا كان صِفَة كمال، فدوامه دوام كمال.

وقد ذكر أهل الكلام لفظ «تسلسل الأفعال» وهو لفظٌ مجملٌ، لم يرد بنفيه ولا إثباته كتاب ولا سنة، ليجب مراعاة لفظه، وهو ينقسم إلىٰ واجب وممتنع وممكن.

فالتسلسل في المؤثرين: محالٌ ممتنع لذاته، وهو أن يكون مؤثرون كل واحدٍ منهم استفاد تأثيره مما قبله لا إلىٰ غاية!

والتسلسل الواجب: ما دلَّ عليه العقل والشرع، من دوام أفعال الربِّ في الأبد، وأنه كلَّما انقضىٰ لأهل الجنة نعيم، أحدَثَ لهم نعيماً آخر لا نفاد له، وكذلك التسلسل في أفعاله سبحانه من طرف الأزل، وأنَّ كل فعل مسبوق بفعل آخر، فهذا واجب في كلامه، فإنه لم يزل متكلماً إذا شاء، ولم تحدث له صفة الكلام في وقت.

وهكذا أفعاله التي هي من لوازم حياته، فإنَّ كل حي فعَّال، والفرق بين الحي والميت: الفِعْل، ولهذا قال غيرُ واحدٍ من السلف: الحيُّ: الفعال.

وقال عثمان بن سعيد: كلُّ حيٍّ فعَّال، ولم يكن ربنا تعالىٰ قط في وقتٍ من الأوقات معطَّلاً عن كماله، من الكلام والإرادة والفعل.

وأما التسلسل الممكن: فالتسلسل في مفعولاته من هذا الطرف، كما تتسلسل في طرف الأبد، فإنه إذا لم يزل حيَّاً قادراً مريداً متكلماً ـ وذلك من لوازم ذاته ـ فالفعل ممكن له بموجب هذه الصفات له، وأن يفعل أكمل من أن لا يفعل، ولا يلزم من هذا أنه لم يزل الخلق معه، فإنه سبحانه متقدم علىٰ كلِّ فرد من مخلوقاته تقدماً لا أول له، فلكل مخلوق أول، والخالق سبحانه لا أول له، فهو وحده الخالق، وكلُّ ما سواه مخلوقٌ كائن بعد أن لم يكن. =

٣٤٣- وروىٰ أبو بكر أحمد بن إسحق الصبغي في كتابه المسمىٰ بـ «الأسماء والصفات» فيما حكاه ابن فُورك عنه عن عاصم بن لقيط أنَّ لقيط بن عامر خرج وافداً إلىٰ رسول الله ﷺ ومعه صاحبه، قال: فأتينا رسول الله ﷺ حين انصرفَ من صلاةِ الصُّبْح، وذكر الحديث، وقال فيه: «**فَتَخْرجُون من مَصَارِعِكُم تَنْظُرُونَ إليه، ويَنْظُر إليكم**»(١٤).

٣٤٤- وروىٰ ابنُ المنذر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينَما أهلُ الجنَّةِ في نَعِيمهم، إذْ سَطَعَ لهم نُورٌ من فَوق رُؤوسِهِم، فإذا الرَّبُّ عَزَّ وجَلَّ قد أَشْرَفَ عليهم مِنْ فَوقهم فقال: السَّلام يا أَهل الجنَّة، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿سَلَامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيم﴾** [يسٓ: ٥٨]. قال: **فَيَنْظُر إليهم ويَنْظُرون إليه، ولا يَلْتَفِتُونَ إلىٰ شيءٍ مِنَ النَّعيم ما دامُوا يَنْظُرونَ إليه**»(١٥).

= فيقال باختصار: إن صفات الأفعال ـ كالاستواء والنزول والخلق والرزق والكلام. إلخ ـ قديمة النوع حادثة الآحاد.

وانظر تفصيل هذه المسألة في: «شرح الطحاوية» لأبي أبي العز رحمه الله (ص١٣٢ ـ ١٤١)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ١١٥ ـ ٢٤٤) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقد أفاض في الكلام عليها، وأورد الأدلة من الكتاب ثم من السنة علىٰ أن الله تعالىٰ لم يزل فاعلاً لما يشاء متىٰ شاء، ثم ردَّ علىٰ المخالفين في المسألة بما لا تجده في مكان آخر.

(١٤) ضعيف، سبق تخريجه في (الجزء الأول/ ١٦٧).

(١٥) إسناده ضعيف، أخرجه ابن ماجه (١٨٤) والبزار (٤/ ٢٢٥٣ ـ زوائد) والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥) والآجري (ص٢٦٧) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) وفي «صفة الجنة» (٩١) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٠٣٩ ـ ٢٠٤٠) وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٢٦١ ـ ٢٦٢) واللالكائي (٣/ ٤٨٢) عن أبي عاصم العَبَّاداني ثنا الفضل بن عيسىٰ الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعاً به.

قال البزار: لا نعلمه يُروىٰ عن جابر إلا بهذا الإسناد.

وقال الذهبي في «العلو» (ص٢٣) بعد أن ذكر الحديث: وإسناده ضعيف. =

٣٤٥- وروي عن كعب أنَّه قال: «ما نَظَر الله إلىٰ الجنَّة قَط إلا قال لها: طيبي لأهلكِ، قال: فازْدَادَتْ طِيبًا إلىٰ ما كانت»[١٦].

فإن قيل: تُحمل هذه الأخبار علىٰ التَّعَطُّفِ والرحمة، وأنَّ الله يَتَعطف عليهم فَيُريهم نَفْسَه ويرحمهم.

قيل: هذا غلطٌ لأنَّه إنْ جازَ أنْ يُتَأَول نَظَرُه إلىٰ الأشياءِ علىٰ معنىٰ التعطف جاز أنْ تُتَأَول رؤيته وبصره إلىٰ الأشياء علىٰ معنىٰ التعطف والرحمة.

وقد أثبتَ ابنُ فورك البصر والرؤية صفة، كذلك النظر.

ولأنَّه إذا جاز وصفه بالرؤية والبَصر إلىٰ الأشياء؛ جاز وصفه بالنظر، إذْ ليس في ذلك ما يُحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقُّه.

فأما قوله في حديث جابر: «**بَيْنا أهلُ الجنَّة في نعيمهم إذْ سَطَعَ لهم نُورُ من فوق رؤوسهم**» فلا يمتنع حمله علىٰ ظاهره، وأنَّه نُورُ ذاته، لأنَّه إذا جاز أنْ يُظْهِرَ لهم ذاته فيرونها؛ جاز أنْ يُظهر لهم نُوره فيرونه، لأنَّ النُّورَ من صفات ذاته، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿**وأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بنُور رَبِّها**﴾ [الزمر: ٦٩].

وأما قوله: «**فإذا الرَّبُّ قد أشْرَفَ عليهم من فَوقِ رؤوسهم**» فلا يمتنع أيضاً

= وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع!

وفي سنده ضعيفان: أبو عاصم العباداني (وهو عبيدالله بن عبدالله) والرقاشي.

والحديث عزاه السيوطي في «الدر» (٧/ ٦٥) إلىٰ ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(١٦) ضعيف، أخرجه عبدالله بن أحمد ـ كما في حادي الأرواح (ص٢٩٥) ولم يذكر في أي كتاب له ـ حدثنا خلف بن هشام ثنا خالد بن عبدالله عن يزيد بن أبي زياد عن عبدالله ابن الحارث عن كعب به.

وأخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢١) عن أبي عوانة عن يزيد به.

وسنده ضعيف من أجل: يزيد بن أبي زياد، وهو القرشي الهاشمي مولاهم.

حَمله علىٰ ظاهره، وأنَّه إشْرافُ ذَاته، لا علىٰ وجه الجهة، كما جاز أنْ يَتَجلَّىٰ للجبل حتىٰ جعله دَكّاً.

فإن قيل: يحمل قوله: «**إذْ سَطَعَ لهم نورٌ**» علىٰ ما يَتَجَدَّد لهم من كراماته، وإشْعَارهم بما يزيدهم من معارفه، فعند ذلك يرفعون رؤوسهم، علىٰ معنىٰ ما يقال: فلان رفع رأسه، إذا ارْتَفَعَت حاله عن انخفاض بما يتجدد له، وقوله عند ذلك: «**أشرف عليهم من فوق رؤوسهم**» يعني: من فوق رجائهم.

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّه إنْ جازَ أنْ يُحمل ظُهور النُّور علىٰ كرامته جاز أنْ يحمل قوله: ﴿**إلىٰ رَبِّها نَاظِرَةٌ**﴾ [الإنسان: ٢٣]. إلىٰ كراماته، ولأنَّه إذا جاز أنْ يُوصف أنَّه أشرف عليهم من فوق رجائهم؛ جازَ أنْ يُوصف من فوق رؤوسهم، لا علىٰ وجه الجهة إذ لا فرق بينهما.

فأما قوله تعالىٰ: ﴿**ولا ينظر إليهم**﴾ [آل عمران: ٧٧]. معناه لا يتعطف عليهم ولا يرحمهم، وكذلك قوله تعالىٰ[1] «**لا ينظر الله إليهم**» علىٰ هذا المعنىٰ، ولهذا يقول القائل: انظر إليَّ بمعنىٰ تعطَّف علي وارحمني، وليس المراد به نفي النظر الذي هو الرؤية، لأنه تعالىٰ ناظراً رائياً إلىٰ جميع الأشياء غير مستترة عنه.

٣٤٦ـ وفي معناه ما روي: «**إنَّ الله لم يَنْظُر إلىٰ الدُّنيا منذ خلقها**»[(١٧)] معناه: لم يُجل قدرها ولا قدر من رَكَن إليها، لأنَّه خَلَقَها للفناءِ والزوال وحَثَّ علىٰ الزُّهد فيها وترك الإشتغال بها، ومنه قولهم: ما نظر فلان إلىٰ فلان إذا أراد أنَّه لم يَعْتَد به.

وأما قوله: «**إن الله لا ينظر إلىٰ صُوَرِكُم ولكن ينظر إلىٰ قُلُوبكم**» معناه الاحتساب والاعتداد، أي لا يعتد بما يظهر منكم إذا لم يوافق الباطن، لأنَّ الأعمال الظَّاهرة

---

(١) كذا في الأصل! والصواب: قوله ﷺ، لأنه من كلامه.

---

(١٧) لم أقف عليه!

مَنُوطَةٌ بصحة السَّرَائِر والإخلاص، ولهذا قال ﷺ: «**إنَّما الأعمالُ بالنِّيات، وإنما لامْرِىءٍ ما نَوَىٰ**»[18] يريد أنَّ النِّيات هي المصَحِحة للأَعمال.

وليس إذا نَفَينا النظر في حالٍ دَلَّ علىٰ نفي ذلك في الجملة، وكما قال تعالىٰ: ﴿**وَلَا يُكَلِّمُهم الله**﴾ ولم يدل ذلك علىٰ نفي الكَلام في الجملة.

* * *

(18) هو الحديث الأول الذي ابتدأ به البخاري صحيحه وأخرجه في ستة مواضع أخرىٰ، وأخرجه مسلم في الإمارة (٣/ ١٥١٥ ـ ١٥١٦) من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واللفظ المذكور لمسلم.

قال عبدالرحمن بن مهدي وغيره: ينبغي لمن صنَّف كتاباً أنْ يبدأ فيه بهذا الحديث، تنبيهاً للطالب علىٰ تصحيح النية.

وقد تواتر النقل عن الأئمة في تعظيم قدر هذا الحديث، حتىٰ قالوا إنه: ثلث الإسلام، وبعضهم قال: ربعه، ووجَّه البيهقي كونه ثلث العلم بأن كسب العبد يقع بقلبه ولسانه وجوارحه، فالنيَّة أحد أقسامها الثلاثة وأرجحها.

«حَديــــثٌ آخَــــر»

٣٤٧ـ ناه أبو القسم بإسناده عن عائشة قالت: كَانَت عندي امرَأَةٌ فلما قامت قال النبي ﷺ: **«مَنْ هذه يا عائشة؟»** قلت: يا رسول الله أمَا تعرفها! هذه فُلانَة ما تَنامُ الليل، وهي منْ أَعْبَدِ أَهْلِ المدينة، فقال رسول الله ﷺ: **«مهْ! عليكم مِنْ العَمَل ما تُطيقُونَ، فإنَّ الله تعالىٰ لا يَمَلُّ حتىٰ تَمَلُّوا»** قالت: وكان أحب العَمل إليه أدْوَمُهُ وإنْ قلَّ(١).

٣٤٨ـ وفي حديثٍ آخر: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: **«إنَّ الله لا يَمَلُّ منَ الثَّوابِ حتىٰ تَمَلُّوا مِنَ العَمَل»**(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٠١) (٣/ ٣٦) ومسلم (١/ ٥٤٢) عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة به.

وقد جاء التصريح باسمها فيما أخرجه أحمد (٦/ ٢٤٧) ومسلم (١/ ٥٤٢) عن ابن شهاب عن عروة أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أنَّ الحولاءَ بنتَ تُويتِ بن حبيب بن أسد ابن عبدالعُزىٰ مرَّت بها وعندها رسول الله ﷺ فقلت: هذه الحولاء بن تويت، وزعموا أنها لا تنامُ الليل، فقال رسول الله ﷺ: **«لا تنامُ الليل! خُذُوا من العمل ما تُطيقون، فوالله لا يَسْأَمُ الله حتىٰ تَسْأَمُوا»**.

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٩/ ٧٩) قال حدثنا ابن وكيع ثنا يزيد بن حيان عن موسىٰ بن عبيدة ثني محمد بن طحلاء مولىٰ أم سلمة عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن عائشة قالت: كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيراً يصلي عليه من الليل فتسامع به الناس فاجتمعوا فخرج كالمغضب ـ وكان بهم رحيماً ـ فخشي أن يكتب عليهم قيام الليل، فقال: **«اكْلَفُوا من الأعمال ما تُطيقون، فإن الله لا يملُّ من الثواب حتىٰ تملوا من العمل، وخير الأعمال ما دمتم عليه»**.

=

اعلم أنَّه غيرُ ممتنعٍ إطلاقُ وَصفه تعالىٰ بالمَلَل لا علىٰ معنىٰ السآمة والاستثقال ونُفُور النَّفس عنه، كما جاز وَصفه بالغَضَب لا علىٰ وجه النُّفُور، وكذلك الكراهة والسّخط والعداوة فقال سبحانه: ﴿غَضِبَ الله عليهم ولَعَنَهُم﴾ [المجادلة: ١٤]. وقال: ﴿وَغَضِبَ الله عَليه ولَعَنَه﴾ [النساء: ٩٣]. وقال: ﴿مَنْ لَعَنَه الله وغَضِبَ عليه﴾ [المائدة: ٦٠]. وقال: ﴿سَخِطَ الله عَليهم﴾ [المائدة: ٨٠]. وقال: ﴿فإنَّ الله عَدُوٌ لِلكَافِرين﴾ [البقرة: ٩٨]. وقال: ﴿ولكنْ كَرِهَ الله انْبِعَاثَهُم فَثَبَّطَهم﴾ [التوبة: ٤٦].

فإن قيل: معنىٰ المَلَل ها هنا الغضب، فيكون معناه لا يغضب عليهم ولا يقطع عنهم ثوابه حتّىٰ يتركوا العمل(٣).

قيل: هذا غَلَطٌ، لأنَّ الملل قد يَحصل منَ العبد، فيما لا يقتضي الغضب عليه، وهو تركُ النَّوافل، والخبر علىٰ هذا الوجه خَرَج، ولأنَّه إنْ جازَ تأويل المللِ علىٰ الغضب، جاز تأويل الغضب علىٰ الملل إذْ ليس أَحَدُهما بالتَّأويل أولىٰ من الآخر، وكلاهما مما قد وَرَدَ الشرع بإطلاقه عليه.

= ونزل القرآن: ﴿يا أيُّها المزمِّل * قم الليلَ إلا قليلاً * نصفه أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه﴾ حتىٰ كان الرجل يربطُ الحبل ويتعلَّق به، فمكثوا بذلك ثمانية أشهر، فرأىٰ الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم فردَّهم إلىٰ الفريضة وترك قيام الليل.

وفيه موسىٰ بن عبيدة الربذي وهو ضعيف، وكذا ابن وكيع.

وقد أخرجه بإسناد آخر عن موسىٰ به وفيه: «**يا أيها النَّاس إنَّ الله لا يملُّ حتىٰ تملوا يعني من الثواب فاكلفوا من العمل ما تطيقون . . .**».

ولعل قوله: «**يعني من الثواب**» مُدرج من بعض الرواة.

وقد أشار إليه الحافظ في الفتح (٣/ ٣٧) لكن قال: أخرجه الطبري في تفسير سورة المزمل، وفي بعض طرقه ما يدل علىٰ أن ذلك مدرج من قول بعض رواة الحديث والله أعلم.

قلت: كذا قال! وليس له عنده إلا طريقان!

(٣) انظر «مشكل» ابن فورك (ص١١٢).

ولأنَّ الملل والغَضَب في اللغة عبارة عن معنيين مختلفين، فلا يجوز حمل أحدهما علىٰ الآخر، ولأنَّه إنْ جاز امتناع إطلاق الملل لأنَّ له حكم في الشَّاهد جاز امتناع إطلاق الغَضب والرِّضَا والإرادة لأنَّ لها حدا في الشاهد.

فإن قيل: معناه: إنَّ الله لا يَمَلُّ إذا مَلَلْتُم، ومثل هذا قولهم: إنَّ هذاالفَرَسَ لا يَفْتُر حتىٰ تفتر الخيل، وليس المراد بذلك أنَّه يفتر إذا فَتَرت الخيل، إذْ لو كان المراد به هذا ما كان له فضلٌ عليها، لأنَّه يفتر معها، وإنما المراد به لا يفتر وإنْ فترت الخيل، وكذلك قولهم في الرجلِ البليغ: لا ينقطع حتىٰ ينقطع خصومه يريد بذلك أنَّه لا ينقطع إذا انقطعوا، إذْ لو كان المراد به ينقطع إذا انقطعوا؛ لم يكن له فَضْلٌ عليهم.

فعلىٰ هذا يكون معنىٰ الخبر أنَّ الله عَزَّ وجلَّ لا يترك الإحسان إلىٰ عبيده، وإنْ تركوا هم طاعته[4].

قيل: هذا غَلطٌ، لأنَّ الخبر قُصِدَ به بيان التحريض علىٰ العمل والحثِّ عليه وإنْ قَلَّ، فإذا حُمِلَ الخبرُ علىٰ استدامة الثواب مع انقطاع العمل من العامل؛ لم يوجد المقصود بالخبر، لأنَّه يعول علىٰ التَّفَضُّل ويطرح العمل.

وجواب آخر: وهو أنَّ «حَتَّىٰ» لها ثلاثة أقسام: أحدُها: أنَّها تكون غاية، وتكون بمعنىٰ «كي» وتكون بمعنىٰ «إلا أن» وليست بمعنىٰ «إذا»[5].

---

(٤) انظر المصدر السابق (ص١١٢ ـ ١١٣).

ونقل هذا التأويل أيضاً البيهقي في «الأسماء» (ص٤٨٣)، والحافظ في الفتح (١/ ١٠٢) ورجَّح أن الصواب هو أنه من باب «المقابلة اللفظية» كما قال تعالىٰ: **﴿وجزاءُ سَيئةٍ سيئةٌ مثلها﴾** ونقله عن الإسماعيلي وجماعة من المحققين، ونقل عن القرطبي قوله: وجه مجازه أنه تعالىٰ لَمَّا كان يقطع ثوابه عمن يقطع العمل ملالاً، عبَّر عن ذلك بالملال، من باب تسمية الشيء باسم سببه.

(٥) انظر: «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» لأبي محمد بن هشام(١/ ١٢٢).

«حَديـــثٌ آخـــر»

٣٤٩ـ ناه أبو القسم بإسناده عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: **«لا تَسبُّوا الدَّهْر فإنَّ الله هُو الدَّهْرُ»**[1].

وفي لفظٍ آخر: **«لا يَقُولنَّ أَحَدُكُم: يا خَيْبَةَ الدَّهر فإنَّ الله هُوَ الدَّهْر»**[2].

وفي لفظٍ آخرٍ: **«قال الله عزَّ وجلَّ: يَسُبُّ ابنُ آدمَ الدَّهْرَ وأَنَا الدَّهْرُ بيدِي اللَّيلُ والنَّهار»**[3].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٩١، ٤٩٩) ومسلم في الألفاظ من الأدب (٤/ ١٧٦٣) عن هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة مرفوعاً به.

وأخرجه أحمد (٢/ ٣٩٥) عن عوف عن خلاس ومحمد عن أبي هريرة به.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٩٤) ومسلم (٤/ ١٧٦٣) عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً به.

وأخرجه البخاري (١٠/ ٥٦٤) عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: **«لا تُسمُّوا العنبَ الكرْم، ولا تقولوا: يا خَيبةَ الدَّهر، فإنَّ الله هو الدَّهر»**.

وأخرجه مسلم (٤/ ١٧٦٢) عن معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: **«قال الله عز وجل: يُؤذيني ابنُ آدم يقول: يا خَيبةَ الدهر! فلا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر، فإني أَنَا الدهر، أُقلِّب ليله ونهاره، فإذا شئتُ قَبضتُهما»**.

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٦٤) ومسلم (٤/ ١٧٦٢) عن يونس عن ابن شهاب أخبرني أبو سلمة قال: قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكره.

وأخرجه البخاري (٨/ ٥٧٤) (١٣/ ٤٦٤) ومسلم (٤/ ١٧٦٢) عن سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله تعالىٰ: يُؤْذيني ابنُ آدمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وأنا الدَّهر، بيدي الأمر أُقلِّبُ الليلَ والنهار»**.

وفي لفظٍ آخر: «**لا تسبوا الدهر فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: أنا الدَّهرُ، ليَ اللَّيل والنَّهار أجدده وأُبْليه، وأَذْهَبُ بِمُلُوكٍ وآتي بمُلُوكٍ**»[٤].

وفي لفظٍ آخر قال: «**كانَ أَهْلُ الجاهِليَّة يقولون: إنَّما يُهْلِكُنا اللَّيلُ والنَّهار، هو الذي يُهْلِكُنا ويُميتنا ويُحيينا، فقال الله عَزَّ وجَلَّ في كتابه: ﴿وَقَالوا ما هي إلا حَيَاتُنَا الدُّنيا نَمُوتُ وَنَحْيَا ومَا يُهْلِكُنا إلاّ الدَّهر﴾** [الجاثية: ٢٤]. **فقال الله عزَّ وجَلَّ يُؤْذيني ابن آدم يَسُبُّ الدَّهْرَ، وأنَا الدَّهْرُ بيدي الأمر أُقَلِّبُ اللَّيلَ والنَّهارَ**»[٥].

وفي لفظٍ آخرٍ: «**يقول [الله]**[١]: **اسْتَقْرَضْتُكَ عَبْدِي فَلَم تُقْرضني، ويَشْتُمني عَبْدِي وهو لا يدري، يقول: وادَهْرَاه وادَهْرَاه، وأنَا الدَّهر**»[٦].

---

(١) سقطت من الأصل.

---

(٤) إسناده حسن، أخرجه أحمد (٢/ ٤٩٦) عن ابن نمير عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن ذكوان عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه.

ورجاله رجال الشيخين، سوىٰ هشام بن سعد فمن رجال مسلم وحده وقد أخرج له في الشواهد، وفي حفظه شيء، قال الحافظ: صدوق له أوهام ورمي بالتشيع، ومع ذلك حَكَم له في الفتح (١٠/ ٥٦٥) بالصحة!

(٥) إسناده صحيح، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٥/ ٩٢) حدثنا أبو كريب ثنا أبو عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً به.

وفيه بعد ذكر الآية: «**فيسبُّونَ الدَّهر فقال الله تبارك وتعالىٰ...**».

وأخرجه عن عمران بن بكار الكلاعي ثنا أبو روح ثنا سفيان بن عيينة نحوه.

وأخرجه الحاكم (٢/ ٤٥٣) عن ابن راهوية عن ابن عيينة قال: «**كان أهلُ الجاهلية يقولون...**» فجعله من قول ابن عيينة!

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٢٧) لابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٦) إسناده ضعيف، أخرجه ابن جريره (٢٥/ ٩٢) حدثنا ابن حميد ثنا سلمة عن ابن إسحاق عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **يقول الله.** . فذكره. =

٣٥٠ـ اعلم أنَّ أبا بكر الخلال قال: حدثني بشر بن موسىٰ الأسدي(٧) قال: سألت أبا عبدالله أحمد بن حنبل عن الدهر، فلم يجبني فيه بشيءٍ.

وظاهر هذا أنَّ أحمد توقف عن الأَخْذِ بظاهر الحديث، وامتنع من إطلاق تَسمية «الدَّهْر» علىٰ الله سبحانه.

٣٥١ـ وقال حنبل سمعت هرون الحَمَّال يقول لأبي عبدالله: كُنَّا عند سفيان بن عيينة بمكة فحدَّثنا أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا تَسُبُّوا الدهر**» فقام فتح بن سهل فقال: يا أبا محمد تقول يا دهرُ ارْزُقنا؟ فسمعت سفيان يقول: خُذُوه فهو جهمي، وهرب، فقال أبو عبدالله: القوم يردُّون الآثار عن رسول الله ونحن نؤمن بها ولا نرد علىٰ رسول الله ﷺ قوله.

وظاهر هذا أنَّه أَخَذَ بظاهر الحديث ويحتمل أنْ يكون قوله: «**نحن نُؤمن بها**» راجعٌ إلىٰ أخبار الصفات في الجملة، ولم يرجع إلىٰ هذا الحديث خاصة.

=

وفي سنده عنعنة ابن إسحاق، وابن حميد وهو محمد الرازي، ضعيف.

وأخرجه الحاكم (٢/ ٤٥٣) عن يزيد بن هارون عن ابن إسحاق عن أبي الزناد من الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه.

قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي!

وفيه عنعنة ابن إسحاق.

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في كتابه (٢/ ٣٦٧) وقال: روىٰ عن روح بن عبادة حديثاً واحداً وعن أبي عبدالرحمن المقري والحميدي.

ولم يحكِ فيه جرحاً ولا تعديلاً.

لكن ذكره الخطيب في «تاريخه» (٧/ ٨٦) فقال: وأما هو في نفسه فكان ثقةً أميناً عاقلاً ركيناً.

ونقل عن الدارقطني أنه: ثقة.

وذكره ابن أبي يعلىٰ في «طبقاته» (١/ ١٢١ ـ ١٢٢).

٣٥٢ـ وقد ذكر شيخنا أبو عبدالله رحمه الله هذا الحديث في كتابه وقال: لا يجوز أنْ يُسَمَّىٰ الله دَهْراً.

والأمر علىٰ ما قاله لأنه قد روي في بعض ألفاظ هذا الحديث ما منع من حمله علىٰ ظاهره، ولم يَرِدْ في غيره من أخبار الصفات ما دَلَّ علىٰ صرفه عن ظاهره فلهذا وجب حملها علىٰ ظاهرها، وذلك أنَّه روىٰ فيه: «**يُؤذيني ابن آدم يَسُبُّ الدهر، وأنا الدهر بيدي الأَمرُ، أُقلِّب الليل والنهار**» وفي لفظ آخر: «**لي الليلُ والنَّهار أُجَدده وأُبْليه، وأَذْهَبُ بملوكٍ وآتي بملوك**» فبيَّنَ أنَّ الدَّهر الذي هو الليل والنهار خَلْقٌ له وبيده، وأنَّه يُجدده ويُبليه فامتنع أنْ يكونَ اسماً له.

وأصل هذا الخبر أنَّه وَرَدَ علىٰ سبب، وهو أنَّ الجاهلية كان تقول: أَصَابني الدهر في مالي بكذا، ونالتني قَوَارعُ الدهر ومصائبه، فَيُضِيفُون كل حادثٍ يحدث مما هو جارٍ بقَضَاءِ الله وقَدَره وخَلقه وتقديره من مَرضٍ أو صحةٍ أو غنىٰ أو فقر أو حياةٍ أو موتٍ إلىٰ الدهر، ويقولون: لَعَنَ الله هذا الدهر والزمان ولذلك قال قائلهم:

أَمِنَ المُنون ورَيْبِها يَتَوَجَّعُ
والدَّهْرُ ليس بمُعْتِبٍ من يَجْزَعِ

وقال سبحانه: ﴿**نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنونِ**﴾ [الطور: ٣٠]. أي: ريب الدهر وَحَوَادثه. وقال سبحانه: ﴿**وَقَالُوا مَا هي إلا حَيَاتُنَا الدُّنيا نَمُوتُ وَنَحْيا وَمَا يُهْلِكنا إلا الدَّهْرُ**﴾ [الجاثية: ٢٤]. فأخبر عنهم بما كانوا عليه من نِسْبة أقدار الله وأفعاله إلىٰ الدهر فقال ﷺ: «**لا تَسبوا الدهر**» أي: إذا أصابتكم المصائب لا تَنْسِبُوها إليه، فإنَّ الله تعالىٰ هو الذي أصابكم بها، لا الدهر، وإنَّكم إذا سَبَبْتُم الدهر وفاعل ذلك ليس هو الدهر.

٣٥٣ـ وقال أبو بكر الخَلَّال: سألت إبراهيم الحربي عن قول النبي ﷺ: «**لا يقولن أَحَدُكم يا خَيبة الدهر فإنَّ الله هو الدَّهْرُ**» وقوله: «**لا تَسبوا الدهر، فإن الله**

هو الدهر» قال: كانت الجاهلية تقول: الدهر هو الليلُ والنَّهار، يقولون الليل والنهار يفعل بنا كذا فقال الله عز وجل: أنَا أفعل ليس الدهر.[8].

فقد بَيَّنَ إبراهيم الحربي أنَّ الخبر ليس علىٰ ظاهره، وأنَّه وَرَدَ علىٰ سبب.

٣٥٤ـ وذكر أبو عبيد نحو ما ذكرنا، فقال: لا ينبغي لأَحَدٍ من أهل الإسلام أنْ يجهل وجهه، وذلك أنَّ أهَلَ التعطيل يحتجون به علىٰ المسلمين، واحتج به بعضهم فقال ألا تراه يقول: فإنَّ الله هو الدهر» قال: وتأويله أنَّ العَرب كان شأنها أنْ تَذُمَّ الدهر وتَسُبَّه عند المصائب التي تنزل بهم؛ من موتٍ أو هرمٍ أو تَلَفٍ، فيقولون: أصابتهم قَوَارِعُ الدهر؛ وأبادهم الدهر وأتىٰ عليهم الدهر، فيجعلونه الذي يفعلُ ذلك فَيذُمونه عليه، فقال النبي ﷺ: لا تسبوا الذي يفعل بكم هذه الأشياء وتصيبكم هذه المصائب، فإنكم إذا سَبَبْتُم فاعلها فإنما يقع السَّبُّ علىٰ الله عز وجل إذ هو الفاعل لها لا الدهر[9].



(٨) لم أجده في الجزء المطبوع من «غريب الحديث» له.

(٩) «غريب الحديث» (٢/ ١٤٥ ـ ١٤٨) وقد نقله المصنف باختصار.

«حَديـــثٌ آخــــر»

٣٥٥ـ ناه أبو القسم بإسناده عن خَوْلَةَ بنتِ حَكيم: أنَّ النبي ﷺ خَرَجَ وهو مُحْتَضِنٌ أَحَدَ ابني بنته ويقول: **«إنَّكم لَتُجبِّنُونَ وتُبَخِّلُونَ وتجهلون، وإنَّكم لمن رَيْحانِ الله، وإنَّ آخِرَ وَطْأةِ الرَّحْمن بوَج»**[1].

٣٥٦ـ وناه أبو القسم بإسناده عن يعلىٰ العَامري: أنَّه جاء حَسَنٌ وحُسَينٌ يَسْتَبِقَانِ إلىٰ رسول الله ﷺ فَضَمَّهما إليه وقال: **«إنَّ الوَلَدَ مَجْبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ، وإنَّ آخِرَ وَطْئَةٍ وَطِئَها ربُّ العَالمينَ بوَجٍّ»**[2]. وفي رواية أبي الحسن وأبي القاسم ابني ابن بشران بإسناده عن يعلىٰ بن مُرَّة: **«وإنَّ آخر وَطْئَةٍ وَطِئَها ربُّ العالمين بوَجٍّ»**.

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه الحميدي (٣٣٤) وأحمد (٦/ ٤٠٩) والترمذي (٤/ ١٩١٠) والطبراني في الكبير (٢٤/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠، ٢٤١) والبيهقي في الأسماء (ص٤٦١) عن سفيان عن إبراهيم بن ميسرة سمعت ابن أبي سويد يقول سمعت عمر بن عبدالعزيز يقول: زَعَمَتْ المرأةُ الصالحة خولة بنت حكيم قالت: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم وهو محتضن.. الحديث.

وليس عند الترمذي: وإن آخر وطأة...

قال الترمذي: حديث ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة لا نعرفه إلا من حديثه، ولا نعرف لعمر بن عبدالعزيز سماعاً من خوله.

قلت: ولا يضره تفرد ابن ميسره به فهو ثبتٌ حافظ، لكن يعلُّ بالانقطاع ـ كما قال الترمذي ـ بين عمر وخولة، وفي التهذيب أنه روىٰ عنها مرسلاً، وبابن أبي سويد وهو محمد الثقفي الطائفي فإنه مجهول.

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه أحمد (٤/ ١٧٢) في «الأسماء» (ص٤٦١) عن ابن خُثَيم عن سعيد ابن أبي راشد أنه أخبره عن يعلىٰ بن مرة أن حسناً وحسيناً رضي الله عنهما.. فذكره بنحوه =

• •

=

وأوله: «إني أُحبُّهما فأحبهما، أيها الناس إنَّ الولد مبخلة...».

وأخرجه ابن ماجة (٣٦٦٦) والحاكم (٣/ ١٦٤) عن وهيب عن ابن خثيم به، دون ذكر «الوطئة»، وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي.

وأخرجه أحمد (٤/ ١٧٢) والترمذي (٥/ ٣٧٧٥) بالسند الأول بلفظ: «حسينٌ مني وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً، حسينٌ سبط من الأسباط».

وقال الترمذي: حديث حسن.

والحديث في سنده: سعيد بن أبي راشد ويقال: ابن راشد، ذكره ابن حبان في الثقات علىٰ عادته في توثيق المجهولين، لذا قال الحافظ: مقبول، أما الذهبي فقال في الكاشف: صدوق!

وللحديث شواهد يصح بها دون ذكر «الوطئة».

* منها: ما أخرجه البخاري (٧/ ٩٤) ومسلم (٤/ ١٨٨٣) عن البراء قال: رأيت رسول الله ﷺ واضعاً الحسن بن علي علىٰ عاتقه وهو يقول: **«اللهم إني أحبُّه فأحبَّه»**.

وأخرج البخاري (٧/ ٩٥) (١٠/ ٤٢٦) عن ابن عمر مرفوعاً: **«هما رَيْحَانَتاي من الدنيا»**. يعني الحسن والحسين.

* وأخرج البغوي في «شرح السنة» (١٣/ ٣٥) عن عائشة أن النبي ﷺ أُتي بصبي فقبَّله فقال: **«أما إنهم مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ، وإنهم لمن ريحان الله عز وجل»**.

وفيه ابن لهيعة وقد ساء حفظه.

* وأخرج أحمد (٥/ ٢١١) والطبراني في الكبير (١/ ٢٣٦/ ٦٤٦) عن الأشعث بن قيس أنه قدم علىٰ النبي ﷺ في وفد كِندة فقال له النبي ﷺ: **«هل لك من ولد؟»** قال: لا إلا مولود وُلِدَ لي مخرجي إليك، ولوددت أنَّ لي مكانه شبع القوم، فقال النبي ﷺ: **«لا تقل ذاك فإنْ فيهم قُرَّة عينٍ وأجراً إذا قُبضوا، ولئن قلت ذلك فإنهم لمجبنةٌ ومَحْزَنة ومبخلة»**.

وفيه مجالد بن سعيد.

وأخرجه الطبراني (١/ ٢٣٦/ ٦٤٧) من طريق أخرىٰ وفيه ابن لهيعة، لكن له شاهدٌ قوي أخرجه الحاكم (٤/ ٢٣٩) عن الأعمش عن خيثمة عن الأشعث بنحوه.

قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

=

٣٥٧ـ وذكر الحميدي في مسنده بإسناده عن كعب أنَّه قال: وَجٌّ مُقَدَّس، منه عَرَجَ الرَّب إلىٰ السَّماء يوم قَضىٰ خَلْقَ الأَرض.

قال الحميدي: مَوضعٌ بالطائف يقال له وَجّ[٣].

اعلم أنَّه غير ممتنع علىٰ أُصولنا حمل هذا الخبر علىٰ ظاهره، وأنَّ ذلك معنىٰ يتعلق بالذَّات دون الفعل، لأنَّا حملنا الخبر علىٰ ظاهره في قوله: «يَنْزِلُ الله إلىٰ سَماء الدنيا»

= قلت: لكن في سماع خيثمة وهو ابن عبدالرحمن من الأشعث نظر، والله أعلم.

* وأخرجه البزار (٢/ ١٨٩٢ ـ زوائد) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**الولدُ ثَمرةُ القلبِ، وإنهم مَجْبنةٌ مبخلة مَحْزنة**».

ذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ١٥٥) وقال: رواه أبو يعلىٰ والبزار وفيه عطية العوفي وهو ضعيف.

* وأخرجه عبدالرزاق (١١/ ٢٠١٤٣) عن معمر عن ابن خثيم به مرسلاً.

* وأخرجه البزار (٢/ ١٨٩١ ـ زوائد) عن عبدالرزاق ثنا معمر عن ابن خثيم عن محمد بن الأسود بن خلف عن أبيه عن النبي ﷺ أنه أخذ حسناً فقبَّله ثم أقبل عليهم فقال: «**إنَّ الولدَ مبخلةٌ مجهلة مجبنة**».

ذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ١٥٥) وقال: رواه البزار ورجاله ثقات.

قلت: الأسود بن خلف صحابي، أما ابنه فذكره ابن حبان في الثقات، انظر تعجيل المنفعة (ص٣٥٨).

ومعنىٰ قوله: مبخلة: أي يَحملون الأب علىٰ تركِ الإنفاق إبقاءً للمال لهم، ومجبنة: أي يحملونه علىٰ ترك الجهاد إبقاءً لنفسه لهم، ومحزنة: أي يحزن لمرضهم أو فقدهم.

(٣) إسناده ضعيف، المسند (٣٣٥) قال: ثنا عبدالله بن الحارث بن عبدالملك ثني محمدبن عبدالله بن إنسان ـ يعني ابن إنسان بطن من العرب ـ عن عبدالله بن عبد ربه بن الحكم ابن عثمان بن بشر عن أبي بكرِ بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام عن كعب أنه سمعه يقول: فذكره.

عبدالله بن عبد ربه بن الحكم، ذكره ابن حبان في الثقات (٧/ ٤٨) وأورده ابن أبي حاتم (٥/ ١٠٥) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

وقوله: «**يَضَعُ قَدَمه في النَّار**» وقوله: «**يَتَجلَّىٰ لهم في رِمَال الكَافُور**» وقوله تعالىٰ: ﴿**وَجَاءَ ربكَ**﴾ [الفجر: ٢٢]. وقوله: ﴿**هَلْ يَنْظُرونَ إلا أنْ يَأتيَهُم الله في ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ**﴾ [البقرة: ٢١]. كذلك ها هنا، إذْ لسنا نحمل «الوَطئة» علىٰ مماسته جارحة لبعض الأجسام، بل نُطلق هذه الصفة كما أطلقنا استواءه علىٰ العَرْش لا علىٰ وجه المماسة والانتقال من حالٍ إلى حال، وكما أطلقنا قوله تعالىٰ: ﴿**خَلَقْتُ بيدي**﴾ [صٓ: ٧٥]. لا علىٰ وجه المماسة، كذلك ها هنا.

فإنْ قيل: معنىٰ ذلك يرجع إلىٰ الفعل، وهو أنَّ آخر ما أُوْقَعَ الله سبحانه بالمشركين من الشِّدة بوَجٍّ وهو اسم موضع بالطائف، لأنَّه كان آخر غزوةٍ غَزَاها رسول الله ﷺ وحنين أدْنىٰ الطائف، وهذا مثل قوله ﷺ: «**اللهُمَّ اشْدُدْ وَطْأتك علىٰ مُضرَ، وابْعَثْ عليهم سَنين كَسِني يُوسُف**»[4] فتتابع القحط عليهم سَبْع سنين حتىٰ أَكَلُوا القَدَّ والعِظَامَ، والعرب تقول في كلامها: اشْتَدَّت وطْأَةُ السُّلطان علىٰ رعيته، وليس يريدون بذلك وَطْء القَدَمِ، كذلك ها هنا[5].

---

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٢٩٠، ٤٩٢ - ٤٩٣) (٦/ ١٠٥، ٤١٨) (٨/ ٢٢٦، ٢٦٤) ومسلم (١/ ٤٦٦ - ٤٦٧) من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويُكبر ويرفع رأسه: «**سَمِعَ الله لمن حَمِدَه ربَّنا ولكَ الحمد**» ثم يقول وهو قائم: «**اللهم أنْجِ الوليد بن الوليد وسلمةَ بن هشام وعياشَ بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدُدْ وَطْأتَك علىٰ مُضَر، واجْعَلها عليهم كسِني يُوسُف، اللهم العنْ لِحيانَ ورِعلاً وذكوان وعُصيَّة عَصتِ الله ورسوله**» ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أُنزل: ﴿**ليس لكَ من الأمرِ شيءٌ أو يَتُوبَ عليهم أو يُعَذِّبهم فإنَّهم ظَالمون**﴾ [آل عمران: ١٢٨]» لفظ مسلم.

وأما قوله: «**حتىٰ أكلوا القَد** (بالفتح وهو جلد السَّخْلة) **والعظام**» فقد روىٰ البخاري (٢/ ٤٩٢ - ٤٩٣) وفي مواضع أخرىٰ كثيرة عن مسروق قال: كنا عند عبدالله فقال: «إن النبي ﷺ لما رأىٰ من الناس إدْباراً قال: **اللهم سَبْعٌ كسبعِ يوسَف، فأخذَتهم سَنَةٌ حَصَّتْ كلَّ شيءٍ حتىٰ أكلوا الجلودَ والميتة والجيف...**» الحديث.

(٥) انظر «مشكل» ابن فورك (ص١١٦) و«الأسماء» للبيهقي (ص٤٦١ - ٤٦٢).

قيل: هذا غَلَطٌ، لأنَّه لم يكن ذلك آخِرَ ما أَوْقَعَ الله بالمشركين، لأنَّ الفُتُوح حصلت بعد النبي ﷺ والنِّكايَة في المشركين ظاهر علىٰ يدي خليفة بعد خليفة، ثم النكاية في الفُرْس والرُّوم، وغير ذلك من أهل الكفر.

وجواب آخر: وهو أنَّ في الخبر ما يُسْقِط هذا، وهو قوله: «**آخر وطئة**» وذلك لا يستعمل في الشِّدَّة، وإنَّما يُستعمل في الشدة ما كان بالهمزة والألف، نحو قوله: «**اشدد وَطْأَتَك علىٰ مضر**» فإنَّ هناك قرينة دلَّتْ علىٰ أنَّ المراد به العذاب، وهو أنَّه دعا علىٰ الكفار، ولأنَّه ذكر الوطأة هناك بالهمزة والألف.

٣٥٨ـ وقد حكىٰ ابنُ قُتيبة هذا التأويل في «مُختلف الحديث» وقال في جوابه: لا أقضي به علىٰ مُراد رسول الله ﷺ لأنني قرأتُ في الإنجيل: أنَّ المسيح صَلواتُ الله عليه قال للحواريين: ألم تَسْمَعُوا أنَّه قيل للأولين: لا تكذبوا إذا حَلَفْتُم بالله، ولكن أصدقوا، وأنَا أَقُولُ لكم لا تحلفوا بالسَّماء فإنَّها كرسي الله، ولا بالأرض فإنَّها مَوْطِىء قدميه، ولا بأورشليم[٦] فإنها مدينة الملك الأكبر، ولا تحلف برأسك فإنَّك لا تستطيع أنْ تَزيد في شَعْرةً سوداء ولا بَيضاء، ولكن ليكن قولكم: نعم نعم، ولا لا، وَمَا كان سِوىٰ ذلك فإنَّه من الشيطان.

هذا مع حديث حدثنيه يزيد بن عمرو قال نا عبدالله بن الزبير قال نا عبدالله ابن الحرث عن أبي بكر بن عبدالرحمن عن كعب قال: «إنَّ وَجَّ مقدس، مِنْه عَرَجَ الرَّبُّ إلىٰ السَّماء يوم قَضَىٰ خلق الأرض»[٧].

وهذا الكلام من ابن قتيبة إقْرارٌ منه بفَسَاد هذا التأويل، وحمل الخبر علىٰ ظاهره كما ذهبنا إليه.

---

(٦) أي بيت المقدس.

(٧) «مختلف الحديث» (ص١٤٤ ـ ١٤٥).

وما رواه عن الحميدي عن كعب قد سقط من سنده اثنان، انظر سنده المتقدم برقم (٣).

«حَديــــثُ آخَــــر»[1]

٣٥٩ـ ناه أبو القسم بإسناده عن جابر وابن عمر وأنس عن النبي ﷺ أنه قال: **«اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَن جلَّ اسْمُه لموْتِ سَعْدِ بن مُعاذ»**[1].

٣٦٠ـ وفي حديث آخر: رواه بإسناده عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن مُعَيقيب قال: نَظَرَ رسولُ الله ﷺ إلىٰ سَعْدِ بنِ مُعَاذ علىٰ السَّرير فقال: **«لقد اهْتَزَّ العَرْشُ**

---

(١) كتب بمحاذاته: بلغ مقابلة.

---

(١) * أما حديث جابر رضي الله عنهما: فأخرجه أحمد (٣/ ٢٩٦، ٣١٦، ٣٤٩) والبخاري (٧/ ١٢٢ ـ ١٢٣) ومسلم (٤/ ١٩١٥) وغيرهم من طرق عنه.

* وأما حديث ابن عمر رضي الله عنهما: فأخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٤٣٣) ومحمد بن أبي شيبة في كتاب «العرش» (٤٩ ـ بتحقيقنا) والبزار (٢٦٩٧ ـ زوائد) والحاكم (٣/ ٢٠٦) عن محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عمر قال: اهْتزَّ العرشُ لحب لقاءِ الله سعداً (وعند بعضهم دون ذكر لفظ الجلالة)، قال إنما يعني السرير، قال إنما تفسخت أعواده، قال: ودخل رسول الله ﷺ قبره فاحتبسَ فلما خرج قيل له: يا رسول الله ما حَبَسك؟ قال: **«ضُمَّ سعدٌ في القبر ضمةً فدعوت الله أن يكشف عنه»**.

وفيه عطاء بن السائب كان قد اختلط، لكن يشهد له ما قبله وما بعده.

* وأما حديث أنس فأخرجه أحمد (٣/ ٢٣٤) ومسلم (٤/ ١٩١٦) عن سعيد عن قتادة عن أنس أن نبي الله ﷺ قال ـ وجنازتُه موضوعةٌ ـ يعني سعداً ـ: **«اهْتزَّ لها عرشُ الرَّحمن»**.

وفي الباب: عن سعد بن أبي وقاص وحذيفة وأبي هريرة وأسماء بنت يزيد ورميثة وأبي سعيد الخدري وأسيد بن حضير وغيرهم.

قال الذهبي في العلو (ص٧١): فهذا متواتر أشهد بأن رسول الله ﷺ قاله.

لموته، عَرْشِ الرَّحْمَن عَزَّ وجَلَّ»[٢].

٣٦١ـ وفي حديث آخر: رواه بإسناده عن ابن عمر قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لهٰذا العَبْد الصَّالح الذي تَحَرَّكَ له العَرشُ، وفُتِحَتْ له أبْوابُ السَّموات، وَشهدَهُ سَبْعُونَ ألفَ مِن الملائكة لم يَهْبِطُوا إلىٰ الأَرضِ قبل ذلك، ولقد ضُمَّ في قَبْرِهِ ثم أُفرِجَ له» يعني سَعْداً رحمه الله[٣].

اعلم أنَّ هذا الخبرَ ليس مما يرجع إلىٰ شيء من الصفات لأنَّ «العَرْشَ» مُحْدَثُ مَخلوقٌ، وغير ممتنعٍ أنْ يهتزَّ العرش علىٰ الحقيقة، ويتحركَ لموتِ سعد، لأنَّ العرش تجوز عليه الحركة، ويكون لذكره فائدة وهو: فضيلة سعد، أنَّ العرش مع عِظَمِ قَدْره اهتزَّ له[٤].

---

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٩٠) عن غيلان بن جامع عن أبي عبدالله عن يحيىٰ ابن أبي كثير عن أبي سلمة عن معيقيب عن النبي ﷺ قال: «اهتزَّ العرشُ لموتِ سعد بن معاذ».
ذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٠٩) وقال: رواه الطبراني وفيه عمرو بن مالك الغبري! وثقه ابن حبان وقال يغرب وضعفه أبو حاتم وأبو زرعة، وبقية رجاله رجال الصحيح!
كذا في المجمع! وليس في سند الطبراني عمرو بن مالك! وكنيته أبو عثمان.
وأبو عبدالله المذكور في الإسناد لم أعرفه، ولعل في المطبوعة شيء.
وفي تاريخ الخطيب (٩/ ٤٩) عن عبدالله بن علي بن المديني قال: قلت لأبي: حديث رواه الوليد عن الأوزاعي عن يحيىٰ عن أبي سلمة عن معيقيب أن النبي ﷺ قال: «اهتزَّ العرش لموت سعد» فقال: هذا الحديث كذبٌ موضوع، رواه سليمان بن أحمد الواسطي وعمرو بن مالك.

(٣) صحيح، أخرجه ابن سعد (٣/ ٤٣٠) والنسائي (٤/ ١٠٠ ـ ١٠١) والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (١٠٩) والخطيب في تاريخه (٦/ ٢٥٠) من طريقين عن عبدالله بن إدريس أخبرنا عبيدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً به.
وسنده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.
تنبيه: سقط من سند البيهقي في المطبوعة: عبيدالله بن عمر عن نافع!

(٤) اهتزاز العرش إنما هو لاستبشاره وسروره بقدوم رُوحه، يقال لكلِّ مَنْ فَرِح بقدوم قادمٍ =

وقد تأوَّل قوم علىٰ أنَّ العرش ها هنا السَّرير الذي كان عليه سعد! وهذا غَلَطٌ لوجهين أحدهما: أنَّ في الخبر «**اهتزَّ عرشُ الرَّحْمن جَلَّ اسمه**» وإضافةُ العرش إلىٰ الله سبحانه إنَّما يَنصرف إلىٰ العرش الذي هو في السماء.

والثاني: أنَّه قصد بهذا الخبر فضيلة سعد، ولا فَضيلة في تحرك سَريره واهتزازه، لأنَّ سرير غيره قد يتحرك ويهتز من تحته.

وتأوله آخرون: علىٰ أنَّ الاهتزاز ها هنا رَاجعٌ إلىٰ حَمَلَةِ العَرش، الذين يَحملونه ويَطُوفُون حوله، وأقامَ العَرشَ مَقَام من يحمله ويطوف به من الملائكة، كما قال تعالىٰ: ﴿**فما بَكَتْ عليهم السَّماءُ والأرْضُ**﴾ [الدخان: ٢٩]. وإنَّما يُريد أهل السَّماء وأهل الأرض، وكما قال النبي ﷺ في أُحُد: «**هَذا جَبَلٌ يحبنا ونُحبه**»(٥) يريد يُحبنا أهلُه يعني الأنصار!

= عليه: اهتز له، وقد وقع التصريح بذلك في حديث ابن عمر: «**اهتز العرش لحبِّ لقاء سعد**».

(٥) أخرجه البخاري (٧/ ٣٧٧) ومواضع أخر ومسلم (٢/ ٩٩٣) عن عمرو بن أبي عمرو مولىٰ المطلب عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ طلع له أحدٌ فقال: «**هذا جَبلٌ يُحبُّنا ونحبُّه، اللهم إنَّ إبراهيمَ حَرَّم مكة، وإني حَرَّمْتُ ما بين لابَتَيها**» لفظ البخاري.

وأخرجه البخاري (٧/ ٣٧٧) مختصراً عن قرة بن خالد عن قتادة عن أنس مرفوعاً به.

وللعلماء في معناه أقوال: أحدها: أنه علىٰ حذف مضاف والتقدير: أهل أحد، والمراد بهم الأنصار لأنهم جيرانه.

ثانيها: أنه قال ذلك للمسرَّة بلسان الحال إذا قَدِم من سفرٍ لقربه من أهله ولقياهم، وذلك فعل من يحب بمن يحب.

ثالثها: أن الحبَّ من الجانبين علىٰ حقيقته وظاهره، لكون أُحد من جبال الجنة كما ثبت في حديث أبي عبس بن جبر مرفوعاً: «**جبلُ أُحُد يحبنا ونحبه وهو من جبال الجنة**» أخرجه أحمد، ولا مانع في جانب البلد من إمكان المحبة منه كما جاز التسبيح منها، وقد خاطبه النبي ﷺ مُخاطبة مَنْ يَعقل فقال لما اضطرب: «**اسكنْ أُحد**» الحديث. اهـ من كلام الحافظ =

ويكون معنىٰ اهتزاز حملته الاستبشار والسُّرور به، يقال: فلانٌ يستبشر للمعروف ويَهتَزُّ له، ومنه قيل في المثل: إنَّ فُلاناً إذا دُعي اهتزَّ، وإذا سُئِل ارتز، والكلام لأبي الأسود الدُّئلي، والمعنىٰ فيه: إذا دُعي إلىٰ طَعامٍ يأكله ارتاح له واستبشر، وإذا دعي لحاجةٍ ارتز، أي تَقَبَّض ولم ينطلق، قال الشاعر:

وَتَأْخُذُهُ عِنْدِ المَكَارِمِ هَزَّةٌ
كَما اهْتَزَّ عِندَ البارِحِ الغُصْنُ الرطْبُ(٦)

وهذا غلط؛ لما بَيَّنَّا أنَّه غيرُ ممتنعٍ من إضافة الاهتزاز إلىٰ العرش لكونه مُحدثاً، وقد قال تعالىٰ: ﴿يومَ تَمورُ السَّماء مَوْراً وتَسِيرُ الجبالُ سَيْراً﴾ [الطور: ٩-١٠]. وهذه إضافةٌ صحيحة إلىٰ السَّماء والأرض، كذلك إضافة ذلك إلىٰ العرش، وحَمْلُ ذلك علىٰ حَمَلَةِ العرش عُدُولٌ عن الحقيقة إلىٰ المجاز من غيرِ حاجة إلىٰ ذلك، ولئن جاز هذا، جاز العدول في قوله: ﴿تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً﴾ [الطور: ٩]. معناه أهل السماء. ﴿وَتسيرُ الجِبَالُ سَيْراً﴾ [الطور: ١٠]. معناه أهل الجبال، ولأنَّ ما يمنع من حمل الخبر علىٰ العرش يمنع من حمله علىٰ حملته، وما يجوز في أَحَدهما نُجوزه في الآخر، ولأنَّه لا يجب أنْ يمتنع المخالف من هذا، لأنَّه لا يُثْبت كونه علىٰ العرش، وإذا لم يُثْبِتْ ذلك لم يمتنع إضافة ذلك إلىٰ العرش.

وأما قوله: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ [الدخان: ٢٩]. فمعناه: فما

= في الفتح (٧/ ٣٧٧).

ولا يخفىٰ قوة القول الثالث لموافقته لظاهر الخبر، وعدم احتياجه لتقدير مضاف محذوف، والله أعلم.

(٦) انظر «مشكل» ابن فورك.

وفي «الأسماء والصفات» للبيهقي نسب هذا التأويل إلىٰ أبي الحسن علي بن محمد بن مهدي الطبري.

وانظر الفتح (٧/ ١٢٤).

بكت عليهم السماء بأهلها[7] وكذلك قوله: «**هذا جَبَلٌ يُحبنا**» معناه يحبنا بأهله.

---

(٧) حكىٰ هذا التفسير الخازن في تفسيره (٦/ ١٤٦) بصيغة التمريض فقال: وقيل: المراد أهل السماء وأهل الأرض.

وأما ما اعتمده هو والبغوي (٦/ ١٤٦) وابن كثير (٤/ ١٤٢) ومن قبلهم ابن جرير في تفسير (٢٥/ ٧٤ ـ ٧٥) فهو ما ساقه بإسناده قال: حدثنا أبو كريب ثنا طلق بن غنام عن زائدة عن منصور عن المنهال عن سعيد بن جبير قال: «إتىٰ ابن عباس رجلٌ فقال: يا أبا عباس، أرأيت قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿**فما بَكَتْ عليهم السَّماءُ والأرض وما كانوا مُنظرين**﴾ فهل تبكي السماء والأرضُ علىٰ أَحَد؟ قال: نعم، إنه ليس أحدٌ من الخلائق إلا له بابٌ في السماء منه ينزل رزقه، وفيه يصعد عمله، فإذا ماتَ المؤمنُ فأُغلق بابه من السَّماء الذي كان يصعد [فيه] عمله وينزل منه رزقه بَكَىٰ عليه، وإذا فَقَده مُصلَّاه من الأرض التي كان يصلي فيها ويَذكُر الله فيها بَكَت عليه، وإنَّ قومَ فرعون لم يكن لهم في الأرض آثارٌ صالحة، ولم يكن يصعد إلىٰ السماء منهم خير، قال: فلم تبكِ عليهم السَّماءُ والأرض».

وإسناده صحيح، رجاله ثقات، زائدة هو ابن قدامة الثقفي.

وروىٰ ابن أبي حاتم ـ كما في تفسير ابن كثير (٤/ ١٤٢) ـ عن عباد بن عبدالله عن علي نحوه، وعباد هو الأسدي، ضعيف الحديث.

وروىٰ ابن جرير بإسناده عن شريح بن عبيد الحضرمي قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الإسلام بَدَأ غريباً وسيعودُ غريباً كما بدأ، ألا لا غُرْبةَ علىٰ مؤمنٍ، ما مات مؤمنٌ في غربةٍ غابت عنه فيها بواكيه، إلا بَكَت عليه السَّماء والأرض**» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**فما بكت عليهم السماء والأرض**﴾ ثم قال: «**إنهما لا يبكيان علىٰ الكافر**».

وهذا مرسل، شريح تابعي ثقة.

وأخرج البغوي (٦/ ١٤٦) عن موسىٰ بن عبيدة الرِّبذي أخبرني يزيد الرقاشي عن أنس ابن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من عبدٍ إلا له في السَّماء بابان بابٌ يخرجُ منه رزقُه، وبابٌ يدخل فيه عمله، فإذا ماتَ فَقَدَاه وبكيا عليه**» ثم تلا: ﴿**فما بكت عليهم السماء والأرض**﴾.

وفيه ضعيفان: الربذي والرقاشي.

«حَديـــثُ آخَـــر»

٣٦٢- رواه أبو بكر أحمد بن سلمان النَّجاد في «السُّنَّة» عن عبدالله بن أحمد قال نا مَعْمر قال نا وكيع عن مُوسىٰ بن عُبَيدة عن محمد بن كعب قال: كأنَّ النَّاسَ إذا سَمِعُوا القرآن من في الرحمن عَزَّ وجَلَّ يوم القِيَامَة، فكأنَّهم لم يَسْمَعُوه قبل ذلك(١).

٣٦٣- وناه أبو محمد الحسن بن محمد قال نا عمر بن أحمد بن عثمان قال نا محمد ابن هرون بن حميد قال نا عثمن بن أبي شيبة قال نا وكيع قال نا موسىٰ بن عُبيدة قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: إذا سمع القرآن من في الرَّحمن في القِيامة فكأنَّهم لم يَسمعوه قبل ذلك(٢).

٣٦٤- [ونا](١) أبو القسم عبدالعزيز بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**كأنَّ الخَلْقَ لم يَسْمَعوا القُرآن حين سَمِعُوه من فيه يوم القيامة**»(٣).

اعلم أنَّه غير ممتنعٍ إطلاق الفي عليه سبحانه، كما لم يمتنع إطلاقُ اليد والوجه والعين.

٣٦٥- وقد نص أحمد علىٰ ذلك في رسالة أبي العباس أحمد بن جعفر الفارسي(٤)

---

(١) سقطت من الأصل.

---

(١) مرسل ضعيف، محمد بن كعب القرظي تابعي ثقة، وموسىٰ بن عبيدة ضعيف، وسيأتي القول فيهما.

(٢) إسناده كسابقه.

(٣) لم أجد من أخرجه.

(٤) رسالة الفارسي هذه فيها نظر، وقد سبق ذكر كلام الذهبي فيها.

فقال كَلَّمَ الله موسىٰ تكليماً من فيه.

فإن قيل: هذا الحديث ضعيف يرويه موسىٰ بن عبيدة، وقال يحيىٰ بن سعيد القطان: موسىٰ بن عبيدة ضعيف(٥).

قيل: هذا غلط، لأنَّ موسىٰ بن عبيدة رَجُلٌ من أهل الرَّبْذَةِ لا بأس به، وقد روي عنه وَكيع وهو من أئمة أصحاب الحديث.

وأمَّا محمد بن كعب: فهو من علماء التابعين بالتفسير والفتيا، وأبوه كعب بن

---

(٥) الجمهور علىٰ تضعيف حديث الرَّبذي.

فقد قال أحمد بن حنبل: لا تحلُّ الرواية عندي عنه، وقال: منكرُ الحديث، نقله عنه البخاري.

وقال ابن معين: ضعيف إلا أنه يُكتب من أحاديثه الرقاق، وقال مرة: ليس بشيء.

وقال ابن المديني: ضعيف الحديث، حَدَّث بأحاديث مناكير.

وقال أبو زرعة: ليس بقوي الأحاديث.

وقال أبو حاتم: منكر الحديث.

وقال الترمذي: يُضعف، وقال النسائي: ضعيف، وقال مرة: ليس بثقة.

وقال يعقوب بن شيبة: صدوق ضعيف الحديث جداً، ومن الناس من لا يكتب حديثه لوهائه وضعفه وكثرة اختلاطه، وكان من أهل الصدق.

وقال أبو بكر البزار: موسىٰ بن عبيدة رجلٌ مفيد وليس بالحافظ، وأحسب إنما قصر به عن حفظ الحديث شغله بالعبادة.

وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم.

وقال الساجي: منكر الحديث، وكان رجلاً صالحاً.

انظر التهذيب (١٠/ ٣٥٦ - ٣٦٠).

فالرجل صالح في نفسه، لكنْ لم يكن حافظاً للحديث كما سبق من أقوال العلماء فيه، فلا عبرة بعد ذلك بتوثيق وكيع له، إذ الجرح المفسر مقدمٌ علىٰ التعديل، كما هو مقررٌ عند علماء الجرح والتعديل.

سليمان[٦] من الصحابة.

فإن قيل: فَنَتَأَوَّل قوله: «من في الرحمن» معناه من الرحمن.

قيل: هذا غلط، لأنَّه يَتضمَّن حَذْفَ صِفةٍ قد وَرَدَ الخبر بها[٧]، وعلىٰ أنَّه إنْ جَاز هذا التأويل؛ وجب مثله في قوله ﴿خلقت بيدي﴾ [صٓ: ٧٥]. معناه بذاتي ويكون ذكر اليد زائد، وكذلك قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]. وقوله: ﴿كُلُّ شيءٍ هَالِكٌ إلا وَجْهَه﴾ [القصص: ٨٨]. المراد به: ذاته، وليس المراد به الوجه الذي هو صفة، ولَمَّا لم يجز هذا هناك؛ كذلك ها هنا، ولأن هذا يُؤدي إلىٰ جواز القول بأنَّ لله في، وأنَّه يجوز أنْ يُدْعىٰ فيقال: يا في اغفر لنا، وهذا لا يجوز، فامتنع أنْ يكون المراد بالفي الذات، لأنَّه لا يجوز وصفه ودعاءه بذلك.

* * *

(٦) كذا في الأصل: سليمان! وهو خطأ وصوابه: سليم، كما في التهذيب (٩/ ٤٢٠) والتاريخ الكبير للبخاري (١/ ٢١٦) وفيه: وكان أبوه ممن لم يُنْبتْ يوم قريظة فتُرِك.

وقال الترمذي: سمعت قتيبة يقول: بلغني أن محمد بن كعب وُلد في حياة النبي ﷺ فردَّه الحافظ ابن حجر بقوله: لا حقيقة له! وإنما الذي ولد في عهده هو أبوه فقد ذكروا أنه كان من سبي قريظة ممن لم يحتلم ولم ينبت فخلَّوا سبيله.

(٧) قد تقدم أن الخبر لا يصح، فلا يُثبت به لله تعالىٰ صفة.

«حَديــــثُ آخَــــر»

٣٦٦ـ ناه أبو القسم بإسناده عن عقبة بن عامر الجهني عن النبي ﷺ قال: «**لَو كانَ القُرآنُ في إهَابٍ مَا مَسَّته النَّارُ**»[١].

٣٦٧ـ وفي حديثٍ آخر عن عبيد الله بن موهب[١] عن عصمة بن مالك الخطمي قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو جُمِعَ القُرآنُ في إهَابٍ ما أَحْرَقَتْه النَّار**»[٢].

---

(١) في الأصل: وهب، والتصويب من مصادر الحديث.

---

(١) إسناده صحيح، رواه أحمد (٤/ ١٥١، ١٥٥) والدارمي (٢/ ٤٣٠) والفريابي في «فضائل القرآن» (١، ٢) وأبو يعلىٰ (١٧٤٥) والطبراني في الكبير (١٧/ ٢٦٥) والبيهقي في «الأسماء» (ص٢٦٤):

عن ابن لهيعة عن مِشرح بن هاعان عن عقبة مرفوعاً به.

قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٥٨): فيه ابن لهيعة وفيه خلاف.

قلت: ابن لهيعة كان قد ساء حفظه، لكن قد روي عنه أبو عبدالرحمن عبدالله بن يزيد المقرىء وروايته عنه صحيحة، وذلك عند الدارمي والفريابي وأبي يعلىٰ والبيهقي، وكذا قتيبة ابن سعيد ـ عند أحمد ـ فإن روايته عنه قد صحَّحها أحمد كما في «شرح العلل» لابن رجب (ص١٣٨).

ويشهد للحديث ما بعده.

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ١٦٩ ـ ١٧٠) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٠٤١) عن الفضل بن المختار عن عبيدالله بن موهب عن عصمة بن مالك الخطمي مرفوعاً به.

قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٥٨): فيه الفضل بن المختار وهو ضعيف.

قال ابن عدي بعد أن ذكر جملةً من أحاديثه: وعامتها مما لا يتابع عليه إما إسناداً وإما متناً.

وقال فيه أبو حاتم: أحاديثه منكرة يحدث بالأباطيل. =

اعلم أنَّه قد قيل في ذلك وجوه:

أحدها: أنَّ من حَفِظَ القرآن وقاه الله عذابَ النَّار، واحتجَّ في ذلك بحديثِ أبي أُمَامَةَ: «**إنَّ الله سبحانه لا يُعَذِّبُ قَلْباً وَعَىٰ للقرآن**»(٣).

وإلىٰ هذا أومىء أحمد في رواية إسحق بن إبراهيم، وقد سأله ما معنىٰ: «**لو كان القرآن في إهاب ما مَسته النار**» قال أبو عبدالله: هذا يُرجىٰ لمن القرآن في قلبه أنْ لا تمسه النار في إهاب، يعني في قلب رجل(٤).

وفي هذا ضعف، لأنَّه قد روي في الخبر عن النبي ﷺ قال: «**يكونُ فيكم قَومٌ يقرءون القُرآن لا يُجاوِزُ حَنَاجِرهم يَمرُقُونَ من الدِّينِ مُرُوقَ السَّهم من الرَّمية**»(٥).

٣٦٨ـ وروي «**النَّارُ إلىٰ فَسَقَةِ القُرآن أقربُ منها إلىٰ عَبَدةِ الأَوْثَانِ**»(٦).

وعُلِمَ أنَّ معنىٰ قول النبي ﷺ: «**إنَّ الله لا يُعَذِّبُ قَلْباً وَعَىٰ القُرآن**» إذا حَفِظَ حُدُوده وعمل بموجَبَه.

وقال قوم: معناه أنه لو كُتِبَ القرآن في جلْدٍ ثم طُرِحَ في النَّار ما أحرقته النَّار،

= وقال الأزدي: منكر الحديث جداً (لسان الميزان (٤/ ٤٤٩)).
وللحديث شاهد بسند ضعيف جداً:
أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ١٧٢/ ٥٩٠١) من حديث سهل بن سعد بنحوه.
وفيه: عبدالوهاب بن الضحاك، متروك.

(٣) لم أقف عليه!

(٤) «مسائل الإمام أحمد» لإسحاق بن إبراهيم بن هانىء النيسابوري (٢/ ١٨٧).
وأخرجه بسنده عن ابن هانىء البيهقي في «الأسماء» (ص٢٦٤).

(٥) قاله النبي ﷺ في الخوارج، وقد روىٰ أحاديثهم جمع من الصحابة رضي الله عنهم انظر البخاري (٦/ ٦١٧ ـ ٦١٨) (٩/ ٩٩ ـ ١٠٠) (١٢/ ٢٨٣) ومسلم في الزكاة (٢/ ٧٤٠ ـ ٧٥٠).

(٦) لم أقف عليه!

وذلك في عهد رسول الله ﷺ علامة لنبوته.

وقال قوم: تأويله أنَّ القُرآنِ لو كُتِبَ في جِلْدٍ ثم طُرِح الجلد في النَّار ما احترق، أي: ما احْتَرَقَ القُرآن، وما بَطَلَ ولا انْدَرَسَ، وإنما يَنْدرِسُ ويَبْطل المِدَادُ والحبر والجلد.

٣٦٩ـ وهذا مثل قوله حاكياً عن الله سبحانه: «**إنِّي مُنَزِّلٌ عَليكَ كِتَاباً لا يغسله الماء**»(٧) ومعناه لا يُبْطِلَهُ ولا يفنيه الماء، كذلك قوله: «**ما احترق**» وهذا وجه صحيحٌ، لأنَّا وإنْ قُلنا إنَّ القُرآن مكتوبٌ في الحقيقة، وأنَّ الكتابة هي المكتوب، فلسنا نقول إنَّه حَالٌّ في الجلد، ولا في الوَرَقِ ولا في اللوح، فاحتراق المحل لا يُوجب احتراقه، لأنَّه ليس بحال في محل كتابته.



(٧) أخرجه أحمد (٤/ ١٦٢) ومسلم في كتاب الجنة (٤/ ٢١٩٧ ـ ٢١٩٨) عن هشام عن قتادة عن مُطرِّف بن عبدالله عن عِياض بن حِمَار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «**ألا إنَّ ربي أمرني أنْ أُعلِّمكم ما جهلتم مما علمنيٍّ يومي هذا: كلُّ مالٍ نَحَلْتُهُ عبداً حلالٌ، وإني خَلَقتُ عبادي حُنفاء كلَّهم، وإنهم أَتتهم الشياطينُ فاجْتَالتهم عن دينهم، وحَرَّمت عليهم ما أَحللتُ لهم، وأمرتهم أن يُشركوا بي ما لم أُنزِلْ به سلطاناً، وإنَّ الله نظر إلىٰ أهل الأرض فَمَقَتَهم عربَهم وعجمهم، إلا بَقَايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتُك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلتُ عليك كتاباً لا يغسلُهُ الماءُ تقرؤُهُ نائماً ويقظانَ...**» الحديث.

«حَديـــثٌ آخَـــر»

٣٧٠ـ ناه أبو القسم بإسناده عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: **«ما أَذِنَ الله لعبدٍ في شيءٍ أَفضل مِنْ ركعتين يُصَلِّيهما، وإنَّ الله لَيَذُر البرَّ فوقَ رَأْسِ العَبدِ ما دَامَ في صَلاتِه، وما تَقَرَّبَ العَبْدُ إلىٰ الله بمثْلِ ما خَرَجَ منه»** يعني القرآن[٨].

---

(٨) إسناده ضعيف، أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٨) والترمذي (٥/ ٢٩١١) وابن الضُّرِيس في «فضائل القرآن» (١٤١) عن أبي النضر حدثنا بكر بن خُنيس عن ليث بن أبي سليم عن زيد بن أرطأة عن أبي أمامة مرفوعاً به.

قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وبكر بن خنيس قد تكلَّم فيه ابنُ المبارك وتركه في آخر أمره.

قلت: والجمهور علىٰ تضعيف حديثه.

وقال فيه ابن معين: صالح لا بأس به، إلا أنه يروي عن ضعفاء ويُكتب من حديثه الرقاق.

وقال أبو حاتم: سألت ابن المديني عنه قال: للحديث رجال!

يشير إلىٰ أنه لم يكن من رجال الحديث الحافظين، فقد ذكروا أنه كان صاحب غزو.

وفيه أيضاً: ليث بن أبي سليم، مختلط لم يتميز حديثه فتُرك.

* لكن له شاهد صحيح من حديث أبي ذر:

أخرجه الحاكم (١/ ٥٥٥) وعنه البيهقي في الأسماء (ص٢٣٦) عن سلمة بن شبيب حدثني أحمد بن حنبل ثنا عبدالرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن العلاء بن الحارث عن زيد بن أرطأة عن جبير من نفير عن أبي ذر الغفاري مرفوعاً بلفظ: **«إنكم لا ترجعون إلىٰ الله بشيءٍ أفضل مما خَرَجَ منه، يعني القرآن»**.

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وهو كما قالا، فإنَّ رجاله رجال مسلم سوىٰ زيد بن أرطأة وهو ثقة عابد. =

٣٧١ـ ورواه أبو عبدالله بن بطة في كتاب «الإبانة» بإسناده عن أبي أُمَامة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما تَقَرَّبَ العِبَادُ إلىٰ الله بشَيءٍ أَفْضل مِنْ شيءٍ خَرَجَ منه»** وهو

= وتابع ابنَ مهدي عليه عبدُالله بن صالح، لكن جعله: عن عقبة بن عامر بدلًا من أبي ذر.

أخرجه الحاكم (١/ ٤٤١) وعنه البيهقي (ص٢٣٦) وزاد في أوله: أن رسول الله ﷺ تلا: **﴿إنَّ الذين كفروا بالذِّكرِ لما جَاءهم وإنَّه لكتابٌ عزيزٌ لا يأتيه الباطلُ مِن بينِ يديه ولا من خَلْفِهِ تنزيلٌ من حكيمٍ حميد﴾** ثم ذكر الحديث.

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وقال البيهقي: ويحتمل أن يكون جبير بن نفير رواه عنهما جميعاً.

والرواية الأولىٰ أرجح، لأن في الثانية عبدالله بن صالح كاتب الليث، صدوق كثير الغلط.

* وقد ورد مرسلًا بسند حسن:

أخرجه أحمد في الزهد (ص٣٥) والترمذي (٥/ ٢٩١٢) وعبدالله في «السنة» (١٠٩) عن عبدالرحمن بن مهدي عن معاوية عن العلاء بن الحارث عن زيد بن أرطاة عن جبير ابن نفير عن النبي ﷺ به.

ورواه أبو داود في المراسيل ـ كما في تحفة الأشراف (١٣/ ١٥٤) ـ.

* وقد ورد نحوه موقوفاً علىٰ خَبَّاب رضي الله عنه بسند صحيح:

أخرجه أحمد في «الزهد (ص٣٥) والبخاري تعليقاً في «خلق أفعال العباد» (ص١٨ ـ ط الرسالة، وسقط من ط الدار السلفية (ص٣١)) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٥١٠ ـ ٥١١) والدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (٣١٠) وعبدالله في «السنة» (١١١) والآجري في «الشريعة» (ص٧٧) والحاكم (٢/ ٤٤١) واللالكائي (٢/ ٣٤٠) والبيهقي في الأسماء (ص٢٤١) وفي الاعتقاد (ص١٠٣ ـ ١٠٤) عن منصور بن المعتمر عن هلال بن يساف عن فروة بن نوفل الأشجعي قال: كنتُ جاراً لخباب فخرجنا يوماً من المسجد وهو آخذٌ بيدي فقال: يا هَنَاهْ، تقرَّبْ إلىٰ الله عز وجل ما استطعت، فإنَّك لن تتقرب إليه بشيءٍ أحب إليه من كلامه. يعني القرآن.

قال البيهقي: هذا إسناد صحيح، وهو كما قال، فروة بن نوفل هو الأشجعي الكوفي ذكره ابن حبان في ثقات التابعين وقال: قد قيل إنَّ له صحبة، وقال أبو حاتم: ليست له صحبة ولأبيه صحبة، وباقي رجاله ثقات.

القرآن.

اعلم أنَّ المراد بالخروج ها هنا ظهور المنافع، كما يقال: خَرَجَ لَنا من كلامك خَيرٌ كثير، وأتَانَا منه نَفعٌ بَيِّنٌ، وليس المراد به الخروج الذي هو بمعنىٰ الانتقال والمفارقة، لأنَّه ليس بجسم ولا جَوْهَر، وإنَّما يجوز الانتقال علىٰ الجَواهِر والأجسام(٩).

---

(٩) قول المصنف: المراد بالخروج ها هنا ظهور المنافع.. إلخ، هو عين ما تأوله ابن فورك في «مشكلة» (ص١٢١)! وسيقول المصنف ما يخالفه بعد قليل!! وهو تأويل لا يصح! بل هو مخالف لقول السلف، لأن السلف يقولون: كلام الله منه بدا وإليه يعود، كما قال الطحاوي في عقيدته: «وإن القرآنَ كلامُ الله، منه بدا بلا كيفيةٍ قولاً، وأنزله علىٰ رسوله وحياً، وصَدَّقه المؤمنون علىٰ ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالىٰ بالحقيقة».

قال الشارح: وإنما قالوا: منه بدا أي: خرج، لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون: إنه خَلَقَ الكلام في محلٍّ فبدا الكلام من ذلك المحل! فقال السلف: منه بدا، أي هو المتكلم به فمنه بدا، لا من بعض المخلوقات، كما قال تعالىٰ: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ [الزمر: ١]، ﴿ولكن حقَّ القولُ مني﴾ [السجدة: ١٣]، ﴿قل نَزَّله رُوحُ القدس من ربِّك بالحق﴾ [النحل: ١٠٢]، ومعنىٰ قولهم: وإليه يعود: يُرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقىٰ في الصدور منه آية ولا في المصاحف، كما جاء ذلك في عدة آثار، وقوله بلا كيفيةٍ: أي لا تُعرف كيفية تكلُّمه به قولاً ليس بالمجاز اهـ.

وقال شيخ الإسلام: فقول السلف: منه بدا، لم يريدوا به أنه فارق ذاته، وحلَّ في غيره، فإنَّ كلام المخلوق بل وسائر صفاته لا تفارقه وتنتقل إلىٰ غيره فكيف يجوز أن يفارق ذات الله كلامه أو غيره من صفاته اهـ (مجموع (١٢/ ٢٧٤)).

وقول المصنف: «وليس المراد به الخروج الذي هو بمعنىٰ الانتقال والمفارقة لأنه ليس بجسم ولا جوهر...» إنما هو من كلام أهل الكلام! فإن القرآن أنزله الله علىٰ رسوله وحياً، أي أنزله إليه علىٰ لسان الملك، فسمعه الملك جبرائيل من الله، وسمعه الرسول محمد ﷺ من الملك ثم قرأه علىٰ الناس، قال تعالىٰ: ﴿وقرآناً فَرَقْنَاه لِتَقرأَه علىٰ الناس علىٰ مُكْثٍ ونزَّلنَاه تنزيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقال تعالىٰ: ﴿نَزَلَ به الروحُ الأمينُ * علىٰ قلبكَ لِتكُونَ من المُنْذرين * بلسَانٍ عربي مُبين﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وتنزيله من عند الله فيه بيان أنه من الله لا مخلوق من =

٣٧٢ـ وقد قال أحمد في رواية عبدوس بن مالك العطار: كلامُ الله ليس ببَائنٍ منه[١٠].

٣٧٣ـ وقال فيما خَرَّجَه في «الرَّد علىٰ الجَهْمية» في الأحاديث التي رويت: «**يجيءُ القُرآن في صُورةِ الشاب**» فقال: كلام الله لا يجيء ولا يتغير من حال إلىٰ حال[١١].

٣٧٤ـ وقال في رواية حنبل: احتجوا علي يَومَئِذٍ «**تجيءُ البَقَرةُ يومَ القيامة**»[١٢]

= المخلوقات، وليس من عند جبريل ولا محمد ﷺ كما زعمه المبتدعة.

وفيه إثبات صفة العلو.

(أنظر شرح العقيدة الطحاوية (ص١٩٤ ـ ١٩٥) و«درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ١١٣)، ومجموع الفتاوي (١٢/ ١١٧ ـ ١٤٠، ٢٤٦ ـ ٢٥٧).

(١٠) وذلك أن الكلام من صفاتِ الله تعالىٰ القائمةِ به، فلا يصح أن يقال: أن الكلام بائنٌ منه! بل هذا قول الجهمية الزاعمين أن الله خَلَقَ الكلام في محل، وبدا الكلام من ذلك المحل! مخلوقاً منفصلاً عن الله بائناً منه، وعطَّلوا الربَّ من الاتصاف بصفة الكلام! نعوذ بالله من الخذلان!

(١١) لم أجده في «الرد علىٰ الجهمية» ط السلفية بمصر.

والعبارة مجملة، ونحن نؤمن بأن القرآن نَزَل من عند الله تعالىٰ، نزل به الروح الأمين علىٰ قلب محمد ﷺ، وأن القرآن من كلام الله تعالىٰ، والتوراة من كلامه، والإنجيل من كلامه، والقرآن غير التوراة والتوراة غير الإنجيل. وانظر ذلك بتوسع في «مناظرة في القرآن العظيم» لابن قدامة المقدسي بتحقيقنا.

(١٢) إشارة إلىٰ حديث النَّوَّاس بن سمعان الكلابي قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يُؤتىٰ بالقرآن يومَ القيامة وأهلِهِ الذين كانوا يعملون به، تَقْدُمه سورة البقرة وآلُ عمران**» وضَرَب لهما رسول الله ﷺ ثلاثةَ أمثالٍ ما نسيتُهنَّ بعد، قال: «**كأنهما غَمامتانِ أو ظُلَّتانِ سَوْدَاوان بينهما شَرْقٌ، أو كأنهما حِزْقَان من طيرٍ صَوافَّ تُحاجَّان عن صاحبهما**».

أخرجه مسلم (١/ ٥٥٤) ومعنىٰ شَرْق: أي ضياء ونور، وحزقان وفرقان: واحد، أي قطيعان.

وروىٰ نحوه أبو أُمامة الباهلي، أخرجه مسلم أيضاً (١/ ٥٥٣).

«وتجيء تبارَكَ»[13].

---

(١٣) لعله يشير إلىٰ ما أخرج أحمد (٢/ ٢٩٩، ٣٢١) وأبو داود (٢/ ١٤٠٠) والترمذي (٤/ ٢٨٩١) وابن ماجة (٣٧٨٦) وابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٣٥، ٢٣٦) والفريابي في «فضائل القرآن» (٣٣) والحاكم (١/ ٥٦٥) من طرق عن شعبة عن قتادة عن عباس الجُشمي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ سُورةً من القُرآن ثلاثون آيةً شَفَعَتْ لرجلٍ حتىٰ غُفر له، وهي ﴿تَبارَكَ الذي بيدِه المُلْك﴾**».

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٣٠) إلىٰ ابن مردويه والبيهقي في الشعب.

قال الترمذي: حديث حسن.

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وعباس الجشمي ذكره ابن حبان في الثقات.

وللحديث شواهد يصح بها منها:

* ما أخرجه الطبراني في الأوسط ـ كما في المجمع (٧/ ١٢٧) ـ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**سُورةٌ من القُرآن ما هي إلا ثلاثون آيةً خَاصَمَت عن صاحبها حتىٰ أدْخلته الجنَّة، وهي سُورة تَبارك**».

قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

وعزاه في «الدر» (٨/ ٢٣١) إلىٰ: ابن مردويه والضياء في المختارة.

* وما أخرج عبدالرزاق (٣/ ٢٧٩ ـ ٣٨٠) ومن طريقة الطبراني في الكبير (٩/ ١٣١/ ٨٦٥١) وابن الضريس (٢٣٢) عن الثوري عن عاصم بن أبي النَّجود عن زِر بن حُبيش عن ابن مسعود قال: «يُؤتىٰ الرجلُ في قبره فتُؤتىٰ رجلاه فتقولان: ليس لكم علىٰ ما قبلنا سبيل، قد كان يَقرأ علينا سُورة الملك، ثم يُؤتىٰ جوفه فيقول: ليس لكم عليَّ سبيل، كان قد أوعىٰ فيَّ سورة الملك، ثم يُؤتىٰ رأسه فيقول: ليس لكم علىٰ ما قِبَلي سبيلٌ، كان يقرأ بي سورة الملك، قال عبدالله: وهي المانعةُ تمنع من عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك، ومن قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب».

وإسناده حسن، من أجل ابن أبي النجود.

وقد تابع حمادٌ الثوري عند أبي الضريس (٢٣١).

ورواه عبدالرزاق والطبراني عن معمر عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود =

فقلت لهم: هذا الثواب(١٤).

فقد نصَّ أحمد علىٰ المعنىٰ الذي ذكرنا.

وقد قال قَومٌ: إنَّ «الهاء» في قوله: «خَرَجَ منه» يعود علىٰ العبد، وخروجه منه وجودة مَتْلُوّاً علىٰ لسانه، محفوظاً في صدره، مكتوباً بيده.

وهذا غلطٌ لوجهين:

أَحَدهما: أنَّه وَصَفَ الخارج بأنَّه كلام الله، وهذه الصفة لا يصحُّ خروجها من غير الله تعالىٰ، والذي يظهر من التَّالي هو التِّلاوات، والتِّلاوات علىٰ قولهم ليست بقرآن، وإنَّما هي تِلاوةٌ للقرآن، والتلاوة عندهم غير القرآن، فلا يصح هذا التأويل(١٥).

والثاني: أن قائلاً لو قال: ما تَقَرَّبَ إليَّ زَيدٌ بشيءٍ أفضل من شيء خَرَجَ منه، وهو علمه، فإن ذلك يَرجع إلىٰ أنْ يكون العِلم(١) الخارج من زيد، كذلك ها هنا.

---

(١) في الأصل: العالم، ولعل الصواب ما أثبتاه.

= بنحوه.

وللحديث شواهد أخرىٰ تركناها اختصاراً.

(١٤) وكذا تأوله النووي في «شرح مسلم» (٦/ ٩٠) فقال: قال العلماء: المراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين.

ولعله نقله عن المازري.

فقد قال في «المعلم بفوائد مسلم» (١/ ٤٦٠): قال بعض أهل العلم يكون هذا الذي يُؤتىٰ به يوم القيامة جزاء علىٰ قراءتها، فأجرىٰ إسمهما علىٰ ما كان من سببهما، كعادة العرب في الاستعارة.

(١٥) «التلاوة» لفظ يُطلق علىٰ المصدر، الذي هو فعل التالي وكسبه الذي يكون بصوته وجوارحه، ومثله: اللفظ والقراءة.

وتطلق علىٰ المفعول الذي وقع عليه فعل التالي، وهو: المتلو، ومثله: الملفوظ والمقروء. =

«حديـــث آخـــر»

٣٧٥ـ رواه أبو عبدالله بن بطة بإسناده عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ فَضْلَ القُرآن علىٰ سائِرِ الكلام، كفَضْلِ الله علىٰ خلقه، وذلك أنَّ القُرآن مِنه خَرَجَ وإليه يَعُودُ**»(١٦).

= ولما كانت هذه الألفاظ تأتي بالمعنيين، فقد منع الأئمةُ أحمد وغيره من إطلاقها، فلا يقال: التلاوة مخلوقة ولا غير مخلوقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقد كان طائفة من أهل الحديث والمنتسبين إلىٰ السُّنة تنازعوا في اللفظ بالقرآن هل يقال: إنه مخلوق؟

ولما حدث الكلام في ذلك أنكرت أئمة السنة كأحمد بن حنبل وغيره أن يقال: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، وقالوا: من قال إنه مخلوق فهو جهمي، ومن قال إنه غير مخلوق فهو مبتدع.

وأما صوت العبد فلم يتنازعوا إنه مخلوق، فإن المبلِّغ لكلام غيره بلفظ صاحب الكلام إنما بلَّغ غيره، كما يقال: روىٰ الحديث بلفظه، وإنما يُبلِّغُه بصوتِ نفسه لا بصوت صاحبِ الكلام اهـ.

انظر مجموع الفتاوي (١٢/ ٣٠٦) وما بعدها فإنه مهم.

(١٦) حديث عثمان رضي الله عنه اختلف في رفعه ووقفه.

فقد رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (١٣٨) عن عبدالصمد المقرىء عن الجراح ـ وهو ابن الضحاك الكندي ـ عن علقمة بن مرثد عن أبي عبدالرحمن السُّلمي عن عثمان ابن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيركُم مَنْ تعلَّم القرآنَ وعلَّمه، وفَضْلُ القرآنِ علىٰ سائرِ الكلام كفضلِ الله تعالىٰ علىٰ خَلْقه، وذلك أنه منه**».

وكذا رواه البيهقي في «الأسماء» (ص٢٣٧) عن الحماني ثنا إسحاق بن سليمان الرازي ثنا الجراح به. =

. . . .

= وفيه يحيىٰ بن عبدالحميد الحماني وفيه ضعف.

ثم قال: تابعه يعلىٰ بن المنهال عن إسحاق في رفعه، ويقال إن الحماني منه أخذ ذلك.

وأخرجه الدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (٣٤١) واللالكائي (٢/ ٢٣٨ - ٢٣٩) والبيهقي في «الأسماء» (ص٢٣٧) من ثلاث طرق عن إسحاق بن سليمان ثنا الجراح به مرفوعاً الجملة الأولىٰ منه ثم قال: قال أبو عبدالرحمن: فضل القرآن. . . إلخ.

وقال الحافظ في الفتح (٩/ ٦٦): وقد بَيَّن العسكري أنها من قول أبي عبدالرحمن السلمي.

وقد أخرجه البخاري (٩/ ٧٤) عن علقمة عن أبي عبدالرحمن عن عثمان مرفوعاً الجملة الأولىٰ منه.

وللجملة الثانية من الحديث شواهد منها:

ما أخرجه الدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٨٧، ٣٤٠) عن محمد بن سواء ثنا سعيد ابن أبي عروبة عن أشعث الحُدَّاني عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«فَضْلُ القرآنِ علىٰ سائرِ الكلام كَفَضل الرَّحمن علىٰ سائر خَلْقه»**.

شهر صدوق لكنه كثير الأوهام، وأشعث هو ابن عبدالله صدوق، وسعيد بن أبي عروبة أحد الثقات الأعلام لكنه كان قد اختلط، لكن رواية محمد بن سواء عنه قبل الاختلاط وهي في الصحيحين (انظر الكواكب النيرات ص١٩٨) فلا يُعل الحديث بسعيد.

وقد تابع ابن سواء عليه عبدالوهاب بن عطاء عند اللالكائي (٢/ ٣٣٩).

وقد خُولِفا في ذلك، فرواه ابن عدي (٥/ ١٧٠٥) ومن طريقة البيهقي في «الأسماء» (ص٢٣٨ - ٢٣٩) عن شيبان ثنا عمر الأبح عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الأشعث الأعمىٰ عن شهر به. (وقد سقط الأشعث من مطبوعة ابن عدي).

قال البيهقي: تفرد به عمر الأبح وليس بالقوي.

قلت: قد قال فيه البخاري: منكر الحديث، نقله ابن عدي.

ورواه عبدالله في «السنة» (١٢٩) عن عمرو بن حمران عن سعيد عن قتادة عن شهر به، دون ذكر أشعث.

وأخرجه الدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٨٦) والدارمي صاحب السنن في سننه (٢/ =

وأما قوله: «منه خرج» فمعناه منه خَرَجَ تنزيله وظهوره والابتداء، وإليه يعود حُكمه لأنَّ ما تضمنه القُرآن من الأحكام التي هي العبادات واجتناب المحرمات إنَّما يُفْعَلُ لله عَزَّ وجَلَّ فيكون الحكم عائداً إليه بمعنىٰ مفعول له ولأجله.

٣٧٦ـ وقد قال أبو بكر الخلال سمعت عبدالله بن أحمد قال: ذكر أبو بكر الأعين قال: سُئِلَ أبو عبدالله أحمد بن حنبل عن تفسير قوله: «**القُرآنُ كلامُ الله مِنْه خَرَجَ وإليه يعود**» فقال أحمد: منه خرج هو المتكلم به، وإليه يعود.

فقد فَسَّرَ قوله: «منه خرج» علىٰ أنَّه صفة من صفات ذاته، مبتدي به، ولم يُفسر قوله: «**وإليه يعود**» وتفسيره ما ذكرنا من أنَّ أحكامه عائِدة إليه(١٧).

= ٤٤١) وابن الضريس (١٣٩) عن حماد بن سلمة عن الأشعث الحداني عن شهر به مرسلاً.

فمدار هذه الطريق علىٰ شهر بن حوشب.

* وله شاهد آخر من حديث أبي سعيد الخدري:

أخرجه الترمذي (٥/ ٢٩٢٦) والدارمي في سننه (٢/ ٤٤١) وعثمان الدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٨٥، ٣٣٩) وعبدالله في «السنة» (١٢٨) والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٤٩) وابن أبي حاتم في «العِلل» (٢/ ٨٢) وابن حبان في المجروحين (٢/ ٢٧٧) والبيهقي في «الأسماء» (ص٢٣٨):

من طرق عن محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل: مَنْ شَغَلَه القُرآنُ وذكري عن مَسأَلَتي أعطيتُه أفضلَ ما أُعطي السَّائلين، وفَضْلُ كلامِ الله علىٰ سائر الكلام كفضلِ الله علىٰ خَلْقه**».

قال الترمذي: حسن غريب.

وقال أبو حاتم: هذا حديث منكر ومحمد بن الحسن ليس بالقوي.

وقال أحمد: رأيته وكان لا يسوىٰ شيئاً، وقال ابن معين قد سمعنا منه ولم يكن بثقة.

وقال الذهبي في الميزان (٣/ ٥١٥): حسنه الترمذي فلم يُحسن.

وأعلَّه الحافظ في الفتح (٩/ ٦٦) بعطية العوفي فقط، ولم يذكر ضعف محمد بن الحسن.

(١٧) قد مضىٰ بيان ذلك قريباً.

٣٧٧ـ وهكذا فسره أبو بكر بن إبرَة[١٨] من أصحابنا فيما وجدته مُعَلَّقاً بخطِّه في حاشية كتاب «السُّنَّة» لأبي بكر الخلال.

وقد قيل: معنىٰ قوله: «منه خرج» أي منه يُسمع وبتعليمه يُعلم وبتَفْهيمه يُفهم[١٩].

وهذا لا يخرج علىٰ أصولنا، لأنَّ علىٰ قولنا يسمع منه في حق من تولىٰ خطابه، ويسمع من غيره في حق من لم يتول خطابه.

وقيل: معنىٰ قوله: «منه خرج» أنَّه له، والعرب تقول: إنَّ هذا منك، تعني أنه لك كما قال القائل:

ومنك العطاء ومنك[١] الثناء.

أي لك العطاء ولي الثناء عليك[٢٠].

ولا يجوز أن يُحمل قوله «منه» علىٰ معنىٰ الجزء منه، لأنَّه سبحانه ليس بذي أبعاض وأجزاء[٢١].

ولا يجوز أيضاً حمله علىٰ أنَّ منه بمعنىٰ فعله كقوله: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْه**﴾ [الجاثية: ١٣]. يعني: خَلْقاً ومُلْكاً، لأنَّه قد ثَبَتَ بالدليل أنَّ كلامه صِفَةٌ قديمة لذاته غير محدثة ولا مخلوقة[٢].

---

(١) كتب فوقها في الأصل: مني، وفي المشكل: منا.

(٢) كتب بمحاذاته: بلغ مقابلة.

---

(١٨) لم أعرفه.

(١٩) ذكره ابن فُورك (ص١٢٣) قال: ومن أصحابنا من قال.. فذكره.

(٢٠) انظر المصدر السابق.

(٢١) هذا من النفي الذي لم يرد في الكتاب ولا في السنة! بل هو مما تكلم به المعتزلة ومن شابهم، فالصواب الإمساك عنه.

«حَديــثٌ آخَــرٌ»

٣٧٨ـ ناه أبو القسم بإسناده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله تَبارَك وتعالىٰ قَرَأَ طَه ويَس قَبْل أنْ يخلق آدمَ بألْفِ عَامٍ، فلما سمعتِ الملائكةُ القُرآنَ، طُوبَىٰ لأمَّةٍ يَنزلُ هذا عليها، وطُوبَىٰ لأجْوافِ تَحملُ هذا، وطُوبَىٰ لألْسُنٍ تَكَلَّمُ بهذا**»(٢٢).

وقد ذكره أبو عبدالله بن بطة في كتابة بإسناده.

اعلم أنه غيرُ ممتنعٍ إطلاق صفة «القراءة» علىٰ الله سبحانه، كما أنَّه غير ممتنع إطْلاقُ صِفَةُ الكلام عليه، فنقول: قَرَأَ ويَقْرأ، كما نقول: تكلَّم ويتكلم، وقد قال الله سبحانه: ﴿فَإذا قَرَأْنَاه فَاتَّبِعْ قُرآنه﴾ [القيامة: ١٨]. فوصف نفسه بذلك(٢٣)،

(٢٢) إسناده ضعيف جداً، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٠٧) والبيهقي في «الأسماء» (ص٢٣٢) والعقيلي في الضعفاء (١/ ٦٦) وابن عدي في «الكامل» (١/ ٢١٨) ومن طريقهما ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٠٩ ـ ١١٠):

عن إبراهيم بن المهاجر بن مسمار عن عمر بن حفص بن ذكوان عن مولى الحرقة عن أبي هريرة مرفوعاً به.

قال ابن عدي: وإبراهيم بن مهاجر لم أجد له حديثاً أنكر من حديث «قرأ طه ويس» لأنه لم يروه إلا إبراهيم بن مهاجر.

ونقل عن البخاري قوله فيه: منكر الحديث.

وفيه أيضاً: عمر بن حفص قال أحمد: حرقنا حديثه، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال النسائي: متروك.

وقال أبو حاتم ابن حبان في المجروحين (١/ ١٠٨): وهذا متنٌ موضوع، وكذا حكم عليه ابن الجوزي.

وقد أعلَّه الألباني حفظه الله في السنة بعمر بن حفص فقط.

(٢٣) قال الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢١١): ﴿إنَّ عَلَينا جَمْعَهُ وقُرآنه﴾ في قلبك ﴿وقُرآنه﴾ =

ولأنَّه ليس في ذلك ما يُوجب خَلْقَ القرآن ولا حدوثه، كما لم يكن في قولنا «تَكَلَّم» ما يُوجب حُدوثه.

فإنْ قيل: بل فيه ما يُوجب حدوثه وخلقه، وذلك أنَّ القراءة عبارةٌ عن جمع الشيء، ومنه قولهم: ما قَرَأت هذه النَّاقة سَلاً(٢٤) قط، أي: ما جَمَعَت في رحمها وَلداً، وكذلك قولهم: قرأت الماء في الحوض وقرأت اللقمة في فَيَّ، ومتىٰ وَصفنا القُرآن بالجَمع، وصفناه بصفةٍ توجب حدوثه.

قيل: يحتمل أنْ يكون الجمع راجعاً إلىٰ أُحَدِ وجهين:

أحدهما: إلىٰ أُحْكامه وشَرائعه، لا إلىٰ نفس الكلام الذي هو الصفة لقيام الدليل علىٰ قدمه والقديم لا يَصحُّ جَمعه(٢٥)، وأحكامه مجموعة في الجملة ومُفَصَّلة في الآياتِ والسُّور، ويكون ذِكْر السور والآيات عَلَامَاتٍ لتفصيل الأحكام.

= أي أن جبريل عليه السلام سيعيده عليك، وقوله عز وجل: ﴿فإذا قَرأْناه فاتَّبع قرآنه﴾ إذا قرأه عليك جبريل عليه السلام فاتبع قرآنه.

وكذا فسَّره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ١٨٥) وابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٤٩).

(٢٤) السَّلَىٰ: الجلدةُ التي يكون فيها الولد من الناس والمواشي، وخصَّه الأزهري والجوهري بالمواشي. (القاموس).

وأما «القرآن»:

فقال أبو إسحاق النحوي: يُسمىٰ كلام الله تعالىٰ الذي أنزله علىٰ نبيه ﷺ كتاباً وقرآناً وفرقاناً، ومعنىٰ القرآن معنىٰ الجمع، وسُمِّي قرآناً لأنه يجمع السور فَيَضُمُّها، وقوله تعالىٰ: ﴿إنَّ علينا جَمْعَه وقُرآنه﴾ أي جمعه وقراءته (اللسان ـ قرأ)

وانظر: «مباحث في علوم القرآن» لمناع القطان (ص٢٠ ـ ٢١).

(٢٥) قوله: «. . والقديم لا يصح جمعه. . إلخ» خلاف المشهور عند السلف والخلف أن الصحابة في عهد أبي بكر رضي الله عنهم جمعوا كتاب الله تعالىٰ «القرآن» وهو كلامه المنزَّل علىٰ نبيه محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، وثبت عن النبي ﷺ المنع من المسافرة بها كُتب وجمع من القرآن إلىٰ أرض الأعداء فقال: «لا تُسافروا بالقرآن إلىٰ أرض العدو، مخافة أن تناله أيديهم» متفق عليه. =

• •

= وأما المداد والورق فإنهما مخلوقان، وقد ميَّز الله تعالىٰ في كتابه بين الكلام والمداد فقال تعالىٰ: ﴿قُل لو كان البَحر مِدَاداً لكلماتِ ربي لَنَفِد البحر قبل أنْ تَنْفدَ كلماتُ ربي ولو جئْنا بمثْلِه مَدَدا﴾.

فالقرآن متلوٌ بالألسن، محفوظ في الصدور، مكتوب في المصاحف، هذا قول أئمة السلف الموافق للكتاب والسنة.

أما المعتزلة فقالوا: إنَّ القرآن مخلوق من المخلوقات ونفوا عن الله تعالىٰ صفة الكلام، وجاء عبدالله بن سعيد بن كُلَّاب بقول محدث آخر فقال: إن معنىٰ القرآن كلام الله، وحروفه ليست كلام الله!! فأخذ بنصف قول المعتزلة ونصف قول أهل السنة والجماعة! وقال: القرآن حكاية عن كلام الله وليس بكلام الله!!

وجاء بعده أبو الحسن الأشعري فسلك مسلكه في إثبات أكثر الصفات وفي مسألة القرآن واستدرك عليه قوله: إن هذا حكاية، وقال: الحكاية إنما تكون مثل المحكي فهذا يناسب قول المعتزلة، وإنما يناسب قولنا أن نقول: هو عبارة عن كلام الله! لأن الكلام ليس من جنس العبارة!

وقد ظنَّ بعضهم أن قولنا: إن كلام الله في قلوب أنبيائه وعباده المؤمنين وإنهم يتلونه بألسنتهم، وإن كلامه تعالىٰ في المصحف أن ذلك يقتضي الحلول الذي هو من جنس قول النصارىٰ والحلولية من المتصوفة وغيرهم، وهو باطل!

وقد تنازع الناس في إثبات لفظ الحلول ونفيه: هل يقال إن كلام الله حال في المصحف أو حال في الصدور أم لا؟

فمنهم طائفة نفت الحلول كالمصنف (القاضي أبي يعلىٰ) وأمثاله، وقالوا: ظهر كلام الله في ذلك ولا نقول: حلَّ، لأن حلول صفة الخالق في المخلوق، أو حلول القديم في المحدث مُمتنع.

وطائفة أطلقت القول بأن كلام الله حالٌ في المصحف كأبي إسماعيل الأنصاري الهروي وغيره قالوا: ليس هذا هو الحلول المحذور الذي نفيناه، فَنُطْلق القول بأن كلامه حالٌ في المصحف دون حلول ذاته.

وطائفة ثالثة كأبي علي بن أبي موسىٰ وغيره قالوا: لا نطلق الحلول نفياً ولا إثباتاً، لأن =

....

=

إثبات ذلك يُوهم انتقال صفة الرب إلىٰ المخلوقات، ونفي ذلك يوهم نفي نزول القرآن إلىٰ الخلق، فَنُطلق ما أطلقته النصوص ونُمسك عما في إطلاقه محذور، لما في ذلك من الإجمال.

وقال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر التنازع السابق: «وأما قول القائل إن قلتم: إنَّ هذا نفس كلام الله فقد قلتم بالحلول، وإن قلتم غير ذلك قلتم بمقالتنا (أي أنه عبارة عن كلام الله) فجواب ذلك أن المقالة المنكرة هنا تتضمن ثلاثة أمور فإذا زالت لم يبق منكراً.

أحدها: من يقول إن القرآن العربي لم يتكلم الله به! وإنما أحدَثه غيرُ الله كجبريل ومحمد والله خلقه في غيره!

الثاني: قول من يقول إن كلام الله ليس إلا معنىٰ واحداً هو الأمر والنهي والخبر، وأن الكتب الإلٰهية تختلف باختلاف العبارات لا باختلاف المعاني، فيجعل معنىٰ التوراة والإنجيل والقرآن واحداً، وكذلك معنىٰ آية الدَّين وآية الكرسي، كمن يقول: إن معاني أسماء الله الحسنىٰ بمعنىٰ واحد، فمعنى العليم والقدير والرحيم والحكيم معنىٰ واحد! فهذا إلحاد في أسمائه وصفاته وآياته.

الثالث: قول من يقول: إن ما بلَّغته الرسل عن الله من المعنىٰ والألفاظ ليس هو كلام الله! وإن القرآن كلام التالين لا كلام رب العالمين!

فهذه الأقوال الثلاثة باطلةٌ بأي عبارة عُبر عنها.

وأما قول من قال: إن القرآن العربي كلام الله. بلَّغه عنه رسول الله ﷺ وأنه تارة يُسمع من الله، وتارة من رسله مُبلِّغين عنه وهو كلام الله حيث تَصَرَّف، وكلام الله تكلَّم به لم يَخلقه في غيره، ولا يكون كلام الله مخلوقاً، ولو قرأه الناس وكتبوه وسمعوه.

وقال مع ذلك: إن أفعال العباد وأصواتهم وسائر صفاتهم مخلوقة فهذا لا ينكر عليه.

وإذا نفىٰ الحلول وأراد به أن صفة الموصوف لا تُفارقه وتنتقل إلىٰ غيره فقد أصاب في هذا المعنىٰ، لكن عليه مع ذلك أن يؤمن أن القرآن العربي كلام الله تعالىٰ، وليس هو ولا شيء منه كلاماً لغيره، ولكن بلَّغته عنه رسله، وإذا كان كلام الله المخلوق يُبَلَّغ عنه، مع العلم بأنه كلامه حروفه ومعانيه، ومع العلم بأن شيئاً من صفاته لم تفارق ذاته، فالعلم =

الوجه الثاني: أنْ يكون الجَمْعُ راجعاً إلىٰ جمع فهمه وعلمه ومعرفته، وذلك لا يُفْضي إلىٰ الحدث في القرآن، لأنَّ الجمع يحصل في صفات القارىء لا في القُرآن، ولأنَّ المقرؤ عبارة عن المجموع، ثم لم يوجب ذلك منع وصفه بذلك، كذلك في القراءة.

٣٧٩ـ وقد ذكر أبو بكر بن الأنباري في كتاب «الزَّاهِر» فقال: إنَّما سُمِّي القُرآنُ قُرآناً فيه قولان:

أحدهما: قاله أبو عبيدة: لأنَّه يجمعُ السّور ويضمها.

وقال قطرب: إنَّما سُمي القُرآن قرآناً، لأنَّ القارىء يظهره(٢٦) ويلقيه من فيه، أُخِذَ من قول العربِ: ما قرأت النَّاقَةُ سَلاَ قَط، أي: ما رمت بولد(٢٧).



= بمثل هذا في كلام الخالق أولىٰ وأظهر، والله أعلم».

انظر مجموع الفتاوي (١٢/ ٢٣٥ ـ ٢٤٥، ٢٩٣ ـ ٢٩٥).

(٢٦) في الزاهر: لأن القارىء يظهره ويبينه ويلقيه من فيه.

(٢٧) «الزاهر في معاني كلمات الناس» (١/ ٧١ ـ ٧٢) باختصار، ط مؤسسة الرسالة ١٤١٢هـ.

[إثْبَاتُ صِفةُ «الحَياء» لرَبِّنا جَلَّ شأنه]

«حَدِيـــثٌ آخـــر»

٣٨٠ـ ناه أبو القاسم بإسناده عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ رَبَّكُم كَرِيمٌ يَسْتَحي مِنْ عَبْدِهِ إذا رَفَعَ إليه يَدَهُ يَدْعُوهُ أنْ يَرُدَّهُما إليه صِفْراً**» يعني ليس فيها شيء[1].

---

(١) إسناده حسن، أخرجه أبو داود (٢/ ١٤٨٨) ومن طريقه البيهقي في الأسماء (ص٩٠) والترمذي (٥/ ٣٥٥٦) وابن ماجه (٣٨٦٥) وابن حبان (٢٤٠٠) والحاكم (١/ ٤٩٧) والخطيب في تاريخه (٣/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦) من طرقٍ عن جعفر بن ميمون عن أبي عثمان النهدي عن سلمان مرفوعاً به.

قال الترمذي: حسن غريب، ورواه بعضهم ولم يرفعه.

وهو كما قال، فإن جعفر بن ميمون وهو صاحب الأنماط متكلَّم فيه، قال ابن عدي: لم أر أحاديثه منكرة وأرجو أنه لا بأس به.

وقال الحافظ في التقريب عنه: صدوق يخطىء، وحسَّن الحديث في الفتح (١١/ ١٤٣).

ولم يتفرد به فقد تابعه عليه أبو المعلىٰ كما سيأتي.

* وقد رواه يزيد بن هارون عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان موقوفاً عليه.

أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٨) والحاكم (١/ ٤٩٧) وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

* ورواه محمد بن الزبرقان ـ وهو صدوق ربما وهم ـ عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان مرفوعاً.

أخرجه ابن حبان (٢٣٩٩ ـ زوائد).

وصِفْراً: أي خالية، يقال: بيت صِفر عن المتاع، أي: خال.

وفي لفظٍ آخر: «**إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ حَيِيٌّ كَريمٌ، يَسْتَحي إذا رَفَعَ العَبْدُ يَدَيْه يَرُدهما صِفْراً حتىٰ يَضَعَ فيهِمَا خَيراً**»[2].

٣٨١- وفي حديث آخر: رواه أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله لَيَسْتَحي إذا رَفَعَ العبد إليه يَديه أنْ يَرُدَّهما صفْراً، ليس فيهما شيء**»[3].

---

(٢) صحيح، أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٨/ ٣١٧) والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ١٨٥) عن محمد بن عبدالله بن المثنىٰ الأنصاري حدثني أبو المعلىٰ نا أبو عثمان سمعت سلمان فذكره مرفوعاً.

وأبو المعلىٰ هو يحيىٰ بن ميمون، ثقة.

والحديث يشهد له ما قبله وما بعده.

(٣) حسن لغيره، أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٧ - ٤٩٨) عن بشر بن الوليد القاضي عن عامر بن يساف عن حفص بن عمر بن عبدالله بن أبي طلحة الأنصاري قال: حدثني أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله رحيمٌ حَييٌ كريمٌ، يَستحيي من عبده أن يرفعَ إليه يديه ثم لا يَضَع فيهما خيراً**».

صححه الحاكم، فتعقَّبه الذهبي بقوله: عامر ذو مناكير.

وهو عامر بن عبدالله بن يساف، قال ابن عدي: منكر الحديث عن الثقات، وقال: ومع ضعفه يكتب حديثه.

فحديثه حسن في الشواهد.

وبشر بن الوليد قال صالح جزرة: صدوق ولكنه لا يعقل كان قد خرف، وقال الآجري سألت أبا داود: أبشر بن الوليد ثقة؟ قال: لا، وقال الدارقطني: ثقة.

* وله طريق أخرىٰ:

فقد أخرجه البغوي (٥/ ١٨٦) عن عبدالرزاق عن معمر عن أبان عن أنس مرفوعاً به.

وفيه: أبان وهو ابن أبي عياش، متروك.

وممن روىٰ هذا الحديث جابر: أخرج حديثه أبو يعلىٰ (٣/ ١٨٦٧) والطبراني في الأوسط - كما في المجمع (١٠/ ١٤٩) - وفيه: يوسف بن محمد بن المنكدر وقد وثق علىٰ ضعفه، وبقية رجالها رجال الصحيح، قاله الهيثمي.

٣٨٢ـ وفي حديث آخر: رواه علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ ربَّكم عَزَّ وجلَّ كَريمٌ يَستحي إذا رَفَعَ العَبْدُ يَدَيْه أنْ يَرُدَّهُما صفراً لا خَيرَ فيهما، فَلْيُعْطِ اللّهَ العَبدُ منْ نَفْسِهِ الجَهدَ، وإذا حَزَبه أمْرٌ فليقل: حَسْبي الله وَنِعْمَ الوكيل**»(٤).

وفي حديث آخر: رواه أنس عن النبي ﷺ يأثره عن ربه عزَّ وجلَّ: «**إنِّي لأستحي من عبدي أنْ يشيبَ في الإسلام أنْ أُعَذِّبَه**»(٥).

---

(٤) عزاه الهندي في كنز العمال (٢/ ٨٧) إلىٰ الدارقطني في الأفراد.

(٥) ضعيف جداً، أخرجه أبو حاتم ابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٦٨) ومن طريقة ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٧) عن سويد بن عبدالعزيز عن نوح بن ذكوان عن أخيه أيوب بن ذكوان عن الحسن عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ يعني عن الله عز وجل: «**إني لأستحي من عَبدي وأمتي يَشيب رأس أَمَتي وعبدي في الإسلام ثم أُعَذِّبها في النار بعد ذلك، ولأَنَا أعظمُ عفواً من أن أَسْتُر علىٰ عبدي ثم أفضحه، ولا أزال أغفر لعبدي ما استغفرني**».

وقد أورده ابن حبان في ترجمة أيوب بن ذكوان وقال عنه: منكر الحديث، يروي عن الحسن وغيره المناكير، ولا أعلم له راوياً غير أخيه، فلا أدري التخليط في حديثه منه أو من أخيه؟

ثم ساق له الحديث السابق وآخر وقال: وهذان منكران باطلان لا أصل لهما.

قلت: وفيه أيضاً سويد بن عبدالعزيز، ضعفه ابن معين وأحمد والنسائي وغيرهم.

ورواه ابن السقطي في معجمه وابن النجار في تاريخه ـ كما في اللآلىء المصنوعة (١/ ١٣٣) ـ من طريق أخرىٰ عن أيوب بن ذكوان.

* وأخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٦٧) عن محمد بن عبدالله بن زياد الأنصاري حدثنا مالك بن دينار عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**جاءني جبريل من الله تبارك وتعالىٰ أنه قال جلّ وعلا: وعزَّتي وجلالي ووحدانيتي وارتفاع مكاني وفاقةَ خلقي إلي واستوائي علىٰ عرشي، إني لأستحي من عبدي وأَمَتي يَشيبان في الإسلام ثم أعذبهما. . .**» الحديث. =

٣٨٤ـ وفي حديث آخر: رواه عَطَاء عن يعلىٰ أنَّ النبي ﷺ رأىٰ رَجلاً يَغْتَسلُ بالبَراز فَصَعِدَ المنبر فحمدَ الله وأثنىٰ عليه فقال: «**إنَّ الله حَيي حَليمٌ سِتِّيرٌ يُحبُّ الحَيَاء والسِّتْر، فإذا اغْتَسَلَ أَحَدُكُم فَلْيَسْتَتِرْ**»(٦).

٣٨٥ـ وروىٰ أبو بكر أحمد بن إسحق الصبغي عن أبي واقد الليثي أنَّ رسول الله ﷺ بينما هو جَالسٌ في المسْجِدِ والنَّاسُ مَعَه أَقْبلَ ثلاثةُ نَفر فَأَقْبَلَ اثنان إلىٰ رسول الله ﷺ وذَهَبَ وَاحِد، قال: فَوَقَفَا علىٰ رسول الله ﷺ، فأمَّا أَحدُهما فرأىٰ فُرجَةً في الحلقة فَجلسَ فيها، وأمَّا الآخر فجلسَ خَلْفَهم، وأمَّا الثالث فأدْبَر ذَاهباً، فلما فَرغَ

= وقد أورده ابن حبان في ترجمة محمد بن عبدالله وقال عنه: منكر الحديث جداً. يروي عن الثقات ما ليس من حديثهم، لا يجوز الاحتجاج به بحال.

وللحديث طرق أخرىٰ أكثرها واهي، انظر اللآلىء المصنوعة (١/ ١٣٤ ـ ١٣٧).

(٦) صحيح، أخرجه أبو داود (٤/ ٤٠١٢) والنسائي (١/ ٢٠٠) والبيهقي من طريق أبي داود (١/ ١٩٨) عن النُفيلي حدثنا زهير عن عبدالملك بن أبي سليمان العَرْزمي عن عطاء عن يعلىٰ به.

ورجاله ثقات، عطاء هو ابن أبي رباح وزهير هو ابن معاوية.

وأخرجه أحمد (٤/ ٢٢٤) وأبو داود (٤/ ٤٠١٣) والنسائي (١/ ٢٠٠) والبيهقي (١/ ١٩٨) وفي «الأسماء» (ص٩١) عن أسود بن عامر حدثنا أبو بكر بن عياش عن عبدالملك ابن أبي سليمان عن عطاء عن صفوان بن يعلىٰ عن أبيه.

قال أبو داود: الأول أتم.

وقال أبو حاتم عن هذا الطريق: ليس بذاك (العلل ١/ ١٩).

وجعله أبو زرعة من أوهام ابن عياش فقال: لم يصنع أبو بكر بن عياش شيئاً، وكان أبو بكر في حفظه شيء، والحديث حديث الذي رواه زهير وأسباط بن محمد عن عبدالملك عن عطاء عن يعلىٰ بن أمية عن النبي ﷺ (العلل ٢/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠).

ورواه عبدالرزاق (١/ ٢٨٨) عن ابن جريج عن عطاء مرسلاً.

والبزار هو: الفضاء الواسع.

رسول الله ﷺ قال: «**ألا أُخْبرك عن ثلاثة نفر**(١)**، أمَّا أحدهم فَأَوَىٰ إلىٰ رسول الله فآواهُ الله، وأمَّا الآخرَ فاسْتَحيا الله فاستحيا الله منه، وأمَّا الآخر فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ الله عنه**»(٧).

اعلم: أنَّه غيرُ مُمْتنع وصف الله تعالىٰ بالحياء، لا علىٰ معنىٰ ما يُوصف به المخلوقين من الحياء الذي هو انقباضٌ وتَغَيُّرٌ وتجمع وخَجَلٌ، لاستحالة كونه جسماً مُتَغيراً تحلُّه الحوادث(٨) لكن نُطلق هذهِ الصفة كما أطلقنا وصفه سبحانه بالإرادَة وإنْ خالفت إرادة المخلوقين لأنَّ إرادته تقتضي وجوب المراد، وإرادتنا لا تقتضي وجوبه، وكذلك علمه يقتضي العلم بالمعدوم والموجود خلاف عملنا، وكذلك رؤيته لا تقتضي وجوده في جهة، خلاف رؤية بعضنا، ولأنَّه لو لم يوصف بالحياء جاز أنْ يُوصف بضده وهو «القُحَّة»(٩) ولما لم يُوصف بضده جاز أنْ يُوصف به، ألا ترىٰ أنَّا وَصَفْنَاه بالعلم والقُدرة والكلام، لأنَّ في نفيها إثبات أضدادها، وذلك مستحيل عليه.

---

(١) كذا في الأصل، وفي مصادر الحديث: «**أخبركم عن النفر الثلاثة**».

---

(٧) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٦٠ ـ ٩٦١) ومن طريقة البخاري (١/ ١٥٦، ٥٦٢) ومسلم (٤/ ١٧١٣) في كتاب السلام عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة أن أبا مُرَّة مولىٰ عقيل بن أبي طالب أخبره عن أبي واقد الليثي به.

(٨) قد سبق بيان أن هذا النفي ليس وارداً في الكتاب والسنة ولا في كلام السلف، فالصواب الإعراض عنه، خصوصاً إذا تضمَّن نفي صفةٍ ثابتة.

وقول المصنف قبل ذلك عن الحياء عند المخلوقين إنه انقباض وتغير. . . إلخ لا يمنع من إطلاق صفة «الحياء» في حقه سبحانه، إذْ من المعلوم أنه ليس كل ما لزم ذوات المخلوقين وصفاتهم من حاجة ونقص ونحوه، فهو لازم لصفات الله تعالىٰ! فإن الله تعالىٰ قال عن نفسه: ﴿**ليس كَمثْله شيءٌ وهو السَّميع البصير**﴾ فالقول فيها كالقول في باقي الصفات.

(٩) القُحُّ: الخالص من اللؤم والكرم ومن كل شيء، يقال: لئيم قُحٌّ إذا كان مُعْرِقاً في اللؤم، وأعرابي قُح وقُحاح أي: محض خالص.

والقُحُّ: الجافي من الناس كأنه خالص فيه (اللسان ـ قحح).

فإن قيل: يُحمل قوله: «**يستحي**» علىٰ التَّرك فيكون قوله: «**يستحي**» بمعنىٰ لا يترك يدي العبد خالية من خير إذا رَفعها إليه في الدعاء، قالوا: وعلىٰ هذا يُتأوَّل قوله تعالىٰ: ﴿**إنَّ الله لا يَسْتَحي أنْ يَضْرِبَ مَثلاً**﴾ [البقرة: ٢٦]. أي لا يترك، لأنَّ المستحي يترك للحياء أشياء، كما يترك للإيمان وينقطع بالحياء عن المعاصي، كما ينقطع بالإيمان عنها، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**الحياء شُعْبَةٌ من الإيمانِ**»[10]. وكذلك قوله: «**وأمَّا الآخر فَاسْتَحيا فاسْتَحيا الله منه**» فيحتمل أنْ يكونَ معناه: أنه يترك أذىٰ القوم بمزاحمتهم في مجلسه، فترك الله عقوبته وعَفَا عنه، وكذلك قوله: «**إنَّ رَبَّكم حَيي كَريمٌ**» أنَّه يترك عقوبة العَبد علىٰ خطيئته[11].

قيل: هذا غَلَطٌ لأنَّه يُسقط فائدة التخصيص بهذه الصفة، لأنَّه قد يُعطىٰ مع وجود هذه الصِّفة التي هي رفعُ اليدين ومع عدمهما، فوجب حمله علىٰ فائدة، ولا فائدة إلا إثباتُ هذه الصفة.

وجَوابٌ آخر: وهو أنَّه لو كان الحياء عبارة عن الترك؛ لحصل تقدير الخبر: إنَّ الله يترك يده صِفْراً، وقد قالوا إنَّ معناه أنه لا يترك يده صِفْراً من العطاء، فعلىٰ هذا تحصيل عبارة عن ضِدِّ الترك، فلا تستقيم العبارة والتأويل.

---

(١٠) أخرجه البخاري (١/ ٥١) ومسلم (١/ ٦٣) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**الإيمانُ بِضْعٌ وسُتون شُعبةً، والحياءُ شُعبة من الإيمان**» لفظ البخاري، أما لفظ مسلم: «**بضع وسبعون شعبة**».

ورواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضعٌ وستون شعبة فأفضهُا قول: لا إله إلا الله، وأَدْنَاها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياءُ شُعبةٌ من الإيمان**».

ورواية «**بضع وستون**» هي الأرجح، انظر الفتح (١/ ٥١ ـ ٥٢).

(١١) تأويل الحياء بالترك تأويل باطل! لا دليل عليه! وهو تفسير للصفة بلازمها، فإن الترك من لوازم الحياء، وليس هو الحياء نفسه!

فأمَّا قوله: «سِتِّير» أي ساتر يستر علىٰ عباده كثيراً من عيوبهم، ولا يُظهرها عليهم، وسَتير بمعنىٰ سَاتِر كما جاء قدير بمعنىٰ قادر، وعليم بمعنىٰ عالم.

* * *

«حَديــثٌ آخــر»

٣٨٦ـ ناه أبو القسم بإسناده عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: حَدثنا نبي الله ﷺ: **أنَّ رَجُلًا آتاه الله مَالًا وَوَلداً، وكان لا يدين ديناً فمكث حتىٰ إذا ذهب عمر وبقي عمر تفكر فعلم أنَّه لم يبتئر عند الله خيراً دعا بنيه فقال: أيُّ أبٍ كنتُ لكم؟ قالوا: خَيرُ أبٍ يا أبانا، قال: فَوَ الله لا يَبْقَىٰ عند رجلٍ منكم مال هُوَ مني إلا وأنا آخذُه، أَوْ تَفْعلُوا ما آمرُكم به؟ قَال: فأخذ منهم ميثاقاً، قال: فإذا أنا مِتُّ فاحْرِقوني، ثم دُقُّوني ثم ذَروني في يَوم ريحٍ عَاصفٍ لعلِّي أضل الله، قال: فَفَعَلُوا ذلك وربِّ مُحمدٍ حين مات، فجيء به أَحْسَنَ ما كان فعرض [علىٰ][1] الله تعالىٰ، قال: ما حَملَكَ علىٰ النَّار؟ قال: خَشْيَتُك يا رَبَّاه، قال الله: أَجِدُك رَاهباً، فتابَ الله عليه، أو قال غفر له»**[1].

(١) سقطت من الأصل، وهي عند الدارمي.

---

(١) صحيح، أخرجه الدارمي في «السنن» (٢/ ٣٣٠) قال أخبرنا النَّضَر بن شميل أخبرنا بَهْز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعاً بنحوه.

ورواه البيهقي في «الأسماء» (ص٥١١ ـ ٥١٢) عن يزيد بن هارون عن بهز به.

ولم يتفرد به بهز (وهو صدوق) بل تابعه عليه أبو قزعة الباهلي.

أخرجه أحمد (٤/ ٤٤٧) (٥/ ٣) من طريقين عن حماد بن سلمة أنا أبو قزعة الباهلي عن حكيم بن معاوية عن أبيه مرفوعاً به.

وأبو قزعة هو سويد بن حجير البصري، ثقة من رجال مسلم.

وحكيم بن معاوية وثقة العجلي وقال النسائي ليس به بأس.

ومعنىٰ يبتئر: أي يدَّخر، كذا فسَّرها قتادة عند البخاري (١١/ ٣١٢) في حديث أبي سعيد الخدري ومسلم (٤/ ٢١١٢).

٣٨٧ـ وفي حديث آخر: رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: **«أسْرَفَ رَجُلٌ علىٰ نَفْسِهِ حتىٰ إذا حَضرَتْه الوَفاة قال لأهله: إذا أنَا مِتُّ فاحْرقُوني، ثم اسحقوني، ثم ذَرُوني في الرياح، فَو الله لئن قَدِرَ الله عليَّ لَيُعَذِّبَني عَذَاباً لا يُعذبه أَحَداً، قال: فَفُعِلَ ذلك به، فقال الله جلَّ اسمه لكلِّ شيء أخذ منه شيئاً: رُدَّ ما أَخَذْتَ منه، فإذا هُو قائمٌ بين يدي الله تعالىٰ، فقال له: مَا حَمَلَك علىٰ ما صَنَعْتَ؟ قال: خشيتك، فغفر الله له»**[2].

وفي لفظٍ آخر: **«أنَّ رجُلاً ممن كانَ قبلكم لم يعمل خَيراً قط إلا التَّوحيد»** وذكر الخبر[3].

---

(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق (٦/ ٥١٤ ـ ٥١٥) ومسلم في التوبة (٤/ ٢١١٠) عن معمر قال: قال لي الأزهري: ألا أُحدثك بحديثين عجيبين؟ قال الزهري: أخبرني حميد بن عبدالرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكره.

ولفظ المصنف مقارب للفظ مسلم.

وأخرجه مسلم عن الزبيدي عن الزهري بنحو حديث معمر.

وأخرجه البخاري (١٣/ ٤٦٦) ومسلم (٤/ ٢١٠٩ ـ ٢١١٠) عن مالك عن أبي الزناد عن أبي هريرة مرفوعاً به.

(٣) إسناده حسن، أخرجه أحمد (١/ ٣٩٨) عن يحيىٰ بن إسحاق عن حماد بن سلمة عن عاصم ابن بهدلة عن أبي وائل عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: إنَّ رجلاً لم يعمل من الخير شيئاً قط إلا التوحيد، فلما حضرته الوفاة. .

ذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٩٠) وحَسَّن إسناده.

وقد وقع في المطبوعة من المسند: عن أبي وائل عن عبدالله بن وائل! عن عبدالله بن مسعود، وزيادة: عبدالله بن وائل خطأ، إذ ليس في الرواة من يسمىٰ بهذا الاسم، وقد نبه علىٰ هذا الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه علىٰ المسند (٥/ ٣٧٨٥) وأنه لا يوجد هذا الاسم في النسخة الخطية الأخرىٰ.

وزيادة هذه اللفظة «إلا التوحيد» مهمة، في بيان أن الرجل كان مؤمناً موحداً.

وفي لفظ آخر: قال: «إذا أنَا مِتُّ فحرِّقوني، ثم اطْحَنُوني، ثم ذَرُوني في البحر» وذكر الخبر[٤].

اعلم أنَّ هذا الخبر وإنْ لم يرجع شيءٌ من لفظه إلىٰ ما هو صِفَةٌ من صفات الله؛ فإنَّ لفظه مُشْكِلٌ، وكان القائل له رجلًا موحداً مَغفوراً له، فوجب أنْ يوقف علىٰ معناه ليزول الإشكال.

أمَّا قوله: «أضل الله» أي أنساه، كما قال تعالىٰ: ﴿لا يَضِلُّ رَبِّي ولا يَنْسىٰ﴾ [طه: ٥٢]. وقول: ﴿أنْ تَضِلَّ إحْدَاهُما﴾ [البقرة: ٢٨٢]. أي: تنساه، وقيل في بعض الوجوه في تأويل قوله سبحانه: ﴿ووَجدك ضَالاً فهدىٰ﴾ [الضحىٰ: ٧]. أي ناسياً فذكَّرك، والعرب تقول: ضَلَلْتُ كذا وأضْلَلْته، أي نسيته[٥].

وإذا كان ذلك معنىٰ الضَّلال ها هنا؛ فمراده أنَّ الله سبحانه يُميتُني ولا يبعثني فاستريح مِنْ عذابه، والعرب تقول: ضَلَّ الماء في البئر، إذا غَابَ فيه ولم يَبِنْ، ويكون تحقيق معنىٰ قوله: «أضل الله» أي: لعلَّ الله لا ينشرني ولا يَبعثني فاستريح من عذابه، وهذا إظْهارُ الجَزَعِ والخوف والخشية بأبلغ ما يكون في بابه، لا أنَّه كان يعتقد قائله أنَّه يجوز أنْ ينسىٰ الله أحداً، أو يُمكن أنْ يفوته شيء.

٣٨٨ـ ومثل ذلك ما روي عن عمر رضي الله عنه أنَّه كان يقول في دعائه: اللهم

---

(٤) قوله «.. فذروني في البحر».

جاءت في حديث حذيفة رضي الله عنه:

أخرجه البخاري (٦/ ٤٩٤، ٥١٤) (١١/ ٣١٢).

(٥) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير في علم التفسير» (٩/ ١٥٩) فقال: «الخامس: وجدك نَسِيًّا فهداك إلىٰ الذِّكر، ومثله: ﴿أن تَضلَّ إحداهما فتذكِّر إحداهما الأُخرىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢] قاله ثعلب».

والذي قاله جمهور المفسرين فيها: أنه وجده ضالاً عن معالم النبوة وأحكام الشريعة فهداه إليها.

وإنْ كنتَ كتَبْتَني شَقِياً فامحني واكتبني سعيداً[6].

فذكر أهل العلم أنَّ ذلك إظهارُ غاية الخوف والخشية حتىٰ يسأل ما لا يكون، أنْ لو كان مما يكون، حتىٰ لا يفوته التَّضرع بكلٍّ وجه في طلب ما يكون.

وأمَّا قوله: «لئن قَدِرَ علي ربي ليعذبني» فلا يمكن حمله علىٰ معنىٰ القدرة، لأنَّ من توهم ذلك لم يكن مُؤمناً بالله عزَّ وجلَّ ولا عارفاً به، وإنَّما ذلك علىٰ معنىٰ قوله تعالىٰ في قصة يونس: ﴿فظنَّ أنْ لنْ نَقْدِرَ عليه﴾ [الأنبياء: ٨٧]. وذلك يرجع إلىٰ معنىٰ «التَّقدير» لا إلىٰ معنىٰ «القُدرة» لأنَّه لا يصح أن يخفىٰ علىٰ نبي معصوم ذلك.

٣٨٩ـ وقال الفَرَّاء في تأويل قوله: ﴿أنْ لن نَقْدِر عليه﴾[الأنبياء: ٨٧]. أي أنْ لن يقدر عليه ما قَدَرنا[7].

فعلىٰ هذا يحمل قوله: «لئن قَدِرَ علي ربي ليعذبني» أي إنْ كان قدر: أي حكم علي بالعقوبة فإنَّه يعاقبني دائماً، وهذا كلام خائفٍ جَزِعٍ، فوجب حمل كلامه علىٰ وجه صحيح لا ينافي المغفرة ولا يؤدي إلىٰ الكفر[8].

---

(٦) إسناده صحيح، أخرجه ابن جرير (١٣/ ١١٢ ـ ١١٣) من طرق عن أبي حكيمة عن أبي عثمان النهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول وهو يَطوف بالكعبة: «**اللهم إنْ كنتَ كتبتني في أهل السَّعادة فأثْبتني فيها، وإن كنت كتبتَ عليَّ الذَّنبَ والشِّقْوَة فامْحُني وأَثْبتني في أهل السعادة، فإنك تَمحو ما تَشاء وتُثْبتْ وعندك أُم الكتاب**».

وهذا سند صحيح، أبو حكيمة وهو الجمال، ترجم له ابن أبي حاتم (٩/ ٣٦٣) ونقل عن ابن معين أنه قال: أبو حكيمة ثقة.

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٦٦١) إلىٰ عبد بن حميد وابن المنذر.

وورد نحوه عن ابن مسعود وشقيق بن سلمة أبي وائل بأسانيد صحيحة، انظر المصدر السابق.

(٧) في معاني القرآن المطبوع (٢/ ٢٠٩): أن لن نقدر عليه من العقوبة ما قَدَرنا.

(٨) وبنحوه قال الحافظ في الفتح (٦/ ٥٢٣) فقد قال: وأظهر الأقوال أنه قال ذلك في حال =

«حَدِيـــثٌ آخـــر»

٣٩٠ـ ناه أبو القسم قال: أنا أبو بكر عبدالعزيز إجازةً قال نا أحمد بن محمد الخلال نا يعقوب بن سفيان وإبراهيم بن الهيثم قالا نا آدم نا أبو جعفر الرازي عن عبدالله بن دينار عن بشير عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«الرُّحم شُجْنَةٌ من الرحْمَن تعلق بَحْقوي الرَّحْمن جَلَّ اسمه تقول اللهم: صِلْ من وَصَلني واقْطَعْ مَنْ قَطَعَني»**(١).

٣٩١ـ وناه أبو القسم قال: أنا أبو بكر بن مالك إجازة قال نا عبدالله بن أحمد قال: حدثني أبي قال نا أبو بكر الحنفي نا معوية بن أبي مُزَرِّد(١) قال: حدثني عمي سعيد أبو الحباب قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله لَمَّا خَلَقَ الخَلْقَ قامَتِ الرَّحِمُ فأَخَذَت بِحَقْو الرَّحمن، قالت: هذا مقام العَائذِ من القطيعين، قال: أَمَا تَرضَينَ أنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، اقرؤا إنْ شِئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُم إنْ توليَّتُم أنْ تُفْسِدُوا في الأرْضِ وتُقَطِّعُوا أرْحَامَكُم أولئكَ الذينَ لَعَنَهُمُ الله فأَصَمَّهُم واعْمىٰ أَبْصَارَهُم أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن أمْ علىٰ قُلُوبٍ**

(١) في الأصل: مرزد، وهو خطأ.

= دَهْشته وغلبة الخوف عليه حتىٰ ذهب بعقله لما يقول، ولم يقله قاصداً لحقيقةِ معناه، بل في حالةٍ كان فيها كالغافل والذَّاهل والناسي الذي لا يُؤاخذ بما يصدر منه، وأبعد الأقوال قول من قال إنه كان شرعهم جواز المغفرة للكافر.

(١) إسناده فيه ضعف، أبو جعفر الرازي قال أبو زرعة فيه: شيخ يهم كثيراً وقال النسائي: ليس بالقوي وقال ابن معين: يكتب حديثه ولكنه يخطىء، ووثَّقه ابن المديني وأبو حاتم وغيرهما.

والحديث ثابت من غير هذه الطريق، كما في الحديث الآتي.

أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٢-٢٤](٢).

٣٩٢- وناه أبو القسم قال: نا القاضي عمر بن سنبك قال: أبو بكر بن أبي داود نا زيد بن أخزم نا أبوعاصم عن ابن جريج قال: أخبرني زياد عن صالح مولىٰ التَّوأَمَة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**الرَّحم شُجْنَةٌ آخذةٌ بِحُجْزَةِ الرَّحْمن**»(٣).

اعلم أنَّه غير ممتنعٍ حمل هذا الخبر علىٰ ظاهره، وأنَّ «الحَقْو» و«الحُجْزة»(٤) صفة ذاتٍ لا علىٰ وجه الجارحة والبعض، وأنَّ الرحم آخذةٌ بها لا علىٰ وجه الاتصال

---

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٠).
وأخرجه البخاري (٨/ ٥٧٩ - ٥٨٠) (١٠/ ٤١٧) (١٣/ ٤٦٥ - ٤٦٦) ومسلم (٤/ ١٩٨٠ - ١٩٨١) من طرق أخرىٰ عن معاوية بن أبي مزرد به، وزادا بعد قوله: «**وأَقْطع مَنْ قطعك**» قالت: بلىٰ، قال: «**فذاك لك**».

(٣) إسناده حسن، أخرجه ابن أبي عاصم (٥٣٨) والبزار (٢/ ١٨٨٣) زوائد والطبراني في الكبير (١٠/ ٣٢٧/ ١٠٨٠٧) عن أبي عاصم عن ابن جريج به.
ولفظ الطبراني: «إن للرحم حَجنةً آخذةً بِحُجْزَةِ الرحمن...».
وأخرجه أحمد (١/ ٣٢١) وابن عدي (٤/ ١٣٧٥) عن روح بن عبادة عن ابن جريج به.
ذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ١٥٠) وقال: فيه صالح مولىٰ التوأمة وقد اختلط وبقية رجاله رجال الصحيح.
قلت: وهو صالح ابن نبهان مولىٰ التوأمة، قال أحمد: كان مالك أدركه وقد اختلط فمن سمع منه قديماً فذاك، وقد روىٰ عنه أكابر أهل المدينة وهو صالح الحديث ما أعلم به بأساً، وضعفه أبو زرعة والنسائي، وقال ابن عدي: لا بأس به إذا روىٰ عنه القدماء مثل: ابن أبي ذئب وابن جريج وزياد بن سعد، ومن سمع منه بآخره وهو مختلط يعني فهو ضعيف.
قلت: والراوي عنه هنا زياد بن سعد، فالإسناد حسن.
وله شاهد من حديث ابن عمرو سيأتي تخريجه.

(٤) الحَقو والحُجزة هما موضع شَدِّ الإزار، ثم سُمِي الإزار حَقواً وحُجزة للمجاورة.
انظر النهاية (١/ ٣٤٤، ٤١٧).

والمماسة بل نُطلق ذلك تسمية كما أطلقها الشرع.

ونظير هذا ما حملناه على ظاهره في وضع القَدَمِ في النَّار، وفي أخذ «داود» بقدمه لا على وجه الجارحة ولا على وجه المماسة، كما أُثبتنا خلق آدم بيديه، فاليدان صِفَةُ ذاتٍ، والخلق بها لا على وجه المماسة والملاقاة، كذلك ها هنا[٥]، وكما أثبتنا الاستواء لا على وجه الجهة والمماسة.

٣٩٣ـ وذكر شيخنا أبو عبدالله رحمه الله في كتابه هذا الحديث وأَخَذ بظاهره. وهو ظاهر كلامِ أحمد.

٣٩٤ـ قال المروذي: جاءني كتاب من دمشق فعرضته[١] على أبي عبدالله فنظر فيه، وكان فيه: أنَّ رجلًا ذكر حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: **«إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقَ الخلقَ حتىٰ إذا فَرَغ منها قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن»** وكان الرجل تلقيه[٢] يعني حديث أبي هريرة فرفع المحدث رأسه وقال: أخاف أن تكون كفرت، فقال أبو عبدالله: هَذا جَهمي.

٣٩٥ـ وقال أبو طالب سمعت أبا عبدالله سُئل عن حديث هشام بن عمار أنه قُرِئ عليه حديث: **«تجيء الرحم يومَ القيامة، فتتعلق بالرحمن»** فقال: أخاف أنْ تكون قد كفرت، قال: هذا شامي ماله[٣] ولهذا قلت ما تقول؟ قال: يمضا الحديث على ما جاء.

---

(١) في الأصل: فاعرضته!

(٢) كذا في الأصل.

(٣) لعله: قال ولهذا قلتُ ما تقول...

---

(٥) قوله: «.. لا على وجه المماسة والملاقاة..» قد سبق بيان الصواب فيه، انظر (الجزء الأول/ ٢٠٦ ـ ٢٠٨).

فإنْ قيل: الرَّحم لا يصح عليها التعلق لأنَّ ذلك حق القرابة من طريق النسب، فَعُلِم أنَّ ذلك مَثَلٌ والمراد به تأكيد أمر الرحم، والحثُّ علىٰ وَصْلِه، والزَّجْر عن قطعه، فأَخْبَر عن ذلك بأبلغ ما يكون من التأكيد، ويكون معناه: أنَّها مُسْتَجيرةٌ معتصمةٌ بالله[٦].

قالوا: ويُبين هذا أنَّه قد روي في حديث أبي هريرة «**الرحم مُعَلَّقةٌ بالعَرش لها لِسَانٌ طَلقٌ ذَلِقٌ تقول: مَنْ وَصَلَني وَصَلَهُ الله، ومَنْ قَطَعَني قَطَعُه الله**»[٧].

---

(٦) انظر «مشكل» ابن فورك (ص١٣٠).

وكذا «الأسماء والصفات» للبيهقي (ص٣٦٩) ونقله الحافظ في الفتح (٨/ ٥٨٠) عن القاضي عياض والطِّيبي.

(٧) لم أجده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بهذا اللفظ!

لكن من حديث ابن عمرو وابن عباس وعائشة:

* أما حديث ابن عمرو:

فقد أخرجه وكيع في «الزهد» (٤٠٢) وعنه ابن أبي شيبة (٨/ ٥٣٧) وهنَّاد في «الزهد» (١٠٠٠) عن أبي عاصم الثقفي عن محمد بن عبدالله بن قارب قال: سمعت عبدالله يقول بلسانٍ له ذلق: «**إن الرحم معلقة بالعرش تنادي بلسان لها ذَلْق: اللهم صِلْ مَنْ وَصَلني، واقْطَعْ مَنْ قَطَعني**».

وأخرجه أبو داود الطيالسي (٢٢٥٠) والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤) وفي «التاريخ الكبير» (١/ ١٤٧) عن عثمان بن المغيرة عن أبي العنبس سمع عبدالله بن عمرو بالطائف قال لنا النبي ﷺ فذكره.

وأبو العنبس هو محمد بن عبدالله بن قارب ويقال: محمد بن عبدالرحمن، ذكره البخاري وابن أبي حاتم ولم يحكيا فيه شيئاً، وأبو عاصم الثقفي هو محمد بن أبي أيوب ثقة وكذا عثمان ابن المغيرة.

وأبو العنبس تابعه أبو ثمامة:

رواه ابن أبي شيبة (٨/ ٥٣٨) وأحمد (٢/ ١٨٩، ٢٠٩) والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ١٤٧) والدولابي في «الكنىٰ» (١٣٤) والحاكم (٤/ ١٦٢): =

....

= عن حماد بن سلمة أنا قتادة عن أبي ثمامة الثقفي عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ: **«تُوضع الرَّحم يوم القيامة لها حُجنة كحجنة المِغْزل تتكلَّم بلسانٍ طلق ذَلْق، فَتَصلُ مَن وَصَلها وتقطع مَن قَطَعها»**.

ذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ١٥٠) وقال: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد الصحيح غير أبي ثمامة الثقفي وثقه ابن حبان.

وأبو ثمامة ذكره ابن حجر في «التعجيل» (ص٤٧٠) ولم يَحك فيه شيئاً، وقال: هو غير أبو ثمامة الحنّاط الذي وثقه ابن حبان.

وعزاه في كنز العمال (٣/ ٣٦٢) إلىٰ الحاكم في الكنىٰ.

* وله طريق أخرىٰ، رواها البغوي في «شرح السنة» (١٣/ ٢٣ ـ ٢٤) عن عبدالله بن يوسف عن ابن لهيعة نا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً: **«الرحم شجنة كما ينبت العودُ في العود، فمن وَصَلها وصَلَه الله ومَن قَطَعها قطعه الله، وتُبعث يوم القيامة بلسان فصيح ذَلْق: اللهم فلانٌ وصلني فأدخله الجنة، وتقول: إن فلاناً قطعني فأدخله النار»**.

وفيه ابن لهيعة وقد ساء حفظه.

* وطريق ثالثة: فقد أخرجه الحميدي (٢/ ٢٦٩) وابن أبي شيبة (٨/ ٥٢٦) وأحمد (٢/ ١٦٠) وأبو داود (٥/ ٤٩٤١) والترمذي (٤/ ١٩٢٤) والحاكم (٤/ ١٥٩) والبيهقي في «الأسماء» (ص٤٢٣) والخطيب في «تاريخه» (٣/ ٢٦٠) كلهم عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس عن ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: **«الرَّاحمونَ يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم مَن في السماء، الرَّحِمُ شُجنةٌ من الرحمن فمن وصَلَها وصله الله، ومَن قَطَعها قطعه الله»**.

قال الترمذي: حسن صحيح.

وفيه أبو قابوس قال الذهبي في المغني: أبو قابوس عن عبدالله بن عمرو حديث «الراحمون» لا يعرف.

وقال الحافظ: مقبول.

فالحديث بمجموع هذه الطرق صحيح.

* أما حديث عائشة رضي الله عنها: فقد أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨١) عن عروة عنها ولفظه: =

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّ قوله: «إنَّ الرحم حق القَرَابة» ولا يصح التعلق عليه فليس كذلك، لأنَّ معناه: ذي الرحم يأخذ بحقو الرحمن، فحذف المضاف وأَقَام المُضَاف إليه مَقَامَه كما قال تعالىٰ: ﴿ذلك عيسىٰ بنُ مَرْيَم قَولَ الحَقِّ﴾ [مريم: ٣٤]. ومعناه: صاحب قول الحق، وإذا ثَبَتَ أنَّ المراد بها ذي الرحم فذلك مما يصح عليه التعلق، والذي يدل علىٰ أنَّ المراد به ذي الرحم أنَّ الوَصْلَ والقَطْعَ نَفْعٌ وضرٌ، وذلك إنما يختصُّ بذي الرحم، فأما نفس الرحم فلا يتوجه إليه.

٣٩٦ـ ويبين ذلك قول النبي ﷺ: «شركٌ بالله تَبَرىءٌ من نسب»[٨].

ومعناه: تبرىء من ذي النسب.

= «الرَّحِمُ مُعَلَّقةٌ بالعرش تقول: من وَصَلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله».

* وأما حديث ابن عباس رضي الله عنه:

فقد أخرجه الحاكم (٢/ ٣٠١ ـ ٣٠٢) عن عبدالرزاق عن معمر عن عبدالله بن طاووس عن أبيه عن ابن عباس: ﴿اتقوا الله الذي تَساءَلُون به والأرْحَام﴾ قال: «إنَّ الرَّحم لتقطع وإن النعمة لتكفر، وإنَّ الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء أبداً، ثم قرأ: ﴿لو أنْفَقْتَ ما في الأرض جميعاً ما أَلَّفْتَ بين قلوبهم﴾ قال: وقال رسول الله ﷺ: «الرَّحم شُجنةٌ من الرحمن، وإنها تجيءُ يومَ القيامة تتكلَّم بلسان طلق ذلق فمن أشارت إليه بوصل وصله الله ومن أشارتِ إليه بقطع قطعه الله».

قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي.

لكن أخرجه مرسلاً معمر في «الجامع» (١١/ ١٧٣) برواية عبدالرزاق عن ابن طاووس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرحم. . » فذكره.

وذلق طلق: علىٰ وزن فُعل بوزن صُرَد ويقال: طَلِقٌ ذَلِقٌ، وطُلُقٌ ذُلُقٌ، وطليق ذليق، ويراد بالجميع المَضَاء والنَّفاذ، وذَلْق كل شيء حَدُّه (النهاية).

(٨) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٢١٥) ثنا علي بن عاصم عن المثنىٰ بن الصَّبَّاح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «كفرٌ تَبَرؤٌ من نسبٍ وإنْ دقَّ، أو ادِّعاء إلىٰ نسبٍ لا يعرف». =

٣٩٧ـ وقوله ﷺ: «بُلُّوا أَرْحَامَكُم وَلو بالسَّلامَ»[٩] ومعناه: بُلُّوا ذي الأَرْحَامِ بالسلام.

=

وفيه المثنىٰ بن الصباح، ضعيف، لكنه قد تُوبع.

فقد أخرجه الطبراني في «الصغير» (٢/ ١٠٨) حدثنا محمود بن علي البزار أبو حامد الأصبهاني حدثنا هارون بن موسىٰ الفروي حدثنا أنس بن عياض عن يحيىٰ بن سعيد الأنصاري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً بلفظ: «كفر بامرىءٍ ادعاءُ إلىٰ نسبٍ لا يُعرف وجَحَده، وإنْ دقَّ».

وقد أخرجه عنه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٣١٦).

وإسناده حسن، أنس بنُ عياض ثقة، وهارون الفروي لا بأس به، وشيخ الطبراني قال عنه أبو نعيم: شيخ ثقة صدوق، و«البزار» وقع عند «الطبراني» بالراء، وفي «تاريخ أصبهان» بالزاي في الموضعين.

وللحديث شاهد ضعيف جداً من حديث أبي بكر رضي الله عنه:

أخرجه الدارمي في سننه (٢/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤) وفيه: السَّري بن إسماعيل الكوفي، متروك الحديث.

وأخرجه موقوفاً علىٰ أبي بكر، من رواية أبي معمر وهو عبدالله بن سخبرة وروايته عنه مرسله.

ورواه موقوفاً علىٰ ابن مسعود نحواً منه.

(٩) إسناده حسن، أخرجه وكيع في الزهد (٤٠٩) وعنه هناد في الزهد (٩٢١) وابن حبان في الثقات (٤/ ٣٢٤) عن مُجَمِّع بن يحيىٰ الأنصاري عن سويد بن عامر الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ فذكره.

سويد بن عامر قال الحافظ فيه: لا صحبة له وأن حديثه مرسل، ونقل ذلك عن ابن حبان والبغوي وابن منده (الإصابة (٢/٩٩، ١٣٤)).

ومجمع كوفي صدوق من رجال مسلم، فهو مرسل حسن.

وأخرجه ابن حبان في الثقات (٤/ ٣٢٤) عن ابن المبارك عن مجمع به.

وأخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٦٥٤) عن خالد بن عبدالله الواسطي عن مجمع به.

=

وقولهم: إنَّ ذلك مثل، فلا يصح، لأنَّه إذا أمكن حَمْلُ الكلام علىٰ ما يفيد كان أولىٰ من حمله علىٰ ما لا يفيد.

وقولهم: إنَّ معناه أنها مُستجيرةٌ معتصمة بالله، فلا يمنع من هذا، لكن صِفَةُ الاستجارة والاعتصام علىٰ ما ورد به الخبر من الأَخْذِ بحقو الرحمن جل اسمه.

وقولهم: إنَّ المراد بذلك تأكيد أمر الرحم والحثِّ علىٰ صلته، فلا يمنع من هذا وليس في ذلك ما ينافي الصفة المذكورة في الخبر، بل يجوز أنْ يكون قَصَد الحثَّ علىٰ صلته لأجل ما يُوجد منهم مِنَ الاعتصام علىٰ الصفة المذكورة.

وقولهم: إنَّ في حديث أبي هريرة: «إنَّ الرَّحم مُعَلَّقةٌ بالعَرْش» فلا يمنع أنْ تعلق

= وأخرجه برقم (٦٥٣) عن عيسىٰ بن يونس عن مجمع قال: حدثني رجل من الأنصار أن النبي ﷺ قال: فذكره.

وأخرجه أبو عبيد في «غريب الحديث» (١/ ٣٤٧) عن مروان بن معاوية الفزاري عن مجمع عمن حدَّثه يرفعه: **«بُلُّوا أرحامكم ولو بالسلام»**.

ولعلها ترجع إلىٰ الطريق الأول.

وللحديث شاهد من حديث ابن عباس: أخرجه البزار (٢/ ١٨٧٧) زوائد وسنده تالف فيه: البراء بن يزيد الغنوي ضعيف، وشيخ البزار فيه محمد بن يونس الكريمي قال ابن حبان وغيره: كان يضع الحديث علىٰ الثقات.

وشاهد آخر من حديث أبي الطفيل: أخرجه الطبراني ـ كما في المجمع (٨/ ١٥٢) ـ بلفظ: **«صلوا أرحامكم بالسلام»** قال الهيثمي: وفيه راوٍ لم يسم.

وعزاه السيوطي في الجامع إلىٰ البيهقي في الشعب عن أنس، ونقل المناوي في «الفيض» (٣/ ٢٠٧) عن البخاري أنه قال: طرقه كلها ضعيفة ويقوىٰ بعضها بعضاً.

وحسنه الألباني حفظه الله في الجامع.

قال أبو عبيد: قال أبو عمرو وغيره: يقال بَلَلْتُ رحمي أَبلّها بلاًّ وبِلالاً إذا وصلتها ونَدَّيتها بالصلة، وإنما شُبهت قطيعة الرحم بالحرارة تُطْفأُ بالبرد، كما قالوا: سقيته شُربة بَرَّدتُ بها عطشه، يقال: كأن الصلة هي البرد، والحرارة هي القطيعة.

بالعرش في حال، وتعلق بحقو الرحمن في حال، فيُجمع بين الخبرين جميعاً.

٣٩٨ـ فأمَّا معنىٰ «الشُّجْنة» فقال أبو عبيد: فيه لغتان شِجنة وشُجنة، وإنَّما سُمِّي الرجل شجنة بهذا.

وقال أبو عبيدة: يعني قَرَابة مُشتبكة كاشتباك العُرُوق.
قال أبو عبيد: وكأن قولهم: الحديث ذو شجون منه إنما يمسك بعضه ببعض[10].

وقال غيره من أهل العلم يقال هذا شَجَرٌ متشجن، إذا التفَّ بعضه ببعض وهو من هذا[11].

٣٩٩ـ قال[12]: وأخبرني يزيد بن هرون عن الحجاج بن أَرْطَأَة قال: الشُّجْنَةُ كالغُصْنِ تكون من الشجر أو كلمه نحوها.

وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿يا حَسْرَتَىٰ علىٰ ما فَرَّطتُ في جَنْبِ الله﴾ [الزمر: ٥٦]. فحكىٰ شيخنا أبو عبدالله رحمه في كتابه عن جماعة من أصحابنا الأخذ بظاهر الآية في إثْبات الجنب صِفَةً له سبحانه.

٤٠٠ـ ونقلت من خط أبي حفص البرمكي قال ابنُ بَطَّة قوله: «بذات الله» أمر الله كما تقول: في جَنْبِ الله، يعني في أمر الله.

وهذا منه يمنع أنْ يكون الجنب صِفَةَ ذَاتٍ، وهو الصحيح عندي، وأنَّ المراد بذلك التَّقْصير في طاعة الله، والتَّفريط في عبادته، لأنَّ التَّفريط لا يقع في جنب الصِّفة وإنَّما يَقَعُ في الطَّاعة والعبادة، وهذا مستعملٌ في كلامهم: فلانٌ في جَنب فلان، يريدون بذلك في طاعته وخدمته والتقرب منه.

---

(١٠) غريب الحديث (١/ ٢٠٩) وفيه: إنما هو تمسّكُ بعضه ببعض.

(١١) انظر «النهاية» (٢/ ٤٤٧) ولسان العرب مادة: شجن.

(١٢) القائل هو أبو عبيد في غريب الحديث كما تقدم.

ويبين صحة هذا التأويل ما في سياق الآية من قوله: ﴿فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٨]. ﴿فَأَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ٥٧]. وهذا كله راجع إلىٰ الطاعات.

٤٠١ـ وقد اعتبر أحمد القرائن في مثل هذا فقال في قوله تعالىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاثَةٍ إلا هو رَابِعُهُم﴾ [المجادلة: ٧]. قال: المراد به علمه، لأنَّ الله افتتح الخبر بالعلم وختمه بالعلم.

* * *

«حَديـــثٌ آخَـــر»

٤٠٢ـ ناه أبو القسم بإسناده عن علي أنَّ رسول الله قال: «مَن سَرَّهُ أنْ يمد الله في عُمْرِهِ، ويُوسِّعَ عليه في رِزْقه، ويَدْفَعَ عنه مِيتَةَ السُّوء فَلْيتَّقِ الله وَلْيصِلْ رَحِمِه»[١٣].

---

(١٣) إسناده حسن، أخرجه عبدالله بن أحمد (١/ ١٤٣) في زوائده على المسند والخرائطي في «مكارم الأخلاق ومعاليها» (ص٤٤) والحاكم (٤/ ١٦٠) من طريقين عن معمر عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه مرفوعاً به، ولم يذكر الخرائطي «ويدفع عنه ميتة السوء».

ورجاله ثقات سوى عاصم بن ضمرة وهو السلولي فإنه لا بأس به.

وله طريق آخر عن عاصم:

أخرجه البزار (٢/ ١٨٧٩) زوائد عن ابن جريج عن حبيب بن أبي ثابت عن عاصم عن علي مرفوعاً بلفظ: «مَنْ أحبَّ النَّسَاءَ له في أجله، والزيادةَ في رزقه، فَلْيَصلْ رَحِمَه».

قال البزار: قد روى هذا مرفوعاً من وجوه وأعلى من روى ذلك علي، وقد روي عن علي من طريق آخر، وأحسب ابن جريج سمع هذا من حبيب، ولا رواه غيره.

قلت: وقد قال البزار (كما في التهذيب في ترجمة عاصم): هو صالح الحديث، وأما حبيب بن أبي ثابت فروى عنه مناكير، وأحسب أن حبيباً لم يسمع منه.

وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٥٢): رواه عبدالله بن أحمد والبزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار رجال الصحيح غير عاصم بن ضمرة وهو ثقة.

تنبيه: وقع في المسند: عن يعمر، وصوابه: معمر، كما هو عند الخرائطي والحاكم وقد أشار إلى ذلك الشيخ أحمد شاكر رحمه في تعليقه على المسند (١٢١٢) معتمداً على نسخة أخرى.

ووقع عند الحاكم: عن عاصم رضي الله عنه! وورد في التلخيص على الصواب.

ويشهد للحديث: حديث أنس رضي الله عنه، أخرجه البخاري في البيوع (٤/ ٣٠١) =

إنْ سأل سَائلٌ عن هذا الخبر فقال: كيف تجمع بينه وبين قوله تعالىٰ: **﴿إذا جَاءَ أَجَلُهُم لا يَسْتَأخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾** [يونس: ٤٩]. وقال في موضعٍ آخر: **﴿ولَنْ يُؤَخِرَّ الله نَفْساً إذا جَاءَ أَجَلُها﴾** [المنافقون: ١١]. فأَخْبر أنَّ الأجل لا يتقدم ولا يتأخر، فكيف يجوز مع هذا أنْ يقول النبي ﷺ: «**صِلَةُ الرحم تمد في العُمر**» وروي: «**تزيدُ في العمر**».

٤٠٣ـ قالوا: ويؤيد ما في الكتاب ما روىٰ من أنَّ أُمَّ حَبيبَةَ قالت: اللهم مَتِّعني بأبي سفيان وبأخي معوية، فقال النبي ﷺ: «**لقد سَأَلْتِ الله في آجالٍ مَضْرُوبة، وأَرْزَاقٍ مَقْسُومةٍ لا يؤخر منها شيئاً**»[14].

٤٠٤ـ وقال ابن مسعود في حديثه عن النبي ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إنَّ الله يَبْعَثُ مَلَكَ الأرْحَام، فَيكْتب أَجَلَ المولودِ في بَطْنِ أُمه ورِزْقَه وشَقَاوَته وسَعَادَته**»[15].

= وفي الأدب (١٠/ ٤١٥) ومسلم في البر والصلة (٤/ ١٩٨٢) عنه مرفوعاً بلفظ: «**من سرَّه أن يُبسط له في رزقه، ويُنْسأ له في أثره فليصل رحمه**».

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه: أخرجه البخاري في الأدب (١٠/ ٤١٥) بنحو حديث أنس.

(١٤) أخرجه أحمد (١/ ٣٩٠، ٤١٣، ٤٣٣، ٤٤٥، ٤٦٦) ومسلم في القدر (٤/ ٢٠٥١) عن المغيرة بن عبدالله اليشكري عن معرور بن سويد عن عبدالله بن مسعود قال: قالت أم حبيبة: اللهم متِّعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله ﷺ: «**إنك سألتِ الله لآجالٍ مضروبة، وآثار مَوْطُوءةٍ، وأرزاق مقسومة، لا يُعَجِّلُ شيئاً منها قبل حِلِّه، ولا يؤخِّر منها شيئاً بعد حِلِّه، ولو سألت الله أن يُعافيكِ من عذابٍ في النار، وعذابٍ في القبر لكان خيراً لك**» الحديث.

(١٥) أخرجه البخاري في بدء الخلق (٦/ ٣٠٣) وفي الأنبياء (٦/ ٣٦٣) وفي القدر (١١/ ٤٧٧) وفي التوحيد (١٣/ ٤٤٠) ومسلم في القدر (٤/ ٢٠٣٦ ـ ٢٠٣٧) من طرق عن =

فيقال له: قد قال بعض أهل العلم: إنَّ معنىٰ الزيادة في العمر نَفْيُ الآفات عنهم، والزيادة في أفْهامهم وعقولهم وبصائرهم، وليس ذلك زيادة في أرْزَاقِهم ولا في آجالهم، لأنَّه قد أخبر سبحانه أنه يَزيد من يشاء من فضله، ولم يخبر أنَّه يزيد من يشاء في رزقه وفي أجله، بل أَخْبَر بضد ذلك فقال: ﴿**نَحْنُ قَسَمْنَا بَينهُم مَعِيشَتُهمْ في الحَياةِ الدُّنْيا**﴾ [الزخرف: ٣٢]. وقال: ﴿**إذَا جَاء أَجَلُهُم لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ولا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [يونس: ٤٩].

وقال بعضهم: إنَّ الله سبحانه يكتبُ أجل عبده مائة سنة عنده، ويجعل تركيبه وهيئاته وبنيته ثمانين، فإذا وَصَلَ رَحمه زادَ الله في ذلك التركيب، وفي تلك البنية، ووصل ذلك النَّقص فعاش عشرين أُخرىٰ حتىٰ يبلغ المائة، وهو الأجل الذي لا يستأخر عنده ولا يستقدم فيه.

وقال بعضهم: معنىٰ ذلك أنْ يكون السَّابق في المعلوم أنَّه إذا وَصَلَ رَحمه كان عمره أكثر منه إذا لم يصل، فيكون كله مما سبق في العلم، علىٰ الحد الذي يحدث ويوجد في المستأنف.

٤٠٥ـ وقد روىٰ أبو الحفص العُكْبري(١٦) بإسناده عن أبي الدَّرْداء قال تَذَاكرنَا

= الأعمش عن زيد بن وهب عن عبدالله قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: **«إن أحدكم يُجمع خَلقُهُ في بطنِ أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك عَلَقةً مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مُضْغَةً مثل ذلك، ثم يُرسل الملك فينفخ فيه الرُّوح ويُؤمر بأربع كلمات: بكَتْبِ رزقِهِ وأجله وعمله وشقيٌ أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنة، حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فَيَسْبقُ عليه الكتاب فيعمل بعملِ أهلِ النار فيدخُلُها، وإنَّ أحدكم ليعمل بعملِ أهل النار حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعملِ أهل الجنة فيدخُلُها»**.

(١٦) أبو حفص العكبري هو عمر بن أحمد بن عثمان البزاز.
قال الذهبي: أحد المسندين. =

عند رسول الله ﷺ الزِّيَادة في العُمُر فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أحداً لا يُزادُ في عُمُرِهِ الذي أَجَّلَه الله له، ولَكنَّ الزِّيادَة في العُمُر: الرَّجُلُ يموتُ ويَدَعُ ذُريةً صَالحةً فَيَدْعُونَ له مِنْ بعده، ويتبعونه بالعَمَل الصَّالح**»[١٧].

فإن قيل: فما معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ**﴾ [فاطر: ١١].

قيل: معنىٰ ذلك: أي مَنْ قَلَّ عمره أو كَثُر فهو يمضي[١] إلىٰ أَجَله الذي كُتِبَ له، وقوله: ﴿**وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ**﴾ كل يومٍ حتىٰ ينتهي إلىٰ أجله ﴿**إِلَّا فِي كِتَابٍ**﴾، يعني في اللوح المحفوظ مكتوب قبل أنْ يخلقه، قد بَيَّنَ قدره، لا أَنَّه يكون زَائداً ثم ينقص، أو ناقصاً ثم يزيد، لأنَّ ذلك يُؤدي إلىٰ أنْ لا يكون الله تعالىٰ عالماً بالأشياء قبل كونها علىٰ حسب ما يكون، ولا يجوز ذلك في وَصْفه، فَعُلِم أنَّ المراد به تعريفنا أنَّ التفـاوت الواقع بين الأعمال في اختلاف مددها في الطول والقصر والزيادة والنقصان، كل ذلك في كتاب مبين علىٰ حكم واحد، صدر عن علم سابق محيط.

---

(١) في الأصل: يعني!

= سمع أبا جعفر محمد بن يحيىٰ الطائي وأبا بكر النقاش وعلي بن صدقة.

روىٰ عنه الخطيب البغدادي ونصر بن البطر وجماعة.

أَرَّخَ الخطيب وفاته في سنة سبع عشرة وثلاثة مئة.

تاريخ بغداد (١١/ ٢٧٣)، السير (١٧/ ٣٦٠).

وعُكْبَرا: بلدةٌ علىٰ دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ من الجانب الشرقي.

(١٧) إسناده ضعيف، أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٤) قال: حدثنا أحمد بن عبدالوهاب بن نجدة حدثنا يحيىٰ بن صالح حدثنا سليمان بن عطاء عن مسلمة بن عبدالله الجهني عن عمه أبي مَشْجَعة عن أبي الدرداء به.

قال الطبراني: لا يروىٰ هذا الحديث عن أبي الدرداء إلا بهذا الإسناد تفرد به سليمان ابن عطاء. =

والمخالف في هذا الأصل «القَدَريَّة» لأنهم يقولون بقطع الأجل، ومعنىٰ ذلك أنْ يكونَ الله تعالىٰ قد جعل لبعض الأحياء مدة حياته خمسين سنةً، ثم يقتله القاتل فيجعل ذلك سَنَةً، ويقطع عليه بلوغه المدة التي قَدَّرَ الله له ذلك.

وهذا قولٌ يخالف ما تقدم من الكتاب والسُّنَّة، ويؤدي إلىٰ وَصْفِ الله عَزَّ وجَلَّ بالقَهر والغَلَبة، لأنَّه إذا أراد أنْ يكونَ أجل زَيد خمسين سنةً، وأراد غيره أنْ يكون سَنَةً، فلم يمكن من بلوغه الأجل الذي أَجَّلَه الله له، وأراد أنْ يَبلغه[1] عليه أجله، فقد قهره في مراده وغلبه في حكمه وذلك لا يليق بوصفه.

(١) كذا في الأصل، ولعل العبارة: فمن يقتله يقطع عليه أجله. . . أو نحوها.

= وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ١٥٣) وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط وليس في إسناده متروك ولكنهم ضعفوا.

قلت: قوله «رواه الطبراني في الصغير» وَهْمٌ منه رحمه الله، فقد راجعت المعجم الصغير كله فلم أجد الحديث فيه.

أبو مشجعة وهو ابن ربعي الجهني قال عنه الحافظ: مقبول، وكذا مسلمة بن عبدالله.

وسليمان بن عطاء، قال البخاري: في حديثه مناكير، وقال أبو زرعة: منكر الحديث وكذا أبو حاتم وزاد: يكتب حديثه.

(١٨) هذا قولهم قبحهم الله، ومن ذلك أن أعرابياً وقف علىٰ حلقةٍ فيها عمرو ابن عبيد ـ كبير المعتزلة ومن أولهم ـ فقال: يا هؤلاء إنَّ ناقتي سُرقت فادْعُوا الله أن يَرُدَّها عليَّ فقال عمرو ابن عبيد: اللهم إنَّك لم تُرِدْ أن تُسرق ناقته فسرقت! فارددها عليه، فقال الأعرابي ـ بفطرته ـ: لا حاجةَ لي في دعائك! قال: ولم؟ قال: أخافُ كما أرادَ أنْ لا تُسرق فسرقت، أنْ يريد ردَّها فلا تُرد!!

وسبب ضلالهم هذا؛ أنهم زعموا أن الله شاء الإيمان من الكافر ولكن الكافر شاء الكفر، فرُّوا إلىٰ هذا لئلا يقولوا: شاء الكفر من الكافر وعذَّبه عليه! ولكنهم صاروا كالمستجير من الرمضاء النار، فإنهم هربوا من شيء، فوقعوا فيما هو شرٌّ منه، فإنه يلزمهم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالىٰ، وهو من أقبح الاعتقاد! =

ولأنَّ من قال منهم بقطع الأجل؛ يلزمه أنْ يقول بزيادة الأجل إذا وَصَلَ رحمه وتجنب الآفات، وهذا لازمٌ لمن فَرَّق بين الأمرين ومن جمع بين الزيادة والنقصان؛ فقد خالف ظاهر الكتاب والسنة.

فإن قيل: فما معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**يمحو الله مَا يَشَاءُ ويُثْبِتُ وَعِنْده أُمُّ الكِتَاب**﴾ [الرعد: ٣٩].

قيل: قد قيل فيه وجوه: أحدهما: أنَّ معناه أنَّ الله ينسخ من الأحكام ما يشاء وذلك محوه، ويُثبت فيها ما يشاء وهو إثباته وتقديره، وقد يُوصف تعالىٰ بالنسخ والإثبات ولا يدعوا ذلك إلىٰ البداء ولا إلىٰ الزيادة في العمر.

وقيل فيه: معناه يمحو ما سَبَقَ من الذنوب بالتوبة المتعقبة لها، ويثبت التوبة وحكمها.

وقيل فيه: أنَّه يمحو بياضَ النَّهار ويُثبتُ سوادَ الليل، ويُثبتُ بياضَ النهار ويَمحو سوادَ الليل.

وقيل: معناه تعريفنا أنَّ الإيجاد والإعدام والإثبات والنفي متعلقٌ بمشيئته علىٰ حسب ما سبق به علمه، وجرىٰ به قلمه، لا يكون ذلك إلىٰ غيره أو من غيره(١٩).

= والصواب أن الله تعالىٰ شاء أن يقع الكفر من الكافر ولكنه لا يحبه ولا يرضاه فيشاؤه كوناً ولا يرضاه ديناً، قال تعالىٰ: ﴿**إنْ تكفُروا فإنَّ الله غَنيٌ ولا يرضىٰ لعبادِه الكُفر وإنْ تَشْكُروا يَرْضَه لكم**﴾، ومنشأ ضلالهم إنما هو في التسوية بين المشيئة والرضا والمحبة.

انظر شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٣٢٠) وما بعدها.

(١٩) وقال ابن كثير (٢/ ٥١٩) بعد أن ذكر أقوال المفسرين: ومعنىٰ هذه الأقوال أن الأقدار يَنْسخُ الله ما يشاء منها ويُثْبت منها ما يشاء، وقد يُستأنس لهذا القول بما رواه الإمام أحمد حدثنا وكيع... عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الرجل لَيُحْرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر**»... وثبت في الصحيح أنَّ =

فإن قيل: فما معنىٰ قوله تعالىٰ مُخبراً عن نوح عليه السَّلام أنَّه قال لقومه: ﴿أَنْ اعْبُدُوا الله واتَّقُوهُ وأَطِيعُونِ يَغفرْ لكم مِن ذُنُوبِكُم وَيُؤَخِّركُم إلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ﴾ [نوح: ٣ ـ ٤][1]. وقال عزَّ وجَلَّ في آيةٍ أخرىٰ: ﴿ثم قَضَىٰ أَجَلًا وأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَه ثُمَّ أَنْتُم تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢].

قيل: أما قول نوح إنَّه يؤخرهم إلىٰ أجلٍ مسمىٰ إنْ آمنوا وبَلَغُوه يكون أجلاً لهم ولم يثبت الله تعالىٰ لهم أجلاً لم يبلغوه، ولا قال إلىٰ أجلٍ لكم مسمىٰ، بل لم يُضف إليهم الأجل[2] ونكَّره فَبَانَ أنَّ المراد أَجَلًا من الآجال، لو آمنوا وبَلَغوه كان لهم أجلًا، يبين صحة هذا قوله في سياقها: ﴿إنَّ أَجَلَ الله إذَا جَاءَ لا يُؤخر لو كُنْتُم تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ٤]. يريد بذلك ما هو لهم أجل فدلَّ علىٰ ما قلناه[20].

وأما قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وأَجَلٌ مَسَمًّىٰ﴾ [الأنعام: ٢]. فهو أجل الدنيا والآخرة[21]، ولذلك قال: ﴿ثُمَّ أَنْتم تَمْتَرُونَ﴾ أي: تَشُكُّون في البعث، وهو الأجل المسمىٰ للثواب والعقاب، وأجل الدنيا هو المسمَّىٰ للفناء والتكليف فيه.

---

(١) في الأصل: ﴿فاتقوا الله وأطيعون يغفر لكم...﴾ وهو وهم في الآية.

(٢) في الأصل: الأمل، والصواب ما أثبتناه، وقد نبه عليه الناسخ.

= صلة الرحم تزيد في العمر، وفي حديث آخر: «إن الدُّعاء والقَضَاء لَيَعْتَلِجان بين السَّماء والأرض» اهـ.

(٢٠) قال البغوي في تفسيره (٨/ ٢٢٩): ﴿ويُؤخركم إلىٰ أجلٍ مُسمًّىٰ﴾ أي: يُعافيكم إلىٰ منتهىٰ آجالكم فلا يعاقبكم ﴿إنَّ أجلَ الله إذا جاءَ لا يُؤخَّر لو كنتم تعلمون﴾ يقول: آمنوا قبل الموت تَسْلموا من العذاب، فإنَّ أجل الموت إذا جاء لا يُؤخر ولا يمكنكم الإيمان.

(٢١) وهو قول قتادة والحسن، كما في تفسير ابن جرير (٧/ ٩٤) عنهما بإسناد صحيح في قوله: ﴿قَضىٰ أجلًا وأجلٌ مسمًّىٰ عنده﴾ قالا: قَضَىٰ أجل الدنيا منذ يوم خُلِقت إلىٰ أن تموت، وأجل مُسمًّىٰ عنده: يوم القيامة.

ونقله عن الضحاك ومجاهد وعكرمة، وقال إنه أولىٰ الأقوال بالصواب.

٤٠٦ـ ومما يجري هذا المجرىٰ والسؤال عنه كالسؤال فيما ذكرنا ما روي أنَّه قال عليه السلام: «**الدُّعاء يَرُدُّ البَلَاء، والصَّدَقَةُ تَدْفَعُ البَلَاء**»[٢٢]

٤٠٧ـ وما روىٰ أنَّه قال: «**إنَّ الدُّعَاء والقَضَاء يَتَعَالَجان**»[٢٣].

---

(٢٢) عزاه في كنز العمال (٢ / ٦٣) إلىٰ أبي الشيخ في «الثواب» عن أبي هريرة، الجملة الأولىٰ منه.

(٢٣) حديث حسن، أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ١٠٦٨) والحاكم (١ / ٤٩٢) عن زكرياء ابن منظور شيخ من الأنصار أخبرني عَطَّاف بن خالد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا يُغني حَذَرٌ من قَدَر، والدُّعاء ينفع مما نَزَل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلىٰ يوم القيامة**» وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

فتعقبه الذهبي بقوله: قلت: زكريا مجمع علىٰ ضعفه!

قلت: وثَّقه ابن معين في رواية وأحمد بن صالح المصري وضعفه ابن المديني والنسائي وأبو حاتم وقال هو وأبو زرعة والبخاري وابن حبان: منكر الحديث.

وقال ابن عدي: وهو ضعيف كما ذكروا إلا أنه يكتب حديثه (التهذيب).

وقد حسنه الألباني في الجامع (٦/ ٧٦١٦) ولعل ذلك بشواهده، فمنها:

١ـ شاهد من حديث ابن عمر:

أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٣) عن يزيد بن هارون أنبا عبدالرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة عن موسىٰ بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدُّعاء ينفع مما نَزَل، ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء**».

سكت الحاكم عنه وقال الذهبي: عبدالرحمن واه.

يعني: ابن أبي بكر، وهو كما قال.

ورواه الترمذي (٣٥٤٨) بزيادة في أوله: «**مَنْ فُتِحَ له منكم بابُ الدعاء فتحت له أبواب الرحمة، وما سُئل الله شيئاً يُعطَىٰ أحبَّ إليه من أنْ يُسأل العافية**» وقال رسول الله ﷺ: «**إن الدعاء ينفع. . .**».

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالرحمن بن أبي بكر القرشي، وهو ضعيف في الحديث، ضعفه بعض أهل العلم من قبل حفظه. =

٤٠٨ـ وما روي أنَّه قال: «الصَّدَقَةُ تَدْفَع القَضَاء المبرم»[٢٤].

ومعنىٰ هذه الأخبار كلها علىٰ نحو ما ذكرنا، وهو أنْ يكونَ السَّابق في العلم ما يحدث في المستأنف أنَّه إذا دعا صُرِفَ عنه البلاء، وكذلك إذا تصدَّق؛ لا أنَّه يكون المعلوم في الأَزَلِ وصول البلاء القديم إذا حصل الدعاء تغير المعلوم، لأنَّ ذلك يؤدي إلىٰ أنْ لا يكون ذلك في الأَزَل مَعلوماً وذلك محال.

وقيل فيه أيضاً: أنَّ المراد به إذا أَتَىٰ بهما ـ أعني الدعاء والصَّدقة ـ دُفِعَ بذلك عن الفاعل لهما وِزْرَ الترك، وعقوبة العِصْيان فيه، ويكون معنىٰ التخصيص لذلك بالذكر التحريض علىٰ فعله والحثِّ عليه.

=

٢ـ وشاهد من حديث معاذ:

أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٤) والطبراني في الكبير (٢٠/ ٨٦/ ٢٠١) والقضاعي في مسند الشهاب (٨٦٢) ـ وأبو يعلىٰ كما في كنز العمال (٢/ ٦٣) ـ ولا يوجد مسند معاذ في المطبوع ـ عن إسماعيل بن عياش عن عبدالله (وقع عند الطبراني: عبيدالله وهو خطأ) بن عبدالرحمن ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن يَنفع حَذَرٌ من قدر ولكن الدعاء ينفع مما نَزَل ومما لم ينزل، فعليكم بالدعاء عباد الله**».

قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٤٦): وشهر بن حوشب لم يسمع من معاذ ورواية إسماعيل بن عياش عن أهل الحجاز ضعيفة.

قلت: وشهر فيه ضعف.

٣، ٤ ـ وشاهدان من حديث سلمان وثوبان بلفظ: «**لا يردُّ القضاء إلا الدعاء، ولا يزيدُ في العمر إلا البرّ**» انظر الصحيحة (١٥٤).

(٢٤) لم أجده بهذا اللفظ!

وأخرج الطبراني في الكبير (٤/ ٢٧٤/ ٤٤٠٢) عن رافع بن خَديج مرفوعاً: «**تَسدُّ الصَّدقة سبعين باباً من السُّوء**».

قال في المجمع (٣/ ١٠٩): وفيه حماد بن شعيب وهو ضعيف.

وقال الذهبي في «المغني»: ضعفوه.

«حَديــثٌ آخَــر»[1]

٤٠٩- ناه أبو القسم بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَانَ مَلَكُ الموتِ عليه السَّلام يأتي النَّاسَ عَيَاناً، فأتَىٰ مُوسىٰ فَلَطَمه فَذَهَبَ بعَيْنِه، فَعَرَجَ إلىٰ رَبِّه فقال: بَعَثْتَني إلىٰ مُوسىٰ فَلَطَمَني فَذَهَبَ بِعَيني، وَلَولا كَرَامَته عليكَ لَشَقَقْتُ عَليه، قال: ارْجع إلىٰ عَبْدي فَقُل له فَلْيَضَع يَدَه علىٰ ثَوْرٍ فَلَهُ بكلِّ شَعْرَةٍ وَارَتْ كفُّه سَنَةً يعيشها، قال: فَأَتَاه فَبَلَّغَ ما أمره به، فقال: ما بعد ذلك؟ قال: الموت، قال: الآنَ فَشَمَّهُ شَمَّةً قَبَضَ رُوحَه فيها، وَردَّ الله علىٰ مَلَكِ المَوْتِ بَصَرَه، فكان بَعْدُ لا يأتي النَّاسَ إلا خِفْيَةً**».

وفي لفظٍ آخر قال: «**فَسَأَلَ ربَّه أنْ يُدْنِيه مِنَ الأرضِ المقَدَّسة رمية حجر**» قال: فقال رسول الله ﷺ: «**فَلَوْ كُنْتَ ثَمَّ لأَرَيْتُكم قَبْرَه إلىٰ جَانبِ الطَّريقِ تحت الكثيب الأحْمر**»[1].

---

(١) كُتب بمحاذاة العنوان: بلغ.

---

(١) صحيح، أخرجه بهذا اللفظ أحمد (٢/ ٥٣٣) عن حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة مرفوعاً به.

وسنده حسن، فإن عمار وهو مولىٰ بني هاشم صدوق ربما أخطأ، قاله الحافظ.

والحديث أخرجه من وجه آخر: أحمد (٢/ ٣١٥) ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٤٣) عن عبدالرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر نحوه.

وأخرجه أحمد (٢/ ٣٥١) عن حسن عن ابن لهيعة حدثنا أبو يونس عن أبي هريرة به، ولم يرفعه. =

اعلم أنَّ هذا حديثٌ صحيحٌ، يُحمل علىٰ ظاهره، وأنَّ ذلك الفعل كان من موسىٰ علىٰ الحقيقة، وأنَّه إدخالُ نَقْصٍ علىٰ جَارحةِ المَلَكِ ليكون محنةً للمَلْطُوم إباحةً للاطم، بأنْ يكون الله عزَّ وجلَّ أَبَاحَه ذلك، لأنَّ لله تعالىٰ أنْ يأمرَ بما يشاء من ذلك، ويأذن فيما شاء منه.

٤١٠ـ وقد قال أحمد في رواية ابن منصور ومُهَنا: الحديث صحيح.

٤١١ـ وقال في رواية ابن القسم: نحن نُقِرُّ به ونُصدِّقه علىٰ ما جاء في الأحاديث، وإنما يتكلم في هذا ويدفعه أهلُ الزَّيغ.

فقد نص أحمد علىٰ صحته والأخذ بظاهره، والوجه فيه ما ذكرناه.

وقد أنكر قَومٌ من أهل الإلحاد هذا، وقالوا إنْ جاز علىٰ ملك الموت العَورَ؛ جاز عليه العمىٰ، وقالوا: لعلَّ عيسىٰ قد لَطَمَ عينه الأُخرىٰ فأعماه، لأنَّه كان أشد كراهية للموتِ من موسىٰ، وذلك أنَّه قال: اللهم إنْ كنت صَارفاً هذه الكأس عن أَحَدٍ فاصْرِفْها عني.

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّه ما كان يمتنع مثل ذلك في حقِّ عيسىٰ لو وجد.

وقد أثبته قومٌ من المسلمين وتأوَّلوه علىٰ وجهين: أحدهما: أنَّ الله جعل للملائكة أنْ تَتَصوَّرَ بما شاءت من الصُّور المختلفة، ألا تَرىٰ أنَّ جبريل عليه السَّلام أتىٰ رسولَ الله ﷺ في صورة دِحية الكلبي، ومرة في صورة أعرابي، ومرة أُخْرىٰ وقدْ سَدَّ بجناحيه ما بين الأُفق، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿**فَأَرْسَلْنا إليها رُوحَنا فَتَمثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً قالَتْ إنِّي أَعُوذُ بالرَّحْمٰنِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ تَقِياً**﴾ [مريم: ١٧]. قيل إنَّ جبريل تَصَوَّر بصورةِ رجل، وهذه الصُّور التي يتنقَّل إليها تخيلات ليست حقيقة، فاللطمة أذْهَبَتْ بالعين التي هي تخيل وليست حقيقة.

= وأخرجه مسلم (٤/ ١٨٤٢ ـ ١٨٤٣) عن عبدالرزاق حدثنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة به.

والثاني: أنَّ معنىٰ اللَّطمة: إلزامُ موسىٰ لملك الموت الحجة حين رَادَّه في قبض روحه، علىٰ حسب ما روىٰ في الخبر، وهذا مستعملٌ في كلام العرب.

٤١٢ـ ومنه ما يُحكىٰ عن علي كرَّم الله وجهه أنَّه قال: أنا فَقَأْتُ عينَ الفتنة.
يريد بذلك إلزام الحجة.
ومنه قولهم: عَورتُ عَينَ الأمر، بضَربٍ من التَّوسع.

قيل: هذا غلطٌ، أما الأول: فلأن في الخبر: **«أنه عَرَج إلىٰ ربه فردَّ عليه عينه»** ولا يكون هذا إلَّا في عين هي حقيقة، لأنَّ التخيل لا يحتاج إلىٰ ردِّه.

وأما الثاني: فإنَّ معنىٰ اللطمة إلزامُ الحجة؛ فلا يصح لوجهين: أحدهما: أنه لو كان المراد به الحجة لم يخصّ العين، لأنَّ الحجة لا تختص العين وإنما تلزم الجملة.

والثاني: أنَّه لو كان قد أُلزمه الحجة، لم يَعُدْ إلىٰ قبض روحه، لأنَّ الحجة قد لزمته في ترك قبض رُوحه، فلما عاد لقبض روحه، امتنع أنْ تكون اللطمة بمعنىٰ إلزام الحجة.



«حَديـــثٌ آخـــر»

٤١٣ـ ناه أبو القاسم بإسناده عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ: «يقولُ الله عزَّ وجلَّ: العَظَمَةُ إزاري، والكِبْرِيَاء رِدَائي، فَمنْ نَازَعَني وَاحِداً مِنهما أَلْقَيتُه في جهنم».

وفي لفظٍ آخرٍ: «الكِبْرياء ردائي، والعِزَّةُ إزارِي، فَمَنْ نَازَعَني وَاحِداً منهما أَلْقَيتُه في النَّار»(١).

اعلم أنَّ قوله: «الكِبْرِيَاء ردائي والعَظَمة إزاري» المراد به أنَّ ذلك صِفة من صفاتي، فأنَا المختصُّ به دون غيري، فمن نازعني في ذلك بأنْ تكبَّر وتعظَّمَ علىٰ الناس أدخلته النَّار، وهذا كما تقول: إنَّ فلاناً شِعَاره ودِثَاره الزُّهدُ والورع، أيَّ صفته ونَعته.

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٨، ٣٧٦، ٤١٤، ٤٢٧، ٤٤٢) وأبو داود (٤٠٩٠) وابن ماجة (٤١٧٤) من طرق عن عطاء بن السائب عن الأغرِّ عن أبي هريرة مرفوعاً به (باللفظ الثاني).

وإسناده صحيح، رجاله ثقات، وعطاء وإن كان قد اختلط لكن في الرواة عنه سفيان الثوري وقد سمع منه قبل الاختلاط.

وقد أخرجه مسلم في البر والصلة (٤/ ٢٠٢٣) والبخاري في الأدب المفرد (٥٥٢) عن الأعمش قالا: قال رسول الله ﷺ: «العزُّ إزَاره، والكبرياءُ رِدَاءُه، فمن ينازعني عَذَّبتُه».

والضمير في «إزاره ورداؤه» يعود إلىٰ الله تعالىٰ للعلم به، وفيه محذوف تقديره، قال الله تعالىٰ: «ومن ينازعني ذلك أُعذبه».

ومعنىٰ ينازعني: يتخلَّقُ بذلك فيصير في معنىٰ المشارك، وهذا وعيدٌ شديد في الكِبْر، مصرحٌ بتحريمه (النووي).

[إثبات صفة النَّفس لربنا جلَّ شأنه]

«حَدِيــــثٌ آخَــــرٌ»

٤١٤ـ ناه أبو القسم بإسناده عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**قال الله عزَّ وجلَّ: يا ابن آدم إنْ ذَكَرتني في نَفْسك ذَكَرْتُكَ في نَفْسي، وإنْ ذَكَرْتَني في مَلإٍ ذَكَرْتُكَ في مَلإٍ مِنَ المَلائكَة، أو قال: في مَلإِهُمْ خَيرٌ منهم، وإنْ دَنَوْتَ مني شِبْراً دَنوتُ مِنكَ ذِرَاعاً، وإنْ دَنَوتَ مني ذِرَاعاً دَنوتُ منك بَاعَاً، وإنْ أَتَيتَني تَمشي أَتَيْتُكَ هَرْوَلة**»[1].

٤١٥ـ وناه أيضاً بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عَزَّ وَجَلَّ أنَا عندَ ظَنِّ عَبْدي وأَنَا مَعَه حَيثُ يَذكُرُني، فإنْ ذَكَرَني في نَفْسِه ذَكَرْتُه في نَفْسي، وإنْ ذَكَرَني في مَلإٍ ذَكَرْتُه في ملإٍ خيرٍ منهُم، وإنْ اقْتَرَبَ إليَّ شِبْراً اقْتَرَبْتُ إليه ذِرَاعاً، وإنْ اقْتَرَبَ إليَّ ذِراعاً اقْتَرَبْتُ إليه بَاعاً، وإنْ أَتَاني يَمْشي أَتَيْتُهُ هَرْوَلة**»[2].

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٣٨) حدثنا عبدالرزاق أنا معمر عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله يا ابن آدم. . .**» قال قتادة: **فالله عز وجل أسرع بالمغفرة**.

ذكره الهيثمي (١٠/ ٧٨) وقال: ورجاله رجال الصحيح.

قلت: وسنده صحيح علىٰ شرط مسلم.

وأخرجه البخاري (١٣/ ٥١١ ـ ٥١٢) عن شعبة عن قتادة عن أنس مختصراً بلفظ: «**إذا تَقرَّب العبد إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب إليَّ ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني مشياً أتيته هرولة**».

ثم أخرجه هو ومسلم في الذكر والدعاء (٤/ ٢٠٦٧) عن سليمان بن طرخان عن أنس ابن مالك عن أبي هريرة مرفوعاً به.

قال الحافظ في الفتح (١٣/ ٥١٢): فالأول مرسل صحابي.

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد (١٣/ ٣٨٤، ٤٦٦، ٥١٢) ومسلم في الذكر والدعاء (٤/ ٢٠٦٧ ـ ٢٠٦٨) من طرق ـ بعضها مختصر ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به. =

٤١٦ـ وناه أبو القسم قال: نا إبراهيم ابن أحمد بن محمد المقري المَعَدل قال: نا أحمد بن سليمان بن الحسن نا محمد بن الهيثم نا إسحق الحنيني[1] عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا عند ظَنِّ عَبْدي وأنا مَعَهُ إذا ذَكَرَني، والله أَفْرَحُ بتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُم يَجِدُ ضَالَّته بفَلاَةٍ مِنْ الأَرْضِ، ومَنْ تَقَرَّبَ إلىٰ الله ذِرَاعاً تَقَرَّبَ الله إليه باعاً، ومَنْ جَاءَ يَمْشي أَقْبَلَ الله تَعالىٰ إليه بالخَير يُهَرْول»**[3].

---

(١) في الأصل مهمل النقط.

= وأخرجه أحمد (٢/ ٢٥١، ٣٥٤، ٤٠٥، ٤١٣، ٤٨٠، ٤٨٢).

* وله شاهد من حديث أبي ذر رضي الله عنه:

أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٦٨) عن المَعْرُور بن سويد عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله عز وجل: مَن جَاء بالحسنةِ فله عشرُ أمثالها وأَزيد، ومن جاء بالسيِّئة فجزاؤُه سيئةٌ مثلُها أو اغْفر، ومَن تقرَّب منِّي شِبْراً تقرَّبت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقرَّبت منه باعاً، ومن أَتَاني يمشي أَتيتُه هرولةً، ومَنْ لقيني بِقُراب الأرضِ خطيئةً لا يُشرك بي شيئاً لقيتُه بمثلها مغفرةً»**.

* وشاهد من حديث معاذ بن أنس:

يرويه الطبراني ـ كما في مجمع الزوائد للهيثمي (١٠/ ٧٨) ـ وقال: وإسناده حسن.

* وشاهد من حديث واثلة بن الأسقع:

أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٠٥) مختصراً بلفظ: **«أنا عند ظن عبدي بي»** وفي سنده عتبة بن أبي حكيم: صدوق يخطىء كثيراً.

* وشاهد من حديث ابن عباس:

أخرجه البزار (٣٠٦٥ ـ زوائد) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ: **«قال الله تبارك وتعالىٰ: يا ابن آدم! إذا ذكرتني خالياً ذكرتك خالياً، وإذا ذكرتني في ملإٍ ذكرتُك في ملإٍ خيرٍ من الذين تذكرني فيهم»**.

وفي سنده فضيل بن سليمان صدوق له خطأ كثير، قاله الحافظ.

(٣) إسناده ضعيف، فيه إسحاق بن إبراهيم الحنيني أبو يعقوب المدني، قال البخاري: في حديثه =

اعلم أنَّ الكلام في هذا الخبر في فصول:
أحدها: أنَّ الله تعالىٰ يُوصَف بأن له نَفْساً.

٤١٧ـ وقد أوْمأ إليه أحمد فيما خَرَّجَه في «الرَّد علىٰ الجهمية» فقال: إذا أردت أنْ تعرف أنَّ الجهمي كاذبٌ علىٰ الله حين زعم أنه في [كلِّ] مكان ولا يكون في مكان دون مكان، فقل له: أليس كانَ الله ولا شيء فحين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خَارجاً من نفسه؟ فإنْ قال: خلقه في نفسه كَفَرا![٤] وإنْ قال: خلقه خارجاً من نفسه ثم دخل فيهم كان أيضاً كُفْر، حين دخل في مكان وحيز بل وحُشٍّ، وإنْ قال: خلقهم خَارجاً من نفسه ولم يدخل فيهم؛ رجع عن قوله وهو قول أهل السُّنَّة[٥].

وهذا من كلام أحمد يَدلُّ علىٰ إثبات النَّفْس، لأنَّه جعل ذلك حُجةً عليهم، ولو لم يعتقد ذلك لم يحتج به، وقد أخبر بذلك في آيٍ من كتابه منها قوله تعالىٰ: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُم علىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَة**﴾ [الأنعام: ٥٤]. وقوله تعالىٰ: ﴿**تَعْلَمُ مَا في نَفْسي ولا أَعْلَمُ مَا في نَفْسِكَ**﴾ [المائدة: ١١٦]. وقوله: ﴿**وَيُحَذِّرُكُمْ الله نَفْسَهُ**﴾ [آل عمران: ٢٨]. وقوله: ﴿**واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسي**﴾ [طه: ٤١]. ولأنَّه ليس في إثبات النفس ما يحيل صفاته ولا يخرجها عَمَّا تستحقه، لأنَّا لا نُثْبِتْ نفساً مَنْفُوسَةً مُجسَّمةً مركَّبة ذات روح، ولا نثبت نفساً بمعنىٰ الدَّم علىٰ ما تقوله العرب: له نفسٌ سائلة وليست له نفس ويُريدون بذلك الدَّم[٦]، لأنَّ الله سبحانه يتعالىٰ عن ذلك، بل نُثبتُ نَفْساً هي صفةً زائدةً علىٰ الذات، كما أثبت له حياة ونفساً فقلنا حيٌ بحياة، وباقي ببقاء،

= نظر، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن عدي: ضعيف ومع ضعفه يكتب حديثه.

ومحمد بن الهيثم الراوي عنه هو ابن حماد بن واقد أبو عبدالله ويعرف بأبي الأحوص قاضي عُكبرا، قال الدارقطني: كان من الثقات الحفاظ (تاريخ بغداد ٣/ ٣٦٢).

(٤) في «الرد علىٰ الزنادقة والجهمية» المطبوع زاد: حين زعم أن الجن والإنس والشياطين في نفسه!

(٥) «الرد علىٰ الزنادقة» (ص٥٠) مع اختلافات يسيرة.

(٦) اللسان (٦/ ٤٥٠٠) وفيه: وإنما سُمِّي الدمُ نَفْساً لأن النفس تخرج بخروجه.

وإنْ لم يكن حياته وبقاءه عَرضين كحياتنا وبقائنا، كذلك في النفس.

فإنْ قيل: فأثبتوا له رُوحاً لأنَّه قد وَصَفَ نفسه بذلك فقال تعالىٰ: ﴿وَنَفَخْتُ فيه مِنْ رُوحي فَقَعُوا له سَاجِدين﴾ [الحجر: ٢٩].

قيل: لا نُثبت ذلك، لأنَّ السَّمْع لم يَرد بذلك علىٰ وجهِ الصفة للذات، وقوله: ﴿نَفَخْتُ فيه مِنْ رُوحي﴾ المراد به أمره، لقيام الدليل علىٰ أنَّ صفاتَ ذاته لا تَحُلُّ المُحْدَثَات(٧)، ويُفارق هذا إثبات النَّفس، لأنَّه ليس في إثباتها ما يُحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه لما ذكرنا.

فإن قيل: ليس المراد بالنفس ها هنا إثباتُ صِفَةٍ، وإنما المراد بذلك الذات، كما تقول العرب: هذا نفس الأمر، ويريدون به إثباتُ الأمر لا أنَّ له نفساً، وقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُم الله نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]. معناه: عقوبته، وقيل: إياه وقوله: ﴿تَعْلَمُ ما في نَفْسي﴾ أيْ في غَيبي ﴿ولا أعلَم في ما في نفسك﴾ أي غيبك، وقيل في قوله: ﴿وَلا أَعْلَمُ ما في نَفْسِكَ﴾ يرجع إلىٰ نفس عيسىٰ، وأضافَ نفسه إلىٰ الله من طريق المُلْكِ والخَلْق، فيكون معناه: لا أعلم ما في مُلكك مما خلقته إلا ما أعْلَمتني، وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكم علىٰ نَفْسِهِ﴾ [الأنعام: ٥٤]. معناه: كَتَبَ عليه، وقوله: ﴿واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]. معناه: اصْطَنَعتك لذاتي أو لرسالتي، وقول النبي ﷺ: «ذكرتُه في نفسي» معناه: أخفيتُ ثوابه كما أخفىٰ ذكري في نفسه، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفي لَهُم مِنْ قُرَّةِ أَعْيِنٍ﴾ [السجدة: ١٧]. وقول النبي ﷺ إخباراً عن الله عَزَّ وجَلَّ: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالحين مَالَا عَينٌ

---

(٧) الإضافة في قوله تعالىٰ: ﴿من روحي﴾ للتشريف كذا فسَّره البغوي (٤/ ٣٨٠) وغيره، ومن المعلوم أن الإضافة إليه تبارك وتعالىٰ قسمان:

إضافة صفات: كسمع الله وبصره وعلمه وقدرته...

وإضافة تشريف: كبيت الله ورسول الله وروح الله... إلخ.

رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ عَلىٰ قَلْبِ بَشَرٍ»[8].

قيل: هذا غلطٌ، لأنه إنْ جاز حمل النفس علىٰ الذات؛ جاز حمل الحياة والبقاء علىٰ الذات فيقال: ذاتٌ حَيَّةٌ ذاتٌ باقية، وقد أجمعنا ومُثْبِتُوا الصِّفات علىٰ أنَّه حيٌ بحياة وباقي ببقاء، كذلك جاز أنْ يكون ذَاتاً بنفس، ولأنَّ هذا[9] يؤدي إلىٰ جواز القول بأنَّ الله نفس، وأنَّه يجوز أنْ يُدْعَا فيقال: يا نفس اغفر لنا، وقد أجمعت الأُمة علىٰ منع ذلك.

وأمَّـا تأويل قوله تعالىٰ: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]. معناه: لذاتي ورسالتي، فلا يصح لأنَّه يُسقط فائدة التخصيص بموسىٰ، لأنَّ غيره من الأنبياء اصطنعه لِذَاته ورسالته، فوجبَ أنْ يكون لتخصيص النَّفس ها هنا فائدة.

وجوابٌ آخر: وهو أنَّ قوله: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]. المراد به الله الذي له النفس، وكذلك قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُم علىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]. المرادُ به الله الذي له النفس، وكذلك قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُم الله نَفْسَه﴾ [آل عمران: ٢٨]. المراد به الله الذي له النفس.

وجوابٌ آخر: وهو أنَّه لا يَصِحُّ حمل قوله: ﴿ويُحَذِّرُكُم الله نَفْسه﴾ [آل عمران: ٢٨]. علىٰ عقوبته، لأنه قد قال في سِياقها: ﴿وإلىٰ الله المَصِير﴾ ولو كان علىٰ ما

---

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة (٤/ ٢١٧٤) من طريقين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.

وأخرجه أيضاً عن سهل بن سعد الساعدي قال: شهدتُ من رسول الله ﷺ مجلساً وَصَفَ فيه الجنة حتىٰ انتهىٰ، ثم قال ﷺ في آخر حديثه: «فيها ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذنٌ سمعت ولا خَطَر علىٰ قلب بشر» ثم اقترأ هذه الآية: ﴿تتجافىٰ جُنوبهم عن المَضَاجع يدْعون ربَّهم خَوفاً وطَمعاً ومما رزقناهم يُنفِقون * فلا تعلم نَفْسٌ ما أُخفي لهم من قُرَّةِ أعين جَزاءً بما كانوا يعملون﴾ [السجدة: ١٦ ـ ١٧].

(٩) أي تأويل النفس بالذات.

قالوه؛ لكان تقديره: وإلىٰ عقوبة الله المصير، ولا يَصحُّ أيضاً حمل قوله: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُم علىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ [الأنعام: ٥٤]. بمعنىٰ عليه، لأنَّ ذلك لا ينفي إثباتُ النَّفْس صفةً له، فيحصل تقديره: كتب ربُّكم عليه ذي النفس، لأنَّ النفس صفة له، ومثل هذا قوله تعالىٰ: ﴿**أَنْزَلَه بِعِلْمِهِ**﴾ [النساء: ٦٦]. والمراد به بعلمه وذاته، لأن علمه لا يختصُّ بذلك، ولا يصح أيضاً حمل قوله: ﴿**وَلا أَعْلَمُ مَا في نَفْسِك**﴾ [المائدة: ١١٦]. علىٰ غيبك لأنَّ ذلك يُسقط فائدة التخصيص، لأنَّه غَيرُ عالمٍ بغيب غير الله تعالىٰ، فَعُلِم أنَّ المراد به النَّفس التي هي صفة، وكذلك لا يصحُّ حمله لا أعلم ما في مُلْكِكَ، لأنه غير عالمٍ بما في مُلْكِ غير الله مِنَ المخلوقين، فلا فائدة من تخصيصه بالله تعالىٰ، فعُلم أنَّ المراد به ما ذكرنا.

وأما حملهم النفس علىٰ إخفاء الثَّواب فلا يصح، لأنَّه لا فائدة في إخفاء الثَّواب، بل الفائدة في إظهاره لأنَّه يحصل به الترغيب في الطاعات، والحثُّ عليها، ولهذا عدَّد الجنَّة وأَنْهارها وثمارَها، كل ذلك حَثًّا علىٰ التَّرغيب في الطاعات، وقوله تعالىٰ: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِي لَهُم مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾ [السجدة: ١٧]. فإنَّه لم يُخفِ ذِكْرَ الثَّواب، ألا ترىٰ أنَّه قال تعالىٰ: ﴿**مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾ فَأَثْبَتَ أنَّ هناك ما تقرُّ به العين، وإنَّما أَخفىٰ تفصيل الثواب، وهكذا الجواب عن قول النبي ﷺ: «**ما لا عَينٌ رأتْ ولا أُذنٌ سَمِعَتْ**» معناه: لم تَر وتسمع بتفصيله، فأما جملته فقد أَعْلَمنا به(١٠)، ولا يجوز إثباتُ روح.

٤١٨ـ وقد قال أحمد فيما خرجه في «الرَّد علىٰ الزَّنَادِقة» في قوله: ﴿**رُوحٌ مِنْه**﴾ فقال: تفسير «روح الله» إنما معناها أنها روح بكلمة الله خلقها كما يقال: عبدالله،

---

(١٠) وإلىٰ هذا يشير قوله ﷺ في الحديث نفسه: «**بَلْهَ ما أَطْلَعكم الله عليه**» بعد قوله: «**أَعْددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت**» أي: دع عنك ما أطلعكم عليه! فالذي لم يُطْلعكم عليه أعظم، وكأنه أَضرب عنه استقلالاً في جنب ما لم يطلع عليه، وقيل معناه: غير، وقيل معناه: كيف. (نووي).

وسماء الله، وأرض الله[11].

الفصل الثاني[1]:

ذكرُ العبد لله تعالىٰ في نَفسُه، معناه بحيث لا يعلمه أحدُ غيره، ولا يَطَّلعُ عليه سواه، قال تعالىٰ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]. أي: تعلم ما أجنّه وما أُسِرّه وأُضْمره، ولا علم لي بما في نفسك مما أخفيته عني.

الفصل الثالث:

قوله: «وإنْ ذَكَرني في ملإٍ ذِكرتُه في ملإٍ خَيرٍ منه» فالمراد بالملإ: الملائكة، وقد صرَّح بذلك في لفظٍ آخر[12]، وأنَّه تعالىٰ يُشهدهم علىٰ ما يفعل بهم من الكرامات ويمدحهم ويثني عليهم عندهم.

وقد جَعَلَ قومٌ هذا حجة في تفضيل الملائكة علىٰ المؤمنين من بني آدم، ومن ذهب إلىٰ تفضيل الأنبياء والأولياء من الآدميين علىٰ الملائكة يُجيب عن ذلك بأنَّ معنىٰ قوله «خير منه» يَرجع إلىٰ الذكر[2] أي أنه قال بذكرٍ خيرٍ من ذكْره وأطيب منه، لأنَّ ذكرَ العبدِ لله دُعَاء وتَضَرُّعٌ، وذكرَ الله إظهارُ رحمته وكرامته، وذلك خير للعبد وأنفع[13].

---

(١) كتب بمحاذاته: بلغ مقابلة.

(٢) في الأصل: إلىٰ الذكرىٰ، وقد نبه علىٰ خطأه الناسخ.

---

(١١) الرد علىٰ الجهمية (ص٤٠).

(١٢) التصريح بذكر الملائكة جاء في رواية معاذ بن أنس، وقد تقدَّم ذكرها برقم (٢) من هذا الفصل.

(١٣) تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، ويُنسب إلىٰ أهل السنة تفضيل صالحي البشر أو الأنبياء فقط علىٰ الملائكة، وإلىٰ المعتزلة تفضيل الملائكة.

وأتباع الأشعري علىٰ قولين: منهم من يُفَضِّل الأنبياء والأولياء، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولاً، وحُكي عن بعضهم ميلهم إلىٰ تفضيل الملائكة، وحكي ذلك عن =

٤١٩ـ وأخرج إليَّ أبو محمد الحسن بن محمد الخلال عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**المؤْمِنُ أَفْضَلُ مِنَ الملائكة الذين عند الله عز وجلَّ**»[١٤].

الفصل الرابع:

قوله: «**دَنَوتُ منه ذِرَاعاً وبَاعاً وأتيته هَرْولة**» فليس المراد به دُنُو الذَّات وقُربها في المسافة وإتيانها، وإنما المراد بذلك قُرب المنْزلة والحظِّ لديه، وكذلك قوله: «**أَتَيتُهُ هَرْوَلَة بالثَّواب**»[١٥] وأراد بذلك إسراع الثواب، ويحتمل أنْ يكون المراد بالهرولة والسرعة التَّضعيف في الثواب والزيادة فيه، علىٰ معنىٰ قوله: ﴿**مَنْ جَاء بالحسنة فَلَه عَشْرُ أَمْثالِها**﴾ [الأنعام: ١٦٠].

٤٢٠ـ وقد روي هذا في حديث أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عَزَّ وجَلَّ: مَنْ عَمِلَ حَسَنَةً فَلَهُ عَشرُ أمثالها، ومَنْ عَمِلَ سَيئةً فجزاؤه**[١] **مثلها، ومَنْ اقْتَرَبَ إليَّ شَبْراً اقْتَرَبْتُ إليه ذِرَاعاً**»[١٦].

---

(١) في الأصل: فجزا!

غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية.

وقالت الشيعة: إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة اهـ. من كلام ابن أبي العز الحنفي في شرحه للطحاوية (٢/ ٤١٠) وقد أطال الكلام في هذه المسألة وذكر استدلال الفريقين من الكتاب والسنة.

ورجَّح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ أن حال المَلَك أفضل ابتداء، وأن حال الأنبياء والأولياء أفضل انتهاء.

انظر تفصيل كلامه في مجموع الفتاوي (٤/ ٣٥٠ ـ ٣٩٢).

وانظر البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (١/ ٥٤).

(١٤) لم أقف عليه.

(١٥) كذا قال! ولم يتقدم لهذه الرواية ذكر فيما سبق.

(١٦) تقدم ذكره برقم (٢) من هذا الفصل.

فدلَّ هذا علىٰ أنَّ المراد بذلك التَّضْعيف، ولا يكون المراد به السَّير وإنَّما سَمَّاه ذلك تَوسعاً كما قال تعالىٰ: **﴿والذينَ سَعَوا في آياتِنَا مُعَاجِزينَ﴾** [سبأ: ٥]. والسَّعْي هو العَـدْو والإسْرَاع في المشي، وليس ذلك بمراد أنهم مَشَوا، بل المراد بذلك استعجالهم المعاصي، ومبادرتهم إلىٰ فعلها، كذلك ها هنا، والذي يَدلُّ علىٰ صحة هذا التأويل ما تقدم في حديث أبي هريرة: «**ومَنْ جَاء يَمْشي أقْبلُ الله إليه بالخير يُهرول**» وقد ذكرنا إسناده(١٧) وهذه لفظة زائدة قضينا بها علىٰ غيرها من الألفاظ المطلقة.

ويعضد ذلك تفسير السلف:

٤٢١ـ وهو ما: نا أبو عبدالله بن البغدادي عن ابن مالك عن عبدالله بن أحمد عن أحمد بإسناده عن أنس عن النبي ﷺ أنّه ذكر الحديث قال قتادة: «**والله أسْرَعُ بالمغْفِرة**»(١٨).

ويُفارق هذا ما تقدَّم من أخبار النُّزول إلىٰ السَّماء الدنيا، ومجيئه في ظُلَلٍ من الغَمام، وأنَّها محمولة علىٰ ظاهرها في نُزول الذات ومجيء الذات لا علىٰ وجه الانتقال، ولم يَجُزْ تأويله علىٰ نزول ثوابه وكراماته، لأنَّه لم يَرِدْ في ألفاظه ما دلَّ عليه، وها هنا قد جاء التفسير من النبي ﷺ فلهذا حملناه عليه.



(١٧) وهو المتقدم برقم (٣) من هذا الفصل.

(١٨) تقدم تخريجها برقم (١) من هذا الفصل.

«حَديــثٌ آخَــرٌ»

٤٢٢ـ ناه أبو القسم بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَدُ الله علىٰ الجماعة**»[1].

---

(١) حديث صحيح، أخرجه الترمذي في الفتن (٤/ ٤٦٦) بلفظ: «**يد الله مع الجماعة**» والحاكم في المستدرك (١/ ١١٦) وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٢٢) ولفظه عندهما: «**لا يَجمعُ الله أُمتي** ـ أو قال هذه الأمة ـ **علىٰ الضلالة أبداً، ويد الله علىٰ الجماعة**» كلهم عن عبدالرزاق ثنا إبراهيم بن ميمون أخبرني عبدالله بن طاووس عن أبيه أنه سمع ابن عباس فذكره.

قال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه.

وقال الحاكم عنه إبراهيم بن ميمون: عدَّله عبدالرزاق وأثنىٰ عليه، وعبدالرزاق إمام أهل اليمن وتعديله حجة.

وزاد الذهبي: ووثقه ابن معين.

وقال الحافظ في التقريب: ثقة.

* وله شاهد من حديث ابن عمر:

أخرجه الترمذي (٤/ ٤٦٦) والطبراني في الكبير (١٢/ ١٣٦٢٤) والحاكم (١/ ١١٥ ـ ١١٦) وعنه البيهقي في «الأسماء» (ص٣٢٢) من طرق عن المعتمر بن سليمان عن سليمان المدني أبو سفيان عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر مرفوعاً «**إنَّ الله لا يَجمعُ أُمتي** ـ أو قال أُمة محمدٍ ﷺ ـ **علىٰ ضلالةٍ، ويَدُ الله مع الجماعة، ومَنْ شَذَّ شذَّ إلىٰ النار**».

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وسليمان المدني هو عندي سليمان ابن سفيان، وقد روىٰ عنه أبو داود الطيالسي وأبو عامر العقدي وغير واحد من أهل العلم.

قلت: ونقل في «العلل الكبير» (٢/ ٨١٧) عن البخاري: إنه منكر الحديث.

وقال الحافظ: ضعيف.

وأشار الحاكم إلىٰ أنه اختُلِف فيه علىٰ معتمر بن سليمان علىٰ سبعة أوجه ثم قال: «**وقد روىٰ** =

٤٢٣ـ ورواه أبو بكر النجاد في سننه وأبو عبدالله ابن بطة بإسناده عن أسامة بن شريك عن النبي ﷺ أنه قال وَوَضَعَ يده علىٰ فيه: «**يَدُ الله علىٰ الجَماعةِ، فَإذا شَذَّ الشَّاذُّ تَخَطَّفَه الشَّيْطانُ كَما يَتَخَطَّفُ الذِّئْبُ الشَّاذَّ مِنَ الغَنَم**»[٢].

= **هذا الحديث بأسانيد يصح بمثلها الحديث، فلا بد أن يكون له أصل بأحد هذه الأسانيد..**».

وقال الحافظ في التلخيص: ويمكن الاستدلال بحديث معاوية مرفوعاً: «**لا يَزالُ من أمتي أمةٌ قائمةٌ بأمر الله، لا يضرهم مَنْ خَذَلَهم ولا من خالفهم حتىٰ يأتي أمرُ الله**» أخرجه الشيخان، ووجه الاستدلال منه: أنَّ بوجود هذه الطائفة القائمة بالحق إلىٰ يوم القيامة لا يحصل الاجتماع علىٰ الضلالة.

* ولمعتمر فيه شيخ آخر:

فقد أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ١٣٦٢٣) حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثني محمد بن أبي بكر المقدمي ثنا معتمر بن سليمان عن مرزوق مولىٰ آل طلحة عن عمرو بن دينار عن ابن عمر مرفوعاً به، دون قوله: «**ومن شذَّ شذ في النار**».

ذكره الهيثمي في المجمع (٥/ ٢١٨) وقال: رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات رجال الصحيح خلا مرزوق مولىٰ آل طلحة وهو ثقة.

وصحَّ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: «**يدُ الله فوق الجماعة، فمن شذَّ لم يُبال الله بشذوذه**».

أخرجه أبو عبدالله ابن بطة في الإبانة (١/ ٢٨٩) بإسنادٍ صحيح عنه.

ويشهد للحديث ما بعده.

* فائدة: قال أبو عيسىٰ الترمذي عقب إخراجه الحديث السابق: وتفسير الجماعة عند أهل العلم: هم أهلُ الفقه والعلم والحديث، قال: وسمعت الجارود بن معاذ يقول: سمعت علي ابن الحسن يقول: سألت عبدالله بن المبارك: مَنْ الجماعة؟ فقال: أبو بكر وعمر، قيل له: قد مات أبو بكر وعمر، قال: فلانٌ وفلان، قيل له: قد مات فلان وفلان؟ فقال عبدالله بن المبارك: أبو حمزةَ السُّكَّريُّ جماعة.

قال أبو عيسىٰ: وأبو حمزة هو محمد بن ميمون، وكان شيخاً صالحاً، وإنما قال هذا في حياته عندنا.

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٨١) مختصراً والطبراني في الكبير (١/ =

اعلم أنَّ الكلام في هذا في فصلين: أحدهما: في «اليد» والثاني في قوله: «على الجماعة».

أما الأول: فإنه غيرُ ممتنعٍ حمل اليد ها هنا علىٰ أنها يد صفة للذات كقوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ: ٧٥]. وكذلك قوله: «قَلْبُ العَبْدِ بين أُصْبُعَين مِنْ أَصَابعِ الرَّحْمَنِ» علىٰ أنها صفةٌ للذات كذلك ها هنا.

فإن قيل: إنَّما لم تُحمل[1] اليد في خلق آدم علىٰ الذات، لأنَّ في ذلك إبطال فضيلة آدم وتشريفه علىٰ إبليس، لأنَّ إبليس أيضاً مخلوق بالذات.

قيل: قد أجبنا عن هذا السؤال في حديث «الساعد» بما فيه كفاية[3]، وعلىٰ أنَّ الخبر قُصِدَ به تشريفُ الجماعةِ ومدحِها، والحثِّ علىٰ متابعتها وذمِّ مفارقتها، فإذا حُمل الخبر علىٰ الذات أبطلنا فضيلة الجماعة، لأنَّ غير الجماعة هو معها.

فإن قيل: تُحمل اليد ها هنا علىٰ الذات كقوله: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً﴾ [يسٓ: ٧١] معناه: مما عملنا، وكقوله: ﴿مما مَلَكَتْ أَيْمانِكُم فَكَاتِبُوهُم﴾ [النور:

---

(١) في الأصل مهملة النقط، ولعل ما أثبتناه هو الصواب.

= ٤٨٩) عن عبدالأعلىٰ بن أبي المساور عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك مرفوعاً به.

وفي سنده ابن أبي المساور، ضعيف الحديث، وقال بعضهم متروك (التهذيب).

* وله طريق آخر:

فقد أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١/ ١٤٤) عن محمد بن معلىٰ حدثنا سليمان العامري عن الشيباني عن زياد بن علاقة به.

وسليمان بن عبدالرحمن وهو ابن ثوبان العامري، ترجمه كلٌّ من البخاري وابن أبي حاتم ولم يذكرا فيه شيئاً، وذكره ابن حبان في الثقات كما في التهذيب.

(٣) تقدم انظر (ص).

٣٣]. معناه: مما ملكتم أنتم، كقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ يَعْفُوا الذي بيدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. معناه: المالك لعقدة النكاح، لأَنَّا رأينا من يملكه مقطوع اليد.

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّه إنْ جازَ تأْويل اليد ها هنا علىٰ الذات؛ جاز تأويل قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَي﴾ علىٰ الذات، ولأنَّ هذا يؤدي إلىٰ جواز القول بأنَّ الله يد! لأنه قد عبَّر عن الذات باليد! وأنَّه يجوز أنْ يُدْعا فيقال: يا يد اغفر لنا، وقد أجمعت الأمة علىٰ خِلافه.

وجـــواب آخـــر:

وهو أنَّ هذا يُسقط فائدة التخصيص بالجماعة، لأنَّ ذاته مع الواحد أيضاً، فعلم أنَّ تَخصيص الجماعة له فائدة. وأمَّا قوله: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً﴾ [يسٓ: ٧١]. فإنما انتقلنا عن ظاهره لدليل وهو حصول الإجماع علىٰ أنَّه لم تُخْلق الأنعام بيده، ومنه قول النبي ﷺ: «إنَّها جُزْءٌ مِنْ جُزْءٍ»[٤] وكذلك قوله: ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكم﴾ [النور: ٣٣]. قد دلَّ الدليل علىٰ أنَّ المراد به ملكنا من العبيد، وكذلك قوله: ﴿بيدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. قام الدليل علىٰ أنَّ المراد به الملك، وليس ها هنا ما دل علىٰ ذلك فحملناه علىٰ ظاهره.

الفصـــل الثانـــي:

في قوله «علىٰ الجماعة» معناه هو معهم بالنُّصرة لهم.

٤٢٤ـ وقد قال أحمد في قوله تعالىٰ لموسىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ [طه: ٤٦]. أَدْفَعُ عنكما، وقوله: ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِنَّ الله مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. في الدَّفْع عنَّا، وقوله: ﴿إِنَّ الله مَعَ الصَّابرين﴾ [البقرة: ١٥٣]. يقول في النصر لهم علىٰ عدوهم، وقوله: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ إلىٰ قوله: ﴿والله معكم﴾ [محمد: ٣٥].

---

(٤) لم أجده!

في النصر لكم علىٰ عدوكم، والوجه منه[1] أنَّ الخبر قُصِدَ به الترغيب في لزوم الجماعة.

٤٢٥- وقد روىٰ أبو عبدالله بن بطة بإسناده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**مَنْ تَرَكَ الطَّاعَةَ، وَفَارَقَ الجَمَاعَةَ، ثُمَّ مَاتَ فَقَدْ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[٥].

٤٢٦- وروىٰ النُّعْمان بن بشير قال رسول الله ﷺ: «**الجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ والفُرْقَةُ عَذَابٌ**»[٦].

٤٢٧- وروىٰ معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الشَّيْطانَ ذِئْبُ الإِنْسَانَ**

---

(١) قوله منه، رسمه في الأصل محتمل لما هنا ولأن يكون «فيه» وهو أولىٰ اهـ. من خط الناسخ.

---

(٥) «الإبانة» لابن بطة (١/ ١٠٨) عن شبابة بن سوار حدثنا مهدي بن ميمون عن غيلان بن جرير عن زياد بن رياح عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بهذا اللفظ مختصراً.

وقد أخرجه مسلم في الإمارة (٣/ ١٤٧٧) عن عبدالرحمن بن مهدي حدثنا مهدي بن ميمون به مع الزيادة الآتية.

وأخرجاه من طرق أخرىٰ عن غيلان بن جرير عن زياد بن رياح به.

وفيها زيادة «**ومن قاتل تحت رايةٍ عُمِّيَّة، يغضب لِعَصَبةٍ، أو يدعو إلىٰ عَصَبة، أو ينصر عصبة، فَقُتل فَقِتْلَةٌ جاهلية، ومَنْ خَرَج علىٰ أُمتي يَضربُ برَّها وفاجرها ولا يتحاشىٰ من مُؤمنها، ولا يَفي لذي عهدٍ عهده، فليس مني ولستُ منه**».

(٦) حديث حسن، أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٨، ٣٧٥) وابنه عبدالله في زوائده (٤/ ٢٧٨) وابن أبي عاصم في السنة (٩٣) وابن بطة في الإبانة (١/ ١١٧) والقضاعي في مسنده (١٥) والبيهقي في الشعب (٤/ ٤٤١٩) من طرق عن أبي وكيع الجراح بن مليح عن أبي عبدالرحمن القاسم بن الوليد عن الشعبي عن النعمان بن بشير مرفوعاً به.

ولفظه عند أحمد: «**مَنْ لم يَشْكر القَليل لم يَشكرْ الكثير، ومَنْ لم يشكر الناسَ لم يَشكر الله، والتَّحدث بنعمةِ الله شُكرٌ وتركها كفرٌ، والجَماعة رحْمةٌ والفُرقة عَذَابٌ**».

وإسناده حسن، القاسم بن الوليد الهمداني وثَّقه ابن معين وابن سعد والعجلي وابن حبان وقال يخطىء، وأبو وكيع صدوق يهم، وقال النسائي: لا بأس به. =

كَذِئْبِ الغَنَم، يَأخُذُ الشَّاذَّةَ والقَاصِيَةَ والنَّاحِيَة، وإيَّاكُم والشِّعَاب، وعَليكم بالجَمَاعة»[7].

٤٢٨- وروىٰ سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلكُم الفُرْقَة»[8].

٤٢٩- وقد روىٰ ابن فورك[9] عن مكحول عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «عَلَيْكُم بالجَمَاعةِ فإنَّ يَدَ الله مَعَ الفُسْطَاط» وقال معنىٰ الفسطاط: المدينة، ولذلك قيل لمصر فُسطاط، فيكون معناه: إنَّ الله مع السَّواد الأعظم ومع أهل الأمصار، وأنَّ من شَذَّ منهم وفَارَقَهم في الرأي، فليس علىٰ الحق.

= وحسَّنه الألباني في السنة.

(٧) إسناده منقطع، أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٢ - ٢٣٣) والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٣٦) عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن العلاء بن زياد عن معاذ مرفوعاً به.

وأخرجه أحمد (٥/ ٢٤٣) عن عمر بن إبراهيم ثنا قتادة عن العلاء بن زياد عن رجل حدثه يثق به عن معاذ به.

والعلاء هو العدوي أبو نصر البصري، ثقة من عُبَّاد أهل البصرة وقرَّائهم، لكنه لم يسمع من معاذ، كما في التهذيب.

وقريبٌ من معناه: حديث ابن عمر عن عمر أن النبي ﷺ قال: «عليكم بالجَمَاعة، وإياكم والفُرْقَة، فإنَّ الشيطانَ مع الواحدِ، وهو من الإثنين أَبْعَد، ومَنْ أرادَ بُحْبُحة الجنةِ فعليه بالجَمَاعة».

وهو حديث صحيح، أخرجه أحمد (١/ ١٨) والترمذي (٤/ ٤٦٥ - ٤٦٦) وابن أبي عاصم في السنة (٨٨) واللفظ له والبخاري في التاريخ الكبير مُعلَّقاً (١/ ١٠٢) والحاكم (١/ ١١٤ - ١١٥) وغيرهم وفيه زيادات غير ما سقناه هنا.

(٨) لم أجده.

(٩) «مشكل الحديث» (ص١٤٢ - ١٤٣) معلقاً عن مكحول عن ابن هريرة مرفوعاً به.

٤٣٠ـ ورأيت هذا الحديث في «غريب الحديث» لابن قتيبة[١٠] فقال: يرويه سُوَيد ابن عبدالعزيز عن النُّعمان بن المنذر عن مكحول عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**عَلَيْكُم بالجَمَاعَةِ فإنَّ يَدَ الله عَلىٰ الفُسْطَاط**» وتكلَّم عليه نحو ما تكلم به ابن فورك وزادَ عليه بما هو في معناه.

* * *

(١٠) (١/ ٣١٨).

وذكره في الفائق (٣/ ١١٦) والنهاية (٣/ ٤٤٥).

وإسناده ضعيف منقطع، مكحول لم يسمع من أبي هريرة كما في التهذيب وغيره، وسُويد ابن عبدالعزيز الدمشقي ضعيف.

«حَديثٌ آخَر في هذا المعنىٰ»:

٤٣١ـ ناه أبو عبدالله البغدادي قال قرئ علي أبي الحسين عبدالله بن إبراهيم ابن جعفر بن بيان الزبيبي[1] قلت: حدثكم الحسن بن عَلُوية هو العطار قال: نا إسماعيل بن عبدالرحمن أبو إبراهيم الأعرج قال: نا عمر بن حفص قال: نا ثابت البُناني عن أَنَس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَدُ الرَّحْمن عزَّ وَجَلَّ عَلىٰ رَأْسِ المؤَذِّن حَتَّىٰ يَفْرغَ مِنْ أذَانِه، وإنَّه لَيُغْفَر له مَدَّ صَوْتِهِ**»[11].

٤٣٢ـ وفي معناه ما حَدَّثناه أبو القسم قال: نا القاضي عمر بن سنبك قال: نا محمد بن محمد بن سليمان الواسطي: نا سويد بن سعيد الحدثاني: نا معتمر[2] بن سليمان عن جعفر بن الزبير عن القسم عن أبي أُمَامَة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَا الْتَقىٰ صَفَّانِ قَط إلا كانَ كَفُّ الرحْمَنِ جلَّ اسْمُهُ بينهما، فإذا أرَادَ أنْ يَهْزِمَ إحْدىٰ الطائفتين أمَال كَفَّه نَحْوه وانْكَفأ**»[12].

(١) في الأصل: الزينبي، والتصويب من تاريخ بغداد (٩/٤٠٩).

(٢) في الأصل: معمر! وهو خطأ والتصويب من التهذيب وغيره.

(١١) إسناده ضعيف، أخرجه الطبراني في الأوسط ـ كما في المجمع (١/ ٣٢٦) ـ والخطيب في «تاريخه» (١١/ ١٩٣).

قال الهيثمي: وفيه عمر بن حفص العبدي وقد أجمعوا علىٰ ضعفه.

وهو كما قال.

(١٢) إسناده ضعيف جداً، فيه جعفر بن الزبير وهو الدمشقي، قال البخاري: تركوه، وقال الذهبي في الكاشف: عابدٌ ساقط الحديث.

ولم أجد من أخرجه بهذا الإسناد.

لكن قد أخرجه ابن أبي حاتم موقوفاً بسند آخر في «العلل» (١/ ٣٣٧) قال: سألت =

٤٣٣ـ وفي معناه ما نا أبو القسم قال: نا عبيد الله بن محمد بن أحمد المقري قال: نا أحمد بن عيسىٰ بن جمهور: نا عمر بن شَبَّةَ: نا يحيىٰ بن سعيد القَطَّان عن ابن أبي ذئب عن صالح مولىٰ التوأمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِذَا أَرَادَ الله عَزَّ وجَلَّ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقاً للخِلاَفَةِ مَسَحَ نَاصِيَتَه بِيَمِينِه»**[١٣].

اعلم أنَّ قوله: **«يَدَ الله علىٰ رأس المؤذِّن»** القول فيه كالقول في[١] **«يد الله علىٰ الجماعة»** لأنَّه في معناه، لأنَّه قُصِدَ به المدح والثناء، وأما قوله: **«مسح علىٰ ناصيته بيمينه»** القول فيه كالقول[٢]: **«لما خَلَقَ آدم مَسَحَ ظهره فاستخرج الذُّريَّة بعضُها بيمينه وبعضها بشماله»** وأنَّ ذلك علىٰ ظاهره.

---

(١) في الأصل: فيه، وهو خطأ.

(٢) كذا في الأصل ولعله سقط حرف «في» وقد نبه عليه والذي قبله الناسخ.

= أبا زرعة عن حديث حدَّثناه عن شعيب بن يوسف النسوي ـ وقال كتبت عنه منذ أربعين ـ عن معاذ بن هشام عن أبيه عن علي بن الحكم عن أبي صفوان عن مجاهد عن عبدالله ابن عمرو قال: **«ما الْتَقَىٰ صَفَّان إلَّا بينهما يدُ الله، فإذا أَمَالها علىٰ هؤلاء انْهزَموا هؤلاء، وإذا أَمَالها علىٰ هؤلاء انهزموا هؤلاء»**.

ثم قال: قلت لأبي زرعة: يُسمي أبو صفوان هذا؟ قال: لا يُسمي، ثم سألت أبي عن أبي صفوان هذا، فقال: هو حميد بن قيس الأعرج المكي اهـ.

قلت: وهو ثقة قد تُكلِّم فيه، وعلي بن الحكم هو البناني ثقة، والإسناد إليهما حسن.

(١٣) في سنده أحمد بن عيسىٰ بن جمهور، قال الخطيب في تاريخه (٤/ ٢٨١): في أحاديثه غرائب، ونقل عن ابن الأزرق السقطي أن جده قال له عنه إنه: ثقة، وباقي الإسناد حسن.

وقد روي بإسناد آخر، فقد أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٩٨ ـ ١٩٩) وأبو أحمد ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٣٦٢) والخطيب في تاريخه (١٠/ ١٤٧) كلهم عن عبدالله بن موسىٰ بن شيبة ثنا مصعب بن عبدالله النوفلي عن ابن أبي ذئب به.

قال ابن عدي: هذا حديث منكر بهذا الإسناد والبلاء فيه من مصعب بن عبدالله =

وأمَّا قوله: «كَفُّ الرحمن بينهما» فيحتمل أنْ يكون المراد به نَصْرُهُ معهما، لأنَّ دلالة الحال تدلُّ عليه، وهو القتال، كما قال أحمد في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. حمله علىٰ النُّصرة لدلالة الحال.

* * *

= النوفلي ولا أعلم له شيئاً آخر.

وقال العقيلي في ترجمته: مجهولٌ بالنقل، حديثه غير محفوظ ولا يتابع عليه.

وذكره الشوكاني في الموضوعات (ص٤٨٨) وقال: ورواه الخطيب عن أنس مرفوعاً، وفي إسناده: مسرة بن عبدالله مولىٰ المتوكل، وهو ذاهب الحديث.

قال: وأخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس مرفوعاً وزاد: «لا تقع عليه عينٌ إلا أحَبَّته».

قال الحاكم: رواته هاشميون معروفون بشرف الأصل!

قال ابن حجر في الأطراف: إلا أن شيخ الحاكم ضعيف، وهو من الحفاظ، يعني: أبا بكر بن أبي دارم اهـ.

انظر تاريخ بغداد (٢/ ١٥٠) واللآلىء المصنوعة (١/ ١٥٤ ـ ١٥٥).

وأخرجه الخطيب ـ كما في اللآلىء المصنوعة (١/ ١٥٤ ـ ١٥٥) ـ عن كعب بن مالك مرفوعاً: «ما اسْتَخلَفَ الله تعالىٰ خليفةً حتىٰ يَمسح نَاصيته بيمينه» ثم أعلَّه بابن شبيب ـ وهو عبدالله بن شبيب الربعي ـ قال: ليس بشيء وضعَّفه الدارقطني، وقال في الميزان: إخباريٌّ علَّامة لكنه واه.

«حديـــثٌ آخــــر»

٤٣٤ـ رواه ابن فُورك[1] ثم رأيته بعد ذلك في «غريب الحديث» لابن قتيبة فقال: حدثنيه أبو الخطاب زياد بن يحيىٰ بن حَسَّان قال: نا أبو عتاب عن عيسىٰ بن عبدالرحمن السلمي قال: حدثني عدي بن ثابت عن البراء بن عَازِب أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ فُلاَناً هَجَاني وَهُوَ يَعْلَم أنِّي لَسْتُ بشَاعِرٍ فاهْجُهُ اللهمَّ والْعَنْه عَدَدَ مَا هَجَاني**»[2].

وتكلم علىٰ تأويله فقال: قوله: «**اللهم اهجه**» أيْ جَازِه علىٰ الهجاء كما قَالَ: ﴿**وَجَزاءَ سَيِّئةٍ سَيئَةٌ مِثْلُهَا**﴾ [الشورىٰ: ٤٠]. وقال تعالىٰ: ﴿**فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُم فَاعْتَدُوا عَليه بِمِثْلِ**﴾ [البقرة: ١٩٤]. وليس الثاني اعتداء ولا سيئة في الحقيقة، وإنَّما سُمِّيَ باسمه لَمَّا كان جزاء له. وكذلك قوله: ﴿**يَسْتَهْزِىءِ بِهِمْ**﴾ [البقرة: ١٥]. وقوله: ﴿**سَخِرَ الله مِنْهُمْ**﴾ [التوبة: ٧٩].

ومنه قول الشاعر[3]:

ألا لا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلينَا
فَنَجْهل فَوقَ جَهْلِ الجَاهِلينَا

---

(١) «مشكل الحديث» لابن فورك (ص١٤٥) معلقاً دون إسناد.

(٢) لم أره في المطبوع من «غريب الحديث» في مظانِّه.
وإسناده حسن، رجاله ثقات سوىٰ أبي عتاب وهو سهل بن حماد العنقزي أبو عتاب الدلال البصري، قال أحمد: لا بأس به، وقال أبو زرعة وأبو حاتم: صالح الحديث شيخ (التهذيب).

(٣) هو عمرو بن كلثوم التغلبي.
والبيت من معلقته، انظر «شرح المعلقات السبع» للزوزني (ص١٠٢).

فسمىٰ الجزاء علىٰ الجهل جهلاً، كذلك قوله: «**فاهجه اللهم**» أي جَازِه علىٰ هجائه بعقوبة تحلها به.

واعلم أنَّه غيرُ ممتنعٍ علىٰ أصلنا إطلاقُ «الهجو» عليه سبحانه، لأنَّه الهجو هو: الذَّم، وقد ذمَّ الله تعالىٰ أبا لهبٍ بقوله: ﴿**تَبَّتْ يدَا أبي لَهَبٍ**﴾ [المسد: ١]. وسَمَّتْ العرب هذه السورة هَجْوَ أبي لهبٍ، وكذلك الاسْتهزاء والسُّخْرية لا يمتنع وُصْفُ الله تعالىٰ بهما، لأنَّ الاسْتهزاء والسخرية هو الانتقاص والاسْتِهانةِ، وقد ينتقص الله أقواماً ويُهَوِّن بهم، قال تعالىٰ: ﴿**وَمَنْ يُهِنِ الله فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمْ**﴾ [الحج: ١٨]. وقال النبي ﷺ: «**الميزانُ بيدِ الرحمنِ يَرْفَع أقواماً ويَضَعُ آخرينَ**»(٤).

* * *

---

(٤) حديث صحيح، سبق تخريجه في باب: إثبات صفة الأصابع.

«حَدِيــــثٌ آخَــــر»

٤٣٥ـ ناه أبو القسم بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله جَميلٌ يُحبُّ الجَمَالَ، ويُحبُّ أنْ يَرَىٰ نعمه علىٰ عَبْدِه، ويُبْغِض البُؤسَ، والتَبَاؤُسَ»**(١).

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه أبو يعلىٰ في مسنده (٢/ ١٠٥٥) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ١٠٦٧) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٦٢٠١) عن عثمان بن أبي شيبة حدثنا عمران بن محمد بن أبي ليلىٰ عن أبيه عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً به.

وفيه ضعيفان: عطية العوفي ومحمد بن أبي ليلىٰ.

وليس عند أبي يعلىٰ: **«ويبغض البؤس والتباؤس»**.

لكن للحديث شواهد:

* منها حديث أبي هريرة:

أخرجه البيهقي في «الشعب» (٥/ ٦٢٠٢) والسهمي في «تاريخ جرجان» (ص١٤٢):

عن حاتم بن يونس الجرجاني ثنا إسماعيل بن سعيد الجرجاني ثنا عيسىٰ بن خالد البَلْخي ثنا ورقاء عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله عز وجل إذا أَنْعم علىٰ عبدٍ نعمةً يُحبُّ أن يَرىٰ أثر النِّعمةِ عليه، ويكره البُؤسَ والتَّباؤُس، ويُبغضُ السَّائل المُلْحِف، ويُحبُّ الحييَّ العَفيف المُتعفِّف»**.

قال البيهقي: وفي هذا الإسناد ضعف!

كذا قال! ولم يشر إلىٰ سبب ضعفه، ورجاله ثقات، انظر السلسلة الصحيحة للألباني (١٣٢٠).

* ومنها حديث زهير بن أبي علقمة الضبعي:

أخرجه الطبراني في الكبير (٥/ ٥٣٠٨) عن سفيان عن أسلم المنقري عن زهير بن أبي علقمة الضبعي قال: أتىٰ النبي ﷺ رجلٌ سيءُ الهيئةِ فقال: **«أَلَكَ مالٌ؟»** قال: نعم، من كلِّ أنواع المال، قال: **«فَلْيُرَ عليكَ، فإنَّ الله عز وجل يُحبُّ أن يَرىٰ أثَرَه علىٰ عَبْده حُسْناً،** =

٤٣٦ـ وناه أبو القسم بإسناده عن عامر ابن سعد عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله جَميلٌ يحبُّ الجمال، وجَوادٌ يحبُّ الجود، وكريمٌ يحبُّ الكُرَماء، طيبٌ يحب الطَّيب، ونظيفٌ يحبُّ النظافة، فَنَظِّفوا بيوتكم، ونظِّفوا بيوتكم، ونظِّفوا ساحَاتِكم ولا تَشَبَّهوا باليهود تجمعُ الأَكْنَاسَ في دُورها**»[٢].

= **ولا يحبُّ البؤس والتباؤس**».

قال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٣٢): ورجاله ثقات.

وقد أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٤٢٦) عن سفيان عن أسلم المنقري عن زهير بن علقمة مرفوعاً: «**إن الله يحبُّ أنْ يَرَىٰ أثره علىٰ عبده**».

قال الحافظ في الإصابة (١/ ٥٥٤): زهير بن علقمة ويقال: ابن أبي علقمة البجلي أو النخعي. . . قال البغوي: لا أعرف له صُحبة إلا أنهم أدخلوه في المسند، وقال ابن السكن: لا صحبة له، وروىٰ البخاري في التاريخ. . فذكر الحديث ثم قال: قال البخاري: لا أراه إلا مرسلاً.

قلت: وقد ذكره الألباني في السلسلة في شواهد الحديث السابق وقال: إسناده صحيح!

* وشاهد من حديث عمران بن حصين:

أخرجه البيهقي في الشعب (٥/ ٦٢٠٠) عن أبي رجاء العطاري قال: خرج علينا عمران ابن حصين وعليه مُطْرَفُ خَزٍّ فقلنا: يا صاحب رسول الله تلبس هذا، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يحب إذا أنعم علىٰ عبد نعمةً أن يرىٰ أثر نعمته عليه**».

وإسناده حسن، رجاله ثقات سوىٰ فضيل من فضاله فإنه صدوق.

والمُطْرف: هو رداء مربع ذو أعلام.

وأخرج مسلم في الإيمان (١/ ٩٣) من حديث ابن مسعود مرفوعاً: «**إن الله جميل يحبُّ الجمال. . . .**».

وللحديث شواهد أخرىٰ انظر شعب الإيمان للبيهقي (٥/ ١٦١ ـ ١٦٤) والسلسلة الصحيحة (١٣٢٠).

(٢) حديث ضعيف، أخرجه الترمذي في الأدب (٥/ ٢٧٩٩) عن خالد بن إلياس ـ ويقال: ابن إياس ـ عن صالح بن أبي حسَّان قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: «**إنَّ الله طيِّبٌ** =

اعلم أنه غير ممتنع وصْفُه تعالىٰ بالجَمال وأنَّ ـ ذلك صفةٌ راجعةٌ إلىٰ الذات، لأنَّ الجمال في معنىٰ الحُسْن، وقد تقدم في أول الكتاب قوله: «**رأيتُ ربِّي في أحسن صُورة**» وبيَّنَّا أنَّ ذلك صفةٌ راجعة إلىٰ الذات كذلك ها هنا، ولأنه ليس في حمله ظاهره ما يُحيل صفاته ولا يُخرجها عما تستحقه، لأنَّ طَريقَه الكمال والمدح، ولأنه لو لم يُوصف بالجمال جاز أنْ يُوصف بضدِّه وهو القُبْح، ولَمَّا لم يَجزْ أن يُوصف بضده؛ جاز أنْ يُوصف به، ألا تَرَىٰ أنَّا وصفناه بالعلم والقدرة والكلام لأن في نفيها إثباتُ أضدادها وذلك مستحيلٌ عليه، كذلك ها هنا.

فإن قيل: قوله: «**جميل**» بمعنىٰ: مُجَمِّل مَنْ شاء مِنْ خَلْقه، لأنَّ فعيل قد يجيء علىٰ معنىٰ: مُفعل، ومنه قولنا: حكيمٌ والمراد محكم لما فعله[٣].

قيل: هذا غلطٌ، لأن الخبر وَرَد علىٰ سبب، وهو الحثُّ لهم علىٰ التَّجمُّل في صفاتهم لا علىٰ معنىٰ التجميل في غيرهم فكان مقتضىٰ الخبر: إنَّ الله جميلٌ في ذاته يجب أنْ تتجملوا في صفاتكم، فإذا حُمِل الخبر علىٰ فعل التجميل في الغير، عدل بالخبر عمَّا قُصِدَ به.

= **يُحب الطِّيبَ، نَظيفٌ يحبُّ النظافة، كريمٌ يحبُّ الكَرَم، جَوادٌ يحبُّ الجود، منظفوا أَفْنِيتكم ولا تشبهوا باليهود**» قال: فذكرت ذلك لمهاجر بن مسمار فقال حدثنيه عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن النبي ﷺ مثله، إلا أنه قال: «**نظِّفوا أفنيتكم**».

قال الترمذي: حديث غريب، وخالد بن إلياس يُضعَّف.

وهو كما قال.

وله شواهد تشهد لمعناه، منها ما تقدم في الحديث السابق، ومنها ما أخرجه مسلم في الزكاة (٢/ ٧٠٣) وأحمد (٢/ ٣٢٨) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها النَّاسُ، إنَّ الله طَيِّبٌ ولا يَقبلُ إلا طيِّباً، وإنَّ الله أَمَرَ المؤمنينَ بما أَمَرَ به المُرسلين. .**» الحديث.

(٣) وهو ما تأوله ابن فُورك، انظر «مشكل الحديث» (ص١٤٧) وكذا ما يأتي من التأويلات الباطلة.

فإن قيل: معنىٰ الجمال ها هنا الإحسان والإفضال، فيكون معناه: هو المظهر النعمة والفضل علىٰ مَنْ شاء من خَلْقه برحمته.

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّه قد ذَكَر الجمال والإحسان والإفضال فقال: «**جميل يُحبُّ الجمالَ، وجوادٌ يحبُّ الجود، وكريمٌ يحبُّ الكرماء**» فإذا حَملنا الجمال علىٰ ذلك حُمِلَ اللفظُ علىٰ التكرار وعلىٰ ما لا يُفيد.

وجواب آخر: وهو أن نِعَم الله ظاهرةٌ، فَحَمْلُ الخبر علىٰ هذا يُسقط فائِدة التخصيص بالجمال.

* * *

«حَديـــثٌ آخـــر»

٤٣٧ـ ناه أبو القسم بإسناده عن علي بن أبي طالب وأبي هريرة وأنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله رَفيقٌ يحبُّ الرِّفقَ، ويُعطي عليه ما لا يُعطي علىٰ العُنْف**»[1].

اعلم أنه غير ممتنع وَصْفه بالرفق لأنه ليس في ذلك ما يُحيل علىٰ[1] صفاته، وذلك أنَّ الرفقَ هو الإحسان والإنعام وهو موصوفٌ بذلك لما فيها من المدح، ولأنَّ ذلك إجماعُ الأُمة، لأنهم يقولون: يا رفيقُ ارْفُقْ بنا في أحكامك، ولأنه إنْ امتنعَ وَصْفُه بالرفق جازَ وَصْفُهُ بضدِّه.

---

(١) كذا في الأصل بزيادة «علىٰ» ولعلها سهو من الناسخ.

---

(١) حديث صحيح، أما حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

فأخرجه أحمد (١/ ١١٢) وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٣٣٦) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧) عن عبدالله بن إبراهيم بن عمر بن كيسان قال أبي: سمعته عن عبدالله بن وهب بن منبه عن أبي خليفة عن علي مرفوعاً به.

أبو خليفة هو الطائي البصري، قال إبراهيم بن عمر بن كيسان: قلت لأبي: مَنْ أبو خليفة هذا؟ قال: قَرأَ عليَّ.

وقال الحافظ في التقريب: مقبول.

* وأما حديث أبو هريرة رضي الله عنه:

فأخرجه ابن ماجة (٢/ ٣٦٨٨) وابن حبان في صحيحه (١/ ٣٨٠ ـ ٣٨١) وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٠٦) عن أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً به.

وإسناده صحيح.

* وأما حديث أنس رضي الله عنه:

فأخرجه الطبراني في الصغير (١/ ٨١ ـ ٨٢) وفي الأوسط كما في مجمع البحرين (٥/ =

. . . .

=
٢٣٢ ـ ٢٣٣) والبزار (٢/ ٤٠٣ ـ زوائد) والبيهقي في الشعب (٧/ ٤٨٠) والخطيب في التاريخ (٦/ ١٢٤) عن سعيد بن محمد الجَرْمي ثنا أبو عبيدة الحداد عبدالواحد بن واصل ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس مرفوعاً به.

وإسناده حسن من أجل الجرمي فإنه صدوق.

وأخرجه الطبراني في الأوسط بسند آخر ـ كما في مجمع البحرين ـ عن الحسن بن عيسىٰ الحربي ثنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب عن أنس فذكره.

* وللحديث طرق أخرىٰ منها: حديث عائشة رضي الله عنها:

أخرجه أحمد (٦/ ٣٧، ٨٥، ١٩٩) والبخاري (١٠/ ٤٤٩) (١١/ ٤١ ـ ٤٢) (١٢/ ٢٨٠) ومسلم في السلام (٤/ ١٧٠٦) عن الزهري عن عروة عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: دخل رَهْطٌ من اليهود علىٰ رسول الله ﷺ فقالوا: السَّامُ عليكم، قالت عائشة: فَفَهِمتُها فقلت: وعليكم السَّامُ واللَّعنةُ، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**مَهْلاً يا عائشة! إنَّ الله يُحبُّ الرِّفْقَ في الأَمْرِ كلِّه**»، فقلت: يا رسول الله أوَ لم تسمعْ ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: «**قد قُلْتُ: وعليكم**».

وأخرجه مسلم في البر (٤/ ٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٤) عن أبي بكر بن حزم عن عَمْرة بنت عبدالرحمن عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله قال: «**يا عائشة إنَّ الله رفيقٌ يُحبُّ الرفقَ، ويُعطي علىٰ الرفقِ ما لا يُعطي علىٰ العُنْف، وما لا يُعطي علىٰ ما سِواه**».

* وحديث عبدالله بن مغفل رضي الله عنه:

أخرجه أحمد (٤/ ٨٧) والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٢) وأبو داود (٥/ ٤٨٠٧) والدارمي (٢/ ٣٢٣) عن حماد بن سلمة عن يونس وحميد عن الحسن عن عبدالله بن مغفل أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله رفيقٌ يُحبُّ الرفق، ويُعطي عليه ما لا يُعطي علىٰ العُنْف**».

وإسناده صحيح.

* ومنها حديث خالد بن مَعدان مرسلاً:

أخرجه مالك في الموطأ في الاستئذان (٢/ ٩٧٩) عن أبي عبيد مولىٰ سليمان بن عبدالملك عن خالد بن مَعْدان يرفعه: «**إنَّ الله تبارك وتعالىٰ رَفيقٌ يحبُّ الرفق ويَرْضَىٰ به، ويُعينُ عليه ما لا يُعين علىٰ العُنف، فإذا ركبتم هذه الدواب فأنزلوها منازلها...**».

«حديـــثٌ آخـــر»

٤٣٨ـ ناه أبو القاسم قال: نا أحمد بن عبدالعزيز بن جعفر إجازة قال: نا أبو الطيب عبدالله بن محمد بن فراح قال: نا بشر بن موسىٰ ومحمد بن مسلمة قالا: نا حرملة قال: حَدَّث سليمان بن حميد أنه سمع محمد بن كعب القرظي يحدث عن عمر بن عبدالعزيز قال: إذا فَرَغَ الله مِنْ أهلِ الجنة وأهلِ النار، أقْبَل يمشي في ظُلَلٍ من الغَمَام والملائكة، فيقفُ علىٰ أولِ أهلِ درجةٍ فيُسلِّم عليهم فيردون عليه السلام وهذا في القرآن: ﴿**سلامٌ قوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحيم**﴾ فيقول: «**سَلوني، فيقولون: ماذا نَسئلك، فوَعَزَّتِكَ وجَلالك وارْتِفَاعِكَ في مَكانِكَ، لو أنَّكَ قَسَمْتَ**[1] **علينا رِزْقَ الثَّقلين الجن والإنس لأطْعَمناهُم وأسْقَيْنَاهُم، ولا يَنْقُص، ذلك مما عِنْدَنَا، قال: بلىٰ سَلُوني، قالوا: نَسْئَلك رِضَاكَ، قال: رضائي أُحِلُّكُم دَار كَرامتي، فيفعل هذا بأهلِ كلِّ دَرجةٍ حتىٰ يَنْتَهي إلىٰ مَجْلِسِه، ولو أنَّ امْرَأةً مِنَ الحُور اطَّلَعت بِسِوارِها مِنَ العَرْشِ لأطْفَأ نورَ سِوارِها الشَّمْس والقمر**»[1].

(١) في الأصل: أقسمت، وهو خطأ والتصويب من ابن جرير وغيره.

---

(١) أثر مقطوع، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣/ ١٥) من طريقين عن حرملة عن سليمان ابن حميد قال: سمعت محمد بن كعب يحدث عمر بن عبدالعزيز. . فذكره مع اختلاف يسير وليس فيها ذكر العرش.

وهنا جعله المصنف من مسند عمر بن عبدالعزيز، وعزاه في الدر المنثور (٧/ ٦٦) إلىٰ أبي نصر السِّجْزي في الإبانة من قول محمد القرظي كما هو عند ابن جرير.

وسليمان بن حميد ذكره ابن أبي حاتم (٤/ ١٠٦) وقال: روىٰ عنه. . حرملة بن عمران، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

اعلم أنَّ هذا الحديث وإنْ كان موقوفاً فإن ظاهر القرآن يشهد له وهو قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلا أنْ يأتيَهُم الله في ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وقوله: ﴿وجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّاً صَفًّاً﴾ [الفجر: ٢٢]. وروىٰ بعض هذه الألفاظ مرفوعاً إلىٰ النبي ﷺ.

٤٣٩ـ حدثنا أبو القسم عن أبي الفتح قال قُرِىء علىٰ أبي القسم بن بنت منيع وأنا أسمع حدثكم محمد بن حميد الرازي نا إبراهيم بن المختار قال: نا ابن جُريج أنَّ زَمعة بن صالح أخبره أنَّ سلمة بن وهرام أخبره عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ مِنَ الغَمَامِ طَاقَات يأتي الله تعالىٰ فيها مَحْفُوفاً بالمَلائِكَةِ وذلك قوله تعالىٰ: ﴿إلا أنْ يَأتيَهُم الله في ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ﴾** [البقرة: ٢١٠]»(٢).

وإذا كان ظاهر القُرآن والسُّنَّة يشهد له؛ وَجَبَ إمراره علىٰ ظاهره، كما وجب إمرار غيره من الصفات، إذ ليس في ذلك ما يُحيل صِفَاته، وذلك أنَّا لا نصف مَشْيَهُ ووقوفه علىٰ أهل الدرجات وانتهاءه إلىٰ مجلسه عن انتقال وزوال، بل نُطْلق ذلك كما أطلقنا استواءه علىٰ العرش لا عن انتقال مع قوله: ﴿**ثم استوىٰ علىٰ العرْش**﴾ و«ثُمَّ» في كلام العرب للمُهْلة والتَّراخي، وكما أثْبتنا تجليه للجبل ولموسىٰ لا عن انتقال، كذلك ها هنا.

ويشهد لهذا الخبر علىٰ أصولنا نزوله إلىٰ سماء الدنيا ووضعه القدم، ووطيه بَوج،

---

(٢) ضعيف، أخرجه ابن جرير (٢/ ١٩١) عن محمد بن حميد به.

وإسناده ضعيف، فيه ثلاثة من الضعفاء: زمعة بن صالح وإبراهيم بن المختار وابن حميد الرازي.

وذكره الديلمي في الفردوس (٨٠٠).

وأخرج عبد بن حميد وأبو يعلىٰ وابن المنذر وابن أبي حاتم ـ كما في الدر (١/ ٥٨٠) ـ عن ابن عباس في هذه الآية قال: «**يأتي الله يوم القيامة في ظُلَلٍ من السَّحاب قد قُطِّعَتْ طَاقَات**».

وقد تقدم الكلام في ذلك[٣].

فإن قيل: محمد بن كعب وَقَع إليه كتب من يهود قريظة فكان ينظر فيها فيروىٰ عنها، وقيل: إنَّ الذي رواه عنه زمعة وسلمة بن وهرام وعكرمة وكلهم ضعفاء[٤].

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّ الحديث الذي رويناه غير موقوفٍ علىٰ محمد بن كعب، وإنما رواه عن عمر بن عبدالعزيز وهو من أعيان التابعين وعلمائهم.

ولو كان موقوفاً علىٰ محمد بن كعب لم يضر أيضاً لأنَّ محمد بن كعب من العلماء الثقات، روىٰ عن ابن عباس وعن جابر وغيرهما من الصحابة، ولا يجوز أنْ يُظَن به أنَّه يروىٰ في شرعنا ما هو باطلٌ منسوخ، ويجب أنْ يُحسن الظن فيه[٥].

ولأنَّا قد بينَّا فيما تقدم أنْ سائر الشرائع لا تختلف فيما يتعلق، بصفات الله تعالىٰ.

وأمَّا قولهم: رواه زمعة وسلمة وعكرمة وهم ضعفىٰ[١]، فلا يصح لأنَّ الإسناد الذي رويناه من طريق محمد بن كعب ليس فيه واحد من هؤلاء، وإنما ذلك في حديث ابن عباس، وقد ذكرنا طريق إسناد محمد بن كعب مع أنَّ هؤلاء ثقات عدول لا نعلم أَحَداً أطعن عليهم ولا قدح في عد التهم ولا امتنع من الرواية عنهم.

فإن قيل: نحمل قوله: «يمشي» يرجع إلىٰ أفعاله، مثل قولنا: يعدل ويحسن ويخلق ويحرك ويشكر، وقوله: ﴿في ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]. معناه:

(١) كذا في الأصل.

(٣) انظر الجزء الأول (ص٢٥٥) من كتابنا هذا.

(٤) أما سلمة بن وَهْرَام وعكرمة، فليسا من الضعفاء كما هو مقررٌ في كتب الرجال، وأما زمعة ابن صالح الجندي فضعيف وقد أخرج له مسلم مقروناً.

(٥) هو عالم جليل له اطلاع علىٰ تفسير كتا ب الله تعالىٰ.

قال ابن حبان: كان من أفاضل أهل المدينة علماً وفقهاً.

وقال عون بن عبدالله: ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن منه.

وقال العجلي: مدني تابعي ثقة رجل صالح عالم بالقرآن. (انظر التهذيب ٩/ ٤٢١).

مقدرها ومدبرها، أو علىٰ فوق الغمام لا علىٰ أنه فيها كقوله: ﴿فسيحوا في الأرض﴾ [التوبة: ٢]. أي: فوقها، وقوله: ﴿ولأُصَلِّبَنكُم في جُذُوعِ النَّخْل﴾ [طه: ٧١][1]. أي: علىٰ جذوعها، ويحتمل أنْ يُحمل وقوفه علىٰ أهل الدرجات يعني يُكرم أهل الدرجات درجة بعد درجة، وقوله: «حتىٰ ينتهي إلىٰ مجلسه» معناه العود إلىٰ أفعاله قبل أنْ يُحدث لهم ما أحْدث، كما يقال: جاء الخير يَعْدُوا عَدْواً، والمراد به سرعة الإقبال عليك[6].

قيل: هذا غلطٌ، أما حمل المشي علىٰ أفعاله فلا يصح لأنَّ فيه إسقاط فائدة التخصيص بذلك اليوم، لأنَّ أفعاله وأوامره جائزة قبل ذلك اليوم، ولأنَّه أضاف ذلك إلىٰ الغمام، وذلك غير مختص به، ولأنَّه إنْ جاز حمله علىٰ ذلك؛ وجب أن يحمل قوله: «تَرَونَ رَبَّكم» علىٰ رؤية أفعاله وكذلك تجليه للجبل علىٰ ظهور أفعالِه، ولَمَّا لم يجز ذلك هناك كذلك ها هنا.

وأمَّا تأويل قوله: ﴿في ظُلَلٍ مِنَ الغَمَام﴾ علىٰ تدبيرها فلا يصح، لأنَّه لم يزلْ مُدبراً لها في دار الدنيا، فيجب أنْ يكون لهذا التخصيص بذلك اليوم فائدة، وقولهم لذا نحمل «في» بمعنىٰ «علىٰ»، فإنما يجب الامتناع من إطلاق ذلك إذا كان فيه إثباتُ الظَّرف والمكان، ونحن لا نصفه بالظَّرفية والمكان، بل نصفه بذلك علىٰ نحو ما وصفناه جميعاً بالعلو علىٰ العرش، لا علىٰ معنىٰ الجهة، وإنْ كنَّا نعلم أنَّ العُلُو ضد السُّفلْ، وكما نُجيز رؤيته في الآخرة لا في جهة وكما نحن في علم الله لا علىٰ معنىٰ الظرف.

وأمَّا تأويلهم «الانتهاء إلىٰ مجلسه» علىٰ العود إلىٰ أفعاله؛ فلا يصح، لأنَّ الأفعال لا تُسمىٰ مجلساً في لغة العرب، وعلىٰ أنَّه إنما يجب الامتناع من إطلاق المجلس إذا أُريد به المكان والجهة، فأما إذا لم يُردْ به ذلك لم يمتنع إطلاقه، كالاستواء علىٰ العرش.

(١) وردت الآية في الأصل بلا حرف الواو (لأصلبنكم) والصواب إثباتها.

(٦) انظر هذه التأويلات في «مشكل الحديث» لابن فورك (ص١٤٩ - ١٥٠).

«حديث آخر ذكره ابن فورك ولم يقع لي»[1]

عن النبي ﷺ قال: «دَخَلْتُ علىٰ رَبِّي في جَنَّةِ عَدْنٍ شَاباً جَعْداً في ثَوبَينِ أَخْضَرَين»[1].

---

(١) كتب بمحاذاته: بلغ مقابلة.

---

(١) «مشكل الحديث» (١٥٠).

ولم أجد الحديث بهذا اللفظ، وقد سبق نحوه من حديث ابن عباس وأم الطفيل في الجزء الأول من هذا الكتاب (ص١٣٣) وما بعدها.

لكن معنىٰ دخول الرسول ﷺ علىٰ ربِّه ثابت في أحاديث أُخر منها: حديث الشَّفاعة الطويل، برواية أنس مرفوعاً وفيه: «. . **فيأتون عيسى فيقول: لستُ لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ، فيأتوني فأقول: أنَا لها، فَأَسْتأذنُ علىٰ ربي فَيُؤذَنُ لي، ويُلْهِمُني مَحامِد أحمدُه بها لا تَحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامِد وأَخِرُّ له سَاجداً، فَيُقال: يا محمد إرفع رأسك، وقُلْ يُسمع لك، وسَلْ تُعْطَ، واشْفَع تُشَفَّع، فأقول: يا ربِّ أُمتي أُمتي! فيقال: انْطَلق فأَخْرِج منها مَنْ كان في قلبه مِثْقالُ شَعيرةٍ من إيمان، فأنْطلق فأَفعل، ثم أعودُ فأَحمدُه بتلك المحامدِ ثم أخرُّ له ساجداً**. . .».

أخرجه البخاري في التوحيد (١٣/ ٤٧٣) ومسلم في الإيمان (١/ ١٨٠ - ١٨٤).

وأخرجه البخاري (٨/ ٣٩٥) ومسلم (١/ ١٨٤ - ١٨٦) وأحمد (٢/ ٤٣٥) من حديث أبي هريرة بنحوه، وفيه: «. . **فأَنطلق فآتي تحت العرش فَأَقع ساجداً لربي ثم يَفْتَحُ عَلَيَّ ويُلهمني من محامِده وحُسْنِ الثَّناء عليه شيئاً لم يَفتحه لأحدٍ قبلي**. . .» وهو صريحٌ جداً في دخوله علىٰ ربِّه جلَّ شأنه وسجوده في حضرته.

وقد سبق الكلام علىٰ لفظ الجهة في الجزء الأول (ص١٨٢).

وأما «الحَدُّ» فهو أيضاً من الألفاظ التي لم يأت بها الشرع، وما أحسن ما قال الإمام أبو القاسم التيمي الأصبهاني مُصنِّف كتاب «الحُجة في بيان المحجة» إذْ سُئل: هل يجوز أن =

اعلم أنَّه غير ممتنعٍ حَمل الخبر علىٰ ظاهره في جواز دخوله عليه الجنة، علىٰ وجهٍ لا يُوجب الجهة والحدّ، كما جاز وصفه بالاستواء علىٰ العرش لا علىٰ معنىٰ الجهة، وجواز رُؤيته في الآخرة لا في جهة، ولأنَّه قد قال: ﴿وَلَو تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِم﴾ [الأنعام: ٣٠]. فإذا جاز إطلاق الوقوف عليه؛ كان إطلاق الدخول عليه أولىٰ.

وأما الصفة التي ذكرها فقد تقدم في أول الكتاب ذِكرها في حديث ابن عباس وأمِّ الطُّفيل، وبَيَّنَّا أنَّه غير ممتنعٍ إطلاق ذلك عليه، لا علىٰ وجه التشبيه والأبعاض والأجزاء بل نُطلقُ ذلك صِفَةً، كما أطلقنا صِفَةَ الوجه واليدين والعين ونحو ذلك، لا علىٰ وجه الأبعاض والأجزاء، بل نُطْلقُ ذلك صفةً، كما أطلقنا صفةَ الوجه واليدين والعين ونحو ذلك، لا علىٰ وجه الأبعاض والأجزاء.

فإن قيل: قوله: «دخلت علىٰ ربي» معناه: دخلت دار ربي وجنَّة ربِّي بتقريبه لي وإكرامه إيَّاي، كما يقال في الموسم: أَتيناكَ ربَّنا شُعْثاً غُبْراً من كلِّ فجٍ عَميقٍ لتغفر لنا، ويقال: أَقْبَلَ الله علىٰ فلان بالكرامة، وأقبل فلانٌ علىٰ الله بطاعته، وكما يقال:

= يُقال: لله حدٌّ أو لا؟ وهل جَرَىٰ هذا الخلاف في السلف؟

فأجاب: هذه مسألةٌ أَسْتَعْفي من الجواب عنها لغُموضها، وقلَّةِ وُقوفي علىٰ غَرَضِ السائل منها، لكني أُشير إلىٰ بعض ما بلغني، تكلَّم أهل الحقائق في تفسير «الحدِّ» بعباراتٍ مختلفة، محصولها أن حدَّ كل شيء: موضع بَينونَته عن غيره، فإن كان غرضَ القائل: ليس لله حدٌّ: لا يحيط علم الحقائق به، فهو مُصيب، وإنْ كان غرضه بذلك: لا يُحيط علمُهُ تعالىٰ بنفسه فهو ضالٌ، أو كان غرضه: إن الله بذاته في كل مكانٍ فهو أيضاً ضال.

قال الذهبي تعليقاً عليه: قلت: الصواب الكفُّ عن إطلاق ذلك، إذْ لم يأت فيه نصٌّ، ولو فرضنا أن المعنىٰ صحيح، فليس لنا أنْ نَتفَوَّه بشيءٍ لم يأذن به الله، خوفاً من أنْ يَدْخلَ القلبَ شيءٌ من البدعة، اللهم احفظ علينا إيماننا اهـ.

سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٨٥ ـ ٨٦).

قلت: ما أروع هذه الكلمات الموفقات، ورحم الله امرأً قال بعلمٍ فغنم، أو سكت عما لا يعلم فَسلم.

دَخَل فلانٌ علىٰ رأي فلان، ويقال: دخل عليَّ فلانٌ في منزلي، لا أنَّه دخل علىٰ بَدَنه، وإنما المعنىٰ دخل داره[٢].

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّه قَصَدَ بذلك الافتخار وقُرب المنزلة، فإذا حَمَلناه علىٰ دخول الجنة بَطَلَ ذلك المعنىٰ، لأنَّه يشركه فيه غيره من الأنبياء والأولياء، وقول الناس أتيناك فقد فُهِم المقصود منه، وهو أنَّهم أتوه راغبين في ثوابه.

فإن قيل: قوله «**شَاباً**» يحتمل أنْ يكون رأىٰ فيها شاباً ولياً من أوليائه علىٰ هذه الصِّفة، دون أنْ يكون المذكور هو الله تعالىٰ، ويحتمل أنْ تكون الصِّفة راجعةً إلىٰ النبي ﷺ فكأنه قال: وأنا شابٌ جعد.

قيل: هذا غَلَطٌ، أمَّا حمله علىٰ أنَّه رأىٰ فيها شاباً فلا يصح، لأنَّ هذا صِفَة وحال، والصِّفة والحال يرجع إلىٰ ما تقدم ذكره وهو الله تعالىٰ، فأمَّا بعض أوليائه فلم يتقدم ذكره، فلا يجوز حمله عليه[٣].

وقولهم: إنَّ الصفة راجعة إلىٰ النبي ﷺ فلا يصح أيضاً، لأنَّه لم تكن هذه صفته في تلك الليلة، ولو تغيَّرت صفته فيها لَنُقِلَ كما نقل وضع اليد بين كتفيه، وقوله: «**فيمَ يَختصمُ المَلأُ الأعلىٰ**» وقد تكلمنا علىٰ هذا السؤال في أول الكتاب في قوله: «**رأيتُ ربي**».

فإن قيل: هذا الخبر كان رُؤْيا منام والشيءُ يُرىٰ في المنام علىٰ خلاف ما يكون.

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّ النبي ﷺ إنَّما قصد بذلك بيان كرامته من ربِّه وقُرب منزلته، فإذا حُمِلَ علىٰ خلاف ما أخبر زال المقصود، ولأنَّ ما يُخبر به شَرْعٌ، وصفات الله تعالىٰ اعتقادها شَرع، فهو معصوم فيه، وإذا كان معصوماً استوىٰ فيه المنام وغيره، ولأنَّا قد بيَّنا أنَّ رؤيا الأنبياء وحي لأنَّ أعينهم تنام وقلوبهم لا تنام.

---

(٢) انظر هذه التأويلات الفاسدة في «مشكل الحديث» (ص١٥٠ ـ ١٥١).

(٣) هذا لو صح الحديث: والحديث كما سبق لم يثبت.

[في المقام المحمود لنبينا ﷺ]

«حَدِيــــثٌ آخَـــرٌ»

٤٤٠ـ ناه أبو القَسِم قال: نا أبو الفتح بن أبي القوارير نا محمد بن جعفر أبو الطيب الكاتب نا يزيد بن محمد البادا قال: نا أبو عثمان سعيد أخو إبراهيم القاري قال: نا إسماعيل بن أبي مسعود عن عبدالله بن إدريس عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿**عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامَاً مَحْمُوداً**﴾ [الإسراء: ٧٩]. قال: يُجلسه معه علىٰ السرير(١).

٤٤١ـ وناه أبو القسم قال: علي بن عُمر بن علي التَّمار قال: أبو بكر عمر بن أحمد بن أبي مَعْمر نا يوسف بن أحمد بن حرب بن الحكم الأشعري البصري قال: حدثني أبي أحمد بن حرب عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله عن المقام المحمود فقال: «**وَعَدَني رَبِّي القُعُود علىٰ العَرْش**»(٢).

٤٤٢ـ ونا أبو القسم علي بن عمر نا عمر بن أحمد نا يُوسف بن أحمد بن حرب

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٢٦، ٣٢٨) إلىٰ ابن مردويه والديلمي، كما سبق ذكره في (الجزء الأول/ ص٢٦٦).

ومحمد بن جعفر أبو الطيب الكاتب ذكره الخطيب في تاريخه (٢/ ١٤١) ولم يزد علىٰ قوله: ذكر أبو القاسم بن الثلاج أنه حدثه عن أبي قلابة الرقاشي.

وفي سنده من لم أجد له ترجمة.

(٢) أحمد بن حرب الأشعري ـ من ولد أبي موسىٰ كما في تاريخ الخطيب ـ وابنه يوسف لم أجد لهما ترجمة، وعمر بن أحمد الراوي عن يوسف ترجمه الخطيب في تاريخه (١١/ ٢٤٣) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً. =

نا موسىٰ بن إسماعيل أبو[1] سلمه المِنْقَري نا حماد بن سلمة عن ثَابت عن أنس قال: سألت رسول الله عن المقام المحمود فقال لي: «**القُعُودُ علىٰ العرش**»[3].

٤٤٣ـ ونا أبو القَسِم نا علي نا عمر نا يوسف نا أزهر بن سعد السَّمان، قال: ابن عون عن نافع عن ابن عمر قال: قال عمر بن الخطاب سألت النبي ﷺ عمّا أوْعَدَه رَبُّه جلَّ اسمه فقال: «**أوْعَدَني المَقَامَ المحْمودَ وهُو القُعُودُ علىٰ العرش**»[4].

٤٤٤ـ ونا أبو القسم قال: نا إبراهيم بن محمد نا أبو داود نا ابن أبي صفوان[2] الثقفي وحجاج بن أبي يعقوب قالا: نا يحيىٰ بن أبي كثير نا سلم بن جعفر[3] نا سعيد الجريري نا سيف السدوسي عن عبدالله بن سلام قال: «**إذا كَانَ يَومُ القيامة جِيءَ بنبيكم ﷺ فأُقْعِدَ بينَ يَدَي الله تعالىٰ علىٰ كُرْسيه**» قال فقلت: يا أبا مسعود[4] إذا كان علىٰ كُرْسيه أليسَ هُو مَعَهُ؟ قال: وَيْلكُم هذا أقَرُّ حَديثٍ في الدُّنْيا لِعَيني». قال حجاج في حديثه: «**إذا كانَ يومُ القِيامَة نزلَ الجَبَّارُ جلَّ اسْمُه علىٰ عرشِهِ، وقَدَمَيه علىٰ الكرسي، ويُؤتىٰ بنبيكُم ﷺ فَيُقْعَد بَين يَدَيه علىٰ الكرسي**» فقالوا للحسن: إذا كانَ علىٰ الكرسي هو معه؟ قال: نعم، ويْلكم هُوَ معه هو معه[5].

---

(١) في الأصل: ابن، وهو خطأ والتصويب من كتب الرجال.

(٢) في الأصل: عدي ابن صفوان! وهو تحريف وصوابه: ابن أبي صفوان، وهو محمد بن عثمان ابن أبي صفوان الثقفي، انظر التهذيب والسنة لابن أبي عاصم.

(٣) في الأصل: سالم بن جعفر! والتصويب من التهذيب ومصادر الحديث.

(٤) في الأصل: يا مسعود! والتصويب من مصادر الحديث، وهي كنية الجريري.

= ولم أجد من أخرج الحديث.

(٣) انظر الحديث السابق.

(٤) فيه يوسف الأشعري وعمر بن أحمد كما سبق في الحديثين الماضيين.
وسيأتي حكم الإمام ابن صاعد عليه بالوضع.

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٧٨٦) والطبري (١٥/ ١٠٠) والخلال في السنة (٢٣٦، =

....

= ٢٣٧، ٢٨٠، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩) وذكره الذهبي في العلو (ص١٢٥):

كلهم عن يحيىٰ بن أبي كثير نا سلم بن جعفر عن الجريري به.

وقد سقط من سنده عند الطبري: سلم بن جعفر.

وفيه: سيف السدوسي قال الألباني في تخريج السنة: رجاله إسناده ثقات غير سيف السدوسي فلم أجده، وفي طبقته سيف أبو عائذ السعدي روىٰ عنه الجريري، ترجمة البخاري وابن أبي حاتم (٤/ ٢٧٥) وهو في عداد المجهولين، فلعله هو ومن المحتمل أن السدوسي تحرَّف علىٰ الناسخ من السعدي والله أعلم اهـ.

قلت: القول بأن السدوسي تحريف عن السعدي فيه بُعد، إذْ ورد ذكره كذلك في كل المصادر السابقة وفي جميع المواضع والله أعلم.

ثم أشار إلىٰ ما أخرج الحاكم عن بشر بن شغاف عن عبدالله بن سلام موقوفاً ولفظه بتمامه: «إن أعظم أيامِ الدُّنيا يومُ الجُمعة، فيه خُلِقَ آدم، وفيه تقومُ السَّاعة، وإن أكرمَ خليقةَ الله علىٰ الله: أبو القاسم ﷺ، قال: قلت: يرحمك الله فأين الملائكة؟ قال فنظر إليَّ وضحك وقال: يا ابن أخي! هل تدري ما الملائكة، إنما الملائكة خَلْقٌ كخلق السَّماء والأرض والرياح والسحاب وسائر الخلق الذي لا يعصي الله شيئاً، وإن الجنة في السَّماء وإن النار في الأرض، فإذا كان يوم القيامة بَعَث الله الخليقة أُمةً أُمة، نبياً نبياً، حتىٰ يكون أحمد وأمته آخر الأمم مركزاً، قال: فيقوم فيتبعه أُمته بَرُّها وفاجرها ثم يُوضع جِسْرُ جَهنَّم، فيأخذون الجسر فيطمس الله أبصار أعدائه فيتهافتون فيها من شمالٍ ويمين، وينجو النبي ﷺ والصالحون معه، فَتَتَلقَّاهم الملائكةُ فَتُوريهم منازلهم من الجنة علىٰ يمينك علىٰ يسارك، حتىٰ ينتهي إلىٰ ربه عز وجل فيلقي له كرسي عن يمين الله عز وجل ثم ينادي منادٍ: أين عيسىٰ وأمته؟ فيقوم فيتبعه أُمته بَرُّها وفاجرها فيأخذون الجسر فيطمس الله أبصار أعدائه فَيَتَهافتُون فيها من شمال ويمين، وينجو النبي ﷺ والصالحون معه فتتلقَّاهم الملائكةُ فتوريهم منازلهم في الجنة علىٰ يمينك علىٰ يسارك، حتىٰ ينتهي إلىٰ ربِّه فَيُلقي له كرسي من الجانب الآخر، قال: ثم يَتَّبعهم الأنبياء والأُمم حتىٰ يكون آخرهم نوح، رحم الله نوحاً».

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وليس بموقوف فإن عبدالله بن سلام علىٰ تقدمه في معرفه قديمة من جملة الصحابة وقد أسنده بذكر رسول الله ﷺ في غير موضع والله أعلم. =

اعلم أنه غير[1] ممتنعٍ حمل هذا الخبر علىٰ ظاهره، وأنَّه يجلسه معه علىٰ عرشه وسريره بمعنىٰ يُدنيه من ذاته ويقرّبه منها.

٤٤٥ـ وقد قال أبو بكر الخلال ذكر عبدالله بن أحمد أنَّه سمع حديث فضيل عن ليث عن مُجاهد: ﴿عسىٰ أنْ يَبْعَثَكَ ربُّك مَقَاماً محموداً﴾ [الإسراء: ٧٩]. فذاكرت أبي فقال: ما وَقَعَ إليَّ بعُلُوٍّ، وجَعَل كأنَّه يتلهَّف يعني إذْ لم يقع إليه بعلو[6].

٤٤٦ـ وذكر أبو بكر المروذي في مختصر كتاب «الرَّدُّ علىٰ من رَدَّ حديث مجاهد» سألتُ أبا عبدالله عن الأحاديث التي تردها الجَهمية في الصفات والرؤية والإسراء وقصة العرش، فصححَّها أبو عبدالله وقال: قد تلقَّتها الأُمة بالقَبول تمر الأخبار كما جاءت[7].

---

(١) لفظة «غير» ساقطة من الأصل، أشار إليه الناسخ.

ووافقه الذهبي.

ورجاله ثقات.

قال الألباني حفظه الله تعالىٰ: وليس في إسناده ما يمكن التعلّق به عليه، إلا أنه من رواية محمد بن غالب، وهو حافظ ثقة لكنه وهم في أحاديث كما قال الدارقطني، فلا أدري لعلَّ هذا الحديث مما وَهِم في متنه، وأنت ترىٰ أن فيه: «فيلقي له كرسي عن يمين الله عز وجل» وحديث الكتاب بلفظ «بين يدي الله تبارك وتعالىٰ» فأيهما الصواب؟ الأمر بحاجة إلىٰ مزيد من التحقيق لا مجال الآن للخوض فيه اهـ.

ولعل تقديم الرواية الموقوفة الصحيحة الإسناد علىٰ الرواية المرفوعة التي فيها مجهول هو الصواب هنا، والله أعلم.

(٦) السنة برقم (٢٣٩).

(٧) رواه في السنة (٢٨٣) عنه، وتمامه: فقلت له (أي لأحمد): إن رجلاً اعترض في بعض هذه الأخبار كما جاءت، فقال: يُجفا، وقال: ما اعتراضه في هذا الموضع؟ يُسلِّم الأخبار كما جاءت. =

٤٤٧ـ ونظر أبو عبدالله في كتاب التِّرمذي وقد طعن علىٰ حديث مجاهد في قوله: ﴿عَسَىٰ أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً محموداً﴾[الإسراء: ٧٩]. فقال: لم[1] هذا عن مجاهد وحده هذا عن ابن عباس، وقد خرَّجت أحاديثاً في هذا، وكتبها بخطه وقرأها.

٤٤٨ـ وقال ابن عمير سمعت أحمد بن حنبل سئل عن حديث مجاهد يقعد محمداً علىٰ العرش فقال: قد تَلَقَّته العلماء بالقَبُول، نُسَلِّم الخبر كما جاء.

وظاهر هذا أنَّه أخَذَ بظاهر الحديث، إذْ ليس في حمله علىٰ ظاهره ما يُحيل صفاته لأنَّا لا نقول أنَّه في جهةٍ محدودةٍ، بل نُطلق هذه الصفة كما جاز وصفه بأنَّه علىٰ العرش، لا في جهة محدودة، كذلك جاز أنْ يَقْرُبَ من ذاته لا في جهة محدودة، ويشهد له قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتدلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ [النجم: ٨ ـ٩].

٤٤٩ـ روىٰ أبو عبدالله بن بطة بإسناده عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿قابَ قَوْسَيْنِ﴾ قال: كانَ بينَه وبينه مَقْدار قوسين[8].

ويشهد لذلك أيضاً ما تقدم من حديث الإسراء: «**أنَّه وضع يده بين كتفيه**».

٤٥٠ـ وروىٰ أبو بكر النَّجاد في «السُّنَّة» بإسناده عن أنس قال: لما أُسْرِيَ برسول الله ﷺ عَرَجَ بي[2] جبريلُ حتىٰ إذا جَاءَ سَدْرَةَ المُنْتَهَىٰ، ودَنا الجَبَّارُ ربُّ العِزَّة فتدلىٰ فكان منه قابَ قوسين أو أدنىٰ[9].

---

(١) كذا في الأصل! وسيأتي بلفظ: لم يرو هذا عن مجاهد وحده عن ابن عباس! وفيها شيء أيضاً، وبإضافة لفظة «هذا» بعد قوله «وحده» تستقيم العبارة.

(٢) كذا في الأصل!

---

(٨) سبق تخريجه في الجزء الأول (١٢٤).

(٩) إسناده ضعيف، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٧/ ٢٧ ـ ٢٨) قال: حدثنا خلاد بن أسلم =

٤٥١ـ ونا أبو القسم قال: نا أحمد قال: نا حمزة نا محمد بن يونس قال: نا أبو يعلىٰ محمد بن الصَّلْت التوزي نا عبدالله بن سعيد بن صفوان عن يُونس بن يزيد عن الزُّهري عن أبي بكر بن عمرو بن حَزْم عن ابن عباس وأبي حبَّة البدري قالا: قال رسول الله ﷺ: **«عَرَجَ بي جبْريل فلما ظَهَر لي المستوىٰ أقامني في موضع أسْمَعُ فيه صَريفَ الأقلام بين يَدَي الرحمن جَلَّ اسمه»**(١٠).

= أخبرنا النضر أخبرنا محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي عن كثير عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما عُرِج بي مضىٰ جبريل حتىٰ جاء الجنة، قال: فدخلتُ فأعطيت الكوثر، ثم مضىٰ حتىٰ جاء السِّدرة المنتهىٰ فَدَنا ربُّك فتدلَّىٰ فكان قاب قوسين أو أَدْنىٰ فأَوْحىٰ إلىٰ عبده ما أَوْحىٰ»**.

كثير هو ابن السائب، قال ابن حبان في الثقات: كثير بن السائب عن أنس وعنه محمد ابن عمرو بن علقمة (التهذيب).

وقال الحافظ في التقريب: كثير بن السائب المدني، مقبول من الرابعة، ووَهِمَ من جعله صَحَابياً، وفرّق ابن حبان في الثقات بين الراوي عن أنس والراوي عن محمود بن لبيد، والذي يظهر أنهما واحد، وهو الذي روىٰ عنه عمارة بن خزيمة (س).

وللحديث طريق أخرىٰ:

فقد أخرجه الخطيب (٥/ ١٣٠) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١٨٢) عن أبي عبدالله أحمد بن محمد النُّزلي نا أحمد بن علي الأنصاري أنا محمد بن عبدالله صاحب الشامة نا هشيم عن حميد عن أنس مرفوعاً: **«لما أُسْرِي بي إلىٰ السَّماء قَرَّبني ربي تعالىٰ حتىٰ كان بيني وبينه كقاب قوسين أو أدْنىٰ لا بل أدْنىٰ، وعلمني السمات. . .»**.

قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، والنزلي والأنصاري وصاحب الشامة مجاهيل.

(١٠) أخرجه البخاري في الصلاة (١/ ٤٥٩) وفي الأنبياء (٦/ ٣٧٤) ومسلم في الإيمان (١/ ١٤٩) وأحمد في مسنده (٥/ ١٤٤) عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن ابن حزم أن ابن عباس وأبا حَبَّة الأنصاري كانا يقولان قال رسول الله ﷺ: **«ثم عُرِجَ بي حتىٰ ظهرت لمستوىٰ أسْمعُ فيه صَرِيفَ الأقلام»**. دون قوله هنا: **«بين يدي الرحمن جلَّ اسمه»**.

ونبَّه الحافظ في الفتح إلىٰ أن رواية أبي بكر بن محمد بن حزم عن أبي حبَّة الأنصاري =

وكل ذلك يدلُّ علىٰ القُرب من الذَّات.

٤٥٢ـ ونظرتُ في جزءٍ عتيقٍ من كتب أبي الفضل التميمي ترجمته «مختصر الردّ علىٰ مَنْ ردّ حديث مجاهد وغيره في المقام المحمود» جَمْعُ أبي بكر المروذي فروىٰ بإسناده عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو كُنْتُ مُتَّخِذاً خليلاً، لاتَّخَذْتُ ابن أبي قُحافةَ خَليلاً، ولكنْ خلةَ الإسلام أفضل»** ثم قرأ: **﴿عَسَىٰ أنْ يبعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾** [الإسراء: ٧٩]. قال: يُجلسه علىٰ العرش[11].

= منقطعة، لأنه استُشهد بأُحُد قبل مولد أبي بكر بدهر وقبل مولد أبيه محمد أيضاً.

ومعنىٰ: ظهرت: أي: ارتفعت.

والمستوىٰ: المصعد.

صريف الأقلام: تصويتها حالة الكتابة، والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية الله سبحانه وتعالىٰ.

(١١) أخرجه دون قوله: **«ثم قرأ: ﴿عَسَىٰ أن يبعثك ربُّك مقاماً محموداً﴾.. إلخ»**.

مسلم في صحيحه في فضائل الصحابة (٤/ ١٨٥٥ ـ ١٨٥٦) وأحمد (١/ ٣٧٧، ٤٠٩، ٤١٢، ٤٣٣، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٥٥، ٤٦٣) من طرق عن أبي الأحوص عن عبدالله بن مسعود مرفوعاً به.

وليس فيها قوله: **«ولكن خُلة الإسلام أفضل»**.

وقد وردت في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري (١/ ٥٥٨) (١٢/ ١٩) وأحمد (١/ ٢٧٠).

وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٤٢/ ١٠٢٥٦) عن قيس بن الربيع عن عاصم عن زر عنه مرفوعاً بلفظ: **«إنَّ الله عز وجل اتخذ إبراهيم خليلاً، وإن صاحبكم خليل الله، ومحمدٌ ﷺ سيد ولد آدم يوم القيامة»** ثم قرأ: **﴿عسىٰ أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾**.

ذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٥٥) وقال: قلت: الصحيح منه: **«وأن صاحبكم خليل الله»** فقط في أثناء حديث، وفيه يحيىٰ الحماني وهو ضعيف.

ورواه الخطيب في تاريخه (١٢/ ٣٠١) عن عاصم عن زر عنه موقوفاً.

وفي سنده: عقيل بن الصلت بن عقيل أبو القاسم، لم أجد له ترجمة. =

٤٥٣ـ وبإسناده عن مجاهد عن ابن عباس في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْموداً﴾ [الإسراء: ٧٩]. قال: يُقْعِدَهُ علىٰ العرْش[١٢].

٤٥٤ـ وبإسناده عن مجاهد في قوله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعثك رَبُّك مَقَامَاً محموداً﴾ [الإسراء: ٧٩]. قال يُجلِسَه علىٰ العرش[١٣]، وهذه فضيلة للنبي ﷺ فهو كافر من ردَّها.

= ورواه الطيالسي (ص٣٤) عن المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عنه موقوفاً.

ورواية الطيالسي عن المسعودي بعد الاختلاط.

ورواه الذهبي في العلو (ص٧٤ ـ ٧٥) عن سلمة الأحمر عن أشعث بن طليق عن عبدالله به. وقال: هذا حديث منكر لا يفرح به، وسلمة هذا متروك الحديث، وأشعث لم يلحق ابن مسعود.

وانظر العلل للدارقطني (٥/ ٦٢ ـ ٦٣).

(١٢) لم أجده من رواية مجاهد عنه!

وإنما أخرجه الخلال في السنة (٢٩٥) والذهبي في العلو (٩٩) عن الضحاك عنه بلفظ: يقعده علىٰ العرش.

وفي سند الخلال: عباد بن أبي روق، قال ابن معين: قد رأيته وليس بثقة (الميزان) ومحمد بن بشر بن شريك النخعي.

وأما سند «العلو» فقال الذهبي عنه: إسناده ساقط، وعمر هذا الرازي متروك، وفيه جويبر، وقال: هذا مشهور من قول مجاهد، ويُروىٰ مرفوعاً وهو باطل.

وعزاه السيوطي في الدر (٥/ ٣٢٨) للطبراني عن ابن عباس بلفظ: «**يجلسه بينه وبين جبريل عليه السلام، ويشفع لأمته، فذلك المقام المحمود**» ولم أجده في المعجم الكبير بعد التتبع (من رواية مجاهد عنه).

(١٣) جاء هذا الأثر عن مجاهد من طرق:

أشهرها طريق ليث بن أبي سليم عنه: وقد أخرجها الخلال من طرق عدة: (٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٧٩، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣١٠، ٣١٤) وابن جرير (١٥/ ٩٨). =

٤٥٥ـ ولقد قال سعيد بن عبدالرحمن بن ابزي: قلت لأبي: لو رأيت رَجُلاً سَبَّ أبا بكرٍ ما كنتَ صانَعاً به؟ قال: أقْتُله، قلت: فعمر؟ قال: أقتله.

فهذا لأبي بكر وعمر فكيف بمن ردَّ فضيلة النبي ﷺ[١٤].

٤٥٦ـ وبإسناده عن غالب بن عبيدالله العُقيلي قال: حدثني المكيون[1]: أنَّ الله تبارك وتعالىٰ يغضَبُ يومَ القيامة غَضَباً لم يَغضبْ مثله، قال فيقوم نَبيُنا ﷺ فيُثني علىٰ الله بما هو أهْله قال: فيقول الله له: إدْنُه، قال: ثُمَّ يَغْضَبُ تبارك وتعالىٰ غضباً لم يَغْضب مثله فيقوم نبينا فيثني علىٰ الله بما هُو أهْله فيقولُ الله له: إدْنُه، فلا يزالُ يَقُولُ له إدْنه حتىٰ يُجلسَه مَعَه علىٰ العرْش قال رسول الله ﷺ: **«فأنْظرُ إلىٰ جبريل قَائماً فأقول: يا رَبِّ إنَّ هذا ـ يعني جبْريل ـ جَاءَني منك برسالاتٍ فيقول الله عزَّ وجلَّ: صَدقَ»**[١٥].

---

(١) في الأصل: المكنون!

= وليث بن أبي سليم، قال فيه البخاري: صدوق وربما يهم في الشيء، وقال أحمد: ليث لا يُفرح بحديثه.

وأخرجه الخلال (٢٩٦) عن شريك النخعي ثنا أبو يحيىٰ القتات عن مجاهد بنحوه.

وفيه: أبو يحيىٰ القتات لين الحديث.

وشريك فيه ضعف من قبل حفظه.

وأخرجه الخلال (٢٩٧) عن شريك عن عطاء بن السائب وليث بن أبي سليم وجابر ابن يزيد كلهم عن مجاهد به.

وفيه شريك أيضاً.

(١٤) أخرجه الخلال (٣٠٤) قال: جاءني كتاب علي بن سهل بخطة وفيه: حدثنا هارون بن معروف وخلَّاد بن أسلم قالا: ثنا محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد. . . فذكر الأثر، ثم قال: وهذه فضيلة للنبي ﷺ، فمن ردَّ فضيلة النبي ﷺ فهو كافر ولقد قال سعيد عبدالرحمن. . إلخ.

وقد ذكره كله بسياق واحد متصلاً.

(١٥) ضعيف جداً، أخرجه الخلال (٣٠٦) حدثنا محمد بن هشام مستملي ابن عرفة ثنا الحسن =

٤٥٧ـ وذكر أبو عبدالله بن بطة في كتاب «الإبانة» قال أبو بكر أحمد بن سلمان النَّجَّاد: لو أنَّ حَالفاً حَلَفَ بالطَّلاق ثلاثاً أنَّ الله تعالىٰ: يُقعِد مُحمداً ﷺ معه علىٰ العرش واسْتَفتاني في يمينه لقلت له: صدقت في قولك وبَرِرْتَ في يَمينك، وامرأتُكَ علىٰ حَالها، فهذا مذهبُنا وديننا واعتقادُنا، وعليه نشأنا، ونحن عليه إلىٰ أنْ نموتُ إنْ شاء الله.

فَلزِمَنَا الإنكار علىٰ من ردَّ هذه الفضيلة التي قالتها العلماء وتلقوها بالقَبول، فمن ردَّها فهو من الفرق الهالكة[١٦].

٤٥٨ـ وذكر أبو بكر الخلال في كتاب «السُّنَّة» قال: أخبرني الحسن بن صالح العَطَّار عن محمد بن علي السراج قال: رأيتُ النبي ﷺ وأبو بكر[١] عن يمينه، وعُمر عن يساره، فتقدَّمتُ إلىٰ النبي ﷺ فقُمْتُ عن يَسَار عُمر فقلت: يا رسول الله! إني أُريدُ أنْ أقولَ شيئاً فأقْبَلَ علي فقال: قل، فقلتُ إنَّ التِّرمذي يقول: إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يُقعدك معه علىٰ العرش، ونحن نقولُ يُقعدك معه علىٰ العرش، فكيف تقولُ يا رسول الله؟ فأقبل علي شِبهَ المُغْضب وهو يشير بيده اليمنىٰ عاقِداً بها أربعين وهو يقول: بلىٰ والله بلىٰ والله بلىٰ[٢] والله، يُقعدني معه، ثم انتبهت[١٧].

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) وضعت علامات التصويب «صح» بعد لفظه: بلىٰ، التي تكررت.

= ابن عرفة عن علي بن ثابت الجزري عن غالب بن عبيدالله العقيلي قال: حدثني المكيون ذكر منهم عطاء وعمرو بن دينار: أن الله عز وجل.. الأثر.

وفي سنده: غالب العقيلي، قال ابن معين: ليس بثقة، وقال الدارقطني وغيره متروك (الميزان).

(١٦) لم أجده في المجلدين المطبوعين من الكتاب، وليسا هما جميع كتاب الإبانة، فليتنبه لهذا!

(١٧) السنة برقم (٢٥٧) مع اختلاف يسير.

٤٥٩ـ قال وسمعت أبا بكر بن صدقة يقول حدثني أبو القسم بن الجبلي عن عبدالله بن إسماعيل صاحب النرسي قال: ثم لقيت عبدالله بن إسماعيل فحدثني قال: رأيت النبي ﷺ في النَّوم فقال لي: هذا الترمذي يُنكر[(١)] فضيلتي[(١٨)].

٤٦٠ـ فإن قيل: فقد روىٰ أنه لما نزل قوله: **﴿عسىٰ أنْ يبعَثَك ربُّك مقاماً محموداً﴾** [الإسراء: ٧٩]. قالوا: يا رسول الله وما المقام المحمود؟ قال: **«هو الشَّفاعة»**[(١٩)].

---

(١) في الأصل: يذكر، والصواب ما أثبتناه، وقد نبه عليه الناسخ.

---

(١٨) السنة برقم (٢٥٦) وعنده: هذا الترمذي أنا جالس له، يُنكر فضيلتي!

(١٩) إسناده ضعيف، أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٤٤، ٤٧٨) والترمذي (٣١٣٧) وابن جرير في تفسيره (١٥/ ٩٨):

كلهم عن وكيع عن داود بن يزيد الزَّعافري ـ هو الأودي ـ عن أبية عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ في قوله: **﴿عَسىٰ أن يبعثك ربُّك مقاماً محموداً﴾** سُئل عنها قال: **«هي الشفاعة»**.

قال الترمذي: حديث حسن!

وإسناده ضعيف، داود الأودي ضعيف، وأبوه قال عنه الحافظ: مقبول.

وتابع وكيعاً عند ابن جرير (١٥/ ٩٨) مكيُّ بن إبراهيم.

وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٤٨٤) عن وكيع عن إدريس الأودي عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً به.

قال الدارقطني في العلل (٨/ ٣٢٠): وهو غلط! والصواب عن داود اهـ.

والحديث عزاه السيوطي في الدر (٥/ ٣٢٤) إلىٰ ابن أبي حاتم وابن مردويه.

* **لكن يشهد للحديث**: ما أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٣٩٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: **«إنَّ الناس يصيرون يومَ القيامة جُثا (أي جماعات) كل أُمةٍ تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، حتىٰ تنتهي الشفاعة إلىٰ النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود»**. =

قيل الرواية المشهور في تفسير هذا أنَّه الجلوس علىٰ العَرش، رواه ابن عمر وابن عباس وابن مسعود وعائشة، وقد تقدم أسانيد هذه الأحاديث، والمشهور في الرِّواية أولىٰ مما شَذَّ منها، وعلىٰ أنَّه لا يمتنع أنْ يكون المقام المحمود: الشفاعة والقعود علىٰ العرش، لأنَّ القصد من ذلك علو المنزلة.

= * وما أخرجه ابن جرير (١٥/ ٩٨) عن حمزة بن عبدالله بن عمر عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الشمس لتدنو حتىٰ يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم عليه السلام فيقول: لست صاحب ذلك ثم بموسىٰ عليه السلام فيقول كذلك، ثم بمحمدٍ فيشفع بين الخلق فيمشي حتىٰ يأخذ بحلقه الجنة، فيومئذٍ يبعثه الله مقاماً محموداً**».

وقد أخرجه البخاري في صحيحه في الزكاة (٣/ ٣٣٨) إلىٰ قوله: «**ثم بمحمدٍ ﷺ**» وأخرج باقية تعليقاً، وأشار إليه في التفسير (٨/ ٣٩٩).

وأخرجه بتمامه ابن منده في الإيمان برقم (٨٨٤) والبزار والطبراني في الأوسط كما في الفتح (٣/ ٣٣٩).

* وحديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يُحبس المؤمنون يوم القيامة حتىٰ يهمُّوا بذلك فيقولون: لو استشفعنا إلىٰ ربنا فيُريحنا من مكاننا، فيأتون آدم. . .**» الحديث وفيه ذكر شفاعته ﷺ عند ربه إلىٰ أن يقول: «**فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتىٰ ما يبقىٰ في النار إلا من حَبَسه القرآن** ـ أي وَجَب عليه الخلود ـ ثم تلا الآية: ﴿**عسىٰ ربُّك أن يبعثك مقاماً محموداً**﴾ قال: وهذا المقام المحمود الذي وُعِدَه نبيكم ﷺ».

أخرجه البخاري بهذا اللفظ في: التوحيد (١٣/ ٤٢٢).

وأخرجه في مواضع أخر دون ذكر الآية، وكذا مسلم في الإيمان (١/ ١٨٠ ـ ١٨٤).

* ومن حديث حذيفة وكعب بن مالك وغيرهما.

انظر الدر المنثور (٥/ ٣٢٥) وابن جرير (١٥/ ٩٧ ـ ٩٨).

واختار ابن جرير (١٥/ ٩٩) أنه الصحيح من القول في تأويل الآية: ﴿**عسىٰ ربك أن يبعثك مقاماً محموداً**﴾ بعد أن ذكر أنه قول أكثر أهل العلم (١٥/ ٩٧) لكنه قال ما فسَّر مجاهد به الآية غير مدفوع صحته لا من جهة خبر ولا نظر!

فإن قيل: فتفسير النبي ﷺ أولىٰ من قول مجاهد.

قيل: لم نُعَوِّل في هذا علىٰ قول مجاهد وحده، وقد روينا ذلك مُفَسَّراً عن النبي ﷺ في حديث ابن عمر وعائشة وابن مسعود وابن عباس وقول مجاهد في ذلك رجحان.

فإن قيل: قد قال الله: ﴿**لو كَانَ معهُ آلِهَةٌ كَما يقولون إذاً لابتغوا إلىٰ ذي العرْش سبيلاً**﴾ [الإسراء: ٤٢]. فأخبر أنَّ العرش لا يصل إليه أحدٌ بالبدن، وإنما يصل إليه بالأعمال.

قيل: ذكر ابن سلام عن قتادة معناه: إذاً يعرفوا له فضله عليهم ولابتغوا إليه ما يقربهم إليه[٢٠]. وقال غيرُه معناه: لطلبوا إليه الوسيلة والقربة، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ المقصود بالآية غير ما أرادُوه من أنَّه لا يصل إليه أحدٌ وإنما المراد به معنىٰ آخر وهو التَّقرب إليه بالطاعات.

فإن قيل: فقوله: «**يقعده علىٰ العرش**» من أين لكم أنَّه عرش الرحمن؟ وقد ذكر الله تعالىٰ عرش بلقيس[٢١].

---

(٢٠) كذا والعبارة فيها شيء، وقوله ابن سلام أظنه تحريفاً!

فقد أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ٦٤) عن سعيد بن أبي عروبة عنه بلفظ: لو كان معه آلهة إذاً لعرفوا فضله ومرتبته ومنزلته عليهم، فابتغوا ما يقربهم إليه.

وإسناده حسن.

وأخرجه عن معمر عنه بلفظ: لابتغوا القرب إليه، مع أنه ليس كما يقولون.

وإسناده صحيح.

(٢١) قال الخلال في السنة (٢٧٢) قال محمد بن إسماعي السلمي: كل من ظن أو توهم أن رسول الله ﷺ لم يستوجب من الله عز وجل هذه المنزلة في حديث مجاهد فهو عندنا جهمي!... إلىٰ قوله ناقلاً عن الجهمي قوله: ليس هذا عرش رب العالمين إنما هو مثل عرش بلقيس وعرش من العروش، شبَّه عرش الآدميين بعرش الرحمن عز وجل...

قيل: هذا لا يصحُّ، لأنَّ في خبر ابن عمر: «**يُجلسه مَعَه علىٰ السرير**» وفي حديث ابن مسعود: «**يُقعده علىٰ كرسيه**» فقيل له: إذا كان علىٰ كرسيه أليسَ هو مَعَه؟ فقال: «ويلكم هذا أقرُّ حديثٍ لعيني».

وعلىٰ أنَّه ذكر العرش بالألف واللام، وهناك عرشٌ معهود، وهو عرش الرحمن بقوله تعالىٰ: ﴿**ويحمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فوقَهم يَومَئذٍ ثمانية**﴾ [الحاقة: ١٧]. وقوله: ﴿**الرحمن علىٰ العرْش اسْتوىٰ**﴾ [طه: ٥]. والألف واللام ينصرفان إلىٰ المعهود فلم يصح هذا التأويل.

فإن قيل: قوله: «**يقعده**» معناه يرفعه أرفع المقاعد عنده، وهو معه بالنُّصرة والمعُونة والمقاعد المقربة من الله تعالىٰ كما قال: ﴿**لا تَحْزنْ إنَّ الله مَعَنا**﴾ [التوبة: ٤٠]. وكما قال: ﴿**إنَّ الله مَعَ المتَّقين**﴾ [التوبة: ٤]. علىٰ معنىٰ: النُّصرة والمعونة.

قيل: هذا غلطٌ، لوجوه:

أحدها: أنَّ الخبر أفَادَ رفعه علىٰ صِفَةٍ وهو القعود علىٰ العرش والكرسي.

والثاني: أنَّه قال: «**يقعده معه**» ولفظة «**مع**» في اللُّغة للمقاربة.

الثالث: أنَّه لم يزل ناصراً له ومُعيناً ورافعاً، فَوَجَبَ حمل هذه الفضيلة علىٰ فائدة مُجدَّدة تختصُّ بذلك اليوم.

الرابع: أنَّ هذا يُسقط فائدة التخصيص بالنبي ﷺ لأنَّه قد نَصَر موسىٰ ورَفَعه وغيره من الأنبياء، فأمَّا قوله: ﴿**لا تَحْزنْ إنَّ الله مَعَنا**﴾ [التوبة: ٤٠]. وقوله: ﴿**إنَّ الله مع المتقين**﴾ [التوبة: ٤]. فإن المراد بذلك النُّصرة، لأنَّ هناك دلالةُ حَالٍ، وهو طلبُ المشركين وخوفهم منهم فبيَّن أنني ناصِرٌ لكم عليهم وهذا معدوم ها هنا.

فإنْ قيل: أليسَ قد حكىٰ أبو محمد بن بشار عن عبدالله بن أحمد عن أبيه أنَّه كان يُعرض عليه الحديث فيقول له: هذا رواه كذا وكذا رجل ويُسميهم، فإذا عُرض عليه حَديثٌ ضعيف قال له: إضْرِبْ عليه، فعُرض عليه حديث مُجاهد

فضعَّفه فقال: يا أبة أضْرِبْ عليه؟ فقال: لا، هذا حَديثٌ فيه فضيلة فأجْرِه علىٰ ما جرىٰ ولا تَضرب عليه، وظاهر هذا أنَّه ضعَّفه.

قيل: هذه حكاية لا يُردُّ بها ما نصَّ عليه في مواضع.

٤٦١ـ فإنْ قيل: فقد ذكر أبو بكر النَّجاد فيما كَتَبَ به إليَّ أبو الحسن بن جدَّاء العكبري في جزء خرَّج فيه أحاديث: ومن الفرق الهالكة مَنْ أنكر أنَّ الله وَعَدَ ـ يعني نبيه ـ أنْ يُقعده المقعد المقرَّب عنده علىٰ العرش، وهو المقام المحمود، وذكر حديث ابن عباس «**يقعده علىٰ العرش**» وحديث عبدالله بن سلام وحديث مجاهد، ثُمَّ قال أبو بكر: سألتُ أبا محمد بن صاعد عن عبيد الله بن عبدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ في قوله: ﴿**عَسَىٰ أَنْ يبعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً محموداً**﴾ [الإسراء: ٧٩]. قال: «**يُقْعَدني علىٰ العرش**» قال: هذا حديثٌ موضوعٌ لا أصل له، وأمَّا حديث يزيد بن هرون عن النبي ﷺ في قوله: ﴿**عَسَىٰ أن يَبْعَثَك ربك مقاماً محموداً**﴾ [الإسراء: ٧٩]. قال: «**يُقْعدني معه علىٰ العرش**» فحديثٌ موضوعٌ لا أصل له، وأمَّا حديثُ عاصم عن زِرٍّ عن ابن مسعود قال: «**إنَّ الله تعالىٰ اتَّخَذَ إبراهيم خَليلاً، وإنَّ صَاحِبَكم خَليلُ الله جلَّ وعزَّ، وإنَّ محمداً سيد ولدِ آدم يومَ القيامة، ثم قرأ: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ ربُّكَ مقاماً محموداً﴾**» فمن زاد غير هذا فقد أبطل.

٤٦٢ـ وقال أبو بكر النَّجاد سألت أبا بكر الباغندي فقال: كلُّ هذه الأحاديث باطلة ليست بمحفوظة، غير حديث مُجاهد، وسألت أبا إسحق بن جابر وأبا العباس ابن سُريج وأبا علي بن خيران وأبا جعفر بن الوكيل وأبا الطيب بن سلمة وكلٌّ كَتَبَ بيده: إنَّ هذه الأحاديث لا أصل لها إلا ما رواه ابن فضيل عن ليث عن مجاهد.

٤٦٣ـ قال أبو بكر النَّجاد وسمعت ابن صاعد يقول: كتب السُّلطان يسألني عن مَنْ روىٰ هذه الأحاديث حتىٰ يضربهم بالسياط.

٤٦٤ـ قال أبو بكر النجاد وكتب إلىٰ أبي محمد بن عبدان، وإلىٰ أبي يعلىٰ، وإلىٰ

أبي زكريا بن يحيىٰ السَّاجي، وإلىٰ أحمد بن محمد بن مكرم، وإلىٰ سهل بن نوح البصري، وإلىٰ أبي أحمد بن محمد المروزي، وإلىٰ أبي العباس بن السرَّاج، وإلىٰ محمد بن إسحق بن خزيمة، وكُتبهم علىٰ ألفاظٍ وجميعها واحد، أنَّ مَنْ حَدَّث بهذه الأحاديث يَستغفر الله عزَّ وجلَّ، فهي باطلةٌ لا أصلَ لها، إلا ما حَدَّث محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد، إلا أنَّ محمد بن إسحق بن خُزيمة قال: مَنْ روىٰ عن ابن مسعود وعن عبدالله بن عمر فقد روىٰ عن النبي ﷺ الكَذَب والأباطيل، ومن تَعَمَّد رواية الكذب عن النبي ﷺ كان داخلاً في وعيد النبي ﷺ: **«من كَذَبَ علينا مُتعمداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّار»** ولا يسع الإمام العادل أنْ يَدَعُ من يروي مثل هذا الكذب عن النبي ﷺ صُراحاً؛ أنْ يُقيم ببلد الإسلام.

٤٦٥ـ قال أبو بكر النَّجَّاد: وكُلُّ من كتب إليَّ من المحدِّثين علىٰ هذا الشرح قال: والذي أقول فيمن رَوَىٰ هذه الأحاديث: إنْ كان لا يعلم مصدرها، كان عليه أنْ يسأل أهلَ العلم فإذا عَرَّفوه ووقفوه[1] علىٰ ما ينبغي أن يقول فيها لزمه إنكارها، فمن حدَّث بها بعد إنكار العلماء دَخل في قول النبي ﷺ: **«مَنْ كَذَب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»**.

قيل: مَنْ طَعَنَ علىٰ هذه الأحاديث وأنكرها لا يلزم قَبول قوله حتىٰ يُبَيِّنَّ وجه الطَّعن، وقد روينا طرقها وأسانيدها، وقد قال أحمد: لم يرو هذا عن مجاهد وحده عن ابن عباس، وخرَّجَ في ذلك أحاديثَ وقرأها علىٰ أصحابه وهو أعْرفُ بصحة الحديث ممن تقدم ذكره ممن أنكرها، ولأنَّا قد بَيَّنا أنَّ معناها القُرْبُ من الله تعالىٰ، والقُرآن والسُّنَّة يَشْهدانِ لذلك بقوله تعالىٰ: **﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلىٰ فكان قاب قَوْسين أو أدْنىٰ﴾** [النجم: ٨ ـ٩]. وحديث الإسراء وأنَّه **«وضع يده بين كتفيه»** وقوله: **«عَرَجَ بي فلما ظهر لي المُسْتَوىٰ أقامني في مَوضِعٍ أسْمَعُ فيه صَرِيفَ الأقْلام بينَ يَدَي الرَّحْمن»** فليس في روايتها ما يخالف الأصول.

---

(١) في الأصل: ووقوفه، وها هنا هو الصواب، علقه الناسخ.

وقد أنشدَ أبو الحسن الدَّارقطني شِعْراً يدلُّ علىٰ صحة هذه الأحاديث عنده وهو حافِظُ وَقْتِهِ، فقال:

حَديثُ الشَّفَاعَةِ في أحمَدَ
إلىٰ أحمَدَ المصطفىٰ نُسْنِدُه
أما حَديثٌ بإقْعَادِهِ
علىٰ العَرْشِ أيضاً فَلا نَجْحَدُه
أَمِرُّوا الحَديثَ علىٰ وَجْهِهِ
ولا تُدْخِلوا فيه ما يُفْسِدُه
ولا تُنكِرُوا أنَّه قاعِدٌ
ولا تجحدُوا أنَّه يُقْعِدُه

وقد أنشد أبو طالب بن العُشَاري هذه الأبيات عن الدَّارقطني.(٢٢)

٤٦٦ـ وكتب إليَّ أبو الحسن علي بن عبدالواحد رحمه الله قال: شيخنا أبو علي ابن أبي شهاب قال: حدَّثني أبو حفص عمر بن إبراهيم قال: أنشدنا أبو القسم حبيب القزاز قال: أنشدنا ابن العلاف الضرير لنفسه في وقت ردِّ الترمذي الجلوس وقعود النبي ﷺ معه علىٰ العرش:

---

(٢٢) رواه أبو محمد الدَّشتي في إثبات الحد ـ كما في السلسلة الضعيفة (٢/ ٢٥٦) ـ من طريق أبي العز أحمد بن عبيدالله بن كادش أنشدنا أبو طالب أنشدنا أبو الحسن الدارقطني به.
وابن كادش قال السمعاني: كان ابن ناصر يسيء القول فيه.
وقال ابن النجار: كان ضعيفاً في الرواية، مخلطاً كذاباً، لا يحتج به، وللأئمة فيه مقال.
انظر السير (١٩/ ٥٥٩).
وبه أعل الألباني حفظه الله الرواية.
وأما أبو طالب العشاري وهو محمد بن علي الحربي فقال عنه الذهبي في السير (١٨/ ٤٨): كان فقيهاً عالماً زاهداً خيّراً مكثراً، وقال الخطيب: ثقة.

حَدِيثُ الشَّفَاعَةِ في أَحمَدَ
إلىٰ أحمَدَ المصطفىٰ نُسْنِدُه
فأما حَديثُ بإقْعَادِهِ
علىٰ العَرْشِ يُرویٰ فلا نجْحَدُه
يُقَرِّبُه الله إنْ شاء منه
فَتبّاً وبُعْداً لمن يُبْعِدُه
وقَد قَصَدَ النَّاسُ في ذا الحديثِ
إلىٰ كُلِّ ما نَحن لا نَقْصِدُه
فَقَومٌ علىٰ العَرْشِ قد أَقْسَمُوا
بأنَّ النبي غَداً يَصْعَدُه
وقومٌ يَقُولون لَوْ كانَ ذَا
لكانَ شَريكَ الذي نَعْبُدُه
ولكنْ نُشِيرُ بما عِنْدَنَا
وقَدْ يُسْعِدُ الله مَنْ يُرْشِدُه
أمِرُّوا الحديثَ علىٰ ما أتىٰ
ولا تُدْخِلوا فيه ما يُفْسِدُه
فلا تحلفوا أنَّه قَاعِدٌ
ولا تُنكِرُوا أنَّه يُقْعِدُه

٤٦٧ـ ورأيت في كتاب عتيق ترجمته «كتاب السُّنَّة» تأليف أبي إسحق إبراهيم ابن إسحق الشيرجي مما رواه عن المروذي أخرجه إليَّ الدسكري وذكر فيه «باب

(٢٣) في طبقات الحنابلة (٢/ ١٦):

إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم أبو الحسن السيرجي (بالسين المهملة) الخصيب، المتخصص بصحبة أبي بكر المروذي، له تصانيف.

حدث عن عباس الدوري وعلي بن داود القنطري ويحيىٰ بن أبي طالب. =

فضيلة النبي ﷺ» فقال: أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج قال سألت أبا عبدالله عن حديث ابن الفضيل عن أبيه عن مجاهد، قال: كتبته عن رجل عن الفضيل.

٤٦٨ـ قال أبو إسحق حدثني علي بن عبدالصمد وعلي بن الحسن ومحمد بن الخضر مولىٰ عمر بن الخطاب عن علي بن عبدالصمد قال: نا علي بن محمد الفارسي قال: نا يزيد بن هرون: قال: أنا يحيىٰ بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ عن قول الله: **﴿عسَىٰ أنْ يَبْعَثكَ رَبُّك مقاماً محموداً﴾** [الإسراء: ٧٩]. قال: «**نعم، إذا كان يومُ القيامةِ نادىٰ مُنادي أين حبيب الله فاتخَطَّىٰ صُفوفَ الملائكة حتىٰ أصير إلىٰ جانب العرْش ثم يَمدُّ يَدَهُ فيأخذ بيدي فَيُقْعِدني علىٰ العرْشِ**»[٢٣].

٤٦٩ـ قال وحدثني أبو بكر قال: نا محمد بن بشر بن سويد قال: نا محمد بن عقبة الشيباني[١] وأحمد بن الفرج الطائي قالا: نا عباد بن أبي روق[٢] قال سمعت أبي يُحدِّث عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: **﴿عَسَىٰ أنْ يَبْعَثكَ ربُّك مقاماً محموداً﴾** [الإسراء: ٧٩] قال: «**يُقعده علىٰ العرش**»[٢٤].

---

(١) في الأصل: محمد بن عطية النسائي! والتصويب من التقريب والسنة للخلال.

حدث عنه أبو الحسن الدارقطني، ذكر ابن الثلاج أنه سمع منه.

وتوفي في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة.

(٢٤) لم أجد من خرجه.

وقد سبق نقل المصنف عن جماعة من المحدثين حكمهم عليه بأنه لا أصل له.

(٢٥) منكر.

وقد سبق الكلام عليه برقم (١٢) من هذا الفصل.

* انتهىٰ الجزء الثاني *

(بتجزئة المحقق)

ويليه الجزء الثالث

إن شاءَ الله تعالىٰ

فهرست المساهم

فهــرس الكتــاب

الموضوع | الصفحة